



حقوق الطبع محفوظة
الدار العالمية للنشر و الطبع و التوزيع

الطبعة الأولى ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م
رقم الإيداع ٢٠٠٩/٢١٩١٤
الترقيم الدولي س 1-52-6326-977-978 s.B.N

بسم الله الرحمن الرحيم

فكر المؤامرة

عقيدة وحقيقة لا خيال

تأليف

الشيخ السيد مراد سلامة

المقدمة

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ؛ من يهده الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ }

[آل عمران : ١٠٢] .

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا }

[النساء : ١] .

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا }

[الأحزاب : ٧٠ ، ٧١] .

أما بعد؛ فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار .

ثم أما بعد:

فهذه رسالة تكلمت فيها عن حقيقة ينكرها كثير من المفكرين على الساحة الإسلامية ألا وهي حقيقة المؤامرة التي خطط لها أعداء الأمة الإسلامية في القديم والحديث وأوضحت فيها أن المؤامرة عقيدة يدين بها المسلم لربه سبحانه وتعالى لأن الله هو الذي حدثنا عنها في كتابه وأخبرنا عنها الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ وجاءت الرسالة في عشرة فصول وخاتمة :

*** الفصل الأول:** المؤامرة كما يصورها القرآن الكريم والسنة والمطهرة

*** الفصل الثاني:** المؤامرة عبر التاريخ وتحدثت فيه عن المؤامرة منذ نبي الله نوح عليه السلام إلى عهد النبوة

*** الفصل الثالث:** المؤامرة في عهد الخلفاء وبينت كيف تأمر العرب والعجم على المسلمين بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم – فقد ارتدت قبائل العرب وأعلنت الحرب الروم ولولا فضل الله على عباده لهلك المسلمون

*** الفصل الرابع:** الحروب الصليبية والحرب على الإسلام والمسلمين، وأوضحت فيه المطامع الصليبية والأهداف السياسية التي جعلت الغرب عن بكرة أبيه يعلن عن تلك الحرب المقدسة كما يزعمون

*** الفصل الخامس:** المؤامرة التتريّة على الإسلام والمسلمين

*** الفصل السادس:** المؤامرة ضد المسلمين في بلاد الأندلس

*** الفصل السابع:** المؤامرة على الخلافة العثمانية والعالم الإسلامي

*** الفصل الثامن:** المؤامرة في الحروب الصليبية الجديدة

*** الفصل التاسع:** الشيعة ودورهم في تنفيذ المؤامرات على الإسلام

*** الفصل العاشر:** وسائل النجاء من مؤامرات الأتقياء

وبينت في هذا الفصل أن فكر المؤامرة لا يمثل عائق عند أهل الإيمان بل انه سبب من أسباب الانتصار على الأعداء وبينت إن سبيل المواجهة يتمثل في عدة عناصر وهي

* إحياء عقيدة الولاء والبراء

* التمسك بالكتاب والسنة

* إعداد العدة

* أخذ الحذر والحيلة

* الصبر والمصابرة

فعندما تحقق الأمة هذه الأشياء فانه لا يضرهم كيد الكائدين ولا مكر الماكرين وصدق الله إذ يقول **(وَإِنْ تَصِيرُوا تَصِيرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (١٢٠) آل عمران)**

فالنصر لا يكون إلا مع الصبر على ال أذى.....

ثم خاتمة الرسالة وأوضحت فيها خلاصة ما جاء في هذا البحث ٠٠ وفي النهاية ذكرت المصادر والمراجع التي استعنت بها في هذا البحث ثم ذكرت فهرسا يحتوى على محتويات الرسالة فاللهم اجعل هذا العمل لوجهك خالصا واجعله زادا لي ولكل مسلم يرجوا النجاة والتمكين والنصر لأمتة ٠

أبو همام الشيخ / السيد مراد سلامة

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

محافظة البحيرة / مركز شبراخيت / قرية فرنوى

محمول / ٠١٠٦٩٨٣٥٢٦٨



أسباب كتابة هذا البحث

إن من الأسباب التي دعنتي لكتابة هذه الرسالة ما كنت قرأته في مجلة الوعي الإسلامي عدد ٤٢٤ لسنة ١٤٢٠ هـ تحت عنوان « فكر المؤامرة أكبر عائق للنهوض العربي » فقال كاتب المقال (محمد على وهبة) (في حديثه مع قناة لبنان الفضائية في أواخر شهر ربيع الثاني من عام ١٤٢١ هـ ارجع الدكتور احمد زويل الحاصل على جائزة نوبل في الكيمياء أسباب تخلف العرب عن باقي أمم العالم إلى فكر وفلسفة (المؤامرة) التي توارثها الأجيال في شتى بلدان الوطن العربي منذ عشرات السنين ، وقال (إن هذا الفكر أصابنا بالعجز فأصبحنا متخلفين عن باقي شعوب العام بمئات السنين ، وقال إن مشروعه العلمي الحالي يتمثل في وضع العرب على خريطة التقدم التكنولوجي الحقيقي ،الذي تقاس به قدرة وقوة الأمم الآن يجوب بالبلدان العربية من مشرقها إلى مغربها ،وأضاف أن هذا المشروع إذا لم تباعد عنه براثن التعقيدات والعقول المتحجرة ويظهر للنور خلال عام من الآن سأعود إلى أمريكا حزينا بلا عودة)

ثم يقول كاتب المقال: ويقصد بفكر المؤامرة الذي أشار إليه د: زويل : أن العقلية العربية قد اعتادت منذ عقود عدة إلى اعتناق أيديولوجية فكرية تحاذلية نكوصية يمكن تسميتها بـ (أيديولوجية التأمري للأحداث) حيث مقتضى هذا الفكر أن كل ما يموج به عالمنا العربي من نكبات وعثرات وعجز عن الحركة والانطلاق ، إنما سببه يحكيه الغربيون من مؤامرات ضد العرب إلى درجة أنه أصبح يمكن القول : أنه لو أن نملة ماتت في بلد عربي ، قال العرب : إن الغرب قد تأمر على قتل هذه النملة.....^(١)

وفى موقع منتديات الوسطية يشطح أحدهم ويهرف بما لا يعرف فيقول:

ماذا قالوا: عن (نظرية المؤامرة) قاتلهم الله أنى يؤفكون !!!

ترى لماذا - نحن - من دون الأمم كلها، تستهويننا نظرية المؤامرة اليهودية وراء الأحداث؟ لماذا تزدهر شجرة التآمر في أرضنا وتجد أنصارا يستظلون بها؟

^(١) - مجلة الوعي الإسلامي عدد ٤٢٤ ص ٥٠

لماذا نظل أسرى نظريات حتى بعد تبين زيفها ؟

ومنها - أيضا - ما كتبه أحمد بشارة - الكاتب الكويتي - القبس ٢٤ / ١٠ / ٢٠٠٢ - إذ يفسر أسباب تمكن هذه النظرية من العقلية العربية إلى عدة أمور :

منها: الشك المتأصل في الغير، شيوع ثقافة السمع ، تراجع مكانة القراءة والإطلاع والبحث ، تغلغل الفكر الغيبي ، ضعف الثقافة العلمية ، وتسيد دعاة الأيديولوجيات على الإعلام .

ومنها ، ما كتبه : الذايدي - الشرق الأوسط ٩ / ١٤ حيث يقول: (هذه الطريقة في استقبال الأحداث واستيعابها تنبئ عن خلل نفسي جماعي، ربما كان مبرراً، بسبب عجز المسلمين عن قبول الحقيقة ، ومحاولة تبرئة الذات من مغبة عمل ضخم كهذا، وهي تحمل في نفس اللحظة، انتقاصاً ذاتياً بالغاً، فأولادنا لا يفعلون ذلك، فهم أقل من الصعود إلى هذه الجدارة .

في تصوري أن للنظرية جذورا أعمق تمتد إلى جوانب عقدية وعوامل تاريخية وظروف سياسية ، منها :

ما يحدثنا القرآن الكريم من مكائد بني إسرائيل ضد أنبيائهم وضد الأمم الأخرى ، ما تؤكد السيرة النبوية من دور كيدي خطر ومنذ الوقت المبكر على الإسلام ورسوله ﷺ وعلى المسلمين ودولتهم الوليدة.

* ما تحفل به كتب التراث وبخاصة العقائد والملل والنحل والتاريخ من أن وراء الفتنة الكبرى، اليهودي - عبد الله بن سبأ - تلك الفتنة التي قصمت ظهر المسلمين ، ولذلك نحرص في مناهجنا الدراسية على تلقين طلابنا - كجزء من العقيدة والإيمان - أن ما شجر بين الصحابة من خلافات سياسية ونزاعات مسلحة على السلطة والحكم ، نسكت عنها ونتجاوزها - فكلهم مجتهدون وكلهم مخلصون وكلهم مصيبون وتلك الفتنة ما حصلت إلا بدسائس ابن سبأ اليهودي فهو المسؤول والمتهم ، علما بأن التحقيق التاريخي أثبت أن ابن سبأ هذا شخصية أسطورية وعلى صحة وجوده فلا يعقل أن يكون لفرد مهما بلغ دهاؤه هذا الدور الخطير المبالغ فيه ، لأننا بذلك نفترض غفلة وسذاجة الصحابة رضوان الله

عليهم حتى يخذعهم يهودي واحد وكأننا بذلك نثبت لليهود عبقرية فوق البشر .
ما ترسخه ثقافتنا في نفسية وذهنية المسلمين من اعتقادهم أن اليهود مصدر شرور العالم،
ولعلنا الأمة الوحيدة التي ما زالت تعتبر «بروتوكولات حكماء صهيون صحيحة مع أنها
من صنع المخابرات الروسية للتنكيل بيهود روسيا أيام القياصرة راجع العميد - الدراسات
اليهودية عبد الوهاب المسيري موسوعته الشهيرة .

* ما ترسيه أحاديث آخر الزمان والفتن من الصراع الأبدي بين العرب واليهود حتى تقوم
القيامة فيختبئ اليهودي وراء الحجر فيقول الحجر يا عبد الله يا مسلم هذا يهودي ورائي
فاقتله، تلك الأحاديث تجعل المسلم متوجسا يفسر كل حدث بأن وراءه يهوديا، ولهذا لم
يستبعد الشيخ فضل الله وغيره من أن يكون لليهود دور في حادثة مدرسة بيسلان المأساوية.
تلك هي الجذور العميقة التي تحكمنا وتتحكم في تصوراتنا للعالم من حولنا، فهل من سبيل
إلى تجاوزها من أجل فهم أفضل ومن أجل تشخيص أدق لما جرى ويجري في عالمنا
المعقد؟^(١)

ويوجد جم غفير من المفكرين على شبكات الانترنت من يردد مثل هذه المقولة، وبعضهم
يقول إن العرب لديهم مرض يسمى بالمؤامرة، نقرا على تلك الشبكات من يقول (رد:
نظرية المؤامرة والنظرية السببية في العقلية العربية) ويقول بعضهم (فكرة المؤامرة أصبحت
كالموجة تتسم بطابع وبائي شعبي وتنتشر بين قادة الرأي من الصحفيين والإعلاميين
وأساتذة الجامعات ،تلك هي أقوال المتحدثين عن الفكر التأمري عند العرب والداعيين
للبحث بالنظرية السببية(بمعني أن التآمر لم يكن يوما بسبب وإن كل قضية لها أسباب داخلية
أو خارجية أخرى

لذا: كان لزاما أن بين حقيقة المؤامرة كما يصورها القرآن وكما أوضحها السنة المطهرة،
وكما جاءت في خططهم وظهرت على فلتات ألسنتهم، والله المستعان.

(١) - <http://www.alwatan.com.kw/default.a...=5&topic=284422>

الفصل الأول

المؤامرة كما يصورها القرآن الكريم والسنة المطهرة

تنازع البقاء من سنن الله في خلقه:

أخي المسلم إن الصراع بين الحق والباطل سنة من سنن الله التي بنى عليها ذلك الكون فله عز وجل في ملكوته العظيم وكونه الفسيح سننٌ لا تبدل ونواميس لا تتحول (والقرآن يقرر هذه الحقيقة ويعلمها للناس { **فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ**

تُخْوِيلًا } [فاطر: ٤٣]) ومن تلك السنن الربانية سنة التدافع بين الحق والباطل يقول سيد قطب -رحمه الله- { **وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ** } [البقرة: ٢٥١] وهنا تتوارى الأشخاص والأحداث لتبرز من خلال النص القصير حكمة الله العليا في الأرض من اصطراع القوى وتنافس الطاقات وانطلاق السعي في تيار الحياة المتدفق الصاحب الموارد .

وهنا تتكشف على مد البصر ساحة الحياة المترامية الأطراف تموج بالناس، في تدافع وتسابق وزحام إلى الغايات. ومن ورائها جميعاً تلك اليد الحكيمة المدبرة تمسك بالخيوط جميعاً، وتقود الموكب المتزاحم المتصارع المتسابق، إلى الخير والصلاح والنماء، في نهاية المطاف. .

لقد كانت الحياة كلها تأسن وتتغنن لولا دفع الله الناس بعضهم ببعض، ولولا أن في طبيعة الناس التي فطرهم الله عليها أن تتعارض مصالحهم واتجاهاتهم الظاهرية القريبة، لتنتلق الطاقات كلها تتزاحم وتتغالب وتتدافع، فتتنفض عنها الكسل والخمول، وتستجيش ما فيها من مكنونات مذكورة، وتظل أبداً يقظة عاملة، مستنبطة لذخائر الأرض مستخدمة قواها وأسرارها الدفينة. وفي النهاية يكون الصلاح والخير والنماء.... يكون بقيام الجماعة الخيرة المهتدية المتجردة.

تعرف الحق الذي بينه الله لها، وتعرف طريقها إليه واضحاً.

وتعرف أنها مكلفة بدفع الباطل وإقرار الحق في الأرض.

وتعرف أن لا نجاة لها من عذاب الله إلا أن تنهض بهذا الدور النبيل، وإلا أن تحتل في سبيله ما تحتل في الأرض طاعة لله وابتغاء لرضاه.

وهنا يمضي الله أمره، وينفذ قدره، ويجعل كلمة الحق والخير والصلاح هي العليا، ويجعل حصيلة الصراع والتنافس والتدافع في يد القوة الخيرة البانية، التي استجاش الصراع أنبل ما فيها وأكرمها، وأبلغها أقصى درجات الكمال المقدر لها في الحياة. ومن هنا كانت الفئة القليلة المؤمنة الواثقة بالله تغلب في النهاية وتنتصر. ذلك أنها تمثل إرادة الله العليا في دفع الفساد عن الأرض، وتمكين الصلاح في الحياة. إنها تنتصر لأنها تمثل غاية عليا تستحق الانتصار.^(١)

وقول الله تعالى ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥١] أي لولا أن الله تعالى يدفع أهل الباطل بأهل الحق، وأهل الفساد بأهل الإصلاح فيها؛ لغلب أهل الباطل والإفساد في الأرض، وبغوا على الصالحين، وأوقعوا بهم حتى يكون لهم السلطان وحدهم، فتفسد الأرض بفسادهم فكان من فضل الله على العالمين وإحسانه إلى الناس أجمعين أن أذن لأهل دينه الحق المصلحين في الأرض بقتال المفسدين فيها من الكافرين والبغاة المعتدين، فأهل الحق حرب أهل الباطل في كل زمان، والله ناصرهم ما نصره الدين وأرادوا الإصلاح في الأرض.^(٢) فهذا إرشاد إلى تنازع البقاء والدفاع عن الحق، وأنه ينتهي ببقاء الأمثل وحفظ الأفضل. وهو ملموس ومقرر على صفحات التاريخ، وخاصة منذ بزوغ فجر الإسلام؛ حيث نجد العديد من صور ذلك التدافع، ونلاحظ له أثراً كبيراً نتج عنها العديد من التغيرات الجذرية في تسيد الأرض واستغلال ثرواتها واكتشاف خيراتها، بل وفرض الأفكار والمعتقدات على سكانها في كثير من الأوقات بالحديد والنار، وخاصة من قبل العقائد المخالفة للإسلام، وتحدث تلك التغيرات عند حدوث نقطة تقاطع بين الحضارات وتأثر إحداها بالأخرى أو اضمحلالها مع الأيام.

وهاهو الحكيم الخبير يخبرنا عن حقيقة المؤامرة وأنها مترسخة في نفوس اليهود النصارى وأنه لا يرضيهم إلا الكفر بالله وإتباع ملتهم

(١) - في ظلال القرآن ج ١ ص

(٢) - تفسير المنار : ج ٢ ص ٤٩١ .

(وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنَّ
 أَتَّبَعْتُ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ
 (١٢٠){(البقرة: ١٢٠)}

يقول سيد قطب -رحمه الله- ﴿ تلك هي العلة الأصلية، ليس الذي ينقصهم هو البرهان؛
 وليس الذي ينقصهم هو الاقتناع بأنك على الحق، وأن الذي جاءك من ربك الحق، ولو
 قدمت إليهم ما قدمت، ولو توددت إليهم ما توددت، لن يرضيهم من هذا كله شيء، إلا
 أن تتبع ملتهم وتترك ما معك من الحق.

إنها العقدة الدائمة التي نرى مصداقها في كل زمان ومكان. إنها هي العقيدة.

هذه حقيقة المعركة التي يشنها اليهود والنصارى في كل أرض وفي كل وقت ضد الجماعة
 المسلمة.... إنها معركة العقيدة هي المشبوبة بين المعسكر الإسلامي وهذين المعسكرين
 اللذين قد يتخاصمان فيما بينهما؛ وقد تتخاصم شيع الملة الواحدة فيما بينها، ولكنها تلتقي
 دائما في المعركة ضد الإسلام والمسلمين!
 إنها معركة العقيدة في صميمها وحقيقتها.

ولكن المعسكرين العريقين في العداوة للإسلام والمسلمين يلونانها بألوان شتى، ويرفعان
 عليها أعلاماً شتى، في خبث ومكر وتورية.

إنهم قد جربوا حماسة المسلمين لدينهم وعقيدتهم حين واجهوهم تحت راية العقيدة.
 ومن ثم استدار الأعداء العريقون فغيروا أعلام المعركة، لم يعلنوها حرباً باسم العقيدة -
 على حقيقتها - خوفاً من حماسة العقيدة وجيشانها، إنما أعلنوها باسم الأرض، والاقتصاد،
 والسياسة، والمراكز العسكرية، وما إليها.

وألقوا في روع المخدوعين الغافلين منا أن حكاية العقيدة قد صارت حكاية قديمة لا معنى
 لها! ولا يجوز رفع رايتها، وخوض المعركة باسمها.

فهذه سمة المتخلفين المتعصبين! ذلك كي يأمنوا جيشان العقيدة وحماستها، بينما هم في
 قرارة نفوسهم: الصهيونية العالمية والصليبية العالمية - بإضافة الشيوعية العالمية - جميعاً

يخوضون المعركة أولاً وقبل كل شيء لتحطيم هذه الصخرة العاتية التي نطحوها طويلاً، فأدمتهم جميعاً!!!

إنها معركة العقيدة، إنها ليست معركة الأرض، ولا الغلة.

ولا المراكز العسكرية، ولا هذه الرايات المزيفة كلها. إنهم يزيفونها علينا لغرض في نفوسهم دفين، ليخدعونا عن حقيقة المعركة وطبيعتها، فإذا نحن خدعنا بخديعتهم لنا فلا نلومن إلا أنفسنا، ونحن نبعد عن توجيه الله لنبيه ﷺ ولأمته، وهو - سبحانه - أصدق القائلين :

(وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ) (البقرة: ١٢٠) فذلك هو الثمن الوحيد الذي يرتضونه . وما سواه فمرفوض ومردود!

ولكن الأمر الحازم، والتوجيه الصادق: **{ قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهُدَى }**

على سبيل القصر والحصر، هدى الله هو الهدى، وما عداه ليس بهدى. فلا براح منه، ولا فكاك عنه، ولا محاولة فيه، ولا ترضية على حسابه، ولا مساومة في شيء منه قليل أو كثير، ومن شاء فليؤمن، ومن شاء فليكفر. وحذار أن تميل بك الرغبة في هدايتهم وإيمانهم، أو صداقتهم ومودتهم عن هذا الصراط الدقيق. **{ وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (١٢٠) }** ^(١)

وفى موضع آخر يخبرنا سبحانه وتعالى عما تكن صدورهم وما تحمله بين طياتها من حسد وحقد دفين فيقول - سبحانه وتعالى - **{ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ مِنْ بَعْدِ**

إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } [البقرة: ١٠٩]

يقول سيد قطب - رحمه الله - (وذلك ما يفعله الحقد اللئيم بالنفوس.... الرغبة في سلب الخير الذي يهتدي إليه الآخرون لماذا؟

لا لأن هذه النفوس الشريرة لا تعلم، ولكنها لأنها تعلم! **{ حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ }**

^(١) - في ظلال القرآن - (ج ١ / ص ٨٢)

والحسد هو ذلك الانفعال الأسود الخسيس الذي فاضت به نفوس اليهود تجاه الإسلام والمسلمين، وما زالت تفيض، وهو الذي انبعثت منه دسائسهم وتدابيراتهم كلها وما تزال، وهو الذي يكشفه القرآن للمسلمين ليعرفوه، ويعرفوا أنه السبب الكامن وراء كل جهود اليهود لزعزعة العقيدة في نفوسهم؛ وردهم بعد ذلك إلى الكفر الذي كانوا فيه، والذي أنقذهم الله منه بالإيمان، وخصهم بهذا بأعظم الفضل وأجل النعمة التي تحسدهم عليها يهود!

وهنا - في اللحظة التي تتجلى فيها هذه الحقيقة، وتكشف فيها النية السيئة والحسد اللئيم - هنا يدعو القرآن المؤمنين إلى الارتفاع عن مقابلة الحقد بالحقد، والشر بالشر، ويدعوهم إلى الصفح والعفو حتى يأتي الله بأمره، وبقدرته يريد: **{فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}** وامضوا في طريقكم التي اختارها الله لكم، وابدعوا ربكم وادخروا عنده حسناتكم

{وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [البقرة: ١١٠] وهكذا يوقظ السياق القرآني وعي الجماعة المسلمة ويركزه على مصدر الخطر، ومكمن الدسيسة؛ ويعبئ مشاعر المسلمين تجاه النوايا السيئة والكيد اللئيم والحسد الذميمة، ثم يأخذهم بهذه الطاقة المعبأة المشحونة كلها إلى جناب الله؛ ينتظرون أمره، ويعلقون تصرفهم بإذنه، وإلى أن يحين هذا الأمر يدعوهم إلى العفو والسماحة، لينقذ قلوبهم من نتن الحقد والضغينة. ويدعها طيبة في انتظار الأمر من صاحب الأمر والمشيئة. (١)

في هذه الآية بين سبحانه لعباده استمرارية المؤامرة وأنها دائمة لا تنقطع فيقول سبحانه وتعالى **{يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ}**

(١) - في ظلال القرآن - (ج ١ / ص ٧٦)

فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ

[البقرة: ٢١٧]

يقول سيد قطب رحمه الله : تعالى **({وَلَا يَزَالُونَ يَقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا})** . . وهذا التقرير الصادق من العليم الخبير يكشف عن الإصرار الخبيث على الشر؛ وعلى فتنة المسلمين عن دينهم؛ بوصفها الهدف الثابت المستقر لأعدائهم. وهو الهدف الذي لا يتغير لأعداء الجماعة المسلمة في كل أرض وفي كل جيل.

إن وجود الإسلام في الأرض هو بذاته غيظ ورعب لأعداء هذا الدين؛ ولأعداء الجماعة المسلمة في كل حين إن الإسلام بذاته يؤذيهم ويغیظهم ويخيفهم، فهو من القوة ومن المتانة بحيث يخشاه كل مبطل، ويرهبه كل باغ، ويكرهه كل مفسد.

إنه حرب بذاته وبما فيه من حق أبلج، ومن منهج قويم، ومن نظام سليم، إنه بهذا كله حرب على الباطل والبغي والفساد.

ومن ثم لا يطيقه المبطلون البغاة المفسدون، ومن ثم يرصدون لأهله ليفتنوهم عنه، ويردوهم كفاراً في صورة من صور الكفر الكثيرة.

ذلك أنهم لا يأمنون على باطلهم وبغيهم وفسادهم، وفي الأرض جماعة مسلمة تؤمن بهذا الدين، وتتبع هذا المنهج، وتعيش بهذا النظام.

وتتنوع وسائل قتال هؤلاء الأعداء للمسلمين وأدواته، ولكن الهدف يظل ثابتاً، أن يردوا المسلمين الصادقين عن دينهم إن استطاعوا، وكلما انكسر في يدهم سلاح انتضوا سلاحاً غيره وكلما كلت في أيديهم أداة شحذوا أداة غيرها، والخبر الصادق من العليم الخبير قائم يحذر الجماعة المسلمة من الاستسلام، وينبهاها إلى الخطر؛ ويدعوها إلى الصبر على الكيد، والصبر على الحرب، وإلا فهي خسارة الدنيا والآخرة؛ والعذاب الذي لا يدفعه عذر ولا

مبرر

{وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} . .

والحبوط مأخوذ من حبطت الناقة إذا رعت مرعى خبيثاً فانتفخت ثم نفقت.... والقرآن يعبر بهذا عن حبوط العمل، فيتطابق المدلول الحسي والمدلول المعنوي، يتطابق تضخم العمل الباطل وانتفاخ مظهره، وهلاكه في النهاية وبواره، مع تضخم حجم الناقة وانتفاخها ثم هلاكها في النهاية بهذا الانتفاخ!

ومن يرتدد عن الإسلام وقد ذاقه وعرفه؛ تحت مطارق الأذى والفتنة -مهما بلغت - هذا مصيره الذي قرره الله له، حبوط العمل في الدنيا والآخرة . ثم ملازمة العذاب في النار خلوداً

إن القلب الذي يذوق الإسلام ويعرفه، لا يمكن أن يرتد عنه ارتداداً حقيقياً أبداً. إلا إذا فسد فساداً لا صلاح له، وهذا أمر غير التقية من الأذى البالغ الذي يتجاوز الطاقة . فالله رحيم . رخص للمسلم -حين يتجاوز العذاب طاقته - أن يقي نفسه بالتظاهر، مع بقاء قلبه ثابتاً على الإسلام مطمئناً بالإيمان. ولكنه لم يرخص له في الكفر الحقيقي، وفي الارتداد الحقيقي، بحيث يموت وهو كافر، والعياذ بالله

وهذا التحذير من الله قائم إلى آخر الزمان، ليس لمسلم عذر في أن يخنع للعذاب والفتنة فيترك دينه وبقينه ، ويرتد عن إيمانه وإسلامه ، ويرجع عن الحق الذي ذاقه وعرفه . . وهناك المجاهدة والمجاهدة والصبر والثبات حتى يأذن الله، والله لا يترك عباده الذين يؤمنون به، ويصبرون على الأذى في سبيله. فهو معوضهم خيراً: إحدى الحسنين: النصر أو الشهادة. (١)

ويقول العلامة ابن عاشور -رحمه الله - قوله { **وَلَا يَزَالُونَ** } وإن أشعر أن قتالهم موجود فالمراد به أسباب القتال ، وهو الأذى وإضمار القتال كذلك ، وأنهم إن شرعوا فيه لا ينقطعون عنه ، على أن صريح لا يزال الدلالة على أن هذا يدوم في المستقبل ، و (**حتى**) للغاية وهي هنا غاية تعليلية . (٢)

(١) - في ظلال القرآن - (ج ١ / ص ٢٠٧)

(٢) - التحرير و التنوير (ج ١ : ص ٢٦٨)

ويقول سيد طنطاوي - رحمه الله - في تفسيره وقوله - تعالى - : **{ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا }** بيان لشدة عداوة الكفار للمؤمنين ودوامها .
 أي : ولا يزال المشركون يقاتلونكم أيها المؤمنون ويضمرون لكم السوء ويدأومون على إيدائكم لكي يرجعوكم عن دين الإسلام إلى الكفر إن استطاعوا ذلك وقدروا عليه .
 والتعبير بقوله **{ وَلَا يَزَالُونَ }** المفيد للدوام والاستمرار للإشعار بأن عداوة المشركين للمسلمين لا تنقطع وأنهم لن يكفوا عن الإعداد لقتالهم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا ، فعلى المؤمنين ألا يغفلوا عن الدفاع عن أنفسهم . و **{ حَتَّى }** للتعليل أي : **{ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ }** لكي **{ يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا }** أو بمعنى إلى ، أي : إلى أن يردوكم عن دينكم . والرد : الصرف عن الشيء والإرجاع إلى ما كان عليه قبل ذلك : فغاية المشركين أن يردوا المسلمين بعد إيمانهم كافرين .

وقوله : **{ إِنِ اسْتَطَاعُوا }** يدل - كما يقول الزمخشري - على استبعاد استطاعتهم رد المسلمين عن دينهم ، وذلك كقول الرجل لعدوه : إن ظفرت بي فلا تبقي علي .^(١)
 ويقول فخر الدين الرازي - رحمه الله - ومعنى **{ لَا يَزَالُونَ }** أي يدومون على ذلك الفعل لأن الزوال يفيد النفي فإذا أدخلت عليه : ما ، كان ذلك نفياً للنفي فيكون دليلاً على الثبوت الدائم والمعنى : أن فتنهم وقتالهم يدوم إلى أن يحصل غرضهم وهو أن يردوكم عن دينكم .^(٢)

فهل بعد قول الله - تعالى - قول أو اجتهاد؟

وهل بعد هذا البيان من أهل القرآن اجتهاد؟

* وفي آية أخرى يوضح سبحانه أن الهدف من وراء تلك المؤامرات إنما هو إخراج المسلم عن دينه وجعله مسخاً إمعة **{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ (١٠٠) وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُثَلَّى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ }** [آل عمران: ١٠٠ / ١٠١]

(١) - الوسيط لسيد طنطاوي - (ج ١ / ص ٣٧٧)

(٢) - تفسير الرازي - (ج ٣ / ص ٢٦٩)

يقول سيد قطب -رحمه الله- {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ (١٠٠) وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ }

الله وحده، متميزة متفردة ظاهرة، لقد انبثق وجودها ابتداء من منهج الله؛ لتؤدي في حياة البشر دوراً خاصاً لا ينهض به سواها.

لقد وجدت لإقرار منهج الله في الأرض، وتحقيقه في صورة عملية، ذات معالم منظورة، تترجم فيها النصوص إلى حركات وأعمال، ومشاعر وأخلاق، وأوضاع وارتباطات. وهي لا تحقق غاية وجودها، ولا تستقيم على طريقها، ولا تنشئ في الأرض هذه الصورة الوضيئة الفريدة من الحياة الواقعية الخاصة المتميزة، إلا إذا تلقت من الله وحده، وإلا إذا تولت قيادة البشرية بما تتلقاه من الله وحده، قيادة البشرية... لا التلقي من أحد من البشر، ولا إتباع أحد من البشر، ولا طاعة أحد من البشر. إما هذا وإما الكفر والضلال والانحراف

هذا ما يؤكده القرآن ويكرره في شتى المناسبات. وهذا ما يقيم عليه مشاعر الجماعة المسلمة وأفكارها وأخلاقها كلما سنحت الفرصة، وهنا موضع من هذه المواضع، مناسبتة هي المناظرة مع أهل الكتاب، ومواجهة كيدهم وتآمرهم على الجماعة المسلمة في المدينة... ولكنه ليس محدوداً بحدود هذه المناسبة، فهو التوجيه الدائم لهذه الأمة، في كل جيل من أجيالها لأنه هو قاعدة حياتها، بل قاعدة وجودها.

لقد وجدت هذه الأمة لقيادة البشرية، فكيف تتلقى إذن من الجاهلية التي جاءت لتبدها ولتصلها بالله، ولتقودها بمنهج الله؟ وحين تتخلى عن مهمة القيادة فما وجودها إذن، وليس لوجودها -في هذه الحال -من غاية؟!

لقد وجدت للقيادة: قيادة التصور الصحيح. والاعتقاد الصحيح، والشعور الصحيح والخلق الصحيح، والنظام الصحيح، والتنظيم الصحيح.... وفي ظل هذه الأوضاع الصحيحة يمكن أن تنمو العقول، وأن تتفتح، وأن تتعرف إلى هذا الكون، وأن تعرف أسرارها، وأن تسخر قواه وطاقاته ومدخراته. ولكن القيادة الأساسية التي تسمح بهذا كله،

وتسيطر على هذا كله وتوجهه لخير البشر لا لتهديدهم بالخراب والدمار، ولا لتسخيره في المآرب والشهوات.... ينبغي أن تكون للإيمان، وأن تقوم عليها الجماعة المسلمة، مهتدية فيها بتوجيه الله. لا بتوجيه أحد من عبيد الله

وهنا في هذا الدرس يحذر الأمة المسلمة من إتباع غيرها، ويبين لها كذلك طريقها لإنشاء الأوضاع الصحيحة وصيانتها، ويبدأ بتحذيرها من إتباع أهل الكتاب، وإلا فسيقودونها إلى الكفر لا مناص

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ (١٠٠) وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ }

إن طاعة أهل الكتاب والتلقي عنهم، واقتباس مناهجهم وأوضاعهم، تحمل ابتداء معنى الهزيمة الداخلية، والتخلي عن دور القيادة الذي من أجله أنشئت الأمة المسلمة. كما تحمل معنى الشك في كفاية منهج الله لقيادة الحياة وتنظيمها والسير بها صعداً في طريق النماء والارتقاء. وهذا بذاته ديب الكفر في النفس، وهي لا تشعر به ولا ترى خطره القريب. هذا من جانب المسلمين، فأما من الجانب الآخر، فأهل الكتاب لا يحرصون على شيء حرصهم على إضلال هذه الأمة عن عقيدتها.

فهذه العقيدة هي صخرة النجاة؛ وخط الدفاع ومصدر القوة الدافعة للأمة المسلمة، وأعداؤه يعرفون هذا جيداً. يعرفونه قديماً ويعرفونه حديثاً، ويبدلون في سبيل تحويل هذه الأمة عن عقيدتها كل ما في وسعهم من مكر وحيلة ومن قوة كذلك وعُدة. وحين يعجزهم أن يحاربوا هذه العقيدة ظاهرين يدسون لها مكرين. وحين يعيهم أن يحاربوها بأنفسهم وحده، يجندون من المنافقين المتظاهرين بالإسلام، أو ممن ينتسبون - زوراً - للإسلام، جنوداً مجندة، لتنخر لهم في جسم هذه العقيدة من داخل الدار، ولتصد الناس عنها، ولتزين لهم مناهج غير منهجها، وأوضاعاً غير أوضاعها، وقيادة غير قيادتها. فحين يجد أهل الكتاب من بعض المسلمين طوعية واستماعاً وإتباعاً، فهم ولا شك سيستخدمون هذا كله في سبيل الغاية التي تؤرقهم، وسيقودونهم ويقودون الجماعة كلها من ورائهم إلى الكفر والضلال.

ومن ثم هذا التحذير الحاسم المخيف: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا
الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ }**

ما كان يفزع المسلم - حينذاك - ما يفزعه أن يرى نفسه منتكساً إلى الكفر بعد الإيمان .
وراجعاً إلى النار بعد نجاته منها إلى الجنة.

وهذا شأن المسلم الحق في كل زمان ومن ثم يكون هذا التحذير بهذه الصورة سوطاً يلهب
الضمير، ويوقظه بشدة لصوت النذير.... ومع هذا فإن السياق يتابع التحذير والتذكير
فيا له من منكر أن يكفر الذين آمنوا بعد إيمانهم، وآيات الله تتلى عليهم، ورسوله فيهم^(١)



^(١) - في ظلال القرآن - (ج ١ / ص ٤٠٦)

المؤامرة كما تصورها السنة

أخي المسلم: بعد أن تقرر لدينا حقيقة المؤامرة من خلال القرآن الكريم وأنها باقية إلى قيام الساعة هيا لنلقى الضوء على سنة الصادق المصدوق - صلى الله عليه وسلم - وهو يوضح لنا أن الصراع بيننا وبين الكفار باق إلى قيام الساعة

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا قَوْمًا نِعَالُهُمُ الشَّعْرُ وَحَتَّى تُقَاتِلُوا الثُّرُكَ صِغَارَ الْأَعْيُنِ حُمْرَ الْوُجُوهِ دُفْلَ الْأَنْفِ كَأَنَّ وُجُوهُهُمْ الْمَجَانُ الْمُطْرَقَةُ وَتَجِدُونَ مِنْ خَيْرِ النَّاسِ أَشَدَّهُمْ كَرَاهِيَةً لِهَذَا الْأَمْرِ حَتَّى يَقَعَ فِيهِ وَالنَّاسُ مَعَادِنُ خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَى أَحَدِكُمْ زَمَانٌ لَأَنْ يَرَانِي أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ مِثْلُ أَهْلِهِ وَمَالِهِ^(١)

يقول الإمام النووي - رحمه الله - وَقَدْ وَجِدُوا فِي زَمَانِنَا هَكَذَا ، وَفِي الرَّوَايَةِ الْآخَرَى (حُمْرُ الْوُجُوهِ) أَيُّ بَيَاضِ الْوُجُوهِ مَشُوبَةٌ بِحُمْرَةٍ . وَفِي هَذِهِ الرَّوَايَةِ (صِغَارُ الْأَعْيُنِ) وَهَذِهِ كُلُّهَا مُعْجَزَاتٌ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَدْ وَجِدَ قِتَالُ هَؤُلَاءِ الثُّرُكِ بِجَمِيعِ صِفَاتِهِمُ الَّتِي ذَكَرَهَا ﷺ صِغَارُ الْأَعْيُنِ ، حُمْرُ الْوُجُوهِ ، دُفْلُ الْأَنْفِ ، عِرَاضُ الْوُجُوهِ ، كَأَنَّ وُجُوهُهُمْ الْمَجَانُ الْمُطْرَقَةُ ، يَنْتَعِلُونَ الشَّعْرَ فَوْجِدُوا بِهِذِهِ الصِّفَاتِ كُلُّهَا فِي زَمَانِنَا ، وَقَاتَلَهُمُ الْمُسْلِمُونَ مَرَّاتٍ ، وَقَاتَلَهُمُ الْآنَ ، وَسَأَلَ اللَّهُ الْكَرِيمُ إِحْسَانَ الْعَاقِبَةِ لِلْمُسْلِمِينَ فِي أَمْرِهِمْ وَأَمْرٍ غَيْرِهِمْ ، وَسَائِرِ أَحْوَالِهِمْ ، وَإِدَامَةِ اللَّطْفِ بِهِمْ ، وَالْحِمَايَةِ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ الَّذِي لَا يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى^(٢)

عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: ❦ لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا حوراً وكرمان من الأعاجم حمر الوجوه فطس الأنوف كأن وجوههم المجان المطرقة نعالهم الشعر ❦، وأخرجه الجماعة سوى النسائي

(١) - صحيح البخاري - (ج ١١ / ص ٤٢٣)

(٢) - شرح النووي على مسلم - (ج ٩ / ص ٢٩٥)

يقول ابن كثير - رحمه الله - (والمقصود أن الترك قاتلهم الصحابة فهزموهم وغنموهم وسبوا نساءهم وأبناءهم، وظاهر هذا الحديث يقتضي أن يكون هذا من أشراط الساعة، فإن كانت أشراط الساعة لا تكون إلا بين يديها قريباً فقد يكون هذا أيضاً واقعاً مرة أخرى عظيمة بين المسلمين وبين الترك حتى يكون آخر ذلك خروج يأجوج ومأجوج كما سيأتي ذكر أمرهم، وإن كانت أشراط الساعة أعم من أن تكون بين يديها قريباً منها فإنها تكون مما يقع في الحملة ولو تقدم قبلها بدهر طويل، إلا أنه مما وقع بعد زمن النبي ﷺ، وهذا هو الذي يظهر بعد تأمل الأحاديث الواردة في هذا الباب كما ستري ذلك قريباً إن شاء الله تعالى^(١) وهذه شارة نبوية إلى ما سيكون من تجمع الأمم ضد المسلمين استضعافاً لهم وطمعاً فيهم مع كثرة المسلمين ووفرة عددهم حينئذ قال الإمام أحمد بن أبي هريرة قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ لَثُوبَانُ: ﴿كَيْفَ أَنْتَ يَا ثُوبَانُ إِذَا تَدَاعَتْ عَلَيْكُمُ الْأُمَمُ كَمَا تَدَاعَى الْأَكْلَةُ عَلَى قِصْعَتِهَا﴾. فَقَالَ يَا أَيُّهَا أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمِنْ قِلَّةٍ بِنَا؟ قَالَ: ﴿لَا بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنْ يَلْقَى فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهَنُ﴾، قال: وَمَا الْوَهَنُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: ﴿حُبُّكُمُ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَّتُكُمُ الْقِتَالَ﴾.^(٢)

وهكذا بين لنا رسولنا ﷺ سبب ضعفنا وسبب تكالب الأمم علينا وأن العدو لنا بالمرصاد وقال الإمام أحمد: قال أبو قتيل: كنا عند عبد الله بن عمر وسئل أي المدينتين تفتح القسطنطينية أو رومية. قال: قَالَ فَدَعَا عَبْدُ اللَّهِ بِصُنْدُوقٍ لَهُ حَلَقٌ فَأَخْرَجَ مِنْهُ كِتَابًا قَالَ: فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: بَيْنَا نَحْنُ حَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَكْتُبُ إِذْ سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَيُّ الْمَدِينَتَيْنِ نَفْتَحُ أَوَّلًا الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ أَوْ رُومِيَّةً؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

و يخبر النبي ﷺ عن تلك الحرب التي ستكون بين المسلمين والروم وإن الخيانة والغدر سيكون من الروم عَنْ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ، عَنْ الْهَدْنَةِ، قَالَ: قَالَ جُبَيْرٌ: انْطَلَقَ بِنَا إِلَى ذِي مَخْبَرٍ، رَجُلٍ مِنَ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ: فَأَتَيْنَاهُ فَسَأَلَهُ جُبَيْرٌ عَنِ الْهَدْنَةِ، فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ

(١) - النهاية في الفتن والملاحم - (ج ١ / ص ٤)

(٢) - أخرجه أحمد (٣٥٩/٢ ، رقم ٨٦٩٨) . قال الهيثمي (٢٨٧/٧) : إسناده أحمد جيد .

يَقُولُ: سَتُصَالِحُونَ الرُّومَ صَلَاحًا آمِنًا، فَتَعْزُونَ أَنْتُمْ وَهُمْ عَدُوًّا مِنْ وَرَائِكُمْ، فَتَنْصَرُونَ، وَتَعْنَمُونَ، وَتَسْلَمُونَ، ثُمَّ تَرْجِعُونَ حَتَّى تَنْزِلُوا بِمَرْجٍ ذِي ثُلُولٍ، فَيَرْفَعُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ النَّصْرَانِيَةِ الصَّلِيبَ، فَيَقُولُ: غَلَبَ الصَّلِيبُ، فَيَغْضَبُ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَيَدْفُقُهُ، فَعِنْدَ ذَلِكَ تَعْدِرُ الرُّومُ، وَتَجْمَعُ لِلْمَلْحَمَةِ عَوْفَ بَنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: أَتَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ وَهُوَ فِي قُبَّةِ أَدَمَ فَقَالَ: أَعَدُّ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ مَوْتِي، ثُمَّ فَتَحَ بَيْتَ الْمُقَدَّسِ، ثُمَّ مَوْتَانُ يَأْخُذْكُمْ كَقُصَاصِ الْغَنَمِ، ثُمَّ اسْتِيفَاضَةُ الْمَالِ حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِائَةَ دِينَارٍ فَيَظْلُ سَاخِطًا، ثُمَّ فِتْنَةٌ لَا تُبْقِي بَيْتًا مِنَ الْعَرَبِ إِلَّا دَخَلَتْهُ، ثُمَّ هُدْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الْأَصْفَرِ فَيَعْمُونَ فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِينَ رَايَةً تَحْتَ كُلِّ رَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا

إشارة نبوية إلى ما سيكون من فتح المسلمين لبعض الجزر البحرية ولبلاذ الروم وبلاد

فارس

ومن انتصار حقهم على باطل الدجال، عن جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ عَنْ نَافِعِ بْنِ عُثْبَةَ قَالَ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ قَالَ فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْمٌ مِنْ قِبَلِ الْمَغْرِبِ عَلَيْهِمْ ثِيَابُ الصُّوفِ فَوَافَقُوهُ عِنْدَ أَكْمَةِ فَإِنَّهُمْ لَقِيَاءُ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَاعِدٌ قَالَ فَقَالَتْ لِي نَفْسِي أَتَيْتُهُمْ فَقُمْتُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ لَا يَغْتَالُونَهُ قَالَ ثُمَّ قُلْتُ لَعَلَّهُ نَجِيٌّ مَعَهُمْ فَأَتَيْتُهُمْ فَقُمْتُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ قَالَ فَحَفِظْتُ مِنْهُ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ أَعْدُهُنَّ فِي يَدَيَّ قَالَ تَعْزُونَ جَزِيرَةَ الْعَرَبِ فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ ثُمَّ فَارِسَ فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ ثُمَّ تَعْزُونَ الرُّومَ فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ ثُمَّ تَعْزُونَ الدَّجَالَ فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ ، قَالَ فَقَالَ نَافِعُ يَا جَابِرُ لَا تَرَى الدَّجَالَ يَخْرُجُ حَتَّى تُفْتَحَ الرُّومُ^(١)

وهذه إشارة نبوية إلى أن المسلمين سيقاتلون اليهود ويتصرون عليهم حتى أن اليهودي لا يجد له مخبأ يحميه من سيف المسلم: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا الْيَهُودَ حَتَّى يَقُولَ الْحَجَرُ وَرَاءَهُ الْيَهُودِيُّ يَا مُسْلِمُ هَذَا يَهُودِيٌّ

(١) — صحيح مسلم (ج ١٤) (ص ٩٢)

وَرَأَيْتُ فَاقْتُلُهُ^(١) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ ثَقَاتِلُكُمْ
 الْيَهُودُ فَتُسَلِّطُونَ عَلَيْهِمْ حَتَّى يَقُولَ الْحَجَرُ يَا مُسْلِمُ هَذَا يَهُودِيٌّ وَرَأَيْتُ فَاقْتُلُهُ^(٢)
 وبهذا البيان النبوي الشريف يتضح لكل مسلم أن المؤامرة قائمة إلى أن يرث الله الأرض
 ومن عليها فالحرب على أشدها بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، بل إن اليهود يعتقدون
 ذلك ويستعدون لهذه الحرب التي ستكون في آخر الزمان التي حدثتهم عنها كتبهم ، فهل
 يليق بعاقل بعد ذلك أن يقول : إن المؤامرة خيال لا حقيقة ومرض مستوطن في نفوس
 المسلمين ؟!



(١) - صحيح البخاري - (ج ١٠ / ص ٧١)

(٢) - صحيح مسلم - (ج ١٤ / ص ١٣٩)

الفصل الثاني

المؤامرة عبر التاريخ

بعد أن تبين لكل ذي عينين أن القرآن الكريم والسنة المطهرة قد أوضحا لنا العداء المترسخ في قلوب الأعداء من الكفرة والملحدين واليهود والنصارى وأن الحرب قائمة على قدم وساق إلى قيام الساعة ، فلا يليق بمسلم أن يقول أن فكر المؤامرة خيال لا اصل له ، وفي الصفحات التالية نتعرف على المؤامرة عبر العصور واختلاف الأمم والشعوب فالحق واحد لا يتغير بتغير الزمان والمكان، والكفر كله ملة واحدة يقول الحق سبحانه وتعالى **{كَذَلِكَ مَا**

أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ} [الذاريات: ٥٢]

يقول سيد قطب - رحمه الله - فهي جيلة واحدة وطبيعة واحدة للمكذبين؛ وهو استقبال واحد للحق والرسول يستقبلهم به المنحرفون : **{كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ} [الذاريات: ٥٢]** كما يقول هؤلاء المشركون! كأنما تواصلوا بهذا الاستقبال على مدار القرون! وما تواصلوا بشيء إنما هي طبيعة الطغيان وتجاوز الحق والقصد تجمع بين الغابرين واللاحقين!

والنتيجة الطبيعية التي تترتب على هذا الموقف المكرور ، الذي كأنما تواصل به الطاغون على مدار القرون ، ألا يحفل الرسول - صلى الله عليه وسلم - تكذيب المشركين . فهو غير ملوم على ضلالهم، ولا مقصر في هدايتهم: **{فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ} [الذاريات:**

٥٤] . . إنما هو مذكر، فعليه أن يذكر، وأن يمضي في التذكير، مهما أعرض المعرضون وكذب المكذبون: **{وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ} [الذاريات: ٥٥]** . . ولا تنفع غيرهم من الجاحدين، والتذكير هو وظيفة الرسل، والهدى والضلال خارجان عن هذه الوظيفة، والأمر فيهما إلى الله وحده، الذي خلق الناس لأمر يريده، هنا يجيء الإيقاع الأخير في السورة. ويتضح معنى الفرار إلى الله، والتخلص من الأوهاق والأثقال، لأداء الوظيفة التي خلق الله العباد لها، ومنحهم وجودهم ليؤدوها^(١)

(١) - في ظلال القرآن - (ج ٧ / ص ٣٧)

المؤامرة على نبي الله نوح عليه السلام:

اعلم علمني الله وإياك : أن فكر المؤامرة قديم منذ أن خلق الله آدم عليه السلام - فهو صراع بين الهدى والضلال ، بين الحق وحملته والباطل ودعائه ٠٠٠٠ فيها هم قوم نح عليه السلام يتآمرون على قتله أو إخراجهم من بلده { كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ (١٠٥) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٠٦) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٠٧) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا (١٠٨) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٠٩) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا (١١٠) قَالُوا اتُّؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَالُونَ (١١١) قَالَ وَمَا عَلِمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١١٢) إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ (١١٣) وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ (١١٤) إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ (١١٥) قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ (١١٦) قَالَ رَبِّ إِنِّي قَوْمِي كَذَّبُونِ (١١٧) فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١١٨) فَانْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (١١٩) ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ (١٢٠) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٢١) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ } [الشعراء: ١٠٥ - ١٢٢]

يقول الطنطاوي رحمه الله -: في تفسيره (أي: إذا لم تكف يا نوح عن مجادلتيك لنا ، ومن دعوتك إيانا إلى ترك عبادة آلهتنا ، لنكونن من المرجومين منا بالحجارة حتى تموت . وهكذا الطغاة يلجأون إلى القوة والتهديد والوعيد ، عندما يجدون أنفسهم وقد حاصرهم أصحاب الحق من كل جوانبهم ، بالحجة الواضحة ، وبالرأي السديد .

ويؤس نوح - عليه السلام - من إيمان قومه ، بعد أن لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما ، وبعد أن سمع منهم ما يدل على رسوخهم في الكفر والضلال ، تضرع إلى ربه { قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ } واستمروا على ها التكذيب تلك القرون المتطاولة { فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ } أي فاحكم بقدرتك العادلة بيني وبينهم حكما من عندك ، تنجني به أهل الحق ، وتمحق به أهل الباطل وسمى الحكم فتحا ، لما فيه من إزالة الإشكال في الأمر ، كما أن فتح الشيء المغلق يؤدي إلى إزالة هذا الإغلاق . ولذا قيل للحاكم فاتح لفتحه أغلاق الحق.

ثم حكى - سبحانه - أنه قد استجاب لنوح دعاءه فقال : { فَأُنجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفَلَكِ الْمَشْحُونِ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ }^(١)

يقول الحق سبحانه - وتعالى - {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٢٣) فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ (٢٤) إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فْتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ (٢٥) قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ (٢٦) }
(المؤمنون: ٢٣-٢٦)



^(١) - لسيد طنطاوي - (ج ١ / ص ٣١٧٢)

المؤامرة ضد صالح عليه السلام:

وهاهم قوم صالح - عليه السلام - يتآمرون على قتله يقول سبحانه وتعالى - { **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ** (٤٥) } قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٤٦) } قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ (٤٧) } وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ (٤٨) } قَالُوا نَقَاسِمُوكَ بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّكَ وَأَهْلَكَ ثُمَّ لَنَنبُوَنَّكَ لَوَلِيَّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (٤٩) } وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٥٠) } فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مُكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ (٥١) } فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٥٢) } وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٥٣) } (سورة النمل: ٤٥-٥٣)

وقد تعاهد هؤلاء التسعة، وأكدوا ما تعاهدوا عليه بالآيمان المغلظة، على أن يباغتوا نبينهم وأهله ليلا، فيقتلوهم جميعا، ثم ليقولن بعد جريمتهم الشنعاء لأقارب صالح - عليه السلام - : ما حضرنا هلاك أهله وهلاك صالح معهم، ولا علم عندنا بما حل بهم وبه من قتل، وإنا لصادقون في كل ما قلناه.

وهكذا المفسدون في الأرض، يرتكبون أبشع الجرائم وأشنعها، ثم يبررونها بالحيل الساذجة الذميمة ثم بعد ذلك يحلفون بأغلظ الآيمان أنهم بريئون من تلك الجرائم.

ومن العجيب أن هؤلاء المجرمين الغادرين يقولون فيما بينهم : { **نَقَاسِمُوكَ بِاللَّهِ** } أي : احلفوا بالله، على أن تنفذوا ما اتفقنا عليه من قتل صالح وأهله ليلا غيلة وغدرا، فهم يؤكدون إصرارهم على الإجرام بالحلف بالله، مع أن الله - تعالى - برئى منهم ومن غدرهم. وقولهم : { **مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ** } نفى منهم لحضور قتلهم، فضلا عن مباشرة قتلهم، كأنهم أرادوا بهذه الجملة الإتيان بحيلة يبررون بها كذبهم، أي : أننا قتلناهم في الظلام، فلم نشاهد أشخاصهم، وإنا لصادقون في ذلك. ولكن هذا المكر السيء، والتحايل القبيح قد أبطله الله - تعالى - وجعله يحق بهم وبأشباعهم، فقد قال - تعالى - { **كُرُوا مَكْرًا** } أي : ودبرنا لصالح - عليه السلام - ولمن آمن به، تدبيرا محمودا محكما }

وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ { أي : وهم لا يشعرون بتدبيرنا الحكيم ، حيث أنجينا صالحا ومن معه من المؤمنين ، وأهلكنا أعداءه أجمعين^(١)
فهذا هو دأب الطغاة والظلمة في كل عصر ومصر يدبرون ويمكرون بالدعاة والدعوة، ولكن الله - سبحانه وتعالى - غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون



(١) - الوسيط لسيد طنطاوي - (ج ١ / ص ٣٢٢٣)

المؤامرة ضد خليل الرحمن إبراهيم عليه الصلاة والسلام

وتمر الأيام ويأتي خليل الرحمن إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- ليدعو قومه إلى عبادة الله وحده ويقم عليهم الحجة بنا هذه الأصنام لا تنفع ولا تضر فماذا يكون ردهم عليه؟؟

إنها المؤامرة التي مازالت مستمرة وها هو الله -سبحانه وتعالى- يقص علينا نبأ تلك المؤامرة (وَلَقَدْ أَتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ (٥١) إِذْ قَالَ لِأَيُّهُ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ (٥٢) قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ (٥٣) قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٥٤) قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ (٥٥) قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (٥٦) وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ (٥٧) فَجَعَلَهُمْ جُدَادًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ (٥٨) قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ (٥٩) قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ (٦٠) قَالُوا فَاتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ (٦١) قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ (٦٢) قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ (٦٣) فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ (٦٤) ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ (٦٥) قَالَ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ (٦٦) أَفْ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٦٧) قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (٦٨) قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ (٦٩) وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ (٧٠) وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ (٧١) سورة الأنبياء (٥١-٧١)

يقول العلامة ابن عاشور -رحمه الله- (لما غلبهم بالحجة القاهرة لم يجدوا مخلصاً إلا بإهلاكه . وكذلك المبطل إذا قرعت باطله حجة فساد غلبه غضب على الحق، ولم يبق له مفرع إلا مناصبته والتشفي منه، كما فعل المشركون من قريش مع رسول الله ﷺ حين عجزوا عن المعارضة . واختار قوم إبراهيم أن يكون إهلاكه بالإحراق لأن النار أهول ما يعاقب به وأفظعه.

والتحريق: مبالغة في الحرق، أي حرقاً متلفاً وأسند قول الأمر بإحراقه إلى جميعهم لأنهم قبلوا هذا القول وسألوا ملكهم، وهو (النمرود) ، إحراق إبراهيم فأمر بإحراقه لأن العقاب بإتلاف النفوس لا يملكه إلا ولاية أمور الأقوام . قيل الذي أشار بالرأي بإحراق إبراهيم رجل من القوم كردي اسمه (هينون) ، واستحسن القوم ذلك ، والذي أمر بالإحراق (نمرود) ، فالأمر في قولهم { حرقوه مستعمل في المشاورة .

ويظهر أن هذا القول كان مؤامرة سرية بينهم دون حضرة إبراهيم، وأنهم دبّروه ليبغته به خشية هروبه لقوله تعالى: **{ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا }** [الأنبياء : ٧٠] .

ونمرود هذا يقولون: إنه ابن (كوش) بن حام بن نوح ، ولا يصح ذلك لبعد ما بين زمن إبراهيم وزمن (كوش) فالصواب أن (نمرود) من نسل (كوش) . ويحتمل أن تكون كلمة (نمرود) لقباً للملك (الكلدان) وليست علماً . والمقدر في التاريخ أن ملك مدينة (أور) في زمن إبراهيم هو (ألغى بن أورخ) وهو الذي تقدم ذكره عند قوله تعالى: **{ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ }** [البقرة: ٢٥٨] ونصر الآلهة بإتلاف عدوها .

ومعنى **{ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ }** إن كنتم فاعلين النصر ، وهذا تحريض وتلهيب لحميتهم . وجملة **{ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ }** مفصولة عن التي قبلها إما لأنها وقعت كالجواب عن قولهم **{ قَالُوا حَرِّقُوهُ }** فأشبهت جمل المحاورة ، وإما لأنها استئناف عن سؤال ينشأ عن قصة التآمر على الإحراق . وبذلك يتعين تقدير جملة أخرى ، أي فآلقوه في النار قلنا : يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم . وقد أظهر الله ذلك معجزة لإبراهيم إذ وجّه إلى النار تعلّق الإرادة بسلب قوة الإحراق، وأن تكون برداً وسلاماً إن كان الكلام على الحقيقة، أو أزال عن مزاج إبراهيم التأثير بحرارة النار إن كان الكلام على التشبيه البليغ، أي كوني كبرد في عدم تحريق الملقى فيك بجرّك.

وأما كونها سلاماً فهو حقيقة لا محالة ، وذكر **{ وَسَلَامًا }** بعد ذكر البرد كالاحتراس لأن البرد مؤذ بدوامه ربما إذا اشتد ، فعُقب ذكره بذكر السلام لذلك . وعن ابن عباس : لو لم يقل ذلك لأهلكته ببردها . وإنما ذكر **{ بَرْدًا }** ثم أتبع ب **{ وَسَلَامًا }** ولم يقتصر على {

{ بَرْدًا } لإظهار عجب صنع القدرة إذ صير النار برداً . و { على إبراهيم } يتنازعه **{ بَرْدًا }** **{ وَسَلَامًا }** . وهو أشد مبالغة في حصول نفعهما له ، ويجوز أن يتعلق بفعل الكون . تسمية عزمهم على إحراقه كيداً يقتضي أنهم دبوا ذلك خفية منه . ولعلّ قصدهم من ذلك أن لا يفرّ من البلد فلا يتم الانتصار لألهتهم

والأخسر : مبالغة في الخاسر ، فهو اسم تفضيل مسلوب المفاضلة .

وتعريف جزأي الجملة يفيد القصر ، وهو قصرٌ للمبالغة كأنّ خسارتهم لا تدانيها خسارة وكأنهم انفردوا بوصف الأخسرين فلا يصدق هذا الوصف على غيرهم . والمراد بالخسارة الخيبة . وسميت خيبتهم خسارةً على طريقة الاستعارة تشبيهاً لخبية قصدهم إحراقه بخبية التاجر في تجارته ، كما دل عليه قوله تعالى : **{ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا }** ، أي فخابوا خيبة عظيمة . وذلك أن خيبتهم جُمع لهم بها سلامة إبراهيم من أثر عقابهم وإن صار ما أعدوه للعقاب معجزة وتأييداً لإبراهيم عليه السلام .

وأما شدة الخسارة التي اقتضاها اسم التفضيل فهي بما لحقهم عقب ذلك من العذاب إذ سلط الله عليهم عذاباً كما دلّ عليه قوله تعالى في [سورة الحج : ٤٤] **{ فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ }** وقد عدّ فيهم قوم إبراهيم ، ولم أرَ من فسر ذلك الأخذ بوجه مقبول . والظاهر أن الله سلط عليهم الأشوريين فأخذوا بلادهم ، وانقرض ملكهم وخلفهم الآشوريون ، وقد أثبت التاريخ أن العيلاميين من أهل السوس تسلطوا على بلاد الكلدان في حياة إبراهيم في حدود سنة ٢٢٨٦ قبل المسيح ، إنهم تأمروا على قتله بأبشع أنواع القتل ألا وهو الإحراق حيا فدى تلك النار التي جمعوا لها من الحطب كل ما يقدرّون عليه فكان عاقبة أمرهم خسراً ^(١)

(١) - التحرير والتنوير - (ج ٩ / ص ١٨٢ - ١٨٣)

المؤامرة ضد موسى كليم الرحمن - عليه السلام -

وها هو فرعون وجنده يتآمرون على موسى عليه السلام لقد عانى موسى عليه السلام من أهل مصر ومن قومه عناء شديدا ولقد تأمر به فرعون وقومه لقتله ولكن الله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون

فلما قتل موسى عليه السلام القبطي خطأ شاع الخبر في أرجاء المدينة ووصل الخبر إلى الطاغية وأعوانه فقرروا دون نظر للمبسات القضية قتل موسى عليه السلام يقول الله { **وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ (٢٠) فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** } [القصص: ٢٠، ٢١]

يقول سيد قطب - رحمه الله -: لقد عرف الملاء من قوم فرعون، وهم رجال حاشيته وحكومته والمقربون إليه أنها فعلة موسى، وما من شك أنهم أحسوا فيها بشبح الخطر، فهي فعلة طابعها الثورة والتمرد، والانتصار لبني إسرائيل.

وإذن فهي ظاهرة خطيرة تستحق التأمر، ولو كانت جريمة قتل عادية ما استحققت أن يشتغل بها فرعون والملاء والكبراء، فانتدبت يد القدرة واحداً من الملاء، الأرجح أنه الرجل المؤمن من آل فرعون الذي يكتنم إيمانه، والذي جاء ذكره في سورة (غافر) انتدبته ليسعى إلى موسى { **مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ** } في جد واهتمام ومسارعة، ليلبغه قبل أن يلبغه رجال الملك : { **إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ** } . . (١)

وتلك مؤامرة أخرى يحيك خيوطها فرعون وقومه يقول الله تعالى - (**قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (١٠٩) يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ (١١٠) قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (١١١) يَأْتُوكَ يَكُلُ سَاحِرٌ عَلِيمٌ (١١٢) وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ (١١٣) قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (١١٤) قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ (١١٥) قَالَ أَلْقُوا**)

(١) - في ظلال القرآن - (ج ٥ / ص ٤١٧)

فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيْنَ النَّاسِ وَاسْتَزْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ (١١٦) وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (١١٧) فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١١٨) فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ (١١٩) وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ (١٢٠) أَلْوَا أَمَّا رَبُّ الْعَالَمِينَ (١٢١) رَبُّ مُوسَى وَهَارُونَ (١٢٢) قَالَ فِرْعَوْنُ أَمْسِمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آدَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرَثُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (١٢٣) لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (١٢٤) قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ (١٢٥) وَمَا نُنْقِمُ مِنْهَا إِلَّا أَنْ أَمَّا يَا أَيَاتِ رَبَّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ (١٢٦) وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَدْرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ (١٢٧) قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (١٢٨) قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ (١٢٩) وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصِ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ (١٣٠) (الأعراف: ١٠٩-١٣٠) وهكذا يتآمر فرعون اللعين وقومه على موسى الكريم وقومه فيصدرون قرارهم الظالم بقتل الأبناء واستحياء النساء وإذلال بنى إسرائيل

(إني رسول من رب العالمين). ولكن هل يستسلم فرعون وملؤه لهذه الدعوى الخطيرة؟

هل يستسلمون لربوبية رب العالمين؟

وعلام إذن يقوم عرش فرعون وتاجه وملكه وحكمه؟

وعلام يقوم الملأ من قومه ومراكزهم التي هي من عطاء فرعون ورسمه وحكمه؟

علام يقوم هذا كله إن كان الله هو {رب العالمين} ؟

إنه إن كان الله هو {رب العالمين} فلا حكم إلا لشرعية الله ، ولا طاعة إلا لأمر الله . .

فأين يذهب شرع فرعون وأمره إذن، وهو لا يقوم على شرعية الله ولا يرتكن إلى أمره؟.

إن الناس لا يكون لهم {رب} آخر يعبدهم لحكمه وشرعه وأمره ، إن كان الله هو ربهم .
 إنما يخضع الناس لشرع فرعون وأمره حين يكون ربهم هو فرعون، فالحاكم - بأمره
 وشرعه - هو رب الناس . وهم في دينه أياً كان!

كلا! إن الطاغوت لا يستسلم هكذا من قريب، ولا يسلم ببطان حكمه وعدم شرعية
 سلطانه بمثل هذه السهولة!

وفرعون وملؤه لا يخطئون فهم مدلول هذه الحقيقة الهائلة التي يعلنها موسى، بل إنهم
 يعلنونها صريحة ، ولكن مع تحويل الأنظار عن دلالتها الخطيرة ، باتهام موسى بأنه ساحر
 عليهم :

{ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (١٠٩) يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ
 فَمَاذَا تَأْمُرُونَ } ..

إنهم يصرحون بالنتيجة الهائلة التي تتقرر من إعلان تلك الحقيقة.

إنها الخروج من الأرض إنها ذهاب السلطان إنها إبطال شرعية الحكم أو محاولة قلب
 نظام الحكم! بالتعبير العصري الحديث!

إن الأرض لله، والعباد لله، فإذا ردت الحاكمية في أرض لله، فقد خرج منها الطغاة،
 الحاكمون بغير شرع الله! أو خرج منها الأرباب المتأهلون الذين يزاولون خصائص الألوهية
 بتعبيد الناس لشريعتهم وأمرهم، وخرج منها الملأ الذين يوليهم الأرباب المناصب
 والوظائف الكبرى، فيعبدون الناس لهذه الأرباب!

هكذا أدرك فرعون وملؤه خطورة هذه الدعوة وكذلك يدركها الطواغيت في كل مرة، لقد
 قال الرجل العربي -بفطرته وسليقته- حين سمع رسول الله ﷺ يدعو الناس إلى شهادة أن
 لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله : « هذا أمر تكرهه الملوك! » . وقال له رجل آخر من
 العرب بفطرته وسليقته: «إذن تحاربك العرب والعجم» لقد كان هذا العربي وذاك يفهم
 مدلولات لغته، كان يفهم أن شهادة أن لا إله إلا الله ثورة على الحاكمين بغير شرع الله
 عرباً كانوا أم عجماً! كانت لشهادة أن لا إله إلا الله جديتها في حسن هؤلاء العرب، لأنهم
 كانوا يفهمون مدلول لغتهم جيداً، فما كان أحد منهم يفهم أنه يمكن أن تجتمع في قلب

واحد ، ولا في أرض واحدة ، شهادة أن لا إله إلا الله ، مع الحكم بغير شرع الله! فيكون هناك آلهة مع الله! ما كان أحد منهم يفهم شهادة أن لا إله إلا الله كما يفهمها اليوم من يدعون أنفسهم «مسلمين». ذلك الفهم الباهت التافه الهزيل! وهكذا قال الملأ من قوم فرعون، يتشاورون مع فرعون: **{ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (١٠٩) يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ } ،** واستقر رأيهم على أمر: **{ قَالُوا أَزِجْنَاهُ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ }** وكانت أرض مصر تموج بالكهنة في شتى المعابد ، وكان الكهنة هم الذين يزاولون أعمال السحر، ففي الوثنيات كلها تقريباً يقترن الدين بالسحر؛ ويزاول السحر كهنة الديانات وسدنة الآلهة! وهذه الظاهرة هي التي يلتقطها «علماء الأديان!» فيتحدث بعضهم عن السحر كمرحلة من مراحل تطور العقيدة! ويقول الملحدون منهم: إن الدين سيبتل كما بطل السحر! وإن العلم سينهي عهد الدين كما أنهى عهد السحر! إلى آخر هذا الخطب الذي يسمونه: «العلم»!

وقد استقر رأي الملأ من قوم فرعون، على أن يرجئ فرعون موسى إلى موعد، وأن يرسل في أنحاء البلاد من يجمع له كبار السحرة .

ذلك ليواجهوا «سحر موسى» - بزعمهم - بسحر مثله . وعلى كل ما عرف من طغيان فرعون ، فقد كان في تصرفه هذا أقل طغياناً من طواغيت كثيرة في القرن العشرين؛ في مواجهة دعوة الدعاة إلى ربوبية رب العالمين! وتهديد السلطان الباطل بهذه الدعوة الخطيرة! ويطوي السياق القرآني إجراء فرعون وملائه في جمع السحرة من المدائن؛ ويسدل الستار على المشهد الأول، ليرفعه على المشهد التالي.... وذلك من بدائع العرض القرآني

للقصص، كأنه واقع منظور، لا حكاية تروى! **{ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ (١١٣) قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ }** إنهم محترفون ، يحترفون السحر كما يحترفون الكهانة! والأجر هو هدف الاحتراف في هذا وذاك! وخدمة السلطان الباطل والطاغوت الغالب هي وظيفة المحترفين من رجال الدين! وكلما انخرفت الأوضاع عن إخلاص العبودية لله، وإفراده - سبحانه - بالحاكمية؛ وقام سلطان الطاغوت مقام شريعة الله ، احتاج الطاغوت إلى هؤلاء المحترفين ، وكافأهم على الاحتراف ، وتبادل وإياهم

الصفقة : هم يقرون سلطانه باسم الدين! وهو يعطيهم المال ويجعلهم من المقربين! ولقد أكد لهم فرعون أنهم مأجورون على حرفتهم، ووعدهم مع الأجر القريب منه، زيادة في الإغراء، وتشجيعاً على بذل غاية الجهد، وهو وهم لا يعلمون أن الموقف ليس موقف الاحتراف والبراعة والتضليل؛ إنما هو موقف المعجزة والرسالة والاتصال بالقوة القاهرة، التي لا يقف لها الساحرون ولا المتجبرون! ولقد اطمأن السحرة على الأجر، واشربأت أعناقهم إلى القريبى من فرعون، واستعدوا للحلبة . . ثم ها هم أولاء يتوجهون إلى موسى - عليه السلام - بالتحدي (١)

فماذا كانت نتيجة هذا المكر وتلك المواجهة؟

كانت النتيجة الحاسمة للطائفة المؤمنة ورد الله كيد فرعون وملأه في نحرهم وأغرق فرعون وجنده

{وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٩٠) أَلَلَّا وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٩١) فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ يَبَدِّنَا لَتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ (٩٢) وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مَبُوءًا صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٩٣)} سورة يونس : ٩٠-٩٣

يقول سيد قطب - رحمه الله - إنه الموقف الحاسم والمشهد الأخير في قصة التحدي والتكذيب. والسياق يعرضه مختصراً مجملًا، لأن الغرض من سياقة هذه الحلقة من القصة في هذه السورة هو بيان هذه الخاتمة. بيان رعاية الله وحمايته لأوليائه، وإنزال العذاب والهلاك بأعدائه، الذين يغفلون عن آياته الكونية وآياته مع رسله حتى تأخذهم الآية التي لا ينفع بعدها ندم ولا توبة.

(١) - في ظلال القرآن - (ج ٣ / ص ٢٦٩)

وهو مصداق ما سبق في السورة من وعيد للمكذبين في قوله تعالى: **{وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٤٧) وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٤٨) قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ (٤٩) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَآتًا أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَغْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ (٥٠) أَتُمْ إِذَا مَا وَقَعَ أَمْنْتُمْ بِهِ أَلَا أَنْ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ}** [يونس: ٤٧ - ٥١] فهنا يأتي القصص لصدق ذلك الوعيد :

{ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ } . .

بقيادتنا وهدايتنا ورعايتنا. ولهذا الإسناد في هذا الموضع دلالة . .

{ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ } .

لا اهتداء وإيماناً، ولا دفاعاً مشروعاً.

ولكن: **{ بَغْيًا وَعَدُوًّا } .** وتجاوزاً للحد وطغياناً ومن مشهد البغي والعدو مباشرة إلى مشهد الغرق في ومضة:

{ حَتَّى إِذَا أَذْرَكَهُ الْغَرَقُ } وعالين الموت، ولم يعد يملك نجاة. . { قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ }

لقد سقطت عن فرعون الباغي العادي المتجبر الطاغوي.... كل أرديته التي تنفخ فيه فتظهره لقومه ولنفسه قوة هائلة مخيفة، ولقد تضاعف وتصاغر واستخذى. فهو لا يكتفي بأن يعلن إيمانه بأن لا إله إلا الذي آمن به بنو إسرائيل. فيزيد في استسلام. **{ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ }** { المسلمون! **{ أَلَا أَنْ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ }** . . آلا أن حيث لا اختيار ولا فرار؟

آلان وقد سبق العصيان والاستكبار؟ آلان؟!

{فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ يَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً} لا تأكله الأسماك، ولا يذهب منكراً مع التيار لا يعرف للناس. ذلك ليدرك من وراءك من الجماهير كيف كان مصيرك: **{ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً }** يتعظون بها ويعتبرون، ويرون عاقبة التصدي لقوة الله ووعيده بالتكذيب: **{ وَإِنْ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَعَافِلُونَ } .**

لا يوجهون إليها قلوبهم وعقولهم، ولا يتدبرونها في الآفاق وفي أنفسهم.
يسدل الستار على المشهد النهائي في المأساة. مأساة البغي والفساد والتحدي والعصيان...
ويعقب السياق بلمحة سريعة عن مآل بني إسرائيل بعدها، تستغرق ما حدث في أجيال:
**{ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مَبُوءًا صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ
الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ } .**
والمبوء: مكان الإقامة الأمين. وإضافته إلى الصدق تزيده أماناً وثباتاً واستقراراً كثبات
الصدق الذي لا يضطرب ولا يتزعزع اضطراب الكذب وتزعزع الافتراء. ولقد طاب المقام
فترة لبني إسرائيل بعد تجارب طويلة، لا يذكرها السياق هنا لأنها ليست من مقاصده،
وتمتعوا بطيبات من الرزق حلال، حتى فسقوا عن أمر الله فحرمت عليهم. والسياق لا
يذكر هنا إلا اختلافهم بعد وفاق. اختلافهم في دينهم ودنياهم، لا على جهل ولكن بعد أن
جاءهم العلم، وبسبب هذا العلم، واستخدامه في التأويلات الباطلة^(١)



(١) - في ظلال القرآن - (ج ٤ / ص ١٧٩)

المؤامرة اليهودية ضد عيسى - عليه السلام -

ولقد تأمر اليهود على قتل نبي الله عيسى عليه السلام - وقص الله تعالى علينا خيوط تلك المؤامرة

{فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكَفَرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ يَغْيِرُ حَقٌّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا (١٥٥) وَيَكْفُرُهُمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا (١٥٦) وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٥٨) وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا} [النساء: ١٥٥ - ١٥٩]

وكان من خبر اليهود -عليهم لعائن الله وسخطه وغضبه وعقابه- أنه لما بعث الله عيسى ابن مريم بالبينات والهدى، حسدوه على ما آتاه الله من النبوة والمعجزات الباهرات، التي كان يبرئ بها الأكفمة والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله، ويصور من الطين طائرًا ثم ينفخ فيه فيكون طائرًا يشاهد طيرانه بإذن الله، عز وجل، إلى غير ذلك من المعجزات التي أكرمها الله بها وأجراها على يديه، ومع هذا كذبوه وخالفوه، وسعَوْا في أذاه بكل ما أمكنهم، حتى جعل نبي الله عيسى، عليه السلام، لا يساكنهم في بلدة، بل يكثر السياحة هو وأمه، عليهما السلام، ثم لم يقنعهم ذلك حتى سعوا إلى ملك دمشق في ذلك الزمان -وكان رجلاً مشركاً من عبدة الكواكب، وكان يقال لأهل ملته: اليونان- وأنهبوا إليه: أن بيت المقدس رجلاً يفتن الناس ويضلهم ويفسد على الملك رعاياه. فغضب الملك من هذا، وكتب إلى نائبه بالقدس أن يحتاط على هذا المذكور، وأن يصلبه ويضع الشوك على رأسه، ويكف أذاه على الناس.

فلما وصل الكتاب امثال متولي بيت المقدس ذلك، وذهب هو وطائفة من اليهود إلى المنزل الذي فيه عيسى، عليه السلام، وهو في جماعة من أصحابه، اثنا عشر أو ثلاثة عشر -وقيل: سبعة عشر نفرًا- وكان ذلك يوم الجمعة بعد العصر ليلة السبت، فحصره هنالك، فلما

أحس بهم وأنه لا محالة من دخولهم عليه، أو خروجه عليهم قال لأصحابه: أيكم يُلقى عليه شبيهي، وهو رفيقي في الجنة؟

فانتدب لذلك شاب منهم، فكأنه استصغره عن ذلك، فأعادها ثانية وثالثة وكل ذلك لا يتتدب إلا ذلك الشاب - فقال: أنت هو - وألقى الله عليه شبه عيسى، حتى كأنه هو، وفتحت روضة من سقف البيت، وأخذت عيسى عليه السلام سنة من النوم، فرفع إلى السماء وهو كذلك، كما قال [الله] تعالى: **{ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنِي مَتَوْفِكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا }** الآية [آل عمران: ٥٥]. فلما رفع خرج أولئك نفر فلما رأى أولئك ذلك الشاب ظنوا أنه عيسى، فأخذوه في الليل وصلبوه، ووضعوا الشوك على رأسه، فأظهر اليهود أنهم سعوا في صلبه وتبجحوا بذلك، وسلم لهم طوائف من النصارى ذلك لجهلهم وقلة عقلهم، ما عدا من كان في البيت مع المسيح، فإنهم شاهدوا رفعه، وأما الباقون فإنهم ظنوا كما ظن اليهود أن المصلوب هو المسيح ابن مريم، حتى ذكروا أن مريم جلست تحت ذلك المصلوب وبكت، ويقال: إنه خاطبها، والله أعلم.^(١)



(١) - تفسير ابن كثير - (ج ٢ / ص ٤٤٨)

المؤامرة ضد رسول الله ﷺ

ثم جاء الرحمة المهداة خاتم الأنبياء والمرسلين - صلى الله عليه وسلم - بالهدى ودين الحق فتآمر عليه الكفار و اليهود وحاولوا قتله صلى الله عليه وسلم - فما نجحوا وما فلتحوا بل خابوا وخسروا

وهاك طرف من مخططاتهم يقول الحق سبحانه وتعالى { وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ } [الأنفال: ٣٠]

عن ابن عباس^ه قال: أن نفرًا من قريش من أشراف كل قبيلة، اجتمعوا ليدخلوا دار الندوة، فاعترضهم إبليس في صورة شيخ جليل، فلما رأوه قالوا: من أنت؟ قال شيخ من نجد، سمعت أنكم اجتمعتم، فأردت أن أحضركم، ولن يعدمكم مني رأيي ونصح. قالوا: أجل، ادخل! فدخل معهم، فقال: انظروا إلى شأن هذا الرجل، و عن ابن عباس = قال وحدثني الكلبي، عن زاذان مولى أم هانئ، عن ابن عباس: أن نفرًا من قريش من أشراف كل قبيلة، اجتمعوا ليدخلوا دار الندوة، فاعترضهم إبليس في صورة شيخ جليل، فلما رأوه قالوا: من أنت؟

قال شيخ من نجد، سمعت أنكم اجتمعتم، فأردت أن أحضركم، ولن يعدمكم مني رأيي ونصح. قالوا: أجل، ادخل! فدخل معهم، فقال: انظروا إلى شأن هذا الرجل، والله ليوشكن أن يوثبكم في أموركم بأمره. قال: فقال قائل: احبسوه في وثاق، ثم تربصوا به ريب المنون، حتى يهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء، زهير والنابعة، إنما هو كأحدهم! قال: فصرخ عدو الله الشيخ النجدي فقال: والله، ما هذا لكم برأي! والله ليخرجنه ربه من محبسه إلى أصحابه، فليوشكن أن يثبوا عليه حتى يأخذوه من أيديكم فيمنعوه منكم، فما آمن عليكم أن يخرجوكم من بلادكم! قالوا: فانظروا في غير هذا، قال: فقال قائل: أخرجوه من بين أظهركم تستريحوا منه، فإنه إذا خرج لن يضركم ما صنع وأين وقع، إذا غاب عنكم أذاه واسترحتم، وكان أمره في غيركم. فقال الشيخ النجدي: والله ما هذا لكم برأي، ألم تروا حلاوة قوله، وطلاقة لسانه، وأخذ القلوب ما تسمع من حديثه؟ والله لئن فعلتم، ثم

استعرض العرب، لتجتمعن عليكم، ثم ليأتين إليكم حتى يخرجكم من بلادكم ويقتل
أشرافكم! قالوا: صدق والله! فانظروا رأياً غير هذا!
قال: فقال أبو جهل: والله لأشيرن عليكم برأي ما أراكم أبصرتموه بعد، ما أرى غيره!
قالوا: وما هو؟

قال: نأخذ من كل قبيلة غلاماً وسيطاً شاباً نهدأ، ثم يعطى كل غلام منهم سيفاً صارماً، ثم
يضربوه ضربة رجل واحد، فإذا قتلوه تفرق دمه في القبائل كلها، فلا أظن هذا الحي من بني
هاشم يقدرّون على حرب قريش كلها، فإنهم رأوا ذلك قبلوا العقل واسترحنا وقطعنا عنا
أذاه.

فقال الشيخ النجدي: هذا والله الرأي، القول ما قال الفتى، لا أرى غيره! قال: فتفرقوا
على ذلك وهم مُجمعون له، قال: فأتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فأمره أن لا يبيت
في مضجعه الذي كان يبيت فيه تلك الليلة، وأذن الله له عند ذلك بالخروج، وأنزل عليه بعد
قدومه المدينة ﴿الأنفال﴾، يذكره نعمه عليه، وبلاءه عنده: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا
لِيَشْتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرَ الْمَاكِرِينَ﴾، وأنزل في قولهم:
﴿تَرَبَّصُوا بِهِ رَبِّبَ الْمُتُونِ﴾ حتى يهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء: ﴿أَمْ يَقُولُونَ
شَاعِرٌ تَتَّبِصُ بِهِ رَبِّبَ الْمُتُونِ﴾ [سورة الطور: ٣٠].

وكان يسمى ذلك اليوم: ﴿يوم الزحمة﴾ للذي اجتمعوا عليه من الرأي. ^(١)
قال ابن إسحاق، فحدثني من لا أتهم من أصحابنا، عن عبد الله بن أبي نجيح، عن مجاهد بن
جبير أبي الحجاج، وغيره ممن لا أتهم، عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، ثم ساق
الخبر بغير هذا اللفظ. ومما اعترض به على هذا الخبر أن آية ﴿سورة الطور﴾، آية مكية،
نزلت قبل الهجرة بزمان، وساق ابن إسحاق للآية بعد الخبر، يوهّم أنها نزلت ليلة الهجرة،
أو بعد الهجرة، وهذا لا يكاد يصح

(١) - سيرة ابن هشام ٢ : ١٢٤ - ١٢٨

مؤامرة صفوان ابن أمية عمير بن وهب الجمحي

عن محمد بن جعفر بن الزبير قال حبس عمير بن وهب الجمحي وصفوان بن أمية بعد مصاب أهل بدر من قريش في الحجر بيسير وكان عمير بن وهب شيطاناً من شياطين قريش وكان ممن يؤذي رسول الله ﷺ وأصحابه ويلقون منه عناء أذاهم بمكة وكان ابن وهب بن عمير في أسارى أصحاب بدر قال فذكروا أصحاب القلب بمصائبهم فقال والله إن في العيش خير بعدهم فقال عمير بن وهب صدقت والله لولا دين علي ليس عندي قضاؤه وعيالي أخشى عليهم الضيعة بعدي لركبت إلى محمد حتى أقتله فإن لي فيهم علة ابني عندهم أسير في أيديهم قال فاعتنمها صفوان فقال على دينك أنا أقضيه عنك وعيالك مع عيالي أسويهم ما بقوا لا نسعهم بعجز عنهم قال عمير أكنتم عني شأني وشأنك قال أفعل ثم أمر عمير بسيفه فشحذ وسم ثم انطلق إلى المدينة فبينما عمر ^أ بالمدينة في نفر من المسلمين يتذكرون يوم بدر وما أكرمهم الله به وما أراهم من عدوهم إذ نظر إلى عمير بن وهب قد أناخ بباب المسجد متوشح السيف فقال هذا الكلب والله عمير وهب ما جاء إلا لشر هذا الذي حرش بيننا وحرزنا للقوم يوم بدر ثم دخل عمر على رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله هذا عمير بن وهب قد جاء متوشح بالسيف قال فادخله فاقبل عمر حتى أخذ بحمالة سيفه في عنقه فلبيه بها وقال عمر لرجال من الأنصار ممن كان معه ادخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجلسوا عنده واحذروا هذا الكلب عليه فانه غير مأمون ثم دخل على رسول الله ﷺ به وعمر أخذ بحمالة سيفه فقال أرسله يا عمر أدن يا عمير فدنا فقال أنعموا صباحاً وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم فقال رسول الله ﷺ قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير السلام تحية أهل الجنة فقال أما والله يا محمد إن كنت لحديث عهد بها قال فما جاء بك قال جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم فاحسبه قال فما بال السيف في عنقك قال قبحها الله من سيوف فهل أغنت عنا شيئاً قال أصدقني ما الذي جئت له قال ما جئت إلا لهذا قال بلى قعدت أنت وصفوان بن أمية في الحجر فتذاكرتما أصحاب القلب من قريش فقلت لولا دين علي وعيالي لخرجت حتى أقتل محمداً فتحمل صفوان لك

بدينك وعيالك على أن تقتلني والله حائل بينك وبين ذلك قال عمير أشهد أنك رسول الله قد كنا يا رسول الله نكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء وما ينزل عليك من الوحي وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان فوالله إني لأعلم ما أنبأك به إلا الله فالحمد لله الذي هداني للإسلام وساقني هذا المساق ثم شهد شهادة الحق فقال رسول الله ﷺ فقهوا أخاكم في دينه وأقرؤه القرآن واطلقوا له أسيره ثم قال يا رسول الله إني كنت جاهداً على إطفاء نور الله شديد الأذى لمن كان على دين الله وإني أحب أن تأذن لي فأقدم مكة فأدعوهم إلى الله وإلى الإسلام لعل الله أن يهديهم ولا أؤذيهم كما كنت أؤذي أصحابك في دينهم فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فلحق بمكة وكان صفوان حين خرج عمير بن وهب قال لقريش أبشروا بوقعة تنسيكم وقعة بدر وكان صفوان يسأل عنه الركبان حتى قدم راكب فأخبره بإسلامه فحلف أن لا يكلمه أبداً ولا ينفعه بنفع أبداً فلما قدم عمير مكة أقام بها يدعو إلى الإسلام ويؤذي من خالفه أذى شديداً فأسلم على يديه ناس كثير. ^(١)



^(١) - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد - (ج ٤ / ص ٣٠ رواه الطبراني مرسلاً وإسناده جيد

مؤامرة بنى النضير

ومن بين تلك المؤامرات التي خطط لها اليهود تلك المؤامرة التي لا تصدر إلا من نفس خبيثة غادرة ماکرة، إنها مؤامرة بنى النضير ضد سيد الخلق وحبیب الحق ﷺ والیک أحداثها:

قال ابن إسحاق خرج رسول الله ﷺ إلى بني النضير يستعينهم في دية ذينك القَتيلين من بني عامر اللذين قتل عمرو بن أمية الضمري، للجوار الذي كان رسول الله ﷺ عقد لهما، كما حدثني يزيد بن رومان، وكان بين بني النضير وبين بني عامر عقد وحلف. فلما أتاهم رسول الله ﷺ يستعينهم في دية ذينك القَتيلين قالوا نعم يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت، مما استعنت بنا عليه ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا: إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه - ورسول الله ﷺ إلى جنب جدار من بيوتهم قاعد - فمن رجل يعلو على هذا البيت فيلقي عليه صخرة فيريحنا منه؟ فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب، أحدهم فقال أنا لذلك فصعد ليلقي عليه صخرة كما قال ورسول الله ﷺ في نفر من أصحابه فيهم أبو بكر وعمر وعلي، رضوان الله عليهم. أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بما أراد القوم فقام وخرج راجعاً إلى المدينة. فلما استلبث النبي ﷺ أصحابه قاموا في طلبه فلقوا رجلاً مقبلاً من المدينة، فسألوه عنه فقال رأيت داهياً في المدينة. فأقبل أصحاب رسول الله ﷺ حتى انتهوا إليه صلى الله عليه وسلم فأخبرهم الخبر، بما كانت اليهود أرادت من العذر به وأمر الله ﷺ بالتهيؤ لحربهم والسير إليهم. قال ابن هشام: واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم^(١)



(١) - سيرة ابن هشام - (ج ٢ / ص ١٨٩)

مؤامرة يهود خيبر

ومن تلك المؤامرات التي قام بها اليهود قتلت الأنبياء ما حدث في غزوة خيبر: ومن تلك المؤامرات التي حاك خيوطها اليهود تلك المؤامرة الخبيثة التي أقدموا عليها لما قوض الله تعالى ملكهم فجعلهم أذلة صاغرين يوم أن فتح الله تعالى على رسوله والمؤمنين آخر معقل لليهود في جزيرة العرب يوم خيبر واليك أحداث تلك المؤامرة وكيف نجى الله نبيه ﷺ منها: (لَمَّا فُتِحَتْ خَيْبَرُ أُهْدِيَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ شَاةٌ فِيهَا سَمٌّ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ اجْمَعُوا إِلَيَّ مَنْ كَانَ هَاهُنَا مِنْ يَهُودَ فَجَمَعُوا لَهُ فَقَالَ إِنِّي سَأَلْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَهَلْ أَنْتُمْ صَادِقِيٌّ عَنْهُ فَقَالُوا نَعَمْ قَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ مَنْ أَبُوكُمْ قَالُوا فَلَانٌ فَقَالَ كَذَبْتُمْ بَلْ أَبُوكُمْ فَلَانٌ قَالُوا صَدَقْتَ قَالَ فَهَلْ أَنْتُمْ صَادِقِيٌّ عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَأَلْتُ عَنْهُ فَقَالُوا نَعَمْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ وَإِنْ كَذَبْنَا عَرَفْتَ كَذَبْنَا كَمَا عَرَفْتُهُ فِي أَيْنَا فَقَالَ لَهُمْ مَنْ أَهْلُ النَّارِ قَالُوا نَكُونُ فِيهَا يَسِيرًا ثُمَّ تَخَلَّفُونَا فِيهَا فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ اخْسَئُوا فِيهَا وَاللَّهِ لَا تَخْلُفُكُمْ فِيهَا أَبَدًا ثُمَّ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ صَادِقِيٌّ عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَأَلْتُكُمْ عَنْهُ فَقَالُوا نَعَمْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ قَالَ هَلْ جَعَلْتُمْ فِي هَذِهِ الشَّاةِ سُمًّا قَالُوا نَعَمْ قَالَ مَا حَمَلَكُمْ عَلَى ذَلِكَ قَالُوا أَرَدْنَا إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا نَسْتَرِيحُ وَإِنْ كُنْتَ نَبِيًّا لَمْ يَضُرَّكَ^(١)

يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - في الحديث إخباره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ الْغَيْبِ وَتَكْلِيمِ الْجَمَادِ لَهُ، وَمُعَانِدَةِ الْيَهُودِ لِاعْتِرَافِهِمْ بِصِدْقِهِ فِيمَا أَخْبَرَ بِهِ عَنْ إِسْمِ أَبِيهِمْ وَبِمَا وَقَعَ مِنْهُمْ مِنْ دَسِيسَةِ السُّمِّ: وَمَعَ ذَلِكَ فَعَانَدُوا وَاسْتَمَرُّوا عَلَى تَكْذِيبِهِ^(٢)



(١) - صحيح البخاري - (ج ١٠ / ص ٤٢٨)

(٢) - فتح الباري لابن حجر - (ج ١٦ / ص ٣١٥)

مؤامرة النافقين في غزوة تبوك

أخي المسلم: إن أعداء الإسلام للأمة بالمرصاد في كل زمان ومحاولون جاهدين في تحقيق أهدافهم بشتى الطرق وبشتى أنواع الوسائل فعندهم الغاية تبرر الوسيلة فإذا لم يستطيعوا أن يحققوا أهدافهم بأنفسهم لجئوا إلى سلاح آخر ألا وهو سلا المنافقين الذين امنوا بألستهم ولم يدخل الإيمان في قلوبهم وهذا السلاح من اخطر الأسلحة التي يستخدمها العدو مع عدوه والذي يقرأ التاريخ يرى أن المصائب والويلات التي حلت بالأمة كان وراءها عصابة مارقة من المنافقين وهذا ما سيظهر لنا من خلال تلك الدراسة إن شاء الله تعالى.

عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ قَالَ لَمَّا أَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ أَمَرَ مُنَادِيًا فَنَادَى إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَخَذَ الْعَقَبَةَ فَلَا يَأْخُذْهَا أَحَدٌ فَبَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُودُهُ حُدَيْفَةُ وَيَسُوقُ بِهِ عَمَّارٌ إِذْ أَقْبَلَ رَهْطٌ مُتَلَثِّمُونَ عَلَى الرَّوَاحِلِ غَشَوْا عَمَّارًا وَهُوَ يَسُوقُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَقْبَلَ عَمَّارٌ يَضْرِبُ وَجْهَ الرَّوَاحِلِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِحُدَيْفَةَ قَدْ قَدْ حَتَّى هَبَطَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا هَبَطَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نَزَلَ وَرَجَعَ عَمَّارٌ فَقَالَ يَا عَمَّارُ هَلْ عَرَفْتَ الْقَوْمَ فَقَالَ قَدْ عَرَفْتُ عَامَّةَ الرَّوَاحِلِ وَالْقَوْمَ مُتَلَثِّمُونَ قَالَ هَلْ تَدْرِي مَا أَرَادُوا قَالَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ أَرَادُوا أَنْ يَنْفِرُوا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَيَطْرَحُوهُ قَالَ فَسَأَلَ عَمَّارٌ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ نَشَدْتُكَ بِاللَّهِ كَمْ تَعْلَمُ كَانَ أَصْحَابُ الْعَقَبَةِ فَقَالَ أَرْبَعَةَ عَشَرَ فَقَالَ إِنْ كُنْتُ فِيهِمْ فَقَدْ كَانُوا خَمْسَةَ عَشَرَ فَعَدَّدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْهُمْ ثَلَاثَةً قَالُوا وَاللَّهِ مَا سَمِعْنَا مُنَادِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمَا عَلِمْنَا مَا أَرَادَ الْقَوْمُ فَقَالَ عَمَّارٌ أَشْهَدُ أَنَّ الْإِثْنِي عَشَرَ الْبَاقِينَ حَرْبٌ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ قَالَ الْوَلِيدُ وَذَكَرَ أَبُو الطُّفَيْلِ فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِلنَّاسِ وَذَكَرَ لَهُ أَنَّ فِي الْمَاءِ قَلَةً فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُنَادِيًا فَنَادَى أَنْ لَا يَرِدَ الْمَاءُ أَحَدٌ قَبْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَوَرَدَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَوَجَدَ رَهْطًا قَدْ وَرَدُوهُ قَبْلَهُ فَلَعَنَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ ^(١)

(١) - مسند أحمد - (ج ٤٨ / ص ٣١١) رواه الطبراني في الكبير ورجاله ثقات

يقول سيد قطب -رحمه الله- هذه الحادثة تكشف عن دخيلة القوم، وسواء كانت هي أو شيء مثلها هي الذي تعنيه الآية، فإنه ليدو عجيباً أن تنطوي صدور القوم على مثل هذه الخيانة. والنصر يعجب هنا منهم:

{وَمَا نَقْمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ} [التوبة: ٧٤].

فما من سيئة قدمها الإسلام لهم ينقمون عليه هذه النعمة من أجلها، اللهم إلا أن يكون الغنى الذي غمرهم بعد الإسلام، والرخاء الذي أصابهم بسببه هو ما ينقمون! ثم يعقب على هذا التعجب من أمرهم، بعد كشف خبيئاتهم بالحكم الفاصل:

{ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ } [التوبة: ٧٤] بعد هذا كله يظل باب التوبة مفتوحاً على مصراعيه. فمن شاء لنفسه الخير فليدلف إلى الباب المفتوح. ^(١)



^(١) - في ظلال القرآن - (ج ٤ / ص ٥١)

الفصل الثالث

المؤامرة في عهد الخلفاء

ما إن فارق النبي ﷺ الحياة حتى أطلت الفتنة برأسها وأظهرت القلوب ما كانت تخفى وارتدت قبائل العرب وأحاطوا بالإسلام والمسلمين من كل جانب وبد العالم كله يكيد للإسلام والمسلمين فقبائل العرب كلها قد ارتدت والفرس والروم قد اعدوا لهم العدة يقول د: سفر الحوالي - حفظه الله (وحدثت المؤامرة وبرزت رؤوسها من جديد بوفاته ﷺ ، إذ حصلت ردة جماعية، تهوج نجم النفاق والكفر، وظهر من جديد في جزيرة العرب ، ولم يبق على الإسلام إلا المدينة ومكة والطائف وبنو عبد القيس في البحرين وبعض القبائل، وظهر المتنبيون الكذابون، وظهرت العداوات والأحقاد الكامنة في قلوب كثير من الناس، والضغائن التي لم يخفها إلا الخوف من قوة الإسلام وبطشه.

وقاد الصديق -رضي الله عنه- الحرب من جديد، وخرج أصحاب محمد ﷺ من المدينة بجيوش متعددة، كل منها إلى جهة من الجهات، ونصرها الله -عز وجل- وأخضعت تلك القبائل والمناطق جميعاً، ولم تقف عند ذلك، بل انطلقت شرقاً إلى الإمبراطورية الفارسية، وغرباً إلى الإمبراطورية الرومانية^(١)

يقول الدكتور / علي محمد الصلابي - حفظه الله: موقف الصديق من المرتدين: لما كانت الردة قام أبو بكر ﷺ في الناس خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: الحمد لله الذي هدى فكفى وأعطى فأغنى إن الله بعث محمداً ﷺ والعلم شريد، والإسلام غريب طريد، قدرت حبله، وخلق ثوبه، وضل أهله منه، ومقت الله أهل الكتاب فلا يعطيهم خيراً لخير عندهم، ولا يصرف عنهم شراً لشر عندهم، وقد غيروا كتابهم، وألحقوا فيه ما ليس منه، والعرب الآمنون يحسبون أنهم في منعة من الله، لا يعبدونه، ولا يدعونه، فأجهدهم عيشاً، وأظلمهم ديناً في ظلف الأرض مع ما فيه من سحاب، فختمهم الله بحمد وجعلهم الأمة الوسطى، ونصرهم بمن اتبعهم، ونصرهم على غيرهم، حتى قبض الله نبيه ﷺ فركب

(١) - المؤامرة على الإسلام ص ٦

منهم الشيطان مركبه الذي أنزله عليه، وأخذ بأيديهم، وبغى هلكتهم {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ} (سورة آل عمران، الآية: ١٤٤).

إن من حولكم من الأعراب قد منعوا شاتهم، وبعيرهم، ولم يكونوا في دينهم وإن رجعوا إليه أزهد منهم يومهم هذا، ولم تكونوا في دينكم أقوى منكم يومكم هذا، على متقدم من بركة نبيكم وقد وكلكم إلى المولى الكافي الذي وجده ضالاً فهداه، وعائلاً فأغناه {وَكُتِّمْنَا عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} (سورة آل عمران، الآية: ١٠٣).

والله لا أدع أن أقاتل على أمر الله حتى ينجز الله وعده، ويوفي لنا عهده، ويقتل من قتل شهيداً من أهل الجنة، ويبقى منها خليفته وذريته في أرضه قضاء الله الحق، وقوله الذي لا خلف له {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} (١) (سورة النور، الآية ٥٥).

وقد أشار بعض الصحابة ومنهم عمر على الصديق بأن يترك مانعي الزكاة ويتألفهم حتى يتمكن الإيمان من قلوبهم ثم هم بعد ذلك يزكون فامتنع الصديق عن ذلك وأباه (٢)، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما توفي رسول الله ﷺ، وكان أبو بكر، وكفر من كفر من العرب، قال عمر بن الخطاب لأبي بكر: كيف تقاتل الناس، وقد قال ﷺ: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قالها فقد عصم مني ماله، ونفسه إلا بحقه (٣)، وحسابه على الله، فقال أبو بكر: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو

(١) البداية والنهاية (٣١٦/٦).

(٢) البداية والنهاية (٣١٥/٦).

(٣) بحقه حق الإسلام.

منعوني عناقاً^(١) كانوا يؤدونها إلى رسول الله لقاتلتهم على منعها وفي رواية: والله لو منعوني عقلاً^(٢)، كانوا يؤدونه إلى رسول الله لقاتلتهم على منعه. قال عمر فوالله ما هو إلا أن قد شرح الله صدر أبي بكر، فعرفت أنه الحق^(٣)، ثم قال عمر بعد ذلك؛ والله لقد رجح إيمان أبي بكر بإيمان هذه الأمة جميعاً في قتال أهل الردة^(٤)، وبذلك يكون أبوبكر قد كشف لعمر (وهو يناقشه) عن ناحية فقهية مهمة أجلاها له، وكانت قد غابت عنه وهي أن جملة جاءت في الحديث النبوي الشريف الذي أحتج به عمر هي الدليل على وجوب محاربة من منع الزكاة حتى وإن نطق بالشهادتين وهي قول النبي ﷺ: فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها^(٥)،

وفعلاً كان رأي أبو بكر في حرب المرتدين رأياً ملهماً، وهو الرأي الذي تمليه طبيعة الموقف لمصلحة الإسلام والمسلمين، وأي موقف غيره سيكون فيه الفشل والضياع والهزيمة والرجوع إلى الجاهلية، ولولا الله ثم هذا القرار الحاسم من أبي بكر لتغير وجه التاريخ وتحولت مسيرته، ورجعت عقارب الساعة إلى الوراء، ولعادت الجاهلية تعيث في الأرض فساداً^(٦).

لقد تجلّى فهمه الدقيق للإسلام، وشدة غيظه على هذا الدين، وبقائه على ما كان عليه في عهد نبيه في الكلمة التي فاض بها لسانه ونطق بها جنانه، وهي الكلمة التي تساوي خطبة بليغة طويلة وكتاباً حافلاً، وهي قوله عندما امتنع كثير من قبائل العرب أن يدفعوا الزكاة إلى بيت المال، أو منعوها مطلقاً وأنكروا فرضيتها: قد انقطع الوحي وتم الدين، أينقص وأنا

(١) عناقاً: الأنثى من ولد المعز.

(٢) عقلاً: هو الحبل الذي يعقل به البعير.

(٣) البخاري، رقم ٦٩٢٤؛ مسلم رقم ٢٠.

(٤) حروب الردة، محمد أحمد باشميل، ص ٢٤.

(٥) مسلم رقم ٢١.

(٦) الشورى بين الأصالة والمعاصرة، ص ٨٦.

حي^(١) وفي رواية قال عمر: فقلت يا خليفة رسول الله تألف الناس وارفق بهم، فقال لي: أجبَّار في الجاهلية خوَّار في الإسلام، قد انقطع الوحي، وتم الدين أينقص وأنا حي^(٢). لقد سمع أبو بكر وجهات نظر الصحابة في حرب المرتدين وما عزم على خوض الحرب إلا بعد أن سمع وجهات النظر بوضوح، إلا أنه كان سريع القرار حاسم الرأي فلم يتردد لحظة واحدة بعد ظهور الصواب له وعدم التردد كان سمة بارزة من سمات أبي بكر - هذا الخليفة العظيم - في حياته كلها^(٣)، ولقد اقتنع المسلمون بصحة رأيه ورجعوا إلى قوله واستصوبوه.

لقد كان أبو بكر رضي الله عنه أبعد الصحابة نظراً، وأحقهم فهماً، وأربطهم جناحاً في هذه الطامة العظيمة^(٤)، والمفاجئة المذهلة، ومن هنا أتى قول سعيد بن المسيب رحمه الله: وكان أفقهم، يعني الصحابة، وأمثلهم رأياً^(٥).

إن أبا بكر كان أنفذ بصيرة من جميع من حوله لأنه فهم بإيمانه الذي فاق إيمانهم جميعاً، أن الزكاة لا تنفصل عن الشهادتين؛ فمن أقر الله بالوحدانية لا بد أن يقر له بما يفرض من حق في ماله الذي هو مال الله أصلاً (وأن لا إله إلا الله بغير زكاة لا وزن لها في حياة الشعوب، وأن السيف يشرع دفاعاً عن أدائها تماماً كما يشرع دفاعاً عن لا إله إلا الله، تماماً هذه كتلك. هذا هو الإسلام وغير هذا ليس من الإسلام^(٦)، فقد توعد الله أولئك الذين يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض قال تعالى: **{ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ }** (سورة البقرة، الآية: ٨٥).

(١) المرتضى لأبي الحسن الندوي، ص ٧٠.

(٢) مشكاة المصابيح، كتاب المناقب رقم ٦٠٣٤.

(٣) الشورى بين الأصالة والمعاصرة، ص ٨٧.

(٤) حركة الردة، ص ١٦٥.

(٥) البدر والتاريخ للمقدسي (١٥٣/٥).

(٦) حياة أبي بكر، محمود شلبي، ص ١٢٣.

كان موقف أبي بكر رضي الله عنه الذي لا هوادة فيه ولا مساومة فيه ولا تنازل، موفقاً ملهماً من الله، يرجع إليه الفضل الأكبر -بعد الله تعالى- في سلامة هذا الدين وبقائه على نقائه وصفائه وأصالته، وقد أقر الجميع وشهد التاريخ بأن أبا بكر قد وقف في مواجهة الردة الطاغية، ومحاولة نقض عرى الإسلام عروة عروة، موقف الأنبياء والرسل في عصورهم، وهذه خلافة النبوة التي أدى أبو بكر حقها واستحق بها ثناء المسلمين ودعاءهم إلى أن يرث الله الأرض وأهلها (١)



(١) المرتضى للندوي، ص ٧٢. أبوبكر الصديق رضي الله عنه شخصيته وعصره

المؤامرة ضد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه

لما مَنَّ الله تعالى على المسلمين وفتحوا بلاد فارس والروم في عهد الفاروق عمر، ظن أعداء الإسلام من الفرس والروم واليهود والنصارى والمجوس وجميع تلك النحل والملل أنه إذا قتل الفاروق انتهى أمر الدين، وتلك نظرية كثير من أعداء الحق فهم يحاربون كل من يروونه يحمل لواء الدين ولواء السنة ويظنون أنه إذا حورب في ذاته انتهى الأمر، ونحن نعلم جميعاً أن هذه النظرية نظرية خاطئة تماماً، إن الدين دين الله وهو ناصر دينه عز وجل وما هؤلاء الرجال إلا أناس اصطفاهم الله تعالى بالقيام بأمر دينه، فهم ينالون الشهادة، ويخلف الله بعدهم من يقوم بهذا الدين، لأنه قد وعد سبحانه وتعالى أهل دينه، وتوعد أعداءه بأن يظهر هذا الدين على الدين كله ولو كره المشركون.. ولو كره الكافرون. يقول الحق - سبحانه وتعالى (يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلََّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) (٣٢) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (٣٣) (التوبة)

فقد مات رسول الله -صلى الله عليه وسلم - فهل انتهى الدين بموته؟ كلا بل هبى الله سبحانه للأمة من بعده خلفاء راشدين مهدين أقاموا دينه ونشروا شريعته، وكم من داعية كان انتصار دعوته بموته فدخل الناس في دين الله أفواجا لذا وجب على الأمة عندما تشتد بها الأزمات ويحيط بها الأعداء إن يزدادوا إيماناً مع إيمانهم يقول الله تعالى {وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا} (٢٢) (الأحزاب)

مقتل الفاروق عمر رضي الله عنه:

كيف كانت نهاية تلك الحياة الحافلة بالبذل والعطاء والجهاد في سبيل الله؟ الثابت في مقتله أنه كان بمؤامرة مجوسية نصرانية، ويقال إن لليهود ضلعاً في ذلك..... ذكر الإمام الذهبي -رحمه الله - عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهري: أخبرني سعيد بن المسيب، أن عبد الرحمن بن أبي بكر - ولم تجرب عليه كذبة قط - قال: انتهيت إلى الهرمزان وجفنية وأبي لؤلؤة وهم نحى فتبعتهم، وسقط بينهم خنجر له رأسان نصابه في وسطه، فقال

عبد الرحمن: فانظروا بم قتل عمر، فنظروا فوجدوه خنجراً على تلك الصفة، فخرج عبيد الله بن عمر ن الخطاب مشتملاً على السيف حتى أتى الهرمزان فقال: اصحبني ننظر فرساً لي - وكان بصيراً بالخليل - فخرج يمشي بين يديه فعلاه عبيد الله بالسيف، فلما وجد حد السيف قال: لا إله إلا الله فقتله.

ثم أتى جفنية وكان نصرانياً، فلما أشرف له علاه علاه بالسيف فضرب بين عينيه. ثم أتى بنت أبي لؤلؤة جارية صغيرة تدعي الإسلام فقتلها، وأظلمت الأرض يومئذ على أهلها، ثم أقبل بالسيف صلتاً في يده وهو يقول: والله لا أترك في المدينة سبياً إلا قتله وغيرهم، كأنه يعرض بناس من المهاجرين، فجعلوا يقولون له: ألق السيف، فأبى، ويهابونه أن يقربوا منه، حتى أتاه عمرو بن العاص فقال: أعطني السيف يا بن أخي. فأعطاه إياه ثم ثار إليه عثمان فأخذ برأسه فتناصيا حتى حجز الناس بينهما. فلما ولي عثمان قال: أشيروا علي في هذا الذي فتق في الإسلام ما فتق، فأشار المهاجرون بقتله، وقال جماعة الناس: قتل عمر بالأمس ويتبعونه ابنه اليوم! أبعد الله الهرمزان وجفنية، فقال عمرو: إن الله قد أعفاك أن كون هذا الأمر في ولايتك فاصفح عنه، فنفرق الناس على قول عمرو، وودى عثمان الرجلين والجارية^(١)

التنبية على الحقد الذي انطوت عليه قلوب الكافرين ضد المؤمنين يقول الدكتور على الصلابي -حفظه الله-: ويدل على ذلك قتل المجوسي أبي لؤلؤة لعمر رضي الله عنه، وتلك هي طبيعة الكفار في كل زمان ومكان، قلوب لا تضمر للمسلمين إلا الحقد والحسد والبغضاء، ونفوس لا تكن للمؤمنين إلا الشر والهلاك والتلف، ولا يتمنون شيئاً أكثر من ردة المسلمين عن دينهم وكفرهم بعد إسلامهم^(٢)

، وإن الذي ينظر جيداً في قصة مقتل عمر -رضي الله عنه- وما فعله المجوسي الحاقداً أبو لؤلؤة يستنبط منها أمرين مهمين، يكشفان الحقد الذي أضمره هذا الكافر في قلبه تجاه عمر، وتجاه المسلمين، وهما:

(١) - تاريخ الإسلام للذهبي - (ج ١ / ص ٤١٨)

(٢) - فصل الخطاب في سيرة ابن الخطاب

أ - أنه قد ثبت في الطبقات الكبرى لابن سعد بسند صحيح إلى الزهري^(١)، أن عمر رضي الله عنه قال لهذا المجوسي ذات يوم: ألم أحدث أنك تقول: لو أشاء لصنعت رحي تطحن بالريح، فالتفت إليه المجوسي عابساً، لأصنعن لك رحي يتحدث الناس بها، فأقبل عمر على من معه، فقال: توعدني العبد.

ب _ الأمر الثاني الذي يدل على الحقد الذي امتلأ به صدر هذا المجوسي أنه لما طعن عمر رضي الله عنه، طعن معه ثلاثة عشر صحابياً استشهد منهم سبعة جاء في رواية الإمام البخاري قوله: فطار العليج^(٢) بسكين ذات طرفين لا يمر على أحد يميناً ولا شمالاً إلا طعنه، حتى طعن ثلاثة عشر رجلاً، مات منهم سبعة^(٣)، ولو كان عمر - رضي الله عنه - ظالماً له فما ذنب بقية الصحابة الذين اعتدى عليهم؟!، ومعاذ الله تعالى أن يكون عمر ظالماً له، إذ قد ثبت في رواية البخاري أنه لما طعن رضي الله عنه قال: يا ابن عباس، انظر من قتلتني، فجال ساعة ثم جاء فقال: غلام المغيرة، قال: الصنع؟

أي: الصانع، قال: نعم، قال: قاتله الله، لقد أمرت به معروفاً، الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل يدعي الإسلام^(٤).

وهذا المجوسي أبو لؤلؤة قام أحبابه أعداء الإسلام ببناء مشهد تذكاري له على غرار الجندي المجهول في إيران يقول السيد حسين الموسوي من علماء النجف: واعلم أن في مدينة كاشان الإيرانية، في منطقة تسمى (باغي فين) مشهداً على غرار الجندي المجهول، فيه قبر وهمي لأبي لؤلؤة فيروز الفارسي المجوسي، قاتل الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، حيث أطلقوا عليه ما معناه بالعربية (مرقد بابا شجاع الدين)، وبابا شجاع الدين هو لقب أطلقوه على أبي لؤلؤة لقتله عمر بن الخطاب، وقد كتب على جدران هذا المشهد بالفارسي: (مرك بر أبو بكر، مرك بر عمر، مرك بر عثمان) ومعناه بالعربية: الموت لأبي بكر، الموت لعمر،

(١) الطبقات (٣/٣٤٥) إسناده صحيح.

(٢) العليج: الواحد من كفار العجم، والجمع علوج وأعلاج وهو يعني أبا لؤلؤة.

(٣) البخاري، ك فضائل الصحابة رقم ٣٧٠٤.

(٤) البخاري، ك فضائل الصحابة رقم ٣٧٠٤.

الموت لعثمان وهذا المشهد يُزار من قبل الشيعة الإيرانيين، وتلقى فيه الأموال، والتبرعات، وقد رأيت هذا المشهد بنفسى، وكانت وزارة الإرشاد الإيرانية قد باشرت بتوسيعه وتجديده، وفوق ذلك قاموا بطبع صورة على المشهد على كارتات تستخدم لإرسال الرسائل والمكاتيب^(١).



(١) لله ثم للتاريخ كشف الأسرار وتبرئة الأئمة الأطهار ص ٩٤.

المؤامرة ضد عثمان ؓ

لما قتل عمر بن الخطاب بتلك المؤامرة الخبيثة ظن الأعداء أنهم بذلك قضوا على الإسلام وعلى حركة الفتوح الإسلامية التي اتجهت صوب بلاد الفرس والروم وأخذ تتهاوى أمامها القلاع والحصون ولكن هيهات هيهات أن يصلوا إلى هدفهم فقد تولى الخلافة من بعده ذو النورين عثمان بن عفان -رضي الله عنه- من أوقف ماله ونفسه لرفع راية الإسلام إن عهد عثمان ؓ شهد ركوب المسلمين البحر للمرة الأولى فأصبحوا يجاهدون المشركين في البر والبحر معاً.

(أمام هذه الفشل الذريع الذي حصده أعداء الإسلام في صراعهم مع المسلمين نجدهم يتجهون إلى تفعيل سلاحهم المفرق للصفوف والجماعات ألا وهو سلاح النفاق ، حيث قامت طائفة منهم بزعامة اليهودي عبد الله بن سبأ ، بادعاء الإسلام من أجل هدمه من الداخل ، وهي الخطة نفسها التي طبقها اليهودي (بولس) من قبل مع أتباع عيسى عليه السلام ، وملخص ذلك أنه عن طريق الغلو في عيسى عليه السلام تمكن اليهودي (بولس) الذي انتحل النصرانية ، من إدخال الشرك على أتباع عيسى عليه السلام بعد أن رفعه الله سبحانه وتعالى إليه ، وبذلك تمكن من إفساد عقيدتهم ، وحرفهم عن ملة التوحيد. هذا المخطط حاول ابن سبأ تطبيقه مع المسلمين ، وذلك عن طريق الغلو في علي ابن أبي طالب ؓ لكونه زوج فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووالد الحسن والحسين حفيدي المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وهذا مدخل مهم لتنفيذ مخطط ابن سبأ.

ما هي حقيقة شخصية عبد الله بن سبأ وما دوره في إشعال نار الفتنة ؟

رجل يقال له عبد الله بن سبأ: وشهرته ابن السوداء لأن أمه كانت سوداء من الحبشيات. و هو من صنعاء و كان يهودياً من يهود اليمن، أظهر الإسلام و باطنه الكفر، ثم انتهج التشيع لعلي ؓ، و هو الذي تنسب إليه فرقة السبئية الذين قالوا بالوهمية علي و خبر إحراق علي

بن أبي طالب عليه السلام لطائفة منهم تكشف عنه الروايات الصحيحة في كتب الصحاح و السنن و المساند ^(١)

فلما رأى هذا الرجل أن أمر الإسلام بدأ ينتشر بهذه الصورة و بدأ يظهر ، رأى أن هذا الأمر ليس له إلا فتنة من داخله ، و كان بمتمهى الخبث ، فأول ما بدأ ، بدأ بالمدينة ، و كانت المدينة يومها ملأى بالعلماء ، فدحر بالعلم ، كلما رمى شبهة رُد عليها ، فمن شبهه أنه أظهر بعض العقائد اليهودية ، مثل القول بالرجعة ؛ أي رجعة الرسول ﷺ و استدل بقوله تعالى **{إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ}** [القصص: ٨٥] ، و ذكر تعجبه للناس ممن يصدق رجعة عيسى عليه السلام و يكذب رجعة محمد ﷺ ، و ما كان قوله هذا إلا وسيلة للوصول إلى ما هو أكبر من ذلك ، حيث قال بعد ذلك رجعة علي [^] و أنه سيملاً الأرض عدلاً كما ملئت جوراً

لما رأى ابن سبأ لم يستطع أن يكسب شخصاً واحداً توجه نحو الشام، و كانت الشام وقتها يحكمها معاوية بن أبي سفيان [^]، فلما توجه إليها لم يستطع أن يكسب و لو رجلاً واحداً إلى صفه ، فترك الشام و توجه نحو الكوفة و إذ هي تموج بالفتن ، و مكاناً خصباً لبث شبهاته . لذلك كان عمر رضي الله عنه ولى عليها المغيرة بن شعبة [^] حيث كان من أشد الناس فني أيام عمر ما استطاعت أن تبرز في الكوفة فتنة ، و لما تولى عثمان الخلافة عزل المغيرة و عين بدلاً عنه سعيد بن العاص رضي الله عنه وكان من بني أمية فأهل الكوفة اعتبروا ذلك استغلاً للمنصب ؛ فكثرت الفتن فيها ، فعبد الله بن سبأ وجد أرضاً خصبة للفتن ، فاستطاع أن يجمع حوله جماعة ، ثم انتقل إلى البصرة فجمع فيها جماعة أخرى ، و كان عددهم على أقل تقدير عند المؤرخين ستمائة رجل ، و أقصاها ألف رجل ، ثم انتقل إلى مصر و استطاع أن يجمع ما بين ستمائة إلى الألف من الرجال ^(٢)

^(١) -المحبر لابن حبيب (ص ٣٠٨) . تاريخ الطبري (٤/٣٤٠) . و تاريخ دمشق لابن عساكر (٣/٢٩) و كتاب : ابن سبأ حقيقة لا خيال

لسعدي مهدي الهاشمي ، و كتاب عبد الله بن سبأ و أثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام لسليمان العودة

^(٢) - استشهاد عثمان و وقعة الجمل من مرويات سيف بن عمر لخالد الغيث (ص ٧٢-٨٦)

و استخدم ابن سبأ كذلك الأعراب، فذهب إليهم و بدأ يثير عندهم الأكاذيب حول عثمان و يستدل على قوله بكتب مزيفة كتبها هو و أعوانه على السنة طلحة و الزبير و عائشة، فيها التذمر على سياسة عثمان في الحكم، فصار الأعراب و هم الذين لا يفقهون من دين الله الشيء الكثير، يتأثرون بهذه الأكاذيب و يصدقونها فملئت قلوبهم على عثمان رضي الله عنه.^(١) بعد ذلك اتجه ابن سبأ إلى هدفه المرسوم ، و هو خروج الناس على الخليفة عثمان رضي الله عنه، فصادف ذلك هوى في نفوس بعض القوم فقال لهم : إن عثمان أخذ الأمر بغير حق و هذا وصي الرسول ﷺ، فانهضوا في هذا الأمر فحركوه ، و ابدؤوا بالطعن في أمرائكم و أظهروا الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر تستميلوا الناس ، و ادعوهم إلى هذا الأمر .^(٢) و يظهر من هذا النص الأسلوب الذي اتبعه ابن سبأ، فهو أراد أن يوقع في أعين الناس بين اثنين من الصحابة حيث جعل أحدهما مهضوم الحق وهو علي، وجعل الثاني مغتصباً وهو عثمان.

ثم إنه أخذ يحضّ أتباعه على إرسال الكتب بأخبار سيئة مفاجئة عن مصرهم إلى بقية الأمصار، فيتخيل أهل البصرة مثلاً أن حال أهل مصر أسوأ ما يكون من قبل واليهم، و يتخيل أهل مصر أن حال أهل الكوفة أسوأ ما يكون من قبل واليهم، و كان أهل المدينة يتلقون الكتب من الأمصار بحالها و سوءها من أتباع ابن سبأ ، وهكذا يتخيل الناس في جميع الأمصار أن الحال من السوء مالا مزيد عليه ، و المستفيد من هذه الحال هم السبئية ، لأن تصديق ذلك من الناس يفيدهم في إشعال شرارة الفتنة داخل المجتمع الإسلامي . هذا وقد شعر عثمان رضي الله عنه بأن شيئاً ما يحاك في الأمصار وأن الأمة تمخض بشراً فقال: والله إن رحى الفتنة لدائرة، فطوبى لعثمان إن مات ولم يحركها.^(٣)

والذي حصل أن أهل الفتنة أخذوا يتراسلون فيما بينهم، فلما رأوا أن عددهم قد كثر تواعدوا على أن يلتقوا عند المدينة في شوال من سنة (٣٥هـ) في صفة الحجاج، فخرج أهل

(١) —استشهاد عثمان (وقعة الجمل) من روايات سيف بن عمرو لخالد الغيث (ص: ٤٢)

(٢) — تاريخ الطبري (٣٤١/٤) ، من طريق سيف بن عمر .

(٣) — الطبري (٣٤٩/٤-٣٥٠) ، من طريق سيف بن عمر

مصر في أربع رفاق على أربعة أمراء المقلل يقول ستمائة والمكثّر يقول ألف و لم يجترئوا أن يعلموا الناس بخروجهم إلى الحرب ، و إنما خرجوا كالحجاج و معهم ابن السوداء .. و خرج أهل الكوفة في عدد كعدد أهل مصر ، و كذا أهل البصرة ، و لما اقتربوا من المدينة شرعوا في تنفيذ مرحلة أخرى من خطتهم ، فقد اتفق أمرهم أن يبعثوا اثنين منهم ليطلعوا على أخبار المدينة و يعرفوا أحوال أهلها ، ذهب الرجلان فلقيا أزواج النبي صلى الله عليه و سلم و علياً و طلحة و الزبير ، و قالوا : إنما جئنا نستعفي عثمان من بعض عمالنا ، و استأذنا لرفاقهم بالدخول ، فأبى الصحابة ، و قال علي عليه السلام : لا آمركم بالإقدام على عثمان فإن أبيتم فبيض سيفرخ ^(١)



^(١) - الطبري (٣٥١/٤) ،

مؤامرة وتهمة الرسائل

تظاهر القوم بالرجوع وهم يبطنون أمراً لا يعلمه الناس، فوصلت الأنباء إلى أهل المدينة بانصراف أهل الفتنة فهدأ الناس، وفي الليل فوجئ أهل المدينة بأهل الفتنة يدخلون المدينة من كل مكان فتجمعوا في الشوارع وهم يكبرون، فجاء علي بن أبي طالب وقال: ما شأنكم؟ لماذا عدتم؟

فرد عليه الغافقي بأن عثمان غدر بهم، قال كيف؟

قال: قبضنا على رسول و معه كتاب من عثمان يأمر فيه الأمراء بقتلنا، فقال علي لأهل الكوفة و البصرة: و كيف علمتم بما لقي أهل مصر و قد سرتهم مراحل ثم طويتم نحونا، هذا والله أمر أبرم بالمدينة، و كان أمر الكتاب الذي زور على لسان عثمان ^١ اتخذه ذريعة ليستحلوا دمه و يحاصروه في داره إلى أن قتلوه رضي الله عنه.

ومع هذا كله فالثائرون يفصحون عن هدفهم ويقولون: ضعوه على ما شئتم، لا حاجة لنا في هذا الرجل ليعتزلنا ونحن نعتزله. ^(١)

وعلاوة على ذلك هناك ما يؤكد تزوير هذا الكتاب، إذ ليس هو الكتاب الوحيد الذي يزور على لسان الصحابة، فهذه عائشة رضي الله عنها، تُتهم بأنها كتبت إلى الناس تأمرهم بالخروج على عثمان فتنفي وتقول: لا والذي آمن به المؤمنون وكفر به الكافرون ما كتبت لهم سواداً في بياض حتى جلست مجلسي هذا. ^(٢)

وما تلك اليد الخفية التي كانت تخط وراء الستار لتوقع الفرقة بين المسلمين، وتضع في سبيل ذلك الكتب على لسان الصحابة وتدبر مكيدة الكتاب المرسل إلى عامل عثمان على مصر، وتستغل الأمور لتقع الفتنة بالفعل إلا يد ذلك اليهودي الخبيث وأتباعه، فهم المحركون للفتنة.

^(١) - تاريخ الطبري (٦٥٣/٢) بتصرف ، وأنظر استشهاد عثمان ووقعة الجمل ص ٨٧-٩٩.

^(٢) - البداية والنهاية (١٩٥/٧) و انظر ما رواه الطبري من استنكار كبار الصحابة أنفسهم لهذه الكتب في أصح الروايات (٣٥٥/٤) .

موقف الخليفة المظلوم ﷺ :

لما رأى عثمان -رضي الله عنه - تلك الفتنة المظلمة أراد أن يطفى هذه الفتنة فماذا صنع ﷺ ؟

هنا استشار عثمان كبار الصحابة في أمر التخلي عن الخلافة لتهدأ الفتنة، و كان المغيرة بن الأخنس قد أشار عليه بالخلع لثلاثي يقتله الخارجون عليه، و قد سأل عثمان ابن عمر عن رأي المغيرة فنصحه بأن لا يخلع نفسه و قال له: فلا أرى لك أن تخلع قميصاً قمصكه الله فتكون سنة كلما كره قوم خليفتهم أو أميرهم قتلوه .^(١)

موقف عثمان ^ من مطالب زعماء الفتنة: لما استشار عثمان الصحابة ورأى أن المصلحة تقتضى الصبر أمام تلك المحنة وقف عثمان رضي الله عنه موقفاً آخر أشد صلابة، و هو عدم إجابته الخارجين إلى خلع نفسه من الخلافة؛ فلو أجابهم إلى ما يريدون لسنّ بذلك سنة، و هي كلما كره قوم أميرهم خلعوه، و مما لاشك فيه أن هذا الصنيع من عثمان كان أعظم

وأقوى ما يستطيع أن يفعله، إذ لجأ إلى أهون الشرين وأخف الضررين ليدعم بهذا الفداء نظام الخلافة.

كان الخارجون عليه يطلبون منه ثلاثة أمور كما جاء ذلك عند ابن سعد في الطبقات (٧٢-٧٣)، قال عثمان للأشتر: يا أشتر ما يريد الناس مني؟

قال: ثلاث ليس لك من إحداهن بدّ، قال: ما هن؟

قال: يخيرونك بين أن تخلع لهم أمرهم، فنقول هذا أمركم فاخترأوا من شئتم، وبين أن تقصّر من نفسك، فإن أبيت هاتين فإن القوم قاتلوك.

قال: أما ما من إحداهن بدّ؟

قال: لا، ما من إحداهن بدّ.

(١) - طبقات ابن سعد (٦٦/٣) بإسناد صحيح و رجاله رجال الشيخين ، و تاريخ خليفة (ص ١٧٠) بإسناد حسن

قال: أما أن أخلع لهم أمرهم، والله لأن أقدم فتضرب عنقي أحب إليّ من أن أخلع أمة محمد بعضها على بعض، وأما أن أقص من نفسي فوالله لقد علمت أن صاحبي بين يديّ قد كان يعاقبان وما يقوم بدّ من القصاص، وأما أن تقتلونني فوالله لئن قتلتموني لا تحابون بعدي أبداً ولا تصلون بعدي جميعاً أبداً ولا تقاتلون بعدي عدواً جميعاً أبداً. ولهذا احتج عثمان ^{هـ} على المحاصرين بقوله: إن وجدتم في كتاب الله -و في رواية- في الحق أن تضعوا رجليّ في قيد فضعوها^(١)

وها هو عثمان رضي الله عنه يبرئ نفسه من تلك التهم التي يدعيها هؤلاء المتأمرين عن أبي أمامة ابن سهل قال كنا مع عثمان وهو محصور في الدار وكان في الدار مدخل من دخله سمع كلام من على البلاط فدخله عثمان فخرج إلينا وهو متغير لونه فقال إنهم ليتواعدوني بالقتل آنفا قال قلنا يكفيكمهم الله يا أمير المؤمنين قال ولم يقتلونني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث كفر بعد إسلام أو زنا بعد إحصان أو قتل نفس بغير نفس فوالله ما زنيت في جاهلية ولا في إسلام قط ولا أحببت أن لي بديني بدلا منذ هداني الله ولا قتلت نفسا فبم يقتلونني قال أبو داود عثمان وأبو بكر رضي الله عنهما تركا الخمر في الجاهلية.^(٢)

عثمان رضي الله عنه يحقن دماء الأمة:

لقد تقدم كثير من الصحابة لنصرة عثمان ولكن عثمان اتخذ موقفا حاسما وقرر عدم مقاتلة هؤلاء الثوار والزم الصحابة بضبط النفس والتحلي بالحلم والأناة (فقال: أعزم على كل من رأى عليه سمعاً وطاعة إلا كفّ يده وسلاحه، فخرج كل من الحسن والحسين وعبد الله بن عمر وأصر عبد الله بن الزبير على البقاء ومعه مروان بن الحكم، فلما طلب.

^(١) - تاريخ خليفة (ص ١٧١) و أحمد في فضائل الصحابة (٤٩٢/١) قال المحقق : إسناده صحيح ، وانظر : الطبقات (٣/٦٩-٧٠) بلفظ قريب .

^(٢) - تاريخ خليفة - (ج ١ / ص ١٢٩)

عن قتادة أن زيد بن ثابت قال لعثمان: هؤلاء الأنصار بالباب يقولون: إن شئت كنا أنصار الله مرتين فقال: لا حاجة لي في ذلك كفوا. ^(١)

عن نافع أو غيره: أن ابن عمر كان يومئذ متقلدا سيفه حتى عزم عليه عثمان أن يخرج مخافة أن يقتل.

عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قلت لعثمان: اليوم طاب الضرب معك. قال: أعزم عليك لتخرجن.

عن محمد بن سيرين قال: انطلق الحسن والحسين وابن عمر وابن الزبير ومروان وكلهم شاك في السلاح حتى دخلوا الدار، فقال عثمان: أعزم عليكم لما رجعتم فوضعتم أسلحتكم ولزمت بيوتكم، فخرج ابن عمر والحسن والحسين، فقال ابن الزبير ومروان: ونحن نعزم على أنفسنا أن لا نبرح. ^(٢)

موفق أم حبيبة - رضي الله عنها -:

واستمر الحصار عليه ^٨ حتى أنهم منعوا عنه الماء، فوصل الخبر إلى أمهات المؤمنين فتحركت أم حبيبة رضي الله عنها وكانت من أقارب عثمان، فأخذت الماء وجعلته تحت ثوبها، وركبت البغل واتجهت نحو دار عثمان، فدار بينها وبين أهل الفتنة كلام فقال الأشر كذبت بل معك الماء و رفع الثوب فرأى الماء فغضب و شق الماء، قال كنانة مولى صفية: كنت أقود بصفية لترد عن عثمان فلقيها الأشر فضرب وجهه بغلته حتى مالت فقالت: ردوني و لا يفضحني هذا الكلب ^(٣)

و في رواية عند الإمام أحمد في فضائل الصحابة من طريق الحسن البصري قال: لما اشتد أمرهم يوم الدار ، قال : قالوا فمن ، فمن ؟ قال : فبعثوا إلى أم حبيبة فجاءوا بها على بغلة

^(١) - تاريخ خليفة - (ج ١ / ص ١٢٩)

^(٢) - تاريخ خليفة - (ج ١ / ص ١٢٩)

^(٣) - فضائل الصحابة (١/٤٩٢). و قال المحقق إسناده صحيح

بيضاء و ملحفة قد سترت ، فلما دنت من الباب قالوا : ما هذا ؟ قالوا : أم حبيبة ، قالوا :
والله لا تدخل ، فردوها ^(١)

ليلة مقتل عثمان -رضي الله عنه-وها هي آخر ليلة قضاها عثمان ^ فماذا رأى؟
روى الحاكم بإسناد صحيح إلى ابن عمر رضي الله عنهما أن عثمان أصبح يحدث الناس
قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال: يا عثمان! أفطر عندنا، فأصبح صائماً
وقتل من يومه ^(٢)

كيف قتل عثمان ؓ :

عن أبي سعيد مولى أبي أسيد قال: فتح عثمان الباب ووضع المصحف بين يديه، فدخل
عليه رجل فقال: بيني وبينك كتاب الله، فخرج وتركه، ثم دخل عليه آخر فقال: بيني وبينك
كتاب الله، فأهوى إليه بالسيف، فاتقاه بيده فقطعها، فلا أدري أبانها أم قطعها ولم يبينها،
فقال والله إنها لأول كف خطت المفصل

هذا ما ورد عن كيفية دخول الثوار على عثمان ؓ، و تتوزع سيوفهم دمائه الطاهرة، فأخذ
الغافقي حديدة و نزل بها على عثمان ؓ فضربه بها و ركس المصحف برجله فطار
المصحف و استدار و رجع في حزن عثمان و سال الدم فنزل عند قوله تعالى: {

فسيكفيكم الله { [البقرة / ١٣٨]، هنا أرادت نائلة زوجة عثمان أن تحميه فرفع سودان
السيف يريد أن يضرب عثمان فوضعت يدها فقطع أصابعها فولت صارخة تطلب النجدة
فضربها في مؤخرتها، و ضرب عثمان على كتفه فشقه ثم نزل عليه بخنجر فضربه تسع
ضربات و هو يقول : ثلاث لله و ست لما في الصدور ، ثم قام قتيبة فوقف عليه بالسيف ثم
اتكأ على السيف فأدخله في صدره ثم قام أشقاهم و أخذ يقفز على صدره حتى كسر

^(١) - المستدرک (٣ / ٩٩) و قال هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه ، و وافقه الذهبي و رواه أحمد في فضائل الصحابة من طريق آخر
(٤٩٧/١) قال المحقق : إسناده حسن ، و ورد بلفظ آخر عند ابن حجر في المطالب العالية (٢٩١/٤) قال المحقق : قال البوصيري رواه
البيزار و أبو يعلى و الحاكم و قال : صحيح الإسناد ، و ذكره الهيثمي في المجمع (٢٣٢/٧) و صححه الحاكم في المستدرک (١٠٣/٣) و
ذكره ابن سعد في الطبقات (٧٥/٣) .

^(٢) - تاريخ خليفة بن خياط في تاريخه (ص ١٧٤)

أضلاعه ، هنا قام غلمان عثمان بالدفاع عنه و استطاعوا أن يقتلوا كل من سودان و قتيرة ، لكن أهل الفتنة قتلوا الغلمان جميعاً و تركوا جثثهم داخل الدار ، ثم قام جماعة من الصحابة و ذهبوا إلى داره و خرجوا به و دفنوه رضي الله عنه بليل في حش كوكب ، وكانت مقبرة لليهود فاشتراها عثمان ، و هي في ظهر البقيع فدفن فيها و لم يدفن في البقيع لعدم إذن أهل الفتنة ، ثم إنه في عهد معاوية وسع البقيع و أدخل فيه المكان فصار قبر عثمان داخل البقيع (١)



(١) - معجم البلدان (٢/٢٦٢) ، انظر هذا الخبر في الطبري (٤/١٢٤) . و انظر خبر دمه على المصحف في فضائل الصحابة عند أحمد (١/٤٧٠-٤٧٣) بإسناد صحيح و تاريخ خليفة (ص١٨٨-١٩٠) و المطالب العالية (٤/٢٨٦) و موارد الظمان (٧/١٢٨) . وكتاب صدق النبأ في حقبة عبد الله بن سبأ

المؤامرة على قتل علي عليه السلام

طرف من فضائله ومناقبه عليه السلام

أخي المسلم..... بعد مقتل عثمان رضي الله عنه تولى علي عليه السلام الخلافة من بعده وهو أحق المسلمين بها لمكانته من النبي صلى الله عليه وآله ولمناقبه الكثيرة التي تؤهله للخلافة وهاك طرفاً من مناقبه ^١

قال الإمام أحمد، وإسماعيل القاضي، والنسائي، وأبو علي النيسابوري: لم يرد في حق أحد من الصحابة بالأسانيد الجياد أكثر مما جاء في علي ^(١).

وقال الحافظ ابن حجر: وكان السبب في ذلك أنه تأخر، أي آخر الخلفاء الراشدين، ووقع الاختلاف في زمانه وخرج من خرج عليه، فكان ذلك سبباً لانتشار مناقبه من كثرة من كان يبينها من الصحابة ردّاً على من خالفه، فاحتاج أهل السنة إلى بث فضائله، فكثر الناقل لذلك، وإلا فالذين في نفس الأمر أن لكل من الأربعة من الفضائل، إذا حرر بميزان العدل لا يخرج عن قول أهل السنة والجماعة أصلاً ^(٢)، وقال ابن كثير: من فضائله أنه أقرب العشرة المشهود لهم بالجنة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله نسباً ^(٣)، وقد ذكرت كثيراً من فضائله فيما مضى من البحث كل في موضعه، وإتماماً للفائدة نشير إلى مزيد من الفضائل لعلي رضي الله عنه منها:

* عن زر عليه السلام قال: قال علي: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي الأمي إلى: «أن لا يجني إلا مؤمن ولا يبغيضني إلا منافق» ^(٤).

* عن أبي إسحاق: سأل رجل البراء وأنا أسمع قال: أشهد على بدرًا؟ قال: بارز وظاهر ^(٥).

(١) فتح الباري (٧/٧١).

(٢) المراد ترتيبهم في الفضل وهو حسب ترتيبهم في الخلافة، فتح الباري (٧/٧١).

(٣) البداية والنهاية (١١/٢٩).

(٤) الصحيح المسند في فضائل الصحابة، ص (١١١).

(٥) ظاهر: أي لبس درعاً على درع، الصحيح المسند، ص (١١٢).

* عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ: كان على حراء هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير، فتحركت الصخرة فقال رسول الله: «اهدأ فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد»^(١).

* قال سعيد بن زيد: سمعت رسول الله ﷺ (يقول: «النبي في الجنة، وأبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلى في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد في الجنة، ولو شئت أن أسمى العاشر»^(٢)).

* قالت أم سلمة رضي الله عنها: سمعت رسول الله ﷺ (يقول: «من سب عليًا فقد سبني»^(٣)).

* جاء رجل إلى ابن عمر فسأله عن عثمان، فذكر محاسن عمله، قال: لعل ذلك يسوؤك؟ قال: نعم.

قال: فأرغم الله بأنفك، ثم سأله عن علي فذكر محاسن عمله.

قال: هو ذاك، بيته أوسط بيوت النبي ثم قال: لعل ذاك يسوؤك؟

قال: أجل! قال فأرغم الله بأنفك، انطلق فاجهد على جهدك^(٤).

هذه بعض الفضائل الثابتة لعلي رضي الله عنه، وأما صفاته [^]، فقد كان له صفات القائد الرباني المضحى في سبيل الله وكتابه وسنة نبيه، ونجملها في أمور ونركز على بعضها بالتفصيل، فمن أهم هذه الصفات، سلامة المعتقد، والعلم الشرعي، والثقة بالله، والقدوة، والصدق، والكفاءة والشجاعة، والمروءة، والزهد، وحب التضحية، وحسن اختياره لمعاونيه، والتواضع والحلم والصبر، وعلو الهمة والحزم والإرادة القوية، والعدل، والقدرة على التعليم وإعداد القادة، وغير ذلك من الصفات التي ظهرت للباحث في الفترة المكية في صحبته للنبي ﷺ وفي العهد المدني في غزواته مع رسول الله وحياته في المجتمع، وظهر البعض الآخر لما تسلم قيادة الدولة الراشدية وأصبح أمير المؤمنين رضي الله عنه

(١) الصحيح المسند في فضائل الصحابة، ص (١١٧).

(٢) الصحيح المسند في فضائل الصحابة، ص (١١٧).

(٣) الصحيح المسند، ص (١٢١).

(٤) المصدر السابق، ص (١٤٠).

المؤامرة الأثمة

وكان سبب قتله أن عبد الرحمن بن ملجم المرادي والبرك بن عبد الله التميمي الصريمي، وقيل اسم البرك الحجاج، وعمرو بن بكر التميمي السعدي، وهم من الخوارج، اجتمعوا فتذكروا أمر الناس وعابوا عمل ولاتهم ثم ذكروا أهل النهر فترحموا عليهم، وقالوا: ما نصنع بالبقاء بعدهم؟ فلو شربنا أنفسنا وقتلنا أئمة الضلالة وأرحنا منهم البلاد! فقال ابن ملجم: أنا أكفيكم علياً، وكان من أهل مصر. وقال البرك بن عبد الله: أنا أكفيكم معاوية. وقال عمرو بن بكر: أنا أكفيكم عمرو بن العاص.

فتعاهدوا أن لا ينكص أحدهم عن صاحبه الذي توجه إليه حتى يقتله أو يموت دونه، وأخذوا سيوفهم فسموها واتعدوا لسبع عشرة من رمضان، وقصد كل رجل منهم الجهة التي يريد؛ فأتى ابن ملجم الكوفة، فلقي أصحابه بالكوفة وكتمهم أمره، ورأى يوماً أصحاباً له من تيم الرباب، وكان علي قد قتل منهم يوم النهر عدة، فتذكروا قتلى النهر، ولقي معهم امرأة من تيم الرباب اسمها قطام. وقد قتل أبوها وأخوها يوم النهر، وكانت فائقة الجمال. فلما رآها أخذت قلبه فخطبها. فقالت: لا أتزوجك حتى تشفي لي. فقال: وما تريد؟

قالت: ثلاثة آلاف وعبداً وقينةً وقتل علي.

فقال: أما قتل علي فما أراك ذكرته وأنت تريدني.

قالت: بلى، التمس غرته فإن أصبته شفيت نفسك ونفسي ونفعك العيش معي، وإن قتلت فما عند الله خير من الدنيا وما فيها.

قال: والله ما جاء بي إلا قتل علي، فلك ما سألت. قالت: سأطلب لك من يشد ظهرك ويساعدك. وبعثت إلى رجل من قومها اسمه وردان وكلمته، فأجابها، وأتى ابن ملجم رجلاً من أشجع اسمه شبيب بن بجرة فقال له: هل لك في شرف الدنيا والآخرة؟ قال: وماذا؟

قال: قتل علي. قال شبيب: ثكلتك أمك! لقد جئت شيئاً إداً! كيف تقدر على قتله؟

قال: أكمّن له في المسجد فإذا خرج إلى صلاة الغداة شددنا عليه فقتلناه، فإن نجونا فقد شفيّنا أنفسنا، وإن قتلنا فما عند الله خير من الدنيا وما فيها.

قال: ويحك! لو كان غير علي كان أهون، قد عرفت سابقته وفضله وبلاءه في الإسلام، وما أجدني أنشرح لقتله.

قال: أما تعلمه قتل أهل النهر العباد الصالحين؟

قال: بلى. قال: فنقتله بمن قتل من أصحابنا. فأجابه.

فلما كان ليلة الجمعة، وهي الليلة التي واعد ابن ملجم أصحابه على قتل علي ومعاوية وعمرو، أخذ سيفه ومعه شبيب ووردان وجلسوا مقابل السدة التي يخرج منها علي للصلاة، فلما خرج علي نادى: أيها الناس الصلاة الصلاة.

فضربه شبيب بالسيف فوق سيفه بعضادة الباب، وضربه ابن ملجم على قرنه بالسيف، وقال: الحكم لله لا لك يا علي ولا لأصحابك! وهرب وردان فدخل منزله، فأتاه رجل من أهله، فأخبره وردان بما كان، فانصرف عنه وجاء بسيفه فضرب به وردان حتى قتله، وهرب شبيب في الغلس، وصاح الناس، فلحقه رجل من حضرموت يقال له عويمر، وفي يد شبيب السيف، فأخذه وجلس عليه، فلما رأى الحضرمي الناس قد أقبلوا في طلبه وسيف شبيب في يده خشي على نفسه فتركه ونجا، وهرب شبيب في غمار الناس.

ولما ضرب ابن ملجم علياً قال: لا يفوتنكم الرجل. فشد الناس عليه فأخذوه، وتأخر علي وقدم جعدة بن هبيرة، وهو ابن أخته أم هانئ، يصلي بالناس الغداة، وقال علي: أحضروا الرجل عندي. فأدخل عليه. فقال: أي عدو الله! ألم أحسن إليك؟ قال: بلى.

قال: فما حملك على هذا؟

قال: شحذته أربعين صباحاً وسألت الله أن يقتل به شر خلقه.

فقال علي: لا أراك مقتولاً به ولا أراك إلا من شر خلق الله.

ثم قال: النفس بالنفس، إن هلكت فاقتلوه كما قتلتني، وإن بقيت رأيت فيه رأيي، يا بني عبد المطلب لا ألفينكم تخوضون دماء المسلمين تقولون قد قتل أمير المؤمنين، ألا لا يقتلن

إلا قاتلي، انظر يا حسن إن أنا مت من ضربتي هذه فاضربه ضربةً بضربة ولا تمثلن بالرجل،
فإني سمعت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يقول: (إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور).
هذا كله وابن ملجم مكتوف.

فقلت له أم كلثوم ابنة علي: أي عدو الله! لا بأس على أبي، والله مخزيك! قال: فعلى من
تبكين؟

والله إن سيفي اشتريته بألف، وسممته بألف، ولو كانت هذه الضربة بأهل مصر ما بقي
منهم أحد (١).

ودخل جندب بن عبد الله على علي فقال: إن فقدناك، ولا نفقدك، فنباع الحسن؟
قال: ما أمركم ولا أنهاكم، أنتم أبصر، ثم دعا الحسن والحسين فقال لهما: أوصيكما بتقوى
الله ولا تبغيا الدنيا وإن بغتكما، ولا تبكيا على شيء زوى عنكما، وقولا الحق، وارحما
اليتيم، وأعيننا الضائع، واصنعا للآخرة، وكونا للظالم خصيماً، وللمظلوم ناصراً، واعملا بما
في كتاب الله، ولا تأخذكما في الله لومة لائم. ثم نظر إلى محمد بن الحنفية فقال: هل حفظت
ما أوصيت به أخويك؟ قال: نعم. قال: فإني أوصيك بمثله وأوصيك بتوقير أخويك لعظيم
حقهما عليك فاتبع أمرهما ولا تقطع أمراً دونهما. ثم قال: أوصيكما به، فإنه شقيقكما
وابن أبيكما وقد علمتما أن أباكما كان يحبه. وقال للحسن: أوصيك أي بني بتقوى الله،
وإقام الصلاة لوقتها، وإيتاء الزكاة عند محلها، وحسن الوضوء، فإنه لا صلاة إلا بطهور،
وأوصيك بغفر الذنب، وكظم الغيظ، وصلة الرحم، والحلم عن الجاهل، والتفقه في الدين،
والثبوت في الأمر، والتعاهد للقرآن، وحسن الجوار، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر،
 واجتناب الفواحش.

ثم كتب وصيته ولم ينطق إلا بلا إله إلا الله، حتى مات، رضي الله عنه وأرضاه.

(١) الكامل في التاريخ - (ج ٢ / ص ١٠٢)

وغسله الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر، وكفن في ثلاثة أثواب ليس فيها قميص، وكبر عليه الحسن سبع تكبيرات.

فلما قبض بعث الحسن إلى ابن ملجم فأحضره، فقال للحسن: هل لك في خصلة؟
إني والله قد أعطيت الله عهداً أن لا أعاهد عهداً إلا وفيت به، وإني عاهدت الله عند الحطيم أن اقتل علياً ومعاوية أو أموت دونهما، فإن شئت خليت بيني وبينه فلك الله علي إن لم أقتله أو قتلته ثم بقيت أن آتيك حتى أضع يدي في يدك.
فقال له الحسن: لا والله حتى تعين النار. ثم قدمه فقتله، وأخذته الناس فأدرجوه في بواري وأحرقوه بالنار.

قال عمرو بن الأصم: قلت للحسن بن علي: إن هذه الشيعة تزعم أن علياً مبعوث قبل القيامة! فقال: كذب والله هؤلاء الشيعة، لو علمنا أنه مبعوث قبل القيامة ما زوجنا نساءه ولا قسمنا ماله، أما قوله: هذه الشيعة، فلا شك أنه يعني طائفة منها، فإن كل شيعة لا تقول هذا إنما تقوله طائفة يسيرة منهم، ومن مشهوري هذه الطائفة: جابر بن يزيد الجعفي الكوفي، وقد انقرض القائلون بهذه المقاتلة فيما نعلمه.

وأما البرك بن عبد الله فإنه قعد لمعاوية في تلك الليلة التي ضرب فيها علي، فلما خرج معاوية ليصلي الغداة شد عليه بالسيف، فوقع السيف في أليته، فأخذ، فقال: إن عندي خبراً أسرك به، فإن أخبرتك فنافعي ذلك عندك؟

قال: نعم. قال: إن أخاً لي قد قتل علياً هذه الليلة.

قال: فلعله لم يقدر على ذلك.

قال: بلى، إن علياً ليس معه أحد يحرسه.

فأمر به معاوية فقتل.

وبعث معاوية إلى الساعدي، وكان طبيباً، فلما نظر إليه قال: اختر إما أن أحمي حديدة فأضعها موضع السيف، وإما أن أسقيك شربة تقطع منك الولد وتبرأ منها، فإن ضربتك مسمومة.

فقال معاوية: أما النار فلا صبر لي عليها، وأما الولد فإن في يزيد وعبد الله ما تقر به عيني. فسقاه شربة فبرأ ولم يولد له بعدها.

وأمر معاوية عند ذلك بالمقصورات وحرس الليل وقيام الشرط على رأسه إذا سجد، وهو أول من عملها في الإسلام. وقيل: إن معاوية لم يقتل البرك وإنما أمر فقطعت يده ورجله وبقي إلى أن ولي زياد البصرة، وكان البرك قد صار إليها وولد له، فقال له زياد: يولد لك وتركت أمير المؤمنين لا يولد له؟ فقتله وصلبه.

وأما عمرو بن بكر فإنه جلس لعمر بن العاص تلك الليلة فلم يخرج، وكان اشتكى بطنه، فأمر خارجة بن أبي حبيبة، وكان صاحب شرطته، وهو من بني عامر بن لؤي، فخرج ليصلي بالناس، فشد عليه وهو يرى أنه عمرو بن العاص، فضربه فقتله، فأخذه الناس إلى عمرو فسلموا عليه بالإمرة.

فقال: من هذا؟

قالوا: عمرو.

قال: فمن قتلت؟

قالوا: خارجة. قال: أما والله يا فاسق ما ظننته غيرك! فقال عمرو: أردتني وأراد الله خارجة.

فقدمه عمرو فقتله (١).

غلبة الهوى والجهل على كثير من مدعى الإصلاح:

تأمل أخي قول هؤلاء الخوارج الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، يقولون في علي ومعاوية وعمرو بن العاص -رضي الله عنهم أجمعين - حينما تأمروا: (اجتمعوا فتذاكروا أمر الناس وعابوا عمل ولائهم ثم ذكروا أهل النهر فترحموا عليهم، وقالوا: ما نصنع بالبقاء بعدهم؟

فلو شربنا أنفسنا وقتلنا أئمة الضلالة وأرحنا منهم البلاد!)

(١) - الكامل في التاريخ - (ج ٢ / ص ١٠٣)

هؤلاء الخوارج لو أنفق أحدهم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد واحد من هؤلاء الثلاثة ولا نصيفه ، ووالله للحظة واحدة منهم مع رسول الله ﷺ خير من الدنيا وما فيها ، ولكن أهل الباطل والهوى انقلبت عندهم الموازين فأضحى الحق باطلاً والباطل حقاً ، فالذين يجاربون السنة ويصفون أهلها بالتشدد والتطرف هم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، والذين يجاربون الحجاب ويضيقون الخناق على المسلمات يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، والذين يظلمون رعاياهم ويقترون على في معاشهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، ولما لا وقدوتم في ذلك فرعون اللعين حيث قال في موسى الكليم -عليه السلام- **(وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ)** (٢٦) (غافر) يقول سيد قطب -رحمه الله- ولعله من الطريف أن نقف أمام حجة فرعون في قتل موسى: **{ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ } . .** فهل هناك أطرف من أن يقول فرعون الضال الوثنى، عن موسى رسول الله -عليه السلام- **{ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ } !!؟** أليست هي بعينها كلمة كل طاغية مفسد عن كل داعية مصلح؟ أليست هي بعينها كلمة الباطل الكالح في وجه الحق الجميل؟ أليست هي بعينها كلمة الخداع الخبيث لإثارة الخواطر في وجه الإيمان الهادئ؟ إنه منطق واحد، يتكرر كلما التقى الحق والباطل، والإيمان والكفر، والصلاح والطغيان على توالي الزمان واختلاف المكان، والقصة قديمة مكررة تعرض بين الحين والحين. فأما موسى عليه السلام فالتجأ إلى الركن الركين والحصن الحصين، ولاذ بالجناب الذي يحمي اللائذين، ويجير المستجيرين **{ وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ }** [غافر: ٢٧] قالها . واطمأن . وسلم أمره إلى المستعلي على كل متكبر، القاهر لكل متجبر، القادر على حماية العائذين به من المستكبرين . وأشار إلى وحدانية الله ربه وربهم لم ينسها أو يتركها أمام التهديد والوعيد. كما أشار إلى عدم الإيمان بيوم الحساب.

فما يتكبر متكبر وهو يؤمن بيوم الحساب، وهو يتصور موقفه يومئذ حاسراً خاشعاً خاضعاً ذليلاً، مجرداً من كل قوة، ما له من حميم ولا شفيع يطاع^(١)

رغم الخلاف الذي كان بين علي - رضي الله عنه - ومعاوية رضي الله عنه إلا أنهم كانوا متحابين في الله سبحانه وتعالى - واليك الدليل على ذلك أثر مقتل علي على معاوية - رضي الله عنهما مقتل علي: ولما جاء خبر قتل علي إلى معاوية جعل يبكي، فقالت له امرأته أتبكيه وقد قاتلته؟ فقال: ويحك إنك لا تدريين ما فقد الناس من الفضل والفقه والعلم^(٢)، وكان معاوية يكتب فيما ينزل به يسأل له علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - عن ذلك، فلما بلغه قتله قال: ذهب الفقه والعلم بموت ابن أبي طالب، فقال له أخوه عتبة: لا يسمع هذا منك أهل الشام، فقال له: دعني عنك^(٣)، وقد طلب معاوية، ^٨ في خلافته من ضرار الصدائي أن يصف له علياً، فقال: اعفني يا أمير المؤمنين قال: لتصفه، قالك أما إذ لا بد من وصفه فكان والله بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلاً^(٤)، ويحكم عدلاً، يتفجر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه، ويستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل ووحشته، وكان غزير العبرة، طويل الفكرة، يعجبه من اللباس ما قصر، ومن الطعام ما خشن، وكان فينا كأحدنا، يجيبنا إذا سألناه، وينبئنا إذا استنبأناه، ونحن والله - مع تقريبه إيانا وقربه منا - لا نكاد نكلمه هيبه له، يعظم أهل الدين ويقرب المساكين، لا يطمع القوى في باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله، وأشهد أنني قد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله^(٥)، وغارت نجومه، قابضاً على لحيته، يتململ تلمل السليم، ويبكي بكاء الحزين، ويقول: يا دنيا غري غيري، إلى تعرضت أم إلى تشوفت! هيهات هيهات، قد باينتك ثلاثاً لا رجعة فيها، فعمرك قصير، وخطرك قليل، آه من قلة الزاد، وبعد السفر، ووحشة الطريق،

(١) - في ظلال القرآن - (ج ٦ / ص ٢٥٤)

(٢) البداية والنهاية (٨ / ١٣٣).

(٣) الاستيعاب (٣ / ١١٠٨).

(٤) المصدر نفسه (٣ / ١١٠٧).

(٥) سدوله: سدلته.

فبكى معاوية وقال: رحم الله أبا الحسن، كان والله كذلك، فكيف حزنك عليه يا ضرار؟ قال: حزن من ذبح ولدها وهو في حجرها^(١).

عن هبيرة بن يريم، قال: سمعت الحسن بن علي، قام، فخطب الناس، فقال: «يا أيها الناس، لقد فارقكم أمس رجل ما سبقه ولا يدركه الآخرون، لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعثه المبعث، فيعطيه الراية، فما يرجع حتى يفتح الله عليه، جبريل عن يمينه، وميكائيل عن شماله، ما ترك بيضاء ولا صفراء إلا سبع مائة درهم فضلت من عطائه، أراد أن يشتري بها خادما»^(٢).



(١) الاستيعاب (٣/ ١١٠٨).

(٢) رواه أحمد وابن حبان في صحيحه (ج ٢٨ / ص ٤١٤) وصححه الألباني في الصحيحة رقم ٢٤٩٦.

الفصل الرابع

الحروب الصليبية والمؤامرة على الإسلام والمسلمين

أخي المسلم: بعد أن تعرفنا في الفصول السابقة على المؤامرة على الإسلام عبر العصور نطوى التاريخ طياً لنشاهد تلك المؤامرات التي قام بها النصارى في حروبهم التي لا تحمل إلا العنف وإراقة الدماء والاستيلاء على الثروات وفرض العقيدة النصرانية على الشعوب) فقد شهد نهاية القرن الحادي عشر ما أطلق عليه بالحملات الصليبية، وهي غزوات استعمارية شنتها أوروبا في الشرق، حيث قامت هناك بتأسيس كيانات ودول إقطاعية مؤقتة هناك حسب النموذج الأوروبي، ولكن ما لبثت الأقطار العربية في المشرق أن واجهتها وخاضت ضدها نضالاً متحداً وقاومتها، من أجل (تحرير القبور المقدسة) في القدس، كما جاء ذلك في نداء البابا أوربان الثاني عام ١٠٩٦م في بلدة مونت كلير الفرنسية، تحركت مجموعات ضخمة من جيوش للإقطاع الأوربية ومن الفرسان، ومن جموع من المتدينين (كنائسين) وكذلك من الشخصيات المعتمدة، ومن الفلاحين العبيد (المملوكين) والمغامرين ومقطوعي الجذور. وإذا لم يكن ممكناً هنا أن نورد الأسباب المختلفة لحركة الغزوات الصليبية في أوروبا، (وبنفس المعنى كانت تدور الحملات ضد العرب في أسبانيا) (الاستعادة) Reconquista، في توسع للإقطاع نحو الشرق)، ولكن ليس من العسير أن نثبت بأن المصالح السياسية والاقتصادية لمختلف الطبقات والفئات والمؤسسات كانت كامنة ومستترة خلف الشعارات الدينية.

وقد بنى غالبية الإقطاعيين الصغار والمتوسطين وكذلك الفرسان، آمالهم وعولوا على كسب أراضي واسعة وعلى غنائم وفيرة. أما الفلاحون المملوكون كانوا يأملون بأنهم ربما سينجحون في سحق الإقطاعيين، كما كانت الكنيسة البابوية تسعى إلى توسيع سلطاتها وتثبيت موقعها القيادي لمسيحي الشرق الذين ينتمون إلى مختلف الطوائف والمذاهب المسيحية. فيما كان التجار الأوروبيون يسعون في المدن الإيطالية مثل جنوة، بيزا، البندقية، من خلال الدعم لحركة الغزوات الصليبية، وتقوية مواقعهم بكل السبل في منطقة شرق البحر المتوسط في وجه المنافسة البيزنطية والمصرية الحاسمة.

وكانت المقدمات الأساسية لنجاح الحملات الصليبية تمثلت في سقوط مركزية الدولة الواحدة، السلجوقية في الشرق العربي، بالإضافة إلى الشلل السريع المتنامي للدولة الفاطمية في مصر على الصعيد السياسي والعسكري، وبما يقارب ذلك في المدن السورية وفي بلاد ما بين النهرين، حيث كان السلاجقة الأتابكيون والأمراء وزعماء القبائل في صراع شديد فيما بينهم. وأخيراً في المساعدة الطبيعية لهم من جيوش الدولة البيزنطية التي كانت تنتظر هذه المناسبة منذ أجيال.

أما الخليفة العباسي في بغداد فكان منهمكاً في النضال من أجل استعادة ورفع مكانة وهبة مؤسسة الخلافة ضد السلاجقة في العراق، فلم يكن يمتلك النية ولا الوسائل لإعلان الجهاد (الحرب المقدسة) للمسلمين ضد غير المؤمنين (الكفار). كما استغل الحكام الفاطميون في مصر من جانبهم الانتصارات الصليبية الأولى في المعارك ضد السلاجقة في آسيا الصغرى وشمال سورية، في الأراضي الفلسطينية، فأفصحوا عن نواياهم ورؤيتهم باقتراحاتهم تقسيم سورية وفلسطين فيما بينهم وتشكيل جبهة موحدة ضد السلاجقة.

وكانت الأقسام المختلفة للحملة الصليبية قد اتحدت عام ١٠٩٧ م في القسطنطينية، وبدأت الزحف عبر آسيا الصغرى، حيث استولت على المقر الرئيسي للسلاجقة في نيسا Nicaa ثم اتخذت طريقها عبر كليكية الأرمنية باتجاه سورية على الرغم من أن الظروف المناخية كانت قاسية بصفة خاصة على الفرسان الثقيلين بالدروع مما زاد في حجم الصعوبات سواء للعربات (كان الكثير من الفرسان قد اصطحبوا عائلاتهم وخدمهم معهم) أو من الهجمات الخفيفة المستمرة، وقد تمكنت القطعات السلجوقية المتحركة بفاعلية من إعاقة تقدم الجيوش الصليبية التي بدأت تتقدم ببطء في جبهة دفاع مغلقة. وبعد ذلك تمكنت القوات الصليبية من احتلال مدينة اديسا Edessa الاستراتيجية المهمة، حيث أسس هناك بالدوين فون بولون Balduin Von Boullon دوقية فيها. وثم سقطت مدينة أنطاكية بسبب خيانة ضابط أرمني بعد حصار دام ثمانية أشهر. وهكذا جرى احتلال هذه المدينة التي شهدت مذابح للمسلمين، كما قام المسيحيون بنهب وسلب السكان المحليين. و بصرف

النظر عن التنازل الشكلي الذي قدمه قيصر بيزنطة أسس نورمان بوموند فون تارنت Norman Bohemund Von Tarent في أنطاكية أيضا إمارة.

وبهاتين الإمارتين مكث الكثير من قادة الحرب الصليبية في المناطق المحتلة دون أن يظهروا أي اهتمام باحتلال القدس.^(١)

ثم إن الجيوش الجرارة التي لا تحمل في صدرها إلا البغض للإسلام وأهله واصلت الزحف نحو البلاد الإسلامية (تعرض الوطن العربي في العصور الوسطى لأحد أهم إفرازات المجتمع الأوربي آنذاك، وهي الحركة الصليبية، حيث أقام البابا أربان الثاني بالدعوة للحركة الصليبية أثناء انعقاد مجمع كلير مونت بفرنسا عام ١٠٩٩ م. وبعد أن انتهى البابا من إلقاء خطبته على جموع المسيحيين هناك، والتي انطوت على الكثير من المحاور التي ألهمت مشاعرهم، من ذلك الوعد بغفران خطايا كل من يذهب لتحرير القبر المقدس في بيت القدس، علاوة على إغرائهم بما تتميز به فلسطين من خيرات، وقام بتذكيرهم بكلام الكتاب المقدس الذي وصفها بأنها (بلاد اللبن والعسل).

وبعد أن انتهى البابا من خطبته الملهبة، كانت مشاعر مستمعيه قد وصلت إلى ذروتها، وصاحوا جميعاً Deus Volt أي (أنها إرادة الرب). وقام كل منهم بتمزيق جزء من ملابسه من أجل صناعة صليب من القماش تم وضعه على الصدر، لكي يعبر عن حامله باعتباره من (جند الرب) الذين سيتوجهون إلى الشرق من أجل انتزاع القبر المقدس من أيدي المسلمين.

ويمكن للباحثين المتخصصين في تاريخ أوروبا في العصور الوسطى إدراك الدوافع الحقيقية للبابوية وراء الدعوة للحركة الصليبية في نهاية القرن الحادي عشر الميلادي. فقد اعتقدت البابوية - وكان معها الكثير من الحق - أن الدعوة للحركة الصليبية هي بمنزلة المفتاح السحري الذي يمكنه فك رموز العديد من المشاكل السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي نشبت في أوروبا في العصور الوسطى .

(١) - كتاب "تاريخ العرب منذ البدايات وحتى العصر الراهن" فريق من المستشرقين برئاسة بروفيسور دكتور لوثر راتمان، نقلا عن موقع

التاريخ <https://secure25.nocdirect.com/~altareek/doc>

ففي إطار النزاع الديني -العلماني بين الكنيسة (بيت الرب) والملوك والأمراء العلمانيين، وجدت البابوية في الدعوة الصليبية خطوة لكسب خطوات جديدة في مواجهة العلمانيين، الذين لم يكن بوسع معارضة الدعوة، أو حتى التقاعس عنها في مواجهة عقوبة الحرمان الكنسي التي أُنذِر بها البابا الرافضين والمتقاعسين عن نصره (جيش الرب). وكان النظام الإقطاعي هو المهيمن على مقدرات الحياة الاقتصادية والاجتماعية في أوروبا في العصور الوسطى، على الرغم من اختلاف آلياته من منطقة لأخرى، وبشكل عام اعتمد النظام الإقطاعي على رابطتي السيادة والتبعية، وظهر الكثير من العيوب بداخله، أبرزها وراثته الابن الأكبر فقط لإقطاع أبيه، مما أوجد حالة من الفراغ لدى الفرسان الآخرين الذين حاولوا إيجاد إقطاعات جديدة لهم عن طريق القيام بعمليات السلب والنهب لإقطاعات الآخرين، مما أدى في النهاية إلى غرق الغرب الأوروبي في فوضى النزاعات، وإلى نشوب القتال بشكل شبه يومي بين الفرسان، وجدت آنذاك ما اصطلح على تسميته بحالة الجوع إلى الأرض.

وفكر البابا أربان في إيجاد سريع لإيقاف نزيف الدماء المسيحية، وقامت الكنيسة بإيجاد عدة صيغ لوقف القتال مثل سلام الرب وهدنة الرب، تحظر على الفرسان ممارسة عمليات القتل في أشهر معينة من السنة، ثم في أيام معينة من الأسبوع. وعلى الرغم من هذا فقد فشلت قرارات الكنيسة في الحد من عمليات القتل المتبادلة بين الفرسان المسيحيين من أجل الحصول على أراض جديدة، مما دعا البابا إلى محاولة حل المشكلة عن طريق تصديرها نحو العالم الإسلامي، ليحقق للبابوية أكثر من مكسب، ولتظل هي الأعلى كعباً في إطار الصراع الديني -العلماني في أوروبا، والذي نشب منذ اعتراف الإمبراطور قسطنطين بالمسيحية.

ويمكن تخيل المجتمع الأوروبي آنذاك على هيئة مثلث، يمثل الذين يصلون رجال الكنيسة والذين يملكون السادة الإقطاعيون ضعليه، بينما يمثل الذين يعملون الفلاحون والأقنان قاعدته.

ولعل هذا ما يفسر لنا أن ردة الفعل المباشرة إزاء دعوة البابا أربان في التوجه نحو فلسطين أرض اللبن والعسل جاءت من الفلاحين والأقنان، الذين استغلوا خطبة البابا للتخلص من نير عبوديتهم، والتوجه نحو إقامة حياة جديدة في الشرق العربي. وبالفعل خرج الفلاحون مباشرة نحو الشرق بعد خطبة البابا أربان مباشرة. وعرفت حملتهم بحملة الفلاحين أو الحملة الصليبية الشعبية، ووصلت إلى القسطنطينية حيث العداء المذهبي بين بيزنطة والغرب الأوروبي، ثم قام الإمبراطور البيزنطي الكسيوس كومنينوس بنقلهم إلى آسيا الصغرى، لتلقفهم سيوف الأتراك السلاجقة محترفي القتال، وتقوم بحصدهم جميعاً إلا ما ندر.

وفي الوقت الذي وصلت فيه حملة الفلاحين إلى نهايتها المروعة كان أمراء الغرب الأوروبي وعلى رأسهم جودفري البوايواني دوق اللورين، وريموند كونت تولوز، وروبرت كونت نورماندي، بالإضافة إلى بوهيموند النورماني قد استعدوا للقيام بحملتهم العسكرية التي عرفت بالحملة الصليبية الأولى، وقام الإمبراطور البيزنطي بمساعدتهم ونقلهم إلى آسيا الصغرى، حيث تمكنوا من هزيمة الأتراك السلاجقة عام ١٠٩٧ م، ثم واصلوا تقدمهم نحو الشام فاستولوا على أنطاكية عام ١٠٩٨ م. وأخذوا في زحفهم حتى وصلوا إلى أسوار مدينة القدس في يونيو ١٠٩٩ م.

وقبل وصول الصليبيين مباشرة قام المسلمون بطمر آبار المياه حول القدس وتغيير مجرى الينابيع، بحيث لم يجد الصليبيون سوى بعض المياه من بئر عند سفح جبل صهيون، وكانت تنفذ بسرعة لشدة تراحمهم عليها، لدرجة أنهم كانوا يدفعون بعضهم بعضاً داخلها، مما أدى إلى معاناة الصليبيين من العطش، وإلى نفق العديد من خيولهم، وإلى سقوط العديد منهم مرضى بجوار العين، وانتشرت رائحة نتنه جراء نفق الحيوانات فجلبت العديد من الأمراض لهم، الأمر الذي دفع الصليبيين إلى محاولة إيجاد مصدر آخر للمياه عبر الممرات الخطيرة في التلال المجاورة للقدس، وهو ما استغله المسلمون فنصبوا لهم العديد من الكمائن، وقتلوا منهم الكثير.

كما عمل المسلمون أيضاً على نقل الأمراض إلى المعسكر الصليبي عن طريق إفساد وتسميم مياه العيون القريبة. كما قام البدو المسلمون خارج القدس بجمع كل ما يملكونه من حصاد وماشية وتخبثته في الكهوف والمغارات حتى لا يقع في أيدي الصليبيين. وأدى هذا الأسلوب من المقاومة إلى انتشار الجيش الصليبي كله في مناطق الريف المجاور لمدينة القدس، من أجل جمع المؤن وضمان إمدادات المياه، وهو الأمر الذي أدى إلى انشغالهم، بحيث تأخروا في صناعة آلات الحصار الخشبية، وضاع من وقتهم الكثير قبل التأهب لاقتحام مدينة القدس.

وظل الصليبيون شهراً تحت أسوار بيت المقدس، في الاستعداد لاقتحامها، واستغلوا حصارهم لها في بناء آلات الحصار، وبعد ذلك بدأت المحاولات الصليبية الجدية لاقتحام أسوار المدينة، فحاصر الدوق جودفري وكونت الفلاندر وكونت نورماندي القدس من الجانب الشمالي، بينما عسكر الكونت ريموند غربي المدينة، وفرضوا حصارهم عليها من معسكر الدوق وحتى جبل صهيون.

بعد أن قام الصليبيون بتشييد العديد من آلات الحصار الخشبية وبدأوا بتشديد هجومهم على القدس، أجبر المسلمون على التقهقر نحو الأسوار الداخلية بعد سقوط السور الخارجي في أيدي الصليبيين، الذين نجحوا أيضاً في تسليق بعض الأسوار الداخلية، لكن المسلمين تداركوا أمرهم ونجحوا في رد الصليبيين على أعقابهم، ونجحوا في تكبيدهم العديد من القتلى.

هجوم متواصل

وقام المسلمون بهجوم مضاد من أجل إحراق آلات الحصار الخشبية، التي نجحت في هدم أجزاء كبيرة من سور مدينة القدس، فأخذوا في رميها بالسهام والأحجار، كما عمدوا إلى قذفها بجرار هشة مليئة بالنار والكبريت والقطران والزيت، وكذلك الدهون والشمع والخشب اليابس، وكل ما يصلح أن يكون وقوداً يذكي النار اشتعالاً. مما أسفر عن حدوث خسائر فادحة للصليبيين.

وبدأ اليأس يتسلل إلى نفوس الصليبيين بعدما رأوا التدمير التام الذي طال بعض آلات الحصار، والدخان المنبعث من آلات الحصار، والدخان المنبعث من الآلات الأخرى، ولم يجد الصليبيون بدا من سحب تلك الآلات إلى الخلف من أجل إصلاحها، ثم معاودة الهجوم في اليوم التالي، أما المسلمون فقد ارتفعت معنوياتهم، وبدأوا يشعرون باقتراب النصر.

وإزاء ازدياد موقف الصليبيين حرجاً، أمر جودفري البوايواني رجاله بالعودة مرة أخرى إلى ساحة القتال، وبدأوا وفي الهجوم من جديد على أسوار القدس الشمالية. وفي الوقت نفسه كان كونت تولوز ورجاله يهاجمون أسوار القدس من ناحية الجنوب بنفس الضراوة، وظلوا يعملون لمدة ثلاثة أيام في ردم الخندق المجاور لسور المدينة، ثم نجحوا في تثبيت إحدى آلات الحصار بالسور، وجعلوها في وضع يحل كلا من المدافع المسلم الموجودة داخل الأبراج، والصليبي الموجود في آلة الحصار قادراً على أن يطول الواحد منهما الآخر برمح فيصيبه، وعمت الحماسة أرجاء المعسكر الصليبي.

ونتيجة للهجوم الصليبي الكبير، نجح فرسان الدوق جودفري في تخطيط التحصينات الخارجية الشمالية للقدس، وعلى حين أصيب المسلمون بخسائر فادحة، ونالهم الإرهاق الكبير، اقترب الجنود الصليبيون من الأسوار، واقتصر المسلمون على مهاجمتهم من المنافذ الصغيرة بالأسوار.

وأمر جودفري جنوده في أعلى آلات الحصار بإضرام النيران في زكائب القش والحشايا القطنية، ثم هبت رياح الشمال فزادت اللهب ضراماً، وانعقدت سحابة من الدخان الكثيف ساقتها الريح نحو المدينة، حتى أن الذين كانوا يحاولون الدفاع عن السور عجزوا عن فتح أفواههم أو عيونهم، فأصابهم الاضطراب، واختلط عليهم الأمر جراء سحب الدخان الأسود.

وعندما رأى جنود الحملة الصليبية الأولى استيلاء الدوق جودفري على أبراج مدينة القدس، بادروا إلى نصب ما لديهم من أسلحتهم على الأسوار، واندفع الكثيرون نحو ارتقاء

الأسوار والالحاق بجودفري، الذي أمر بسرعة النزول داخل المدينة والاتجاه نحو الباب الشمالي الذي كان يعرف باسم باب القديس ستيفن، لفتحه أمام الجنود الصليبيين. ولم يدرك كونت تولوز ورفاقه حتى ذلك الوقت أن جودفري قد نجح في اقتحام مدينة القدس، غير أن هتافات الصليبيين العالية وهم يدخلون المدينة، أشعرت المسلمين أن الصليبيين نجحوا في اقتحامها عنوة، فتخلوا عن الأبراج والحصون، واعتصموا بقلعة القدس، لأنها كانت أقرب المواقع إليهم.

السقوط الفاجع

ودخل الصليبيون مدينة القدس دون مقاومة من جانب المسلمين الذين أخذتهم المفاجأة، وما كاد الصليبيون يرون أنفسهم داخل المدينة حتى قاموا بفتح الباب الجنوبي للقدس على مصراعيه، وأدخلوا باقي جنود الحملة الصليبية الأولى، وعلى رأسهم ريموند كونت تولوز، والعديد من النبلاء والأساقفة، ثم سارت هذه الجموع وهي مسلحة تمام التسليح وانتشرت في كل ناحية من نواحي القدس، وليس لها من هدف سوى بث الدمار والرعب في أوساط المسلمين الذين اضطروا إلى الهرب إلى أطراف المدينة. وشهدت أرجاء القدس مذبحه فظيعة وشنيعة، وكان الدم المسفوك مخيفاً، حتى أن المنتصرين أنفسهم ساورهم الإحساس بالخوف وشعروا بالتقزز.

وحاول المسلمون في المنطقة القريبة من جبل صهيون إبداء المقاومة، وقاتلوا قوات ريموند بشراسة، كما لو كانت الهزيمة لم تدركهم بعد، ولكن بلا جدوى، وسفك الدوق جودفري والكونت ريموند وتانكرد النورماني كمية لا تصدق من دماء المسلمين، وأنزل رفاقهم آلاماً شديدة بهم، وعلى حد قول المؤرخ ريموند الأجويلري الذي كان مصاحباً للحملة الصليبية الأولى أنه بعد سقوط بيت المقدس تم قطع رؤوس بعض المسلمين، بينما اخترقت السهام رؤوس الآخرين، وعذب آخرون لوقت طويل، ثم أحرقوا حتى الموت في اللهب المتأجج، وتكدست الرؤوس والأيدي والأقدام، في الطرقات والبيوت، وكان الفرسان الصليبيون يجرون جيئة وذهاباً فوق الجثث.

وارتكب الصليبيون لدى اقتحامهم مدينة القدس يوم الجمعة الخامس عشر من يوليو ١٠٩٩ م مذبحاً من أبشع المذابح التي ارتكبت في تاريخ الإنسانية، عبروا من خلالها عن حقدهم الدفين تجاه المسلمين، وكذلك عبروا أيضاً من خلالها عن استمرارية تعطش البرابرة الجرمان (أجدادهم)، للدماء، وعن السلوك البربري الذي سيطر على جنود الحملة الصليبية لدى خروجهم من الغرب الأوروبي وحتى اقتحامهم لمدينة القدس.

ويذكر المؤرخ الصليبي وليم الصوري أن المسلمين قد لجئوا إلى الاحتماء بمسجد عمر بن الخطاب من هول الكارثة، لكن الصليبين انطلقوا وراءهم، وأعملوا القتل فيهم، ولم تأخذهم رحمة بأحد حتى النساء والأطفال والشيخوخ، حتى فاض المكان كله بدماء الضحايا. كما يذكر أيضاً المؤرخ الصليبي فوشيه الشارترى - المعاصر لاقتحام القدس - تفاصيل تلك المذبحة المروعة التي جرت في مسجد عمر بن الخطاب، فيذكر ذبح الصليبيين لعشرة آلاف مسلم حول المسجد وبداخله، فيقول: ولو أنك كنت موجوداً هناك لغاصت قدماك حتى العقبين في دماء المذبوحين. ترى ماذا أقول؟

لم نترك منهم أحداً على قيد الحياة، ولم ينج حتى النساء والأطفال. وهو ما يؤكد عليه أيضاً المؤرخ ريموند الاجويلري - الذي كان شاهد عيان أيضاً - فيكتب.. خاض الصليبيون في رواق مسجد عمر بخيولهم، حتى وصلت دماء المسلمين إلى ركبهم، وإلى سروج خيولهم...

وأجمع مؤرخو الحملة الصليبية الأولى: فوشيه الشارترى والمؤرخ المجهول، وريموند الاجويلري، وبطرس توديبود على بشاعة المذبحة التي قام بها الصليبيون تجاه مسلمي القدس في مسجد عمر بن الخطاب.

الصليبيون يقومون بالذبح

ولم يكتف الصليبيون بذلك، بل انطلقوا للبحث عن المسلمين المختبئين من أجل الإجهاز عليهم فالتجأ بعض المسلمين إلى أعلى مسجد عمر وفضلوا إلقاء أنفسهم من عليه بدلاً من الاستسلام لسيوف الصليبيين. وصدرت الأوامر بعد ذلك بطرح جثث المسلمين خارج القدس، وأمر الصليبيون بعض المسلمين الذين قيضت لهم الحياة بسحب الجثث خارج

المدينة وطرحها أمام الأبواب، ثم إشعال النيران بها. وبلغ من كثرة عدد جثث المسلمين أن المؤرخ وليم الصوري ذكر أن أكوام الجثث قد حاذت البيوت ارتفاعاً، وما تأتي لأحد أن سمع أو رأى مذبحاً كهذه.

ويذكر المؤرخ فوشيه الشارترى مدى جشع الصليبيين ولا إنسانيتهم، فيكتب: قام الفرسان والمشاة الصليبيون بشق بطون القتلى المسلمين، لكي يستخرجوا من المعدة والأمعاء العملات الذهبية التي كانوا قد ابتلعوها وهم أحياء...

وبعد أن انتهى الصليبيون من تلك المذبحة المروعة، اقتحموا بيوت المسلمين بالقدس، واستولوا عليها وعلى كل ما بداخلها، ومضى مغتصب كل منزل يدعي أن المنزل الذي اقتحمه إنما هو ملك خاص له بكل ما احتواه، لا ينازعه فيه أحد.

ويرجع هذا السابق اتفاق الصليبيين قبيل غزو مدينة القدس على أن من يسرع بامتلاك أحد المنازل أولاً، يجب ألا ينازعه فيه أحد، لذلك سارعت جموع الصليبيين بالاستيلاء على منازل المسلمين بالقدس، وكان كل صليبي يقوم بتعليق سلاحه على المنزل الذي اغتصبه حتى لا يتوقف بالمكان أحد، بل عليه أن يتجاوزه فقد صار ملكاً لغيره، وهكذا اتفق الصليبيون على هذا النمط من حقوق الملكية بالقدس.

ومنذ الساعات الأولى لسقوط القدس، قرر الصليبيون تشديد الحراسة على الأبراج والأبواب خوفاً من قيام المسلمين خارج المدينة بهجوم مباغت، واتفقوا على أن تظل هذه الحراسة لحين انتخاب حاكم صليبي لمدينة القدس.

وعندما شعر الصليبيون باستتباب الأمور لهم بالقدس، وضعوا السلاح جانبا، وتجمعوا مرتدين نظيف ثيابهم، وساروا حفاة في خشوع ومذلة يطوفون بالآماكن الطاهرة التي مشى عليها المسيح - عليه السلام - وراحوا يقبلون تلك البقاع قبلات ممزوجة بالزفرات والدموع، والتقى الجميع بكنيسة القيامة، حيث أخذوا ينشدون الأناشيد الدينية، ويرتلون الأغاني المقدسة، ويحملون الصلبان وأثار القديسين.

وأخذ الكثير من الصليبيين يكون وهم يعترفون بآثامهم للسيد المسيح، ويقطعون العهد على أنفسهم بعدم تكرارها. ثم قام الأساقفة والقساوسة بعد ذلك بإقامة الاحتفالات بالقداس في الكنائس، وقاموا بتقديم الشكر للرب على مساعدته لهم في اقتحام القدس. وظلت مدينة القدس في أيدي الصليبيين منذ يوم الجمعة الخامس عشر من يوليو عام ١٠٩٩ م، الثالث والعشرين من شعبان ٤٩٢هـ، حتى نجح صلاح الدين الأيوبي في استردادها بعد انتصاره على الصليبيين في موقعة حطين ١١٨٧ م، حيث دخلها فاتحاً ومسترداً، ويوم الجمعة أيضاً ٢ أكتوبر عام ١١٨٧ م، ٢٧ رجب ٥٨٣هـ، في ليلة الإسراء والمعراج، وضرب صلاح الدين المثل الواضح والكبير في الفارق بين الحضارة الإسلامية والحضارة الأوروبية في العصور الوسطى، فعلى حين خاض الصليبيون حتى أعقابهم في دماء المسلمين، فإن المجاهد المسلم صلاح الدين أرسل رجاله للمناداة في شوارع القدس بعدم الاعتداء على الصليبيين العزل وعدم الاعتداء على منازلهم، وكذلك عدم اغتصاب ممتلكاتهم، وحض المسلمين على شراء ممتلكاتهم منهم.

كذلك أمر صلاح الدين الأيوبي، بدفع فدية عمن لا يستطيع اقتداء نفسه من الصليبيين وبلغت سماحة الدين مداها حين تغاضى في النهاية عن حمل الصليبيين معهم لثرواتهم، وللذهب والفضة والأحجار الكريمة والتحف التي امتلأت بها كنائس القدس وبيوت الصليبيين، فأمر بعدم مصادرتها أو التعرض لها، مبدياً روحاً تساهلية أدهشت الصليبيين والمسلمين، ومظهر الفارق الضخم بين سماحة وكرم ونصاعة الإسلام، مقابل بربرية الغرب الأوربي في العصور الوسطى.^(١)

دوافع الحروب الصليبية وعوامل نجاحها

كان العالم الإسلامي قبيل فترة الحروب الصليبية يعاني من الفرقة والانقسام، ويعيش وضعاً سياسياً واقتصادياً وأمنياً صعباً، تتوزع مناطقه الولاءات ما بين الخلافة العباسية في بغداد، والخلافة الفاطمية في القاهرة، والخلافة الأموية في الأندلس، فيما عاشت عدة مدن ومناطق

^(١) - <https://secure25.nocdirect.com/~altareek/doc->

في بلاد الشام تحت حكم عدد من الأمراء الضعفاء، أو الأمراء شديدي الدهاء، ممن لا يعرفون إلا مصالحهم الخاصة، بل لعله من أسوأ ما حدث في هذا الشأن، هو تحالف بعض أمراء الأقطار الإسلامية مع الغزاة الفرنجة وهم في طريقهم نحو احتلال أراضي العرب والمسلمين، فضلاً عن العوامل المذهبية التي كان لها دور بارز في زيادة حدة التوتر والانقسامات والمساهمة في تمزيق أوصال الدولة العربية الإسلامية.

هذا ما كان عليه باختصار الواقع في عالمنا الإسلامي الذي شجع على استهدافه من قبل القوى الطامعة، ولكن يبقى السؤال: لماذا قام الغرب بغزو الشرق العربي والإسلامي؟ وما هي الدوافع والأسباب التي دفعته إلى القيام بهذه الخطوة؟ لا شك أن هذه العوامل لا يمكن حصرها بالعامل الديني، كما حاول البعض، إلا أن واقع الأمر يشير إلى أن هذه الحروب - كما سيتبين - كانت نتيجة لتفاعل عوامل متعددة دينية وسياسية واقتصادية واجتماعية.

العامل الديني

لقد كان من كبر العوامل التي دفعت تلك الجيوش الجرارة إلى الهجوم على العالم الإسلامي هو العامل الديني

ولقد كانت التحولات الدينية في أوروبا من الأسباب الرئيسية لقيام الحروب الصليبية، ذلك أن كنيسة روما بعد اعتناق الفرنجة للنصرانية، غدت نداً للكرسي البطريركي في القسطنطينية، واختصت كنيسة روما دون غيرها بلقب البابا، ولعبت البابوية دوراً مهماً في إقامة دولة الفرنجة الكارولنجية كمنافسة لإمبراطورية بيزنطة، ومن ثم أخذت البابوية تطمح إلى توحيد كنيسة الشرق والغرب تحت نفوذها، ولاحق الفرصة حين استنجد ميخائيل السابع بارابنيسز Michael vii parapinaces ملك بيزنطة ١٠٧٨ - ١٠٧٠ م، بالبابا جريجوري السابع ١٠٥٩ - Gregory v ١٠٧٣ م، يدعو لإرسال حملة لإنقاذ آسيا الصغرى من الترك، فأسرع جريجوري السابع لتأليب ملوك الكاثوليك وأمرائهم، غير أن عجلة الصراع بين المسلمين والفرنجة قد توقفت بسبب النزاع بين الكنيسة وملوك أوروبا، حتى إذا ما عادت للبابوية قوتها بعد موت هنري الرابع Henri 1v، تطلعت البابوية إلى تأسيس حكومة في الشرق تجمع بين السلطتين الزمنية والدينية، ولذلك حرصت البابوية على الحروب

الصليبية، حيث اتخذ البابا أربانوس الثاني ١٠٨٨ - ١٠٩٩ م ، المعروف بتعصبه ضد المسلمين عندما كان راهباً لدير كلوني، والذي غدى حرب المسلمين في الأندلس، وادعى أن الحجاج المسيحيين يلاقون الاضطهاد والأذى أثناء زيارتهم إلى بيت المقدس، فاتخذ من ذلك ذريعة لحرب المسلمين، وكان هذا البابا يرى بأن وظيفة البابوية الأساسية هي القيادة العليا للحرب المقدسة، ثم إن الحروب الصليبية هي بمثابة سياسة البابوية الخارجية، فهي التي تديرها وتتحرك وفقها، والبابوات هم الذين نظموا الحرب ووجهوها.

موقعة منا زكرد

يقول الإمام الذهبي - رحمه الله - موقعة منا زكرد وفيها الوقعة العظيمة بين الإسلام والروم. قال عز الدين : فيها خرج أرمانوس طاغية الروم في مائتي ألف من الفرنج والروم والبجاء والكرج، وهم في تجمّل عظيم، فقصدوا بلاد الإسلام، ووصل منا زكرد بليدة من أعمال خلاط. وكان السلطان ألب أرسلان بخوي من أعمال أذربيجان قد عاد من حلب، فبلغه كثرة جموعهم وليس معه من عساكره إلا خمس عشرة ألف فارس، فقصدهم وقال: أنا ألتقيهم صابراً محتسباً، فإن سلمت فبنعمة الله تعالى، وإن كانت الشهادة فإبني ملكشاه ولي عهدي.

فوقعت مقدمته على مقدمة أرمانوس فانهزموا وأسر المسلمون مقدمهم، فأحضر إلى السلطان فجدع أنفه، فلما تقارب الجمعان أرسل السلطان يطلب المهادنة، فقال أرمانوس: لا هدنة إلا بالري. فانزعج السلطان فقال له إمامه أبو نصر محمد بن عبد الملك البخاري الحنفي: إنك تقاتل عن دين وعد الله بنصره وإظهاره على سائر الأديان. وأرجو أن يكون الله قد كتب باسمك هذا الفتح. فالتقهم يوم الجمعة في الساعة التي يكون الخطباء على المنابر، فإنهم يدعون للمجاهدين.

فلما كان تلك الساعة صلى بهم، وبكى السلطان، فبكى الناس لبكائه، ودعا فأمّنوا، فقال لهم: من أراد الانصراف فلينصرف، فما ههنا سلطان بأمر ولا بنهي. وألقى القوس

والنشاب، وأخذ السيف، وعقد ذنب فرسه بيده، وفعل عسكره مثله، ولبس البياض وتحنط وقال: إن قتلت فهذا كفي.

وزحف إلى الروم، وزحفوا إليه، فلما قاربهم ترجل وعفر وجهه بالتراب، وبكى، وأكثر الدعاء، ثم ركب وحمل الجيش معه، فحصل المسلمون في وسطهم، فقتلوا في الروم كيف شاؤوا، وأنزل الله نصره، وانهزمت الروم، وقتل منهم ما لا يحصى، حتى امتلأت الأرض بالقتلى، وأسر ملك الروم، أسره غلام لكوهرائين فأراد قتله ولم يعرفه، فقال له خذ مع الملك: لا تقتله فإنه الملك.

وكان هذا الغلام قد عرضه كوهرائين على نظام الملك، فرده استحقاراً له، فأثنى عليه أستاذه، فقال نظام الملك: عسى يأتينا بملك الروم أسيراً. فكان كذلك.

ولما أحضر إلى بين يدي السلطان ألب أرسلان ضربه ثلاث مقارع بيده وقال: ألم أرسل إليك في الهدنة فأبيت؟ فقال: دعني من التويخ وافعل ما تريد.

قال: ما كان عزمك أن تفعل بي لو أسرتني؟ قال: أفعل القبيح.

قال: فما تظن أنني أفعل بك؟ قال: إما أن تقتلني، وإما أن تشهرني في بلادك، والأخرى بعيدة، وهي العفو، وقبول الأموال، واصطناعي.

قال له: ما عزمت على غير هذه.

ففدى نفسه بألف ألف دينار وخمسمائة ألف دينار، وأن ينفذ إليه عسكره كلما طلبه، وأن يطلق كل أسير في مملكته. وأنزله في خيمة، وأرسل إليه عشرة آلاف دينار ليتجهز بها، وخلع عليه وأطلق له جماعة من البطارقة، فقال أرمانوس: أين جهة الخليفة؟ فأشاروا له، فكشف رأسه وأوماً إلى الجهة بالخدمة، وهادنه السلطان خمسين سنة، وشيعه مسيرة فرسخ. وأما الروم - لعنهم الله - فلما بلغهم أنه أسر ملكوا عليهم ميخائيل، فلما وصل أرمانوس إلى طرف بلاده بلغه الخبر، فلبس الصوف وأظهر الزهد، وجمع ما عنده من المال، فكان مائتي ألف دينار وجوهر بتسعين ألف دينار، فبعث به، وحلف أنه لا بقي يقدر على غير ذلك. ثم إن أرمانوس استولى على بلاد الأرمن.

وكانت هذه الملحمة من أعظم فتح في الإسلام، والله الحمد^(١) كشفت موقعة منازكرد ١٠٧١ م، التي انتصر فيها السلطان السلجوقي، ألب أرسلان على الإمبراطور البيزنطي رومانوس ديوجينيس، ضعف الممانعة البيزنطية في وجه السلاجقة، وأشعرت الغرب أن أبوابه أصبحت مفتوحة أمام المسلمين. وتشير المصادر التاريخية إلى أن سلطان السلاجقة عامل الأسرى، ومن بينهم الإمبراطور وقادته معاملة مرضية، فبعد مفاوضات طويلة دارت بينه وبين رومانوس، تم الصلح بينهما على أن يزوج الإمبراطور بناته الثلاث من أولاد السلطان، ويفتدي نفسه وجميع الأسرى بمليون دينار، ويدفع جزية سنوية قدرها ٣٦٠ ألف قطعة ذهبية، ومهادنته لمدة خمسين عاماً. ساهمت هذه الهزيمة في إشعار الفرنجة بالمخاطر التي تحيق بهم، ما جعلهم يتهيأون الفرصة للأخذ بالثأر.

عوامل سياسية واجتماعية

كان الإقطاع يشكل الدعامة الأساسية للنظام السياسي والاجتماعي في أوروبا، حيث كان لكل إقطاعية محاربوها، وكانت هذه الإقطاعيات تخوض حروباً مدمرة فيما بينها، ما استنزف طاقاتها، وخلف وراءه مشاكل اجتماعية وسياسية قاسية، لذلك عمل الباباوات على توجيه الفرسان لقتال المسلمين بدلاً من الانصراف إلى الحروب الداخلية والمنازعات فيما بينهم، أي تحويل تفاقم الخطر الداخلي وتنامي الأطماع والمكاسب إلى اتجاه خارجي. وقد التقت هذه السياسة بمطامع بعض الأمراء والنبلاء الذين لم تسمح لهم الظروف بتأسيس إمارات لهم في أوروبا، حيث كان النظام الإقطاعي الأوروبي يسمح للولد الأكبر بأن يرث كل أملاك أبيه دون أخوته الباقين، فرغب هؤلاء بإنشاء إمارات لهم في المشرق العربي الاسلامي، وما عزز هذا الاتجاه الانتصارات التي حققها الفرنجة على العرب والمسلمين في الأندلس آنذاك، حيث احتلوا كثيراً من أراضيهم، وسيطروا على بعض المواقع العربية في جزر البحر الأبيض المتوسط. كما يشير بعض المؤرخين إلى أن بعض هؤلاء الأمراء

(١) - تاريخ الإسلام للذهبي - (ج ٧ / ص ٢٢٣)

والفرسان وجد في الحروب الصليبية إشباعاً لنزعة وروح المغامرة التي سيطرت على الحياة الخاصة والعامة ، لاسيما وأن حركة الترجمة بدأت تنشط في العالم، واطلع الغربيون على ما يسود الشرق الإسلامي من رخاء وثروات وكنوز شكلت مطمعاً لهم للحصول عليها ، في الوقت الذي كانت فيه أعداد كبيرة من فقراء أوروبا، وبعض الرهبان، أو المجرمين أو الملاحقين قضائياً، تجد في زيارة الأماكن المقدسة في فلسطين تكفيراً عن ذنوبها وخطاياها، أو مأوى لها هرباً من الكنيسة، أو الأسياد الإقطاعيين .

العامل الاقتصادي

رغبة التجار الأوروبيين، ولاسيما تجار المدن الإيطالية (البندقية ، جنوة ، بيزا)، في السيطرة على منتجات المنطقة العربية، وتأسيس متاجر ومستودعات تجارية فيها. وفي الوقت الذي كانت التجارة مزدهرة، كان عدد قليل من التجار الأثرياء يتقاسمون النفوذ والسلطة مع عدد من الأمراء والنبلاء والإقطاعيين، في حين كان سواد المجتمع الأوروبي في العصور الوسطى يعيش حياة ملؤها البؤس والشقاء في ظل نظام إقطاعي مستبد. يضاف إلى هذه العوامل، حدوث حالات القحط والجفاف التي ضربت بعض المواقع في أوروبا، ما أدى إلى انتشار الأوبئة والأمراض والمجاعات، ودفع بالبسطاء والفقراء للاشتراك في تلك الحروب لقاء مآكلهم ومشربهم وملبسهم.

العامل اليهودي:

ومن جانبه، يربط د. محمود عطا الله بين يهود أوروبا وتجهيز الحملات الصليبية بقوله: كانت مصالح أصحاب رؤوس الأموال من يهود أوروبا تتوافق مع مصالح الأمراء الإقطاعيين الأوروبيين الذين كانوا يطمعون في السيطرة على العالم عنوة، لذا دعم هؤلاء اليهود فكرة توجيه حملة صليبية إلى الشرق بكل قواهم وإمكاناتهم المتاحة، فقاموا بالدعاية لها عن طريق إقناع المترددين بالاشتراك فيها، وفتحوا خزائنهم على مصاريحها لتجنيد المحاربين، ورشوة المتخاذلين، وذلك لأنهم رأوا فيها الفرصة الذهبية المواتية التي تتيح لهم تقديم القروض الربوية إلى زعماء الحملات وأمراء المقاطعات والبارونات وسلطات الكنيسة ذاتها، بقصد إغراقهم في الديون والمتاجرة بالعتاد، يضاف إلى ذلك تحقيق أهدافهم

الاستراتيجية المتمثلة في إضعاف قوة الإسلام والمسيحية معاً ، لا سيما وأن (العهدية العمرية) التي أعطيت لنصارى القدس ، بناءً على طلبهم ، منعت أي تواجد لليهود في القدس .

دحض المزاعم حول الاضطهاد الديني

وهكذا يتبين أن العوامل التي أفضت إلى قيام الحروب الصليبية متنوعة، ولا يمكن حصرها بالعامل الديني فحسب، ما يو دحض تلك الافتراءات المزعومة حول الاضطهاد الديني الذي تعرّض له (النصارى) أثناء زياراتهم للأماكن المقدسة المسيحية في بيت المقدس وفلسطين بعامة، وقد جاء في كتاب (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم) لصاحبه المقدسي الذي عاش في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، وصفاً لحال أهل الذمة في القدس بأنها: كثيرة النصارى، وفي مكان آخر يقول: قد غلب عليها النصارى واليهود، ما يدل على أنهم كانوا معززين مكرّمين . . أما الرحالة الفارسي (ناصر خسرو / ٤٥٣هـ - ١٠٦١ م) وكان قد زار فلسطين والقدس قبل الغزو والاحتلال الصليبي لها بأربعين عاماً، فإنه قال: إن الحجاج النصارى كان بوسعهم أن يدخلوا إلى الأماكن المقدسة بكامل حريتهم. ولم يغفل الكتاب المحدثون أيضاً الإشارة إلى الامتيازات التي تمتع بها النصارى في فلسطين، فقد

بيّن الأستاذ (رئيف ميخائيل الساعاتي) في مقال نشره في مجلة (الراعي الصالح): أن النصارى كانوا أخواناً للمسلمين في اللغة والوطنية، وأن خلفاء المسلمين كانوا يسندون إلى أصحاب الكفايات والمؤهلات منهم الوظائف العالية.

وبيّن أيضاً: أن الاضطهادات التي أصابتهم في بعض الفترات المحدودة نسبياً - إزعاجات من بعض السلاجقة أو زمن الحاكم بأمر الله الخليفة الفاطمي غريب الأطوار - تعود إلى انحراف بعض الحكام الذين لم ينج المسلمون أنفسهم من أذاهم وتعدياتهم، كما أكد ذلك أيضاً الأستاذ أمير سيد علي في كتابه مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامي ..

ولعل في ما كتبه وتنبه إليه الكتاب والمؤرخون الغربيون بهذا الشأن أقوى شاهد ودليل على بطلان مزاعم الاضطهاد الديني، فهذا الكاتب جاي لي سترانج يقول: يجدر بنا أن نعترف

أن المسيحيين لم يكونوا بمضطهدين ذلك الاضطهاد الذي اتخذوه سبباً لحملاتهم الصليبية، ولا ريب أن أحداً لا يستطيع نكران فضل (العهد العُمري) التي أعطتها الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب (١٨هـ) لدى فتح بيت المقدس للمسيحيين النصاري، والتي أرسلت لمن خلفه قواعد التعامل معهم في القدس وسائر الأمصار على أساس الأمان لأنفسهم، وأموالهم وكنيستهم، وصلبانهم ... فلا تسكن كنائسهم، ولا تهدم، ولا ينتقص منها، ولا من حيزها، ولا من صلبهم، ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم. ويذهب الباحث وليد الخالدي إلى أبعد من ذلك، حيث يرى أن الخلاف في العهود الإسلامية حول الأماكن المقدسة في القدس، لم يكن في الحقيقة خلافاً بين السلطة الحاكمة والجاليات المسيحية، ولا كان بين هذه السلطة والجالية اليهودية، بل كان بين الجاليات المسيحية ذاتها (الأرثوذكسية/ الكنيسة الشرقية) و (اللاتينية/ الكنيسة الغربية)، وكان دور السلطة الإسلامية الحاكمة طوال تلك القرون دور الحكم بين الكنائس المسيحية المتنازع على حقوقها في الأماكن المقدسة. وأدت السلطة الإسلامية دورها بالإشراف على نظام اصطلاح على تسميته (الستاتيكون، الوضع الراهن) وهو عبارة عن مجموعة من الأعراف والتقاليد حول تلك الحقوق، تراكت برضا واعتراف الكنائس المحلية والدول الأوروبية الراعية، أدارتها السلطة الإسلامية لضبط الخلاف حول الأماكن المقدسة المسيحية.

الأسباب المباشرة (الاستعدادات للحملة):

أما عن الأسباب المباشرة للحملات الصليبية، فهي إضافة إلى الثأر من الهزيمة في معركة (منازكرد)، ما أثاره (بطرس الناسك) الراهب الفرنسي الأصل، الذي جاء لزيارة بيت المقدس، وزعم أنه أسيئت معاملته مع غيره من الزوّار، وفور عودته إلى بلاده، مر بروما وقابل البابا (أوربان الثاني) ودعاه إلى إنقاذ الأماكن المقدسة. ثم أخذ يجوب ألمانيا وفرنسا وبلجيكا محرّضاً الجماهير في خطبه على الزحف لإنقاذ قبر المسيح، فكان لتلك الخطب النارية وتشجيع البابا لهذه الحركة أثر كبير في قلوب الناس.

وكانت أولى ثمار هذا التحرك انعقاد مؤتمر كليرمونت في تشرين الثاني ١٠٩٥ م برئاسة البابا، وكان له تأثير كبير في الدعوة للحروب الصليبية ورعايتها، فعمل على المقاربة وإزالة الخلاف بين الكنيستين الشرقية (البيزنطية) والغربية (اللاتينية)، إذ رفع قرار الحرمان الذي كان موقعاً من الإمبراطور البيزنطي. كما أعطى هذا البابا توجيهاته للأمراء ورجال الدين وكبار التجار الإيطاليين المشاركين في مجمع كليرمونت، بأن يحيك كل محارب صليباً من الأحمر على رداءه الخارجي من ناحية الكتف، رمزاً للفكرة التي خرج ليحارب من أجلها، وكان قد تم تحديد سنة ١٠٩٧ م موعداً للحملة الصليبية الأولى.

وان كانت مؤامرات النصارى لم تنقطع إلا أن النصر والغلبة لجند الله لان الله تعالى قال **(وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ (١٠٥) إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ (١٠٦))** (سورة الأنبياء) قال الشنقيطي - رحمه الله - وقيل: إن المراد بالأرض: أرض العدو يورثها الله المؤمنين في الدنيا: ويدل لهذا قوله تعالى: **{ وَأَوْزَعْنَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضاً لَمْ يَطَّوُّهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا }** [الأحزاب: ٢٧]، وقوله: **{ وَأَوْزَعْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا }** [الأعراف: ١٣٧] الآية، وقوله تعالى: **{ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ }** [الأعراف: ١٢٨]، وقوله تعالى: **{ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ }** [النور: ٥٥] الآية، وقوله تعالى **{ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَاوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ }** [إبراهيم: ١٣-١٤] إلى غير ذلك من الآيات .

فمهما تأمر الحاقدون على الإسلام والمسلمين ومهما طال الليل فلا بد من طلوع الفجر، فالباطل ساعة والحق إلى قيام الساعة النصارى جاءوا بجدهم وحديدتهم المحاربة السلام والقضاء على المسلمين ولكن يأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون، والو كره المشركون، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون فهذا هو صلاح الدين

جاء ليرفع راية التوحيد ويمحق راية الصليب في تلك المعركة الحاسمة التي غيرت مجرى التاريخ إنها معركة حطين

واليك أخي المسلم طرفاً من أحداثها، يقول ابن كثير -رحمه الله- معركة حطين قال ابن كثير : (برز السلطان من دمشق يوم السبت مستهل محرم في جيشه ، فسار إلى رأس الماء فنزل ولده الأفضل هناك في طائفة من الجيش ، وتقدم السلطان ببقية الجيش إلى بصرى فخيم على قصر أبي سلام ، ينتظر قدوم الحجاج ليسلموا من معرة برنس الكرك ، فلما جاز الحجيج سالمين سار السلطان فنزل على الكرك وقطع ما حوله من الأشجار ، ورعى الزرع وأكلوا الثمار ، وجاءت العساكر المصرية وتوافت الجيوش المشرقية ، فنزلوا عند السلطان على رأس الماء ، وبعث الأفضل سرية نحو بلاد الفرنج فقتلت وغنمت وسلمت ورجعت ، فبشر بمقدمات الفتح والنصر .

وجاء السلطان بجحافله فالتفت عليه جميع العساكر ، فرتب الجيوش وسار قاصداً بلاد الساحل ، وكان جملة من معه من المقاتلة اثني عشر ألفاً غير المتطوعة ، فتسامعت الفرنج بقدومه فاجتمعوا كلهم وتصالخوا فيما بينهم ، وصالح قومس طرابلس وبرنس الكرك الفاجر ، وجاءوا بجدهم وحديدهم ، واستصحبوا معهم صليب الصلبوت يحمله منهم عباد الطاغوت وضلال الناسوت ، في خلق لا يعلم عدتهم إلا الله عز وجل ، يقال : كانوا خمسين ألفاً ، وقيل : ثلاثاً وستين ألفاً ، وقد خوفهم صاحب طرابلس من المسلمين فاعترض عليه البرنس صاحب الكرك ، فقال له : لا أشك أنك تحب المسلمين وتخوفنا كثرتهم ، وسترى غب ما أقول لك ، فتقدموا نحو المسلمين .

وأقبل السلطان ففتح طبرية و تقوى بما فيها من الأطعمة والأمتعة وغير ذلك ، وتحصنت منه القلعة فلم يعبأ بها ، وحاز البحيرة في حوزته ومنع الله الكفرة أن يصلوا منها إلى قطرة ، حتى صاروا في عطش عظيم ، فبرز السلطان إلى سطح الجبل الغربي من طبرية عند قرية يقال لها حطين ، التي يقال إن فيها قبر شعيب عليه الصلاة والسلام ، وجاء العدو المخذول ، وكان فيهم صاحب عكا وكفر نكا وصاحب الناصرة وصاحب صور وغير ذلك من جميع ملوكهم ، فتواجه الفريقان وتقابل الجيشان ، وأسفر وجه الإيمان واغبر وأقتم وأظلم وجه

الكفر والطغيان ، ودائرة دائرة السوء على عبدة الصلبان ، وذلك عشية يوم الجمعة ، فبات الناس على مصافهم .

وأصبح صباح يوم السبت الذي كان يوماً عسيراً على أهل الأحد وذلك لخمس بقين من ربيع الآخر ، فطلعت الشمس على وجوه الفرنج واشتد الحر وقوي بهم العطش ، وكان تحت أقدام خيولهم حشيش قد صار هشيماً ، وكان ذلك عليهم مشؤوماً ، فأمر السلطان النفاطة أن يرموه بالنفط ، فرموه فتأجج ناراً تحت سنايك خيولهم ، فاجتمع عليهم حر الشمس وحر العطش وحر النار وحر السلاح وحر رشق النبال ، وتبارز الشجعان ، ثم أمر السلطان بالتكبير والحمل الصادقة فحملوا وكان النصر من الله عز وجل ، فمنحهم الله أكتافهم فقتل منهم ثلاثون ألفاً في ذلك اليوم ، وأسر ثلاثون ألفاً من شجعانهم وفرسانهم ، وكان في جملة من أسر جميع ملوكهم سوى قومس طرابلس فإنه انهزم في أول المعركة ، واستلبهم السلطان صليبهم الأعظم ، وهو الذي يزعمون أنه صلب عليه المصلوب ، وقد غلفوه بالذهب واللالئ والجواهر النفيسة ، ولم يسمع بمثل هذا اليوم في عز الإسلام وأهله ، ودمغ الباطل وأهله ، حتى ذكر أن بعض الفلاحين رآه بعضهم يقود نيفاً وثلاثين أسيراً من الفرنج ، وقد ربطهم بطنب خيمة ، وباع بعضهم أسيراً بنعل ليلبسها في رجله ، وجرت أمور لم يسمع بمثلها إلا في زمن الصحابة والتابعين ، فله الحمد دائماً كثيراً طيباً مباركاً) .

هذا وقد كان البرنس أرنات البيزنطي صاحب الكرك كان قد نذر أنه إن ظفر به قتله ، وذلك أنه كان عبر به قافلة راجعة من الديار المصرية في حالة الصلح بينه وبين المسلمين ، فنزلوا عنده بالأمان فغدر بهم وقتلهم ، فناشدوه الله والصلح الذي بينه وبين المسلمين فقال ما يتضمن الاستخفاف بالنبي صلى الله عليه وسلم وقال : قولوا لمحمدكم يخلصكم ، وبلغ السلطان فحملة الدين والحمية على أنه نذر إن ظفر به قتله .

قال ابن كثير: (فلما تمت هذه الواقعة ووضعت الحرب أوزارها أمر السلطان بضرب مخيم عظيم ، وجلس فيه على سرير المملكة وعن يمينه أسرة وعن يساره مثلها ، وجيء بالأسارى تتهادى بقيودها ، فأمر بضرب أعناق جماعة من مقدمي الداوية - الداوية : فرقة دينية عسكرية شديدة البأس - صبراً ، ولم يترك أحداً منهم ممن كان يذكر الناس عنه شراً .

ثم جيء بمملوكهم فأجلسوا عن يمينه ويساره على مراتبهم ، فأجلس ملكهم الكبير عن يمينه ، وأجلس أرناط برنس الكرك وبقيتهم عن شماله ، ثم جيء إلى السلطان بشارب من الجلاب مثلوجاً ، فشرب ثم ناول الملك فشرب ، ثم ناول أرناط صاحب الكرك فغضب السلطان وقال له : إنما ناولتك ولم آذن لك أن تسقيه ، هذا لا عهد له عندي ، ثم تحول السلطان إلى خيمة داخل تلك الخيمة واستدعى بأرناط صاحب الكرك ، فلما أوقف بين يديه قام إليه بالسيف ودعاه إلى الإسلام فامتنع ، فقال له : نعم أنا أنوب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الانتصار لأمته ، ثم قتله وأرسل برأسه إلى الملوك وهم في الخيمة ، وقال : إن هذا تعرض لسب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قتل السلطان جميع من كان من الأسارى من الداوية والاسبتارية - الاسبتارية كالدأوية : فرقة دينية عسكرية شديدة البأس - صبراً وأراح المسلمين من هذين الجنسيتين الخبيثتين .

ولم يسلم ممن عرض عليه الإسلام إلا القليل ، فيقال إنه بلغت القتل ثلاثين ألفاً ، والأسارى كذلك كانوا ثلاثين ألفاً ، وكان جملة جيشهم ثلاثة وستين ألفاً ، وكان من سلم مع قتلهم وهرب أكثرهم جرحى فماتوا ببلادهم ، ومن مات كذلك قومس طرابلس ، فإنه انهزم جريحاً فمات بها بعد مرجعه ، ثم أرسل السلطان برؤوس أعيان الفرنج ومن لم يقتل من رؤوسهم ، وبصليب الصلبوت إلى دمشق ليودعوا في قلعتها ، فدخل بالصليب منكوساً وكان يوماً مشهوداً .

ثم سار السلطان إلى قلعة طبريا فأخذها ، ثم سار السلطان إلى حطين فزار قبر شعيب ، ثم ارتفع منه إلى إقليم الأردن ، فقسم تلك البلاد كلها ، ثم سار إلى عكا ، فنزل عليها يوم الأربعاء سلخ ربيع الآخر ، فافتتحها صلحاً يوم الجمعة ، وأخذ ما كان بها من حواصل الملوك وأموالهم وذخائرهم ومتاجر وغيرها ، واستنقذ من كان بها من أسرى المسلمين ، فوجد فيها أربعة آلاف أسير ، وأمر بإقامة الجمعة بها ، وكانت أول جمعة أقيمت بالساحل بعد أخذه الفرنج نحواً من سبعين سنة ، ثم سار منها إلى صيدا وبירות وتلك النواحي من السواحل يأخذها بلداً بلداً ، لخلوها من المقاتلة والملوك ، ثم رجع سائراً نحو غزة وعسقلان ونابلس وبيسان وأراضي الغور، فملك ذلك كله ، وكان من جملة ما افتتحه السلطان في

هذه المدة القريبة خمسين بلداً كباراً كل بلد له مقاتلة وقلعة ومنعة ، وغنم الجيش والمسلمون من هذه الأماكن شيئاً كثيراً ، وسبوا خلقاً .

وذكر محمد بن القادسي : أنه ورد كتاب إلى بغداد في وصف هذه الواقعة فيه : (.. واستغنى عسكر الإسلام من الأسرى والأموال والغنائم بحيث لا يقدر أحد يصف ذلك ، وما سلم من عسكر الفرنج سوى قمص طرابلس مع أربعة نفر ، وهو مجروح ثلاث جراحات - مات بعدها بقليل - وأخذ جميع أمراء الفرنج ، وكم قد سبي من النساء والأطفال ، يباع الرجل وزوجته وأولاده ثلاث بين وابتان بثمانين ديناراً .. وأخذ من البقر والغنم والخيول والبغال ما لم يجيء من يشترها من كثرة السبي والغنائم)^(١)

ويقول الإمام الذهبي - رحمه الله - قال أبو المظفر بن الجوزي: خيم السلطان على ساحل البحيرة في اثني عشر ألفاً من الفرسان سوى الرجال، وخرج الفرنج من عكا، فلم يدعوا بها محتليماً. فنزلوا صفورية، وتقدم السلطان إلى طبرية، فنصب عليها المجانيق، وافتتحها في ربيع الآخر، وتقدمت الفرنج فنزلوا لويبة من الغد، وملك المسلمون عليهم الماء، وكان يوماً حاراً. والتهب الغور عليهم، وأضرهم مظفر الدين النار في الزروع، وأحاط بهم المسلمون طول الليل، فلما طلع الفجر قاتلوا إلى الظهر، وصعدوا إلى تل حطين والنار تضرع حولهم، وساق القومص على حمية وحر، وطلع إلى صفد، وعملت السيوف في الفرنج، وانكسر من الملوك جماعة، وجيء بصليب الصلبيوت إلى السلطان، وهو مرصع بالجواهر والياقيات في غلاف من ذهب. فأسر ملك الفرنج درباس الكردي، وأسر إبرنس الكرك إبراهيم غلام المهراني.

قال: واستدعاهم السلطان، فجلس الملك عن يمينه، ويليهِ إبرنس الكرك، فنظر السلطان إلى الملك وهو يلهث عطشاً، فأمر له بماء وثلج، فشرب وسقى البرنس، فقال السلطان: ما أذنتُ لك في سقيه. والتفت إلى البرنس فقال: يا ملعون يا غدار، حلفت ونكثت. وجعل يعدد عليه غدراته. ثم قام إليه فضربه حلّ كتفه، وتّممه المماليك، فطار عقل الملك، فطار عقل

(١) - البداية والنهاية ط الفكر (١٢ / ٣٢١)

الملك، فأمنه السلطان وقال: هذا كلب غدر غير مرّة. إلى أن قال: وأبيعت الأسارى بثمانٍ بخسٍ، حتى باع فقيراً أسيراً بنعل، فقيل له في ذلك فقال: أردتُ هوانهم. ووصل القاضي ابن عصرون دمشق وصليب الصلّبوت منكساً بين يديه، وعاد السلطان إلى طبرية، وآمن صاحبته، فخرجت بأموالها إلى عكا. وأمّا القومُصّ فسار من صفد إلى طرابلس فمات بها، فقيل: مات من جراحاتٍ أصابته. وقيل: إنّ امرأته سمّته.

قال القاضي جمال الدين بن واصل: اجتمعت الجحافل على رأس الماء عند الملك الأفضل ابن السلطان، فتأخرت العساكر الحلبية لانشغالها بفرنجة أنطاكية وبالأرمن، فدخل الملك مظفر صاحب حماه فأخذ ثأرتهم، ثم رد إلى حماه ومعه فخر الدين مسعود بن الزعفرانيّ على عساكر الموصل وعسكر ماردين، فلحقوا السلطان بعشتر، ثم ساروا، وأحاطت جيوشه بحيرة طبرية عند قرية الصفيرة، ثم نازل طبرية فافتتحها في ساعةٍ من نها رواية ابن الأثير^(١)



(١) - تاريخ الإسلام ت تدمري (٢٠ / ٤١)

الفصل الخامس

المؤامرة الترية على بلاد الإسلام

اعلم علمي الله وإياك: أن من أعظم البلايا التي أصابت المسلمين بعد وفاة النبي ﷺ تلك الحادثة التي لم يشهد العالم مثلها منذ أن خلق الله الأرض إنها حادثة خروج التتر إلى بلاد العالم وإحداث أبشع الجرائم وتدمير الحرث النسل يصور لنا ابن الأثير تلك الحادثة بقوله: (ذكر خروج التتر إلى بلاد الشام) (لقد بقيت عدة سنين معرضاً عن ذكر هذه الحادثة استعظماً لها، كارهاً لذكرها، فأنا أقدم إليه رجلاً وأؤخر أخرى، فمن الذي يسهل عليه أن يكتب نعي الإسلام والمسلمين، ومن الذي يهون عليه ذكر ذلك؟ فيا ليت أُمي لم تلدني، ويا ليتني مت قبل حدوثها وكنت نسياً منسياً، إلا أنني حثني جماعة من الأصدقاء على تسطيرها وأنا متوقف، ثم رأيت أن ترك ذلك لا يجدي نفعاً، فنقول: عمت الخلائق، وخصت المسلمين، فلو قال قائل: إن العالم مذ خلق الله سبحانه وتعالى آدم، وإلى الآن، لم يبتلوا بمثلها؛ لكان صادقاً، فإن التواريخ لم تتضمن ما يقاربها ولا ما يدانيها.

ومن أعظم ما يذكرون من الحوادث ما فعله بجث نصر بني إسرائيل من القتل، وتخريب البيت المقدس، وما البيت المقدس بالنسبة إلى ما خرب هؤلاء الملاعين من البلاد، التي كل مدينة منها أضعاف البيت المقدس، وما بنو إسرائيل بالنسبة إلى من قتلوا، فإن أهل مدينة واحدة ممن قتلوا أكثر من بني إسرائيل، ولعل الخلق لا يرون مثل هذه الحادثة إلى أن ينقرض العالم، وتفنئ الدنيا، إلا يأجوج ومأجوج.

وأما الدجال فإنه يبقى على من اتبعه، ويهلك من خالفه، وهؤلاء لم يبقوا على أحد، بل قتلوا النساء والرجال والأطفال، شقوا بطون الحوامل، وقتلوا الأجنة، فإننا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

لهذه الحادثة التي استطار شررها، وعم ضررها، وسارت في البلاد كالسحاب استدبرته الريح، فإن قوماً خرجوا من أطراف الصين، فقصدوا بلا تركستان مثل كاشغر وبلاساغون،

ثم منها إلى بلاد ما وراء النهر، مثل سمرقند وبخارى وغيرهما، فيملكونها، ويفعلون بأهلها ما نذكره، ثم تعبر طائفة منهم إلى خراسان، فيفرغون منها ملكاً، وتخريباً، وقتلاً، ونهباً، ثم يتجاوزونها إلى الري، وهمذان، وبلد الجبل وما فيه من البلاد إلى حد العراق، ثم يقصدون بلاد أذربيجان وأرانية، ويخربونها، ويقتلون أكثر أهلها، ولم ينج إلا الشريد النادر في أقل من سنة، هذا ما لم يسمع مثله.

ثم لما فرغوا من أذربيجان وأرانية ساروا إلى دربند شروان فملكوا مدنه، ولم يسلم غير القلعة التي بها ملكهم، وعبروا عندها إلى بلد اللان، واللكز، ومن في ذلك الصقع من الأمم المختلفة، فأوسعوهم قتلاً، ونهباً، وتخريباً؛ ثم قصدوا بلاد قفجاق، وهم من أكثر الترك عدداً، فقتلوا كل من وقف لهم، فهرب الباقون إلى الغياض ورؤس الجبال، وفارقوا بلادهم، واستولى هؤلاء التتر عليها، فعلوا هذا في أسرع زمان، ولم يلبثوا إلا بمقدار مسيرهم لا غير.

ومضى طائفة أخرى غير هذه الطائفة إلى غزنة وأعمالها، وما يجاورها من بلاد الهند وسجستان وكرمان، ففعلوا فيه مثل فعل هؤلاء وأشد.

هذا ما لم يطرق الأسماع مثله، فإن الإسكندر الذي اتفق المؤرخون على أنه ملك الدنيا لم يملكها في هذه السرعة، إنما ملكها في نحو عشر سنين، ولم يقتل أحداً، إنما رضي من الناس بالطاعة؛ وهؤلاء قد ملكوا أكثر المعمور من الأرض وأحسنه، وأكثره عمارة وأهلاً، وأعدل أهل الأرض أخلاقاً وسيرة، في نحو سنة، ولم يبق أحد في البلاد التي لم يطرقوها إلا وهو خائف يتوقعها، ويتربص وصولهم إليه.

ثم إنهم لا يحتاجون إلى ميرة ومدد يأتيتهم، فإنهم معهم الأغنام، والبقر، والخيول، وغير ذلك من الدواب، يأكلون لحومها لا غير؛ وأما دوابهم التي يركبونها فإنها تحفر الأرض بحوافرها، وتأكل عروق النبات لا تعرف الشعير، فهم إذا نزلوا منزلاً لا يحتاجون إلى شيء من خارج.

وأما ديانتهم، فإنهم يسجدون للشمس عند طلوعها، ولا يحرمون شيئاً، فإنهم يأكلون جميع الدواب، حتى الكلاب، والخنازير، وغيرها، ولا يعرفون نكاحاً بل المرأة يأتيها غير واحد من الرجال، فإذا جاء الولد لا يعرف أباه.

ولقد بلي الإسلام والمسلمون في هذه المدة بمصائب لم يتل بها أحد من الأمم، منها هؤلاء التتر، قبحهم الله، أقبلوا من المشرق، ففعلوا الأفعال التي يستعظمها كل من سمع بها، وستراها مشروحة متصلة، إن شاء الله تعالى.

ومنها خروج الفرنج، لعنهم الله، من المغرب إلى الشام، وقصدهم ديار مصر، وملكهم ثغر دمياط منها، وأشرفت ديار مصر والشام وغيرها على أن يملكوها لولا لطف الله تعالى ونصره عليهم، وقد ذكرناه سنة أربع عشرة وستمئة.

ومنها الذي سلم من هاتين الطائفتين فالسيف بينهم مسلول، والفتنة قائمة على ساق، وقد ذكرناه أيضاً، فإننا لله وإنا إليه راجعون، نسأل الله أن ييسر للإسلام والمسلمين نصراً من عنده، فإن الناصر، والمعين، والذاب عن الإسلام معدوم، **{وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ يَقُومَ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ}** [الرعد: ١١] فإن هؤلاء التتر إنما استقام لهم هذا الأمر لعدم المانع.

وسبب عدمه أن خوارزم شاه محمداً كان قد استولى على البلاد، وقتل ملوكها، وأفناها، وبقي هو وحده سلطان البلاد جميعها، فلما انهزم منهم لم يبق في البلاد من يمنعهم، ولا من يحميها (ليقضي الله أمراً كان مفعولاً)، وهذا حين نذكر ابتداء خروجهم إلى البلاد. ^(١)

وما وراء النهر وما فعلوه في هذه السنة ظهر التتر إلى بلاد الإسلام، وهم نوع كثير من الترك، ومساكنهم جبال طمغاج من نحو الصين، وبينها وبين بلاد الإسلام ما يزيد على ستة أشهر.

(١) - الكامل في التاريخ - (ج ٥ / ص ٣٠٤)

لماذا توجه التتر إلى ديار الإسلام؟؟ .

(خروج التتر إلى تركستان وما وراء النهر وما فعلوه): في سنة ٦١٧ ظهر التتر إلى بلاد الإسلام ، وهم نوع كثير من الترك ، ومساكنهم جبال طمغاج من نحو الصين ، وبينهم وبين بلاد الإسلام ما يزيد على ستة أشهر ، وكان السبب في ظهورهم أن ملكهم ويسمى بجنكز خان المعروف بتموجين كان قد فارق بلاده وسار إلى نواحي تركستان وسير جماعة من التجار والأتراك معهم شيء كثير من النقرة و القندر وغيرهم إلى بلاد ما وراء النهر سمرقند وبخارا ليشتروا له ثياباً للسكوة ، فوصلوا إلى مدينة من بلاد الترك تسمى أوترار وهي آخر ولاية خوارزمشاه يعلمه بوصولهم ويذكر له ما معهم من الأموال ، فبعث إليه خوارزمشاه يأمر بقتلهم و أخذ ما معهم من الأموال و إنفاذه إليه ، فقتلهم و سير ما معهم وكان شيئاً كثيراً ، فلما وصل إلى خوارزمشاه فرقه على تجار بخارا وسمرقند و أخذ ثمنه منهم ، فلما قتل نائب خوارزمشاه أصحاب جنكز خان أرسل جواسيس إلى جنكز خان لينظر ما هو وكم مقدار ما معه من اليزك وما يريد أن يعمل ، فمضى الجواسيس وسلخوا المفازة و الجبال التي على طريقهم حتى وصلوا إليه ، فعادوا بعد مدة طويلة و أخبروه بكثرة عددهم ، و أنهم يخرجون عن الإحصاء ، و أنهم من أصبر خلق الله على القتال ، لا يعرفون هزيمة ، و أنهم يعملون ما يحتاجون إليه من السلاح بأيديهم ، فندم خوارزمشاه على قتل أصحابهم و أخذ أموالهم .

فبينما الأتراك كذلك إذ ورد رسول من هذا اللعين جنكز خان معه جماعة يتهدد خوارزمشاه و يقول : تقتلون أصحابي و تأخذون أموالهم ، استعداداً للحرب ، فإني واصل إليكم بجمع لا قبل لكم به ، فلما سمعها خوارزمشاه أمر بقتل رسوله فقتل و أمر بخلق لحي الجماعة الذين كانوا معه ، و أعادهم إلى صاحبهم جنكز خان يخبرونه بما فعل بالرسول و يقولون له : إن خوارزمشاه يقول لك : أنا سائر إليك ولو أنك في آخر الدنيا حتى أنتقم و أفعل بك كما فعلت بأصحابك ، و تجهز خوارزمشاه وسار بعد الرسول مبادراً ليسبق خبره و يكبسهم فمضى وقطع مسيرة أربعة أشهر فوصل إلى بيوتهم فلم ير فيها إلا النساء و الصبيان و الأطفال فأوقع بهم و غنم الجميع و سبى النساء و الذرية ، وكان سبب غيبة الكفار عن

بيوتهم أنهم ساروا إلى محاربة ملك من ملوك الترك يقال له كشلوخان فقاتلوه وهزموه وغنموا أمواله و عادوا فلقبهم في الطريق الخبر بما فعل خوارزمشاه بمخلفيهم ، فجدوا السير ، فأدركوه قبل أن يخرج عن بيوتهم و تصافوا للحرب و اقتتلوا قتالاً لم يسمع بمثله فبقوا في الحرب ثلاثة أيام بلياليها فقتل من الطائفتين مالا يعد ولم ينهزم أحد منهم ، و استنفذ الطائفتان وسعهم في الصبر و القتال ، هذا القتال جميعه مع ابن جنكز خان ، ولم يحضر أبوه الواقعة ولم يشعر بها ، فأحصى من قتل من المسلمين في هذه الواقعة فكانوا عشرين ألفاً ، و أما من الكفار فلا يحصى من قتل منهم ، فلما كان الليلة الرابعة افترقوا ، ورجع المسلمون إلى بخارا فاستعد للحصار لعلمه بعجزه لأن طائفة من عسكره لم يقدر خوازمشاه على أن يظفر بهم فكيف إذا جاؤا جميعهم مع ملكهم ، فأمر أهل بخارا و سمرقند بالاستعداد للحصار و جمع الذخائر للامتناع ، وجعل في بخارا عشرين ألف فارس من العسكر يحمونها و في سمرقند خمسين ألفاً وقال لهم : احفظوا البلد حتى أعود إلى خوارزم و خراسان ، وأجمع العساكر ، و أستنجد بالمسلمين و أعود إليكم .

فلما فرغ من ذلك رحل عائداً إلى خراسان فعبّر جيحون و نزل بالقرب من بلخ فعسكر هناك ، و أما الكفار فإنهم رحلوا بعد أن استعدوا يطلبون ما وراء النهر فوصلوا إلى بخارا بعد خمسة أشهر من وصول خوارزمشاه وحصروها وقاتلوا ثلاثاً أيام قتالاً شديداً متتابعاً فلم يكن للعسكر الخوارزمي بهم قوة ، ففارقوا البلد عائدين إلى خراسان ، فلما أصبح أهل البلد و ليس عندهم من العسكر أحد ضعفت نفوسهم فأرسلوا القاضي وهو بدر الدين قاضيخان ليطلب الأمان للناس فأعطوهم الأمان ، وكان قد بقي من العسكر طائفة لم يمكنهم الهرب مع أصحابهم فاعتصموا بالقلعة ، فلما أجابهم جنكز خان إلى الأمان فتحت أبواب المدينة يوم الثلاثاء رابع ذي الحجة من سنة ست عشرة وستمائة فدخل الكفار بخارا ولم يتعرضوا إلى أحد بل قالوا لهم : كل ما هو للسلطان عندكم من ذخيرة أو غيره أخرجوه إلينا وساعدونا على قتال من بالقلعة ، و أظهروا عندهم العدل و حسن السيرة ، ودخل جنكز خان بنفسه ، و أحاط بالقلعة ونادى في البلد بأن لا يتخلف أحد ، و من تخلف قتل ، فحضرهم فأمروهم بطم الخندق فطموه بالأخشاب و التراب و غير ذلك ، حتى إن

الكفار كانوا يأخذون المنابر و ربعات القرآن فيلقونها في الخندق ، ثم تابعوا الزحف إلى القلعة و بها نحو أربعمئة فارس من المسلمين فبدلوا جهدهم ومنعوا القلعة اثني عشر يوماً يقتتلون جمع الكفار و أهل البلد فقتل بعضهم ، ولم يزالوا كذلك حتى زحفوا إليهم ، ووصل النقبون إلى سور القلعة فنقبوه ، و اشتد حينئذ القتال و قد تعب من بالقلعة و نصبوا ، وجاءهم ما لا قبل لهم به فقهروهم الكفار ، و دخلوا القلعة ، وقاتلهم المسلمون الذين فيها حتى قتلوا عن آخرهم ، و دخل الكفار البلد فنهبوه و قتلوا من وجدوا فيه ، و أحاط بالمسلمين ، فأمر أصحابه أن يقتسموهم فاققسموهم ، وكان يوماً عظيماً من كثرة البكاء من الرجال و النساء و الولدان ، و تفرقوا أيدي سباً ، و تمزقوا كل ممزق ، و اقتسموا النساء أيضاً ، و أصبحت بخارا خاوية على عروشها كأن لم تغن بالأمس ، و ارتكبوا من النساء العظيم ، و الناس ينظرون و يكون ، ولا يستطيعون أن يدفعوا عن أنفسهم شيئاً مما نزل بهم ، فمنعهم من لم يرض بذلك و اختار الموت على ذلك فقاتل حتى قتل ، ومن استسلم أخذ أسيراً ، و ألقوا النار في البلد و المدارس و المساجد ، و عذبوا الناس بأنواع العذاب

ثم رحلوا نحو سمرقند ، وقد تحققوا عجز خوارزمشاه عنهم ، وهم بمكانة بين ترمذ و بلخ ، و استصحبوا معهم من سلم من أهل بخارا أسارى فساروا بهم مشاة على أقبح صورة ، فكل من أعيأ و عجز عن المشي قتل ، فلما قاربوا سمرقند خرج إليهم شجعان أهله و أهل الجلد و القوة رجالة ، ولم يخرج معهم من العسكر الخوارزمي أحد لما في قلوبهم من خوف هؤلاء الملاحين ، فقاتلهم الرجالة بظاهر البلد فلم يزل التتر يتأخرون و أهل البلد يتبعوهم و يطمعون فيهم ، وكان الكفار قد كمنوا لهم كميناً ، فلما جاوزوا الكمين خرجوا عليهم و حالوا بينهم وبين البلد ، ورجع الباقون الذين أنشبو القتال أولاً فبقوا في الوسط و أخذهم السيف من كل جانب ، فلم يسلم منهم أحد ، قتلوا عن آخرهم شهداء رضي الله عنهم ، وكانوا سبعين ألفاً على ما قيل ، فلما رأى الباقون من الجند و العامة ذلك ضعفت نفوسهم ، و أيقنوا بالهلاك فقال الجند وكانوا أتراكاً : نحن من جنس هؤلاء ولا يقتلون فطلبوا الأمان فأجابوهم إلى ذلك ، ففتحوا أبواب البلد ، ولم يقدر العامة على منعهم ،

وخرجوا إلى الكفار بأهلهم و أموالهم فقال لهم الكفار : ادفعوا إلينا سلاحكم و أموالكم و دوابكم و نحن نسيركم إلى مأمنكم ، ففعلوا ذلك ، فلما أخذوا أسلحتهم ودوابهم وضعوا السيف فيهم وقتلوهم عن آخرهم ، وأخذوا أموالهم ودوابهم و نساءهم ، فلما كان اليوم الرابع نادوا في البلد أن يخرج أهله جميعهم ومن تأخر قتلوه ، فخرج جميع الرجال و النساء و الصبيان ، ففعلوا مع أهل بخارا من النهب و القتل و السبي و الفساد ، ودخلوا البلد فنهبوا ما فيه ، و أحرقوا الجامع ، وتركوا باقي البلد على حاله ، و افتضوا الأبقار ، و عذبوا الناس بأنواع العذاب في طلب المال ، وقتلوا من لم يصلح للسبي ، و كان ذلك في محرم سنة سبع عشرة وستمائة ، وكان خوارزمشاه بمنزلته كلما اجتمع إليه عسكر سيره إلى سمرقند فيرجعون ولا يقدمون على الوصول إليها.

(ذكر مسير التتر إلى خوارزمشاه و انهزامه وموته):

لما ملك الكفار سمرقند عمد جنكز خان ، لعنه الله ، وسير عشرين ألف فارس ، وقال لهم : اطلبوا خوارزمشاه أين كان ولو تعلق بالسما حتى تدركوه و تأخذوه ، فلما أمرهم جنكز خان بالمسير ساروا وقصدوا موضعاً يسمى فنج أب ومعناه خمس مياه ، فوصلوا إليه فلم يجدوا هناك سفينة ، فعملوا من الخشب مثل الأحواض الكبار ، كلهم دفعة واحدة ، فلم يشعر خوارزمشاه إلا وقد صاروا معه على أرض واحدة ، وكان المسلمون قد ملئوا منهم رعباً وخوفاً ، و قد اختلفوا فيما بينهم ، أنهم كانوا يتماسكون بسبب إن نهر جيحون بينهم ، فلما عبروه إليهم لم يقدرُوا على الثبات ولا على المسير مجتمعين ، بل تفرقوا أيدي سباً ، وطلب كل طائفة منهم جهة ، ورحل خوارزمشاه لا يلوي على شيء في نفر من خاصته وقصدوا نيسابور ، فلما دخلها اجتمع عليه بعض العسكر فلم يستقر حتى وصل أولئك التتر إليها ، و كانوا لم يتعرضوا في مسيرهم لشيء لا بنهب ولا قتل بل يجدون السير في طلبه لا يمهلون حتى يجمع لهم ، فلما سمع بقربهم منه رحل إلى مازندران وهي له أيضاً فرحل التتر في أثره ، ولم يعرجوا على نيسابور بل تبعوه ، فكان كلما رحل عن منزلة نزلوها ، فوصل إلى مرسى من بحر طبرستان تعرف باب سككون وله هناك قلعة في البحر ، فلما نزل هو و أصحابه في السفن وصلت التتر ، فلما رأوا خوارزمشاه وقد دخل البحر وقفوا على

ساحل البحر ، فلما أيسوا من لحاق خوارزمشاه رجعوا ، فهم الذين قصدوا الري وما بعدها ثم منها إلى همذان ، و التتر أثره ، ففارق همذان في نفر يسير ليستر نفسه و يكتم خبره ، وعاد إلى مازندران وركب في البحر إلى هذه القلعة ، ولما وصل خوارزمشاه إلى هذه القلعة المذكورة توفي فيها .

ماذا فعل التتر في ديار الإسلام والمسلمين؟؟ .

واليك أخي طرفا من هذه الفاجع والمآسي التي نالت الإسلام والمسلمين يقول ابن الأثير – رحمه الله

((ذكر استيلاء التتر على مازندران)) : لما أيس التتر من إدراك خوارزمشاه عادوا فقصدوا بلاد مازندران ، فملكوها في أسرع وقت مع حصانتها و صعوبة الدخول إليها و امتناع قلاعها ، فإنها لم تزل ممتنعة قديم الزمان و حديثه ، ولما ملكوا بلد مازندران قتلوا وسبوا ونهبوا و أحرقوا البلاد ، ولما فرغوا من مازندران سلكوا نحو الري فرأوا في الطريق والدة خوارزمشاه ونساءه و أموالهم و ذخائرهم التي لم يسمع بمثلها من الأعلام النفيسة ، فأخذوها وما معها قبل وصولها إلى الري ، فكان فيه ما ملأ عيونهم وقلوبهم ، وما لم يشاهد الناس مثله من كل غريب من المتاع و نفيس من الجواهر ، وغير ذلك ، وسيروا الجميع إلى جنكز خان بسمرقند .

((ذكر وصول التتر إلى الري وهمذان)) :

في سنة سبع عشرة وستمائة وصل التتر لعنهم الله إلى الري في طلب خوارزمشاه محمد لأنهم بلغهم أنه مضى منهزماً منهم نحو الري فجدوا السير في أثره ، وقد انضاف إليهم كثير من عساكر المسلمين و الكفار ، و كذلك أيضاً من المفسدين من يريد النهب والشر ، فوصلوا إلى الري على حين غفلة من أهلها ، فلم يشعروا إلا وقد وصلوا إليها وملكوها و نهبوها ، وسبوا الحرير ، و استرقوا الأطفال ، وفعلوا الأفعال التي لم يسمع بمثلها ، ولم يقيموا ومضوا مسرعين في طلب خوارزمشاه ، فنهبوا في طريقهم كل مدينة وقرية مروا عليها ، وفعلوا في الجميع أضعاف ما فعلوا في الري ، و أحرقوا و خربوا ووضعوا السيف في الرجال و النساء

و الأطفال فلم يبقوا على شيء .

و تموا على حالهم إلى همذان ، فلما قاربوا همذان خرج رئيسها ومعه الحمل من الأموال و الثياب و الدواب وغير ذلك يطلب الأمان لأهل البلد فأمّنوهم ، ثم فارقوها وساروا إلى زنجان ففعلوا أضعاف ذلك ، ثم وصلوا إلى قزوین فاعتصم أهلها منهم بمدینتهم فقاتلوهم وجدوا في قتالهم و دخلوها عنوة بالسيف فاقتتلوا هم و أهل البلد حتى صاروا يقتتلون بالسكاكين فقتل من الفريقين ما لا يحصى ، ثم فارقوا قزوین ، فعد القتلى من أهل قزوین فزادوا على أربعين ألف قتيل .

((ذكر وصول التتر إلى أذربيجان)):

لما هجم الشتاء على التتر في همذان وبلد الجبل رأوا برداً شديداً و ثلجاً متراكماً فساروا إلى أذربيجان ففعلوا في طريقهم بالقرى و المدن الصغار من القتل و النهب مثل ما تقدم منهم و خربوا و أحرقوا

. و ساروا يريدون ساحل البحر لأنه يكون قليل البرد ليشتوا عليه و المراعي به كثيرة لأجل دوابهم فوصلوا إلى موفان و تطرفوا في طريقهم إلى بلاد الكرج فجاء إليهم من الكرج جمع كثير من العسكر نحو عشرة آلاف مقاتل فقاتلوهم فانهزمت الكرج و قتل أكثرهم و أدركهم التتر و قد تعب الكرج من القتال ، و قتل منهم أيضاً كثير ، فلم يثبتوا للتتر ، و انهزموا أقبح هزيمة و ركبهم السيف من كل جانب ، فقتل منهم ما لا يحصى كثرة ، و كانت الواقعة في ذي القعدة من هذه السنة ، و نهبوا من البلاد ما كان سلم منهم .

ولقد جرى لهؤلاء التتر ما لم يسمع بمثله من قديم الزمان وحديثه ، طائفة تخرج من حدود الصين لا تمضي عليهم سنة حتى يصل بعضهم إلى بلاد أرمينية ، من هذه الناحية و يجاوزون العراق من ناحية همذان ، وتالله لا شك أن من يجيء بعدنا إذا بعد العهد ويرى هذه الحادثة مسطورة ينكرها ويستبعدا ، و الحق بيده ، فمتى استبعد ذلك فلينظر أنا سطرنا نحن وكل من جمع التاريخ في أزماننا هذه في وقت كل من فيه يعلم هذه الحادثة استوى في معرفتها العالم والجاهل لشهرتها - يسر الله للمسلمين والإسلام من يحفظهم و يحوطهم -

فلقد دفعوا من العدو إلى عظيم ، ومن الملوك المسلمين إلى من لا تتعدى همته بطنه و فرجه ، ولم ينل المسلمين أذى وشدة مذ جاء النبي صلى الله عليه وسلم إلى هذا الوقت مثل ما دفعوا إليه الآن ، هذا العدو الكافر التتر قد وطئوا بلاد ماوراء النهر وملكوها وخربوها و ناهيك به سعة بلاد ، وتعدت طائفة منهم النهر إلى خراسان فملكوها وفعلوا مثل ذلك ثم إلى الري وبلد الجبل و أذربيجان ، وقد اتصلوا بالكرج فغلبوهم على بلادهم و العدو الآخر الفرنج قد ظهر من بلادهم في أقصى بلاد الروم بين الغرب و الشمال ووصلوا إلى مصر فملكوا مثل دمياط و أقاموا فيها ولم يقدر المسلمون على إزعاجهم عنها ولا إخراجهم منها وباقي ديار مصر على خطر فإننا لله و إنا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

ومن أعظم الأمور على المسلمين أن سلطانهم خوارزمشاه محمداً قد عدم لا يعرف حقيقة خبره ، فتارة يقال مات عند همذان و أخفي موته ، و تارة دخل أطراف بلاد فارس ومات هناك و أخفي موته لئلا يقصدها التتر في أثره ، و تارة يقال عاد إلى طبرستان و ركب البحر فتوفي في جزيرة هناك ، وبالجملة فقد عدم ثم صح موته ببحر طبرستان ، وهذا عظيم ، مثل خراسان و عراق العجم أصبح سائباً لا مانع له ولا سلطان يدفع عنه والعدو يجوس البلاد يأخذ ما أراد ، ويترك ما أراد ، على أنهم لم يبقوا على مدينة إلا خربوها وكل ما مروا عليه نهبوه وما لا يصلح أحرقوه ، فكانوا يجمعون الإبريسم تلالاً و يلقون فيه النار و كذلك غيره من الأمتعة .

((ذكر ملك التتر مراغة)):

فلما دخلت سنة ثمان عشرة و ستمائة ساروا من ناحية الكرج لأنهم رأوا أن بين أيديهم شوكة قوية ومضايقة تحتاج إلى قتال و صداع فعدلوا عنهم ، وهذه كانت عادتهم إذا قصدوا مدينة ورأوا عندها امتناعاً عدلوا عنها ، فوصلوا إلى تبريز وصانعهم صاحبها بمال و ثياب و دواب فساروا عنه إلى مدينة مراغة فحاصروها وليس بها صاحب يمنعها ، فلما حاصروها قاتلهم أهلها فنصبوا عليها المجانيق وزحفوا إليها ، وكانت عادتهم إذا قاتلوا مدينة قدموا من معهم من أسارى المسلمين بين أيديهم يزحفون و يقاتلون ، فإن عادوا قتلوا فكانوا يقتلون

كرهاً ، وهم المساكين ، وكانوا هم يقاتلون وراء المسلمين فيكون القتل في المسلمين الأسارى وهم بنجوة منه ، فأقاموا عليها عدة أيام ، ثم ملكوا المدينة عنوة وقهراً رابع صفر ، و وضعوا السيف في أهلها فقتل منهم ما يخرج عن الحد والإحصاء ، ونهبوا كل ما صلح لهم ومالا يصلح لهم ، و أحرقوه ، و اختفى بعض الناس منهم فكانوا يأخذون الأسارى و يقولون لهم نادوا في الدروب أن التتر قد رحلوا فإذا نادى أولئك خرج من اختفى فيؤخذ و يقتل ، ثم رحلوا عنها نحو مدينة إربل .

((ذكر ملك التتر همذان وقتل أهلها)):

عاد التتر إلى همذان فنزلوا بالقرب منها ، وكان لهم بها رئيس يحكم فيها فأرسلوا إليه يأمرونه ليطلب من أهلها مالا وثياباً ، وكانوا قد استنفذوا أموالهم في طول المدة ، و أشار فقيه البلد بإخراج رئيس التتر من البلد و الامتناع فيه ومقاتلة التتر ، فوثب العامة على الرئيس فقتلوه و امتنعوا في البلد ، فتقدم التتر إليهم وحصروهم ، وكانت الأقوات متعذرة في تلك البلاد جميعها لخرابها وقلت أهلها وجلاء من سلم منهم فلا يقدر أحد على الطعام إلا قليلاً ، و أما التتر فلا يبالون لعدم الأقوات لأنهم لا يأكلون إلا اللحم و لا تأكل دوابهم إلا نبات الأرض ، حتى إنها تحفر بجوافرها الأرض عن عروق النبات فتأكلها ، فلما حصروا همذان قاتلهم أهلها و الرئيس و الفقيه في أوائلهم فقتل من التتر خلق كثير و جرح الفقيه عدة جراحات و افترقوا ، ثم خرجوا من الغد فاقتتلوا أشد من القتال الأول و قتل أيضاً من التتر أكثر من اليوم الأول و جرح الفقيه أيضاً عدة جراحات و هو صابر ، و أرادوا أيضاً الخروج في اليوم الثالث فلم يطق الفقيه الركوب و طلب الناس الرئيس فلم يجدوه كان قد هرب و اجتمعت كلمتهم على القتال إلى أن يموتوا فأقاموا في البلد ولم يخرجوا منه ، و كان التتر قد عزموا على الرحيل لكثرة من قتل منهم ، فلما لم يروا أحداً خرج إليهم من البلد طمعوا و استدلووا على ضعف أهله فقصدوهم و قاتلوهم في رجب من سنة ثمان عشرة وستمائة ودخلوا المدينة بالسيف وقاتلهم الناس في الدروب فبطل السلاح للزحمة و اقتتلوا بالسكاكين ، فقتل من الفريقين مالا يحصيه إلا الله تعالى ، وقوي التتر على المسلمين فأفنوهم قتلاً ، ولم يسلم إلا من كان عمل له نفقاً يختفي فيه ، وبقي

القتل في المسلمين عدة أيام، ثم ألقوا النار في البلد فأحرقوه و رحلوا عنها إلى مدينة أردويل
((ذكر مسير التتر إلى أذربيجان)):

رحل التتار إلى مدينة سراو فنهبوا و قتلوا كل من فيها ، ورحلوا منها إلى بيلقان من بلاد
 أران ، فنهبوا كل ما مروا به من البلاد و القرى ، و خربوا و قتلوا من ظفروا به من أهلها ،
 فلما وصلوا إلى بيلقان حضروها فاستدعى أهلها منهم رسولاً يقرون معه الصلح ، فأرسلوا
 إليهم رسولاً من أكابرهم و مقدمهم فقتله أهل البلد ، فزحف التتر إليهم و قاتلوهم ، ثم
 إنهم ملكوا البلد عنوة في شهر رمضان سنة ثمان عشرة و وضعوا السيف فلم يبقوا على
 صغير ولا كبير ولا امرأة ، حتى إنهم يشقون بطون الحبالى و يقتلون الأجنة ، وكانوا
 يفجرون بالمرأة ثم يقتلوننها ، و كان الإنسان منهم يدخل الدرب فيه الجماعة فيقتلهم واحداً
 بعد واحد حتى يفرغ من الجميع لا يمد أحد منهم إليه يداً ، فلما فرغوا منها استقصوا ما
 حولها من النهب و التخريب ، و ساروا إلى مدينة كنجة وهي أم بلاد أران فعلموا بكثرة
 أهلها و شجاعتهم لكثرة دربتهم بقتال الكرج و حصانتهم فلم يقدموا عليها فأرسلوا إلى
 أهلها يطلبون منهم المال و الثياب فحملوا إليهم ما طلبوا فساروا عنهم .

((ذكر وصول التتر إلى بلاد الكرج)):

لما فرغ التتر من بلاد المسلمين بأذربيجان و أران بعضه بالملك و بعضه بالصلح ، و ساروا إلى
 بلاد الكرج من هذه الأعمال أيضاً ، وكان الكرج قد أعدوا لهم و استعدوا و سيروا جيشاً
 كثيراً إلى طرف بلادهم ليمنعوا التتر عنها ، فوصل إليهم التتر فالتقوا فلم يثبت الكرج بل
 ولوا منهزمين ، فأخذهم السيف فلم يسلم منهم إلا الشريد ، ولقد بلغني أنهم قتل منهم
 نحو ثلاثين ألفاً ، و نهبوا ما وصلوا إليه من بلادهم و خربوها و فعلوا بها ما هو عادتهم ،
 فلما وصل المنهزمون إلى تفليس وبها ملكهم جمع جمعوا أخرى و سيرهم إلى التتر أيضاً
 ليمنعوهم من توسط بلادهم فأرأوا التتر وقد دخلوا البلاد لم يمنعهما جبل ولا مضيق ولا غير
 ذلك ، فلما رأوا فعلهم عادوا إلى تفليس فأخلوا البلاد، ففعل التتر فيها ما أرادوا من النهب
 و القتل و التخريب ، ورأوا بلاداً كثيرة المضايق فلم يتجاسروا على الوغول فيها فعادوا
 عنها ، و داخل الكرج منهم خوف عظيم حتى سمعت عن بعض أكابر الكرج وكان قدم

رسولاً أنه قال : من حدثكم أن التتر انهزموا و أسروا فلا تصدقوه ، و إذا حدثتم أنهم قتلوا فصدقوا ، فإن القوم لا يفرون أبداً ، ولقد أخذنا أسيراً منهم فألقى نفسه من الدابة و ضرب نفسه بالحجر إلى أن مات ولم يسلم نفسه للأسر .

((ذكر وصولهم إلى دربندشروان وما فعلوه)):

لما عاد التتر من بلد الكرج قصدوا دربندشروان ، فحاصروا مدينة شماخي وقاتلوا أهلها فصبروا على الحصر ، ثم إن التتر صعدوا سورها بالسلاليم و قيل بل جمعوا كثيراً من الجمال و البقر و الغنم و غير ذلك و من قتل الناس منهم و ممن قتل من غيرهم و ألقوا بعضه فوق بعض ، فصار مثل التل ، وصعدوا عليه فأشرفوا على المدينة وقاتلوا أهلها فصبروا ، واشتد القتال ثلاثة أيام فأشرفوا على أن يؤخذوا فقالوا : السيف لا بد منه ، فالصبر أولى بنا نموت كراماً ، فصبروا تلك الليلة فأنتنت تلك الجيف و انهضمت ، فلم يبقى للتتر على السور استعلاء ولا تسلط على الحرب ، فعادوا الزحف و ملازمة القتال فضجر أهلها و مسهم التعب و الكلال و الإعياء فضعفوا ، فملك التتر البلد و قتلوا فيه كثيراً و نهبوا الأموال و استباحوها .

((ذكر ما فعلوه باللان و قفجاق)):

لما عبر التتر دربند شروان ساروا في تلك الأعمال ، و فيها أمم كثيرة منهم اللان و اللكز و طوائف من الترك ، فنهبوه و قتلوا من اللكز كثيراً ، وهم مسلمون و كفار ، و أوقعوا بمن عداهم من أهل تلك البلاد ، و وصلوا إلى اللان و هم أمم كثيرة ، و قد بلغهم خبرهم فجدوا و جمعوا عندهم جمعاً من قفجاق فقاتلوهم فلم تظفر إحدى الطائفتين بالأخرى ، فأرسل التتر إلى قفجاق يقولون : نحن و أنتم جنس واحد ، وهؤلاء اللان ليسوا منكم حتى تنصروهم ، ولا دينكم مثل دينهم ، ونحن نعاهدكم أننا لا نعترض إليكم ، و نحمل إليكم من الأموال و الثياب ما شئتم و تتركون بيننا وبينهم ، فاستقر الأمر بينهم على مال حملوه و ثياب و غير ذلك ، فحملوا إليهم ما استقروا و فارقهم قفجاق ، فأوقع التتر باللان فقتلوا منهم وأكثروا و نهبوا و سبوا ، و ساروا إلى قفجاق و هم آمنون متفرقون لما استقر بينهم من الصلح فلم يسمعوا بهم إلا وقد طرقتهم و دخلوا بلادهم فأوقعوا بهم الأول فالأول ، و

أخذوا منهم أضعاف ما حملوا إليهم ، و سمع من كان بعيد الدار من قفاج الخبر ففروا من غير قتال و أبعدوا وبعضهم اعتصم بالغياض و بعضهم بالجبال و بعضهم لحق ببلاد الروس ، و أقام التتر في بلاد قفجاق وهي أرض كثيرة المرعى في الشتاء و الصيف .

((ذكر ما فعله التتر بقفجاق و الروس)):

لما استولى التتر على أرض قفجاق سار طائفة كثيرة منهم إلى بلاد الروس وهي بلاد كثيرة طويلة عريضة تجاورهم ، وأهلها يدينون بالنصرانية ، فلما وصلوا إليهم اجتمعوا كلهم و اتفقت كلمتهم على قتال التتر إن قصدوهم ، وأقام التتر بأرض قفجاق مدة ، ثم إنهم ساروا سنة عشرين و ستمائة إلى بلاد الروس فسمع الروس و قفجاق خبرهم و كانوا مستعدين لقتالهم فساروا إلى طريق التتر ليلقوهم قبل أن يصلوا بلادهم ليمنعوهم عنها ، فبلغ مسيرهم التتر فعادوا على أعقابهم راجعين ، فطمع الروس و قفجاق فيهم و ظنوا أنهم عادوا خوفاً منهم وعجزاً عن قتالهم فجدوا في اتباعهم ، ولم يزل التتر راجعين و أولئك يقفون أثرهم اثني عشر يوماً ، ثم إن التتر عطفوا على الروس و قفجاق فلم يشعروا بهم إلا وقد لقوهم على غرة منهم لأنهم كانوا قد أمنوا التتر و استشعروا القدرة عليهم فلم يجتمعوا للقتال إلا وقد بلغ التتر منهم مبلغاً عظيماً ، فصبر الطائفتان صبراً لم يسمع بمثله ، ودام القتال بينهم عدة أيام ، ثم إن التتر ظفروا و استظهروا فانهزم قفجاق و الروس هزيمة عظيمة بعد أن أئخن فيهم التتر وكثر القتل في المنهزمين فلم يسلم منهم إلا القليل ، ونهب جميع ما معهم

((ذكر عود التتر من بلاد الروس و قفجاق إلى ملكهم)):

لما فعل التتر بالروس ما ذكرناه و نهبوا بلادهم عادوا عنها و قصدوا بلغار أواخر سنة عشرين و ستمائة ، فلما سمع أهل بلغار بقربهم منهم كمنوا لهم في عدة مواضع و خرجوا إليهم فلقوهم و استجروهم إلى أن جاوزوا موضع الكمناء ، فخرجوا عليهم من وراء ظهورهم ، فبقوا في الوسط ، و أخذهم السيف من كل ناحية ، فقتل أكثرهم ، ولم ينج منهم إلا القليل قيل أنهم كانوا نحو أربعة آلاف رجل ، فساروا عائدين إلى ملكهم جنكز خان ، وخلت أرض قفجاق منهم ، فعاد من سلم منهم إلى بلادهم . وكان الطريق منقطعاً مذ

دخلها التتر ، فلما فارقوها عادوا إلى بلادهم ، واتصلت الطريق ، و حملت الأمتعة كما كانت .

((ذكر ما فعله التتر بما وراء النهر بعد بخارا وسمرقند)):

قد ذكرنا ما فعله التتر التي سيرها ملكهم جنكز خان لعنه الله إلى خوارزمشاه ، وأما جنكز خان فإنه بعد أن سير هذه الطائفة إلى خوارزم شاه وبعد انهزام خوارزمشاه من خراسان قسم أصحابه عدة أقسام ، فسير قسماً منها إلى بلاد فرغانه ليملكوها ، وسير قسماً آخر منها إلى ترمذ ، وسير قسماً منها إلى كلابة وهي قلعة حصينة على جانب جيحون من أحسن القلاع و أمنع الحصون ، فسارت كل طائفة إلى الجهة التي أمرت بقصدها و نازلتها و استولت عليها و فعلت من القتل و الأسر و السبي و النهب و التخريب و أنواع الفساد مثل ما فعل أصحابهم ، فلما فرغوا من ذلك عادوا إلى ملكهم جنكز خان وهو بسمرقند فجهز جيشاً عظيماً مع أحد أولاده و سيره إلى خوارزم ، و سير جيشاً آخر فعبروا جيحون إلى خراسان .

((ذكر ملك التتر خراسان)):

لما سار الجيش المنفذ إلى خراسان عبروا جيحون و قصدوا مدينة بلخ فطلب أهلها الأمان فأمنوهم فسلم البلد سنة سبع عشرة و ستمائة ولم يتعرضوا إليه بنهب ولا قتل ، جعلوا فيه رئيساً و ساروا و قصدوا الزوزان و سميند و اندخوى و قاريات فملكوا الجميع و جعلوا فيه ولاية و لم يتعرضوا إلى أهلها بسوء ولا أذى سوى أنهم كانوا يأخذون الرجال ليقاتلوا بهم من يمتنع عليهم ، حتى وصلوا إلى الطالقان وفيها قلعة حصينة يقال لها متصوركوه لا ترام علواً و ارتفاعاً وبها رجال يقاتلون شجعان فحاصروها مدة ستة أشهر يقاتلون أهلها ليلاً و نهاراً ولا يظفرون منها بشيء فأرسلوا إلى جنكز خان يعرفونه عجزهم عن ملك هذه القلعة لكثرة من فيها من المقاتلة و لامتناعها بحصانتها ، فسار بنفسه و بمن عنده من جموعه إليهم و حصرها ، و معه خلق كثير من المسلمين أسرى ، فأمرهم بمباشرة القتال و إلا قتلهم فقاتلوا معه ، و أقام عليها أربعة أشهر أخرى فقتل من التتر عليها خلق كثير ، فلما رأى ملكهم ذلك أمر أن يجمع له من الحطب و الأخشاب ما أمكن جمعه ، ففعلوا ذلك ، و صاروا

يعملون صفاً من خشب وفوقه صفاً من تراب ، فلم يزالوا كذلك حتى صار تلاً عالياً يوازي القلعه فاجتمع من بها ، وفتحوا بابها ، وخرجوا منها ، وحملوا حملة رجل واحد فسلم الخيالة منهم ونجوا و سلكوا تلك الجبال و الشعاب ، و أما الرجالة فقتلوا ، و دخل التتر القلعة وسبوا النساء و الأطفال ، ونهبوا الأموال و الأمتعة ، ثم إن جنكزخان جمع أهل البلاد التي أعطاهم الأمان ببلخ وغيرها و سيرهم مع بعض أولاده إلى مدينة مرو فدخلوا إليها ، وقد اجتمع بها من الأعراب و الأتراك و غيرهم ممن نجا من المسلمين ما يزيد عن مائتي ألف رجل ، وهم معسكرون بظاهر مرو ، وهم عازمون على لقاء التتر ، ويحدثون نفوسهم بالغلبة و الاستيلاء عليهم ، فلما وصل التتر إليهم التقوا و اقتتلوا فصر المسلمون ، فلما رأى المسلمون صبر التتر و إقدامهم ولوا منهزمين ، فقتل التتر منهم و أسروا الكثير و لم يسلم إلا القليل ، ونهبت أموالهم و سلاحهم و دوابهم ، و أرسل التتر إلى ما حولهم من البلاد يجمعون الرجال لحصار مرو ، فلما اجتمع لهم ما أرادوا تقدموا إلى مرو و حصروها و جدوا في حصرها ولازموا القتال ، و كان أهل البلد قد ضعفوا بانهازم ذلك العسكر و كثرة القتل و الأسر فيهم ، فلما كان اليوم الخامس من نزولهم أرسل التتر إلى الأمير الذي بها متقدماً على من فيها يقولون له : لا تهلك نفسك و أهل البلد و اخرج إلينا فنحن نجعلك أمير هذه البلدة و نرحل عنك ، فأرسل يطلب الأمان لنفسه و لأهل بلده فأمّنهم ، فخرج إليهم فخلع عليه ابن جنكزخان و احترامه ، وقال له : أريد أن تعرض عليّ أصحابك حتى ننظر من يصلح لخدمتنا استخدمناه و أعطيناه أقطاعاً و يكون معنا ، فلما حضروا عنده و تمكن منهم قبض عليهم وعلى أميرهم وكتفوهم، فلما فرغ منهم قال لهم : اكتبوا إليّ تجار البلد ورؤسائه و أرباب الأموال في جريدة و اكتبوا إليّ أرباب الصناعات والحرف في نسخة أخرى ، و اعرضوا ذلك علينا ، ففعلوا ما أمرهم ، فلما وقف على النسخ أمر أن يخرج أهل البلد منه بأهلهم ، فخرجوا كلهم ولم يبق فيه أحد ، فجلس على كرسي من ذهب ، و أمر أن يحضر أولئك الأجناد الذين قبض عليهم ، فأحضروا و ضربت رقابهم صبراً و الناس ينظرون و يبكون ، و أخذوا أرباب الأموال فضربوهم و عذبوهم بأنواع العقوبات في طلب الأموال فربما مات أحدهم من شدة الضرب ، ولم يكن بقي له ما

يفتدي به نفسه ، ثم إنهم أحرقوا البلد ، فبقوا كذلك ثلاثة أيام ، فلما كان اليوم الرابع أمر بقتل أهل البلد كافة ، وقال : هؤلاء عصوا علينا فقتلوهم أجمعين ، و أمر بإحصاء القتلى فكانوا نحو سبعمائة ألف قتيل ، فإنا لله و إنا إليه راجعون مما جرى على المسلمين ذلك اليوم .

ثم ساروا إلى نيسابور فحاصروها خمسة أيام ، وبها جمع صالح من العسكر الإسلامي فلم يكن لهم بالتر قوة ، فملكوا المدينة و أخرجوا أهلها إلى الصحراء ، فقتلوهم و سبوا حريمهم ، وعاقبوا من اتهموه بمال كما فعلوا بمر و ، و أقاموا خمسة عشر يوماً يخبون و يفتشون المنازل عن الأموال ، وكانوا لما قتلوا أهل مرو وقيل لهم إن قتلهم سلم منهم كثير ، ونجوا إلى بلاد الإسلام ، فأمرؤا بأهل نيسابور أن تقطع رؤوسهم لئلا يسلم من القتل أحد ، فلما فرغوا من ذلك سيروا طائفة منهم إلى طوس ففعلوا بها كذلك أيضاً ، و خربوها حتى جعلوا الجميع خراباً ، ثم ساروا إلى هراة ، وهي من أحصن البلاد ، فحاصروها عشرة أيام ، فملكوها و أمنوا أهلها و قتلوا منها البعض و جعلوا عند من سلم منهم رئيساً ، وساروا إلى غزنة فلقبهم جلال الدين بن خوارزم شاه فقاتلهم وهزمهم ، فوثب أهل هراة على الرئيس فقتلوه ، فلما عاد المهزومون عليهم دخلوا البلد قهراً و عنوة وقتلوا كل من فيه ونهبوا الأموال ، وسبوا الحريم ، و نهبوا السواد ، و خربوا المدينة جميعها و أحرقوها ، وعادوا إلى ملكهم جنكزخان وهو بالطالقان يرسل السرايا إلى جميع بلاد خراسان ، ففعلوا بها كذلك ، ولم يسلم من شرهم وفسادهم شيء من البلاد ، وكان جميع ما فعلوه بخراسان سنة سبع عشرة .

((ذكر ملكهم خوارزم و تخريبها)):

و أما الطائفة من الجيش التي سيرها جنكزخان إلى خوارزم فإنها كانت أكثر السرايا جميعها لعظم البلاد ، فساروا حتى وصلوا إلى خوارزم ، وفيها عسكر كبير و أهل البلد معروفون بالشجاعة و الكثرة ، فقاتلوهم أشد قتال سمع به الناس ، و دام الحصر لهم خمسة أشهر ، فقتل من الفريقين خلق كثير إلا أن القتلى من التتر كانوا أكثر ، لأن المسلمين كان يحميهم السور ، فأرسل التتر إلى ملكهم جنكزخان يطلبون المدد فأمدهم بخلق كثير ، فلما وصلوا

إلى البلد زحفوا زحفاً متتابعاً فملكوا طرفاً منه ، فاجتمع أهل البلد و قاتلوهم في طرف
الموضع الذي ملكوا فلم يقدروا على إخراجهم و لم يزالوا يقاتلونهم و التتر يملكون منهم
محلة بعد محلة ، كلما ملكوا محلة قاتلهم المسلمون في المحلة التي تليهم ، فكان الرجال و النساء
و الصبيان يقاتلون ، فلم يزالوا كذلك حتى ملكوا البلد جميعه ، وقتلوا كل من فيه ، ونهبوا
كل ما فيه ، ثم إنهم فتحوا السد الذي يمنع ماء جيحون عن البلد فدخله الماء فغرق البلد
جميعه ، و تهدمت الأبنية ، وبقي موضعه ماء و لم يسلم من أهله أحد البتة ، فإن غيره من
البلاد قد كان يسلم بعض أهله ، منهم من يختفي ، ومنهم من يهرب ، ومنهم من يخرج ثم
يسلم ، و منهم من يلقي نفسه بين القتلى فينجو ، و أما أهل خوارزم فمن اختفى من التتر
غرقه الماء أو قتله الهدم فأصبحت خراباً يباباً :

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر

فلما فرغوا من خراسان و خوارزم عادوا إلى ملكهم بالطالقان .

((ذكر ملك التتر غزنة وبلاد الغور)):

لما فرغ التتر من خراسان و خوارزم و عادوا إلى ملكهم سير جيشاً كثيفاً إلى غزنة و بها
جلال الدين بن خوارزمشاه مالكا لها ، وقد اجتمع إليه من سلم من عسكر أبيه قيل وكان
ستين ألفاً ، فلما وصلوا إلى أعمال غزنة خرج إليهم المسلمون مع ابن خورزمشاه إلى موضع
يقال له بلق ، فالتقوا هناك و اقتتلوا قتالاً شديداً و بقوا كذلك ثلاثة أيام ، ثم أنزل الله
نصره على المسلمين فانهزم التتر ، وقتلهم المسلمون كيف شاؤا ، و من سلم منهم عاد إلى
ملكهم بالطالقان ، فلما سمع أهل هراة بذلك ثاروا بالوالي الذي عندهم للتتر فقتلوه ،
فسير إليهم جنكز خان عسكراً فملكوا البلد و خربوه ، فلما انهزم التتر أرسل جلال الدين
رسولاً إلى جنكزخان يقول له : في أي موضع تريد يكون الحرب حتى نأتي إليه ، فجهز
جنكزخان عسكراً كثيراً أكثر من الأول مع بعض أولاده و سيره إليه فوصل إلى كابل فتوجه
العسكر الإسلامي إليهم و تصافوا هناك و جرى بينهم قتال عظيم ، فانهزم الكفار ثانياً
فقتل كثير منهم ، و غنم المسلمون مامعهم ، و كان عظيماً ، و كان معهم من أسارى
المسلمين خلق كثير فاستنقذوهم ، ثم إن المسلمين جرى بينهم فتنة لأجل الغنيمة ، و سبب

ذلك أن أميراً منهم يقال له سيف الدين بغراق كان شجاعاً و اصطلى الحرب مع التتر بنفسه وقال لعسكر جلال الدين : تأخروا أنتم فقد ملئتم منهم رعباً ، وهو الذي كسر التتر على الحقيقة ، وكان من المسلمين أيضاً أمير كبير يقال له ملك خان، فاختلف هذان الأميران في الغنيمة ، فاقتتلوا فقتل بينهم أخ لبغراق فقال بغراق : أنا أهزم الكفار و يقتل أخي لأجل هذا السحت ، فغضب وفارق العسكر وسار إلى الهند ، فتبعه من العسكر ثلاثون ألفاً كلهم يريدونه ، فاستعطفه جلال الدين بكل طريق وسار بنفسه إليه ، وذكره الجهاد وخوفه من الله تعالى ، و بكى بين يديه ، فلم يرجع وسار مفارقاً ، فانكسر لذلك المسلمون و ضعفوا ، فبينما هم كذلك إذ ورد الخبر أن جنكزخان قد وصل في جموعه و جيوشه ، فلما رأى جلال الدين ضعف المسلمين لأجل من فارقه من العسكر ولم يقدر على المقام سار نحو بلاد الهند فوصل إلى ماء السند وهو نهر كبير فلم يجد من السفن ما يعبر فيه ، وكان جنكزخان يقص أثره مسرعاً فلم يتمكن جلال الدين من العبور حتى أدركه جنكزخان في التتر ، فاضطر المسلمون حينئذ إلى القتال و الصبر لتعذر العبور عليهم ، فتصافوا و اقتتلوا أشد قتال ، اعترفوا كلهم أن كل ما مضى من الحروب كان لعباً بالنسبة إلى هذا القتال ، فبقوا كذلك ثلاثة أيام ، فقتل الأمير ملك خان و خلق كثير ، و كان القتل في الكفار أكثر و الجراح أعظم فرجع الكفار عنهم فأبعدوا و نزلوا ، فلما رأى المسلمون أنهم لا مدد لهم وقد ازدادوا ضعفاً بمن قتل منهم وجرح ولم يعلموا بما أصاب الكفار من ذلك فأرسلوا يطلبون السفن فوصلت و عبر المسلمون ، فلما كان الغد عاد الكفار إلى غزنة وقد قويت نفوسهم بعبور المسلمين الماء إلى جهة الهند وبعدهم ، فلما وصلوا إليها ملكوها لوقتها لخلوها من العساكر و المحامي فقتلوا أهلها، ونهبوا الأموال ، وسبوا الحرير ولم يبق أحد ، و خربوها و أحرقوها ، وفعلوا بسوادها كذلك و نهبوا وقتلوا و أحرقوا ، فأصبحت تلك الأعمال جميعها خالية من الأنيس خاوية على عروشها كأن لم تغن بالأمس^(١)

(١) - الكامل في التاريخ لابن الأثير (بتصرف واختصار

المؤامرة الصليبية التتريية

واعلم علمني الله وإياك: أن النصارى قد اتصلوا بالتتر وجرة بينهم لقاءات واجتماعات ومن خلالها شمع النصارى واستذلوا أهل الإسلام واليك بعض الأدلة على ذلك التآمر يقول ابن كثير رحمه الله: اجتمع إبل سيان لعنه الله بأساقفة النصارى وقساوستهم، فعظمهم جداً، وزار كنائسهم، فصارت لهم دولة وصوله بسببه، وذهبت طائفة من النصارى إلى هولاءكو (في تبريز) وأخذوا معهم هدايا وتحفاً، وقدموا من عنده ومعهم أمان من جهته، ودخلوا من باب توما (أحد أبواب دمشق) ومعهم صليب منصوب.. يحملونه على رؤوس الناس، وهم ينادون بشعارهم ويقولون: ظهر الدين الصحيح دين المسيح، ويذمون دين الإسلام وأهله، ومعهم أوان فيها خمر، لا يرون على باب مسجد إلا رشوا عنده خمرأً، وقماقم ملآنة خمرأً يرشون منها على وجوه الناس وثيابهم، ويأمرون كل من يجتازون به في الأزقة والأسواق أن يقوم لصليهم، ووقف خطيهم إلى دكة دكان في عطفة السوق فمدح دين النصارى، وذم دين الإسلام وأهله، فإننا لله وإنا إليه راجعون..

ثم إنهم دخلوا الجامع بخمر، فلما وقع ذلك اجتمع قضاة المسلمين والشهود والفقهاء، فدخلوا القلعة يشكون هذه الحال إلى إبل سيان زعيم التتار، فأهينوا وطردوا، وقدم كلام رؤساء النصارى عليهم، فإننا لله وإنا إليه راجعون.

ويقول ابن تغري بردي (ثم كتب الملك المظفر كتاباً إلى أهل دمشق يخبرهم فيه بالفتح وكسر العدو المخذول ويعددهم بوصوله إليهم ونشر العدل فيهم، فسر عوام دمشق وأهلها بذلك سروراً زائداً، وقتلوا فخر الدين محمد بن يوسف بن محمد الكنجي في جامع دمشق. وكان المذكور من أهل العلم، لكنه كان فيه شر، وكان رافضياً خبيثاً وانضم على التتار. وقتلوا أيضاً بدمشق من أعوان التتار ابن الماسكيني، وابن النفيل وغيرهما. وكان النصارى بدمشق قد شمعوا وتجروا على المسلمين واستطالوا بتردد التتار إلى كنائسهم. وذهب بعضهم إلى هولاءكو وجأوا من عنده بفرمان يتضمن الوصية بهم والاعتناء بأمرهم، ودخلوا بالفرمان من باب توما وصلبانهم مرتفعة، وهم ينادون بارتفاع دينهم واتضاع دين

المسلمين، ويرشون الخمر على الناس وفي أبواب المساجد، فحصل عند المسلمين من ذلك هم عظيم. فلما هرب نواب التتار حين بلغتهم الكسرة أصبح الناس وتوجهوا إلى دور النصارى ينهاونها ويأخذون ما استطاعوا منها، وأخربوا كنيسة اليعاقبة وأحرقوا كنيسة مريم حتى بقيت كوماً، وقتلوا منهم جماعة واختفى الباقون. وكانت النصارى في تلك الأيام ألزموا المسلمين بالقيام في دكاكينهم للصليب، ومن لم يقم أخرجوا به وأهانوه، وشقوا السوق على هذا الوجه إلى عند القنطرة آخر سويقة كنيسة مريم، فقام بعضهم على الدكان الوسطى من الصف الغربي بين القناطر وخطب وفضل دين النصارى ووضع من دين الإسلام، وكان ذلك في ثاني عشرين شهر رمضان. ثم من الغد طلع المسلمون مع قضاتهم وشهودهم إلى قلعة دمشق وبها التتار فأهانوهم التتار، ورفعوا قسيس النصارى عليهم، ثم أخرجوهم بالضرب، فصار ذلك كله في قلوب المسلمين. انتهى.

ثم إن أهل دمشق هموا أيضاً بنهب اليهود فنهبوا منهم يسيراً، ثم كفوا عنهم. ثم وصل الملك المظفر قطز إلى دمشق مؤيداً منصوراً فأنجبرت بذلك قلوب الرعايا وتضاعف شكرهم لله تعالى.

والتقاه أهل دمشق بعد أن عفوا آثار النصارى وخربوا كنائسهم جزاء لما كانوا سلفوه من ضرب النواقيس على رؤوس المسلمين، ودخلهم بالخمر إلى الجامع. وفي هذا المعنى يقول بعض شعراء دمشق: الخفيف،

هلك الكفر في الشام جميعاً واستجد الإسلام بعد دحوضه

بالمليك المظفر الملك الأر وع سيف الإسلام عند نهوضه

ملك جاءنا بعزم وحزم فاعتزنا بسمره وبيضه

أوجب الله شكر ذاك علينا دائماً مثل واجبات فروضه

وفي نصرة الملك المظفر هذا يقول الشيخ شهاب الدين أبو شامة:

غلب التتار على البلاد فجاءهم من مصر تركي يجود بنفسه

بالشام أهلهم وبدد شملهم ولكل شيء آفة من جنسه

ثم قدم الخبر على السلطان بدمشق في شوال بأن المنهزمين من رجال التتار ونسائهم لحقهم الطلب من الأمير ركن الدين بيبرس البندقداري، فإن بيبرس كان تقدم قبل السلطان إلى دمشق يتبع آثار التتار إلى قرب حلب، فلما قرب منهم بيبرس سبوا ما كان في أيديهم من أسارى المسلمين، ورموا أولادهم فتخطفهم الناس، وقاسوا من البلاء ما يستحقونه. وكان الملك المظفر قطز قد وعد الأمير بيبرس بحلب وأعمالها، فلما انتصر على التتار انثنى عزمه عن إعطائه حلب، وولاهها لعلاء الدين علي بن بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل، فكان ذلك سبب الوحشة بين بيبرس وبين الملك المظفر قطز. على ما يأتي ذكره. ولما قدم الملك المظفر إلى دمشق أحسن إلى الناس وأجراهم على عوائدهم وقواعدهم إلى آخر أيام الملك الناصر صلاح الدين يوسف. وسير الملك الأشرف صاحب حمص يطلب منه أماناً على نفسه وبلاده، وكان الأشرف أيضاً ممن انضاف إلى التتار فأمنه وأعطاه بلاده وأقره عليها، فحضر الأشرف إلى خدمة الملك المظفر ثم عاد إلى بلده. ثم توجه الملك المظفر صاحب حماة إلى حماة على ما كان عليه، وكان حضر مع الملك المظفر قطز من مصر. قلت: والملك المظفر قطز هو أول من ملك البلاد الشامية واستتاب بها من ملوك الترك^(١) ويقول اليوناني: وقتل بدمشق أيضاً من أعوان التتار الشمس ابن الماكسيني وابن البغيل وغيرهما وكان النصاري بدمشق قد شمشخوا وتجروا على المسلمين واستطالوا بتردد إيلبان وغيره من كبار التتار إلى كنائسهم وذهب بعضهم إلى هولاءكو وجاءوا من عنده بفرمان يتضمن الوصية بهم والاعتناء.....وهم بعض الناس بنهب اليهود فنهب شيء يسير ثم كفوا عنهم وفي يوم الجمعة ثاني شوال خطب بجامع دمشق الأصيل الأسعدي فبقي متولياً الخطابة والإمامة بجامع دمشق إلى سلخ شوال من سنة ثمان وخمسين وستمائة.

وحكى ابن الجزري في تاريخه عن والده إبراهيم بن أبي بكر الجزري رحمه الله قال: خرجت من جامع دمشق بعد صلاة الجمعة وهي ثاني جمعة مرت من شهر رمضان من تحت

(١) - النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة - (ج ٢ / ص ٢٧٢)

الساعات ودخلت في الخضراء إلى نحو دكاني بسوق الرماحين فوجدت جميع دكاكين الخضراء فيها الخمر والنصاري فيها يبيعون الخمر وبعض المسلمين القليلين الذين معهم وهم يشربون ويرشون الخمر على من عبر عليهم من المصلين وغيرهم قال فما ملكت نفسي إلا والدموع تسيل على خدي وحصل لي نحيب وبكاء كثير وما زلت كذلك إلى حيث وصلت دكاني بسوق البر بالرماحين وأنا على ذلك في البكاء والنحيب إذا قد جاء شخص يقال له الحاج عبد العزيز من أهل دمشق وقد جاء من المكان الذي جئت منه وقد حصل له حال مثل الحال الذي قد حصل لي فقعد كل واحد منا في ناحية وأخذ المنديل على وجهه يبكي ويتحبب قال فبينما نحن نبكي وإذا بالشيخ محمد الخالدي قدس الله روحه قد عبر علينا وقال لي يا مليح لأجل أي شيء تبكي الذي رأيت يزول الساعة أبعث إليك محمد العطار يبشرك وأنا فما أقدر أقف ثم مشى وتركني وكان الشيخ محمد مدة مقام التتر بدمشق ليس للشيخ محمد الخالدي شغل سوى أنه يمشي من باب الجابية إلى الباب الشرقي قال فلما كان بعد ساعة إذا بالحاج محمد العطار قد جاءني وقال لي الشيخ محمد يبشرك والمسلمين ويخبرك أن في أول ليلة الجمعة مرت من هذا الشهر وهو رمضان اجتمعت أشباح الأنبياء والأولياء جميعهم وإبراهيم الخليل وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليهم أجمعين على صخرة بيت المقدس وسألوا الله تعالى أن يكشف عن المسلمين ما هم فيه من أمر التتار فلم يجبههم فلما كان البارحة وهي ليلة الجمعة اجتمعوا ثانية وسألوا الله تعالى فأجابهم وما يخرج شهر رمضان إلا وهم مكسورين وما تعيد أنت والمسلمين بدمشق إلا بسلطان جديد مسلم قال والذي رحمه الله فكان الواقع كما قال الشيخ محمد قدس الله روحه. ^(١)



(١) - ذيل مرآة الزمان - (ج ١ / ص ١٣٨)

دخول التتر ببغداد وسقوط دار الخلافة

ماذا صنع التتر ببغداد عاصمة الخلافة الإسلامية؟

إنها وحشية لا ترحم فقد فعلوا ببغداد وأهلها ما تشيب له الولدان يصور ذلك الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى : (استهلت هذه السنة وجنود التتار قد نازلت ببغداد صحبة الأميرين اللذين على مقدمة عساكر سلطان التتار، هولاكو خان، وجاءت إليهم أمداد صاحب الموصل يساعدهم على البغادة وميرته وهداياه وتحفه، وكل ذلك خوفا على نفسه من التتار، ومصانعة لهم قبهم الله تعالى، وقد سترت ببغداد ونصبت فيها المجانيق والعرادات وغيرها من آلات الممانعة التي لا ترد من قدر الله سبحانه وتعالى شيئا، كما ورد في الأثر : لن يغني حذر عن قدر .

وكما قال تعالى **{إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ}** [نوح: ٤] وقال تعالى **{إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا يَقُومُ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ يَقُومَ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ}** [الرعد: ١١] وأحاطت التتار بدار الخلافة يرشقونها بالنبال من كل جانب حتى

أصبحت جارية كانت تلعب بين يدي الخليفة وتضحكه، وكانت من جملة حظاياه، وكانت مولدة تسمى عرفة، جاءها سهم من بعض الشبايك فقتلها وهي ترقص بين يدي الخليفة، فانزعج الخليفة من ذلك وفزع فرعا شديدا، وأحضر السهم الذي أصابها بين يديه فإذا عليه مكتوب إذا أراد الله إنفاذ قضائه وقدره أذهب من ذوي العقول عقولهم، فأمر الخليفة عند ذلك بزيادة الاحتراز، وكثرت الستائر على دار الخلافة - وكان قدوم هولاكو خان بجنوده كلها، وكانوا نحو مائتي ألف مقاتل - إلى بغداد في ثاني عشر المحرم من هذه السنة، وهو شديد الحنق على الخليفة بسبب ما كان تقدم من الأمر الذي قدره الله وقضاه وأنفذه وأمضاه، وهو أن هلاكو لما كان أول بروزه من همدان متوجها إلى العراق أشار الوزير مؤيد الدين محمد بن العلقمي على الخليفة بأن يبعث إليه بهدايا سنوية ليكون ذلك مداراة له عما يريده من قصد بلادهم فخذل الخليفة عن ذلك دويداره الصغير أيبك وغيره، وقالوا إن

الوزير إنما يريد بهذا مصانعة ملك التتار بما يبعثه إليه من الأموال، وأشاروا بأن يبعث بشيء يسير، فأرسل شيئاً من الهدايا فاحتقرها هلاكو خان، وأرسل إلى الخليفة يطلب منه دويداره المذكور، وسليمان شاه، فلم يبعثهما إليه ولا بالاً به حتى أزف قدومه، ووصل بغداد بجنوده الكثيرة الكافرة الفاجرة الظالمة الغاشمة، ممن لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر، فأحاطوا ببغداد من ناحيتها الغربية والشرقية، وجيوش بغداد في غاية القلة ونهاية الذلة، لا يبلغون عشرة آلاف فارس، وهم وبقية الجيش، كلهم قد صرفوا عن إقطاعاتهم حتى استعطى كثير منهم في الأسواق وأبواب المساجد، وأنشد فيهم الشعراء قصائد يرثون لهم ويحزنون على الإسلام وأهله، وذلك كله عن آراء الوزير ابن العلقمي الرافضي، وذلك أنه لما كان في السنة الماضية كان بين أهل السنة والرافضة حرب عظيمة نهبت فيها الكرخ ومحلة الرافضة حتى نهبت دور قرابات الوزير، فاشتد حنقه على ذلك، فكان هذا مما أهاجه على أن دبر على الإسلام وأهله ما وقع من الأمر الفظيع الذي لم يؤرخ أبشع منه منذ بنيت بغداد، وإلى هذه الأوقات، ولهذا كان أول من برز إلى التتار هو، فخرج بأهله وأصحابه وخدمه وحشمه، فاجتمع بالسلطان هلاكو خان لعنه الله، ثم عاد فأشار على الخليفة بالخروج إليه والمثول بين يديه لتقع المصالحة على أن يكون نصف خراج العراق لهم ونصفه للخليفة، فاحتاج الخليفة إلى أن خرج في سبعمائة راكب من القضاة والفقهاء والصوفية ورؤس الأمراء والدولة والأعيان، فلما اقتربوا من منزل السلطان هولاكو خان حجبوا عن الخليفة إلا سبعة عشر نفساً، فخلص الخليفة بهؤلاء المذكورين، وأنزل الباقون عن مراكزهم ونهبت وقتلوا عن آخرهم، وأحضر الخليفة بين يدي هولاكو فسأله عن أشياء كثيرة فيقال إنه اضطرب كلام الخليفة من هول ما رأى من الإهانة والجبروت، ثم عاد إلى بغداد وفي صحبته خوجه نصير الدين الطوسي، والوزير ابن العلقمي وغيرهما، والخليفة تحت الحوطة والمصادرة، فأحضر من دار الخلافة شيئاً كثيراً من الذهب والحلي والمصاغ والجواهر والأشياء النفيسة، وقد أشار أولئك الملا من الرافضة وغيرهم من المنافقين على هولاكو أن لا يصالح الخليفة، وقال الوزير متى وقع الصلح على المناصفة لا يستمر هذا إلا عاماً أو عامين ثم يعود الأمر إلى ما كان عليه قبل ذلك، وحسنوا له قتل الخليفة، فلما عاد الخليفة

إلى السلطان هولاکو أمر بقتله، ويقال إن الذي أشار بقتله الوزير ابن العلقمي، والمولى نصير الدين الطوسي، وكان النصير عند هولاکو قد استصحبه في خدمته لما فتح قلاع ألاموت، وانتزعها من أيدي الإسماعيلية، وكان النصير وزيرا لشمس الشموس ولأبيه من قبله علاء الدين بن جلال الدين، وكانوا ينسبون إلى نزار بن المستنصر العبيدي، وانتخب هولاکو النصير ليكون في خدمته كالوزير المشير، فلما قدم هولاکو وتهيب من قتل الخليفة هون عليه الوزير ذلك فقتلوه رفسا، وهو في جوالق لثلا يقع على الأرض شيء من دمه، خافوا أن يؤخذ بثأره فيما قيل لهم، وقيل بل خنق، قتل أستاذ دار الخلافة الشيخ محيي الدين يوسف بن الشيخ أبي الفرج بن الجوزي، وكان عدو الوزير، وقتل أولاده الثلاثة: عبد الله، وعبد الرحمن، وعبد الكريم، وأكابر الدولة واحدا بعد واحد، منهم الديودار الصغير مجاهد الدين أيك، وشهاب الدين سليمان شاه، وجماعة من أمراء السنة وأكابر البلد.

وكان الرجل يستدعى به من دار الخلافة من بني العباس فيخرج بأولاده ونسائه فيذهب به إلى مقبرة الخلال، تجاه المنطرة فيذبح كما تذبح الشاة، ويؤسر من يختارون من بناته وجواريه.

وقتل شيخ الشيوخ مؤدب الخليفة صدر الدين علي بن النيار، وقتل الخطباء والأئمة، وحملة القرآن، وتعطلت المساجد والجماعات والجمعات مدة شهور ببغداد، وأراد الوزير ابن العلقمي قبحه الله ولعنه أن يعطل المساجد والمدارس والربط ببغداد ويستمر بالمشاهد ومحال الرفض، وأن يبني للرافضة مدرسة هائلة ينشرون علمهم وعلمهم بها وعليها، فلم يقدره الله تعالى على ذلك، بل أزال نعمته عنه وقصف عمره بعد شهور يسيرة من هذه الحادثة، وأتبعه بولده فاجتمعا والله أعلم بالدرك الأسفل من النار.

ولما انقضى الأمر المقدر وانقضت الأربعون يوما بقيت بغداد خاوية على عروشها ليس بها أحد إلا الشاذ من الناس، والقتلى في الطرقات كأنها التلول، وقد سقط عليهم المطر فتغيرت صورهم وأنتنت من جيفهم البلد، وتغير الهواء فحصل بسببه الوباء الشديد حتى

تعدى وسرى في الهواء إلى بلاد الشام، فمات خلق كثير من تغير الجو وفساد الريح، فاجتمع على الناس الغلاء والوباء والفناء والطعن والطاعون، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ولما نودي ببغداد بالأمان خرج من تحت الأرض من كان بالمطامير والقنى والمقابر كأنهم الموتى إذا نبشوا من قبورهم، وقد أنكر بعضهم بعضاً فلا يعرف الوالد ولده ولا الاخ أخاه، وأخذهم الوباء الشديد فتفانوا وتلاحقوا بمن سبقهم من القتلى، واجتمعوا تحت الثرى بأمر الذي يعلم السر وأخفى، الله لا إله إلا هو له الاسماء الحسنى. وكان رحيل السلطان المسلط هولاءكو خان عن بغداد في جمادى الأولى من هذه السنة إلى مقر ملكه، وفوض أمر بغداد إلى الأمير علي بهادر،^(١)

هزيمة التتار في عين جالوت

واعلم علمني الله وإياك: أن الله تعالى مَنَّ على المسلمين في تلك الفترة الرهيبة بعلماء ربانين أخذوا يحثوا المسلمين على الجهاد في سبيل الله وألا يضعفوا أمام عدوهم، وكذلك هيئ الله للأمة قائداً رباني أخلص عمله لله وانتدب العباد للجهاد إنه القائد المظفر قطز - رحمه الله - وجعل الجنة مثواه

يقول ابن كثير - رحمه الله - (وقعة عين جالوت اتفق وقوع هذا كله في العشر الأخير من رمضان من هذه السنة، فما مضت سوى ثلاثة أيام حتى جاءت البشارة بنصرة المسلمين على التتار بعين جالوت، وذلك أن الملك المظفر قطز صاحب مصر لما بلغه أن التتار قد فعلوا بالشام ما ذكرنا، وقد نبهوا البلاد كلها حتى وصلوا إلى غزة، وقد عزموا على الدخول إلى مصر، وقد عزم الملك الناصر صاحب دمشق على الرحيل إلى مصر، وليته فعل، وكان في صحبته الملك المنصور صاحب حماه وخلق من الأمراء وأبناء الملوك، وقد وصل إلى قطية وأكرم الملك المظفر قطز صاحب حماه ووعد ببلده ووفاه له، ولم يدخل الملك الناصر مصر بل كر راجعاً إلى ناحية تيه بني إسرائيل، ودخل عامة من كان معه إلى

(١) - البداية والنهاية (١٣/ ٢٠٠-٢٠٣)

مصر، ولو دخل كان أيسر عليه مما صار إليه، ولكنه خاف منهم لأجل العداوة فعدل إلى ناحية الكرك فتحصن بها وليته استمر فيها، ولكنه قلق فركب نحو البرية - وليته ذهب فيها - واستجار ببعض أمراء الأعراب، فقصدته التتار وأتلفوا ما هنالك من الأموال وخرّبوا الديار وقتلوا الكبار والصغار وهجموا على الأعراب التي بتلك النواحي فقتلوا منهم خلقا وسبوا من نسلهم ونسائهم، وقد اقتص منهم العرب بعد ذلك، فأغاروا على خيل جشارهم في نصف شعبان فساقوها بأسرها، فسأقت وراءهم التتار فلم يدركوا لهم الغبار ولا استردوا منهم فرسا ولا حمارا، وما زال التتار وراء الناصر حتى أخذوه عند بركة زيزي وأرسلوه مع ولده العزيز وهو صغير وأخيه إلى ملكهم هولاكو خان وهو نازل على حلب، فما زالوا في أسره حتى قتلهم في السنة الآتية كما سنذكره.

والمقصود أن المظفر قطز لما بلغه^(١) ما كان من أمر التتار بالشام المحروسة وأنهم عازمون على الدخول إلى ديار مصر بعد تمهيد ملكهم بالشام، بادرهم قبل أن يبادروه وبرز إليهم وأقدم عليهم قبل أن يقدموا عليه، فخرج في عساكره وقد اجتمعت الكلمة عليه، حتى انتهى إلى الشام واستيقظ له عسكر المغول وعليهم كتبغانوين، وكان إذ ذاك في البقاع فاستشار الأشرف صاحب حمص والمجير ابن الزكي، فأشاروا عليه بأنه لا قبل له بالمظفر حتى يستمد هولاكو فأبى إلا أن يناجزه سريعا، فساروا إليه وسار المظفر إليهم، فكان اجتماعهم على عين جالوت يوم الجمعة الخامس والعشرين من رمضان، فاقتتلوا قتالا عظيما فكانت النصر لله الحمد للإسلام وأهله، فهزمهم المسلمون هزيمة هائلة وقتل أمير المغول كتبغانوين وجماعة من بيته، وقد قيل إن الذي قتل كتبغانوين الأمير جمال الدين أقوش الشمسي، واتبعهم الجيش الإسلامي يقتلونهم في كل موضع، وقد قاتل الملك المنصور صاحب حمه مع الملك المظفر قتالا شديدا، وكذلك الأمير فارس الدين أقطاي المستعرب،

(١) - قال ابن إياس في بدائع الزهور ١ / ١ / ٣٠٤: فلما كان يوم السبت خامس صفر سنة ثمان وخمسين وستمائة، حضر إلى الابواب الشريفة، قاصد هولاكو، وهو شخص من التتار، يقال له كتبغانوينيك وصحبته أربعة من التتار وعلى يده كتاب من هولاكو.. (وذكر تمام الكتاب بما حواه من ألفاظ فاحشة) فنأدى بالنفير عاما إلى الغزاة في سبيل الله ثم عرض العسكر، فاجتمع عنده نحو أربعين ألف

وكان أتابك العسكر، وقد أسر من جماعة كتبغانوين الملك السعيد بن العزيز بن العادل فأمر المظفر بضرب عنقه، واستأمن الأشرف صاحب حمص، وكان مع التتار وقد جعله هولاءكو خان نائباً على الشام كله، فأمنه الملك المظفر ورد إليه حمص، وكذلك رد حماه إلى المنصور وزاده المعرة وغيرها، وأطلق سلمية للأمير شرف الدين عيسى بن مهنا بن مانع أمير العرب، واتبع الأمير بيبرس البندقداري وجماعة من الشجعان التتار يقتلونهم في كل مكان، إلى أن وصلوا خلفهم إلى حلب، وهرب من بدمشق منهم يوم الأحد السابع والعشرين من رمضان، فتبعهم المسلمون من دمشق يقتلون فيهم ويستفكون الأسارى من أيديهم، وجاءت بذلك البشارة والله الحمد على جبره إياهم بلطفه فجاءتها دق البشائر من القلعة وفرح المؤمنون بنصر الله فرحاً شديداً، وأيد الله الإسلام وأهله تأييداً وكبت الله النصارى واليهود والمنافقين وظهر دين الله وهم كارهون، فتبادر عند ذلك المسلمون إلى كنيسة النصارى التي خرج منها الصليب فانتهبوا ما فيها وأحرقوها وألقوا النار فيما حولها فاحترق دور كثيرة إلى النصارى، وملا الله بيوتهم وقبورهم نارا، وأحرق بعض كنيسة اليعاقبة، وهمت طائفة بنهب اليهود، فقليل لهم إنه لم يكن منهم من الطغيان كما كان من عبدة الصلبان، وقتلت العامة وسط الجامع شيخاً رافضياً كان مصانعاً للتتار على أموال الناس يقال له الفخر محمد بن يوسف بن محمد الكنجي، كان خبيث الطوية مشرقياً ممالئاً لهم على أموال المسلمين قبحه الله، وقتلوا جماعة مثله من المنافقين فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين،^(١)

غلب التتار على البلاد فجاءهم من مصر تركي يجود بنفسه

بالشام بددهم وفرق شملهم ولكل شيء آفة من جنسه

ولبعض شعراء دمشق أيضاً:

هلك الكفر في الشام جميعاً واستجد الإسلام بعد دحوضه

بالمليك المظفر الملك الأر وع سيف الإسلام عند نهوضه

(١) - البداية والنهاية - (ج ١٣ / ص ٢٥٥)

ملك جاءنا بعزم وحزم فاعتزنا بسمره وبيضه
أوجب الله شكر ذاك علينا دائماً مثل واجبات فروضه^(١)



^(١) - ذيل مرآة الزمان - (ج ١ / ص ١٣٩)

الفصل السادس

المؤامرة ضد المسلمين في بلاد الأندلس

أخي المسلم: بعد أن تعرفنا في الفصول السابقة على حقيقة العداء الذي تكنه صدور النصارى ومن شايعهم وعرفنا إن العاقبة للتقوى هيا لنفتح صفحة أخرى من تاريخ المؤامرة على الإسلام والمسلمين هذه الصفحة في بلاد الأندلس التي بنى المسلمون فيها أجمل الحضارات، ولكن كيف دخل الإسلام إلى تلك البلاد؟ وكيف خرجوا منها؟

فتح الأندلس:

كانت شبه الجزيرة الايبيرية «أسبانيا» تحت حكم الملوك القوط الذين هاجروا إليها من داخل أوروبا وقد عانى الأسبان كثيرا من ظلمهم وسوء إدارتهم وقد كانوا يتحينون الفرص للتخلص منهم.

حانت الفرصة عندما جاء ملك القوط لذريق إلى الحكم بعد أن اغتصب الحكم من الملك الشرعي واغتاله.

فقد طلب بعض الأسبان النجدة من موسى بن نصير الذي أرسل قائداً شاباً مع جيش صغير من المسلمين.

كان هذا القائد هو طارق بن زياد الذي وطأت أقدامه هو وجيشه أرض الأندلس في شهر رجب ٩٢ هـ «٧١١م» عند المضيق المسمى باسمه لهذا اليوم «جبل طارق».

استطاع المسلمون من هزيمة لذريق وقتله وتشتيت جيشه بصورة تامة وبهذا بدأ الفتح الإسلامي لهذه البلاد وبدأ حقبة جديدة في تاريخ أسبانيا.

لقد قابل الأسبان دخول الجيش الإسلامي بارتياح وترحيب ظاهرين إذ هم لاقوا الأمرين من ظلم وتعسف ملوك القوط السابقين ولم تمض فترة قصيرة إلا وكان المسلمون

يسيطرون على معظم البلاد الأسبانية واخترقوا جبال البايرينز إلى جنوب فرنسا إلا أنهم خسروا معركة بلاط الشهداء مع شارل مارتل ملك الإفرنج وبهذا توقف الزحف

الإسلامي إلى قلب أوروبا بسبب فتنة عمياء لاقتسام الغنائم بين العرب والبربر حيث قتل في تلك المعركة القائد المسلم عبد الرحمن الغافقي عندما اضطرب الجيش الإسلامي وتقهقر أمام ضربات الإفرنج الذين استعادوا الهجوم واستغلوا الفرصة أحسن استغلال. لم تكن سيطرة المسلمين على أسبانيا كاملة تماماً إذ بقيت جيوب صغيرة للأسبان في الشمال والشمال الغربي في المناطق الجبلية الوعرة كانوا ينفذون منها للهجوم والتخريب. لم يدر في خلد المسلمين الفاتحين أن هذه الجيوب الصغيرة سوف تكون نواة لممالك الأسبان مستقبلاً لينطلقوا منها في التهام ممالك الإسلام في أسبانيا الواحدة تلو الأخرى عندما ضعف المسلمون ولم يكن طموح الأسبان لينتهي إلا بطرد المسلمين بصورة نهائية كما سوف نرى. على مرّ السنين دخل الكثير من الأسبان في الإسلام وكثر التزاوج بين الفاتحين والأسبان بحيث نشأ جيل كبير من المولودين الذين يحملون في عروقهم دماء أسبانية إضافة إلى الدماء العربية والبربرية وقد ارتقى الكثير منهم في مناصب الدولة العالية مثل ابن حزم الأندلسي الذي اعتنق جده الإسلام.

لقد نشأت تركيبة اجتماعية وعرقية خاصة في الأندلس كانت سبباً في نشوء الفتن والاضطرابات التي كانت تؤججها سوء الإدارة أحياناً. فكان هناك العرب والبربر والأسبان، والعرب انقسموا بدورهم إلى قيسية ويمانية مع ما رافقها من فتن كبيرة وكان هناك البربر والتنافس التقليديين بينهم وبين العرب وكان الأسبان بقسميهم المسلم والمسيحي إضافة إلى المهجنين.

كانت هذه التركيبة العرقية والاجتماعية نواة فيما بعد لممالك الطوائف المتناحرة والتي انتهت بفنائها جميعاً كما سنرى خلال البحث.

الحكم الأموي المباشر في الأندلس

دخلت الأندلس المرحلة الثانية من تاريخها السياسي عندما فوّضت أركان الخلافة على بني أمية في دمشق حيث هزم آخر خلفائهم مروان بن محمد أمام جيوش العباسيين في معركة الزاب سنة ١٣٢ هـ.

وولى هائماً على وجهه وكأن الأرض لا تسع لهربه بما وسعت ليلقى حتفه على يد

العباسيين ولتبدأ مرحلة دموية كان الأمويون وقودها حيث أذاق بنو العباس الأمويين حر الحديد وبأس السيف وجرعوه مرارة الذل والهوان وشردوهم وراء كل حجر ومدر. نجا من تلك المذابح شاب أموي اسمه عبد الرحمن استطاع عبور الفرات وهرب إلى شمال إفريقيا، وبمساعدة أخواله البربر استطاع العبور إلى الأندلس. استطاع عبد الرحمن الملقب «الداخل» من تأليف القبائل اليمانية التي كانت ناقمة على هيمنة القبائل القيسية وبمساعدة البربر استطاع أن يخضع الأندلس لسيطرته وأن يبايعوه أهل الأندلس أميرا عليها سنة ١٣٨ هـ «٧٥٥م». حاول الخليفة أبو جعفر المنصور عبثاً إخضاع عبد الرحمن الداخل حيث استطاع عبد الرحمن هذا (الذي لقبه المنصور بلقب صقر قریش، أن يهزم جيش المنصور وأن يبرد برؤوس قادة الجيش إلى المنصور لتصله إلى مكة أثناء موسم الحج). اتخذ عبد الرحمن قرطبة عاصمة له وبدأ ببناء وتوسعة مسجدها الشهير فدخلت قرطبة مرحلة مزدهرة أصبحت معها فيما بعد محط الأنظار ومهد الحضارة. استمرت السلالة الأموية في حكم الأندلس حيث بلغت أوج حكمها في زمن عبد الرحمن الثالث الذي دام حكمه لأكثر من خمسين عاماً وامتد سلطانه إلى شمال إفريقيا وليقهر الأسبان وليجعل من أسبانيا قبلة الأمصار وعروس أوروبا، إليها تشدّ الرحال لطلب العلم والأدب والفنون وحتى صارت اللغة العربية هي لغة العلم حتى في أوروبا. بدأ حكم عبد الرحمن الثالث في سنة ٣٠٠ هـ وانتهى عام ٣٥٠ هـ واستطاع أن يخلع على نفسه لقب أمير المؤمنين وسمى نفسه الناصر لدين الله وبهذا أصبحت دار الإسلام يحكمها ثلاثة خلفاء «الأموي والعباسي والفاطمي» في آن واحد. وقد توسعت قرطبة في عصره ليلعب عدد سكانها النصف مليون تقريباً، وقد بدأ الناصر ببناء مدينة الزهراء التي استمر بناؤها ١٧ عاماً ليجعلها مدينته المفضلة وهي تبعد عن قرطبة عدة أميال ولكن لم يمهل الزمن مدينة الزهراء هذه طويلاً إذ قد دمرت بعد خمسين سنة تقريباً في فتنة البربر الشهيرة.

توفي الخليفة الناصر سنة ٣٥٠ هـ فخلفه ولده الحكم الثاني الذي حكم لغاية سنة ٣٦٦ هـ والذي اشتهر بحبه للعدل والعلم والحكمة. وقد بلغت جامعة قرطبة في عصره منزلة علمية عالية جعلتها في مصاف جامعة الأزهر في القاهرة والمدرسة النظامية في بغداد.

لما حضرت الحكم الوفاة نظر وهو على فراش الموت إلى ولده الصغيرة نظرة أسى وحزن وكأنه علم بما سيكتنف أرض الأندلس من فتن مضطربة بعده، كان ولده لا يجاوز أحد عشر عاماً فأوصى له بالخلافة ولقبه «هشام الثاني» وجعل عليه وصياً وزيره الحاجب محمد بن أبي عامر الملقب بالمنصور والذي لم يكن عند حسن ظن سيده، إذ سرعان ما استحوذ على كل مراكز القوى وتخلص من منافسيه الواحد تلو الآخر بالقتل والاغتيال وقلص من نفوذ هشام الثاني الذي جعله لا يغادر القصر وصيّره خليفة بغير سلطان.

جمع المنصور هذا قدرة إدارية كبيرة وكفاءة عسكرية عالية يخالطها الكثير من الحنكة السياسية وميل إلى البطش والتنكيل.. خاض المنصور مع النصارى الأسبان عدة معارك أثبت فيها نفسه شجاعاً مربعاً للأسبان تتحدث به كتبهم لحد الآن وفي إحدى المعارك استولى على كنيسة سنتياغو وجعل الأسرى الأسبان يحملون الأجراس على ظهورهم لمسافة ٤٠٠ ميلاً إلى قرطبة..

وبموت الحاجب المنصور سنة ١٠٠٢م بدأ الهبوط السريع لحكم الإسلام في الأندلس فلم يمض إلا وقت قصير حتى اندلعت فتنة البربر الذين دمروا مدينة الزهراء رائعة المدن في الأندلس وتعاقب على الخلافة الأموية خلفاء ضعفاء لم يتركوا أثراً يذكر إلا شيئاً أدبياً خالداً ألا وهو غرام الشاعر ابن زيدون «بالولادة» بنت الخليفة المستكفي التي عافت حياة الحریم وكانت على درجة كبيرة من الأدب والعلم فأغرم بها الشاعر ابن زيدون الذي انتهى أمره معها بالفراق فخلدها بقصيدته الرائعة:

أضحى التناهي بديلاً من تدانينا وناب عن طيب لقيانا تجافينا
بتم وبنا فما ابتلت جِوانحنا شوقاً إليكم ولا جفت ماقينا
بالأمس كنا وما يخشى تفرقنا والآن نحن وما يرجى تلاقينا
يا جنة الخلد بدلنا بسلسلها والكوثر العذب زقوماً وغسلينا

ملوك الطوائف:

بعد إلغاء الخلافة الأموية في قرطبة انفرط عقد دولة الأندلس الإسلامية وعادت الصراعات والأطماع القديمة إلى الظهور وانقسمت الدولة إلى عدد كبير من الممالك الصغيرة التي قد لا يتجاوز الواحدة منها مساحة المدينة الواحدة وما حوايلها، وانحسرت عظمة قرطبة وصارت تابعة فيما بعد لسلطان إشبيلية التي ملكها بنو عاد.. كانت دويلات الطوائف هذه متحاربة فيما بينها لا يجمعها جامع من دين أو عصبية أو مصلحة مشتركة فكان من المستحيل على مثل هذه الدويلات الاتحاد ضد خطر الأسبان الزاحف من الشمال ولكن على الرغم من التفكك الإداري والعسكري الذي أصاب الأندلس فإن هذه الفترة كانت من أخصب فترات الحضارة الإسلامية في تلك الربوع فقد ازدهر الأدب والفن وترعرعت الفلسفة ونشطت حركة الترجمة فلا بد أن نذكر أن ابن رشد وابن طفيل وعبد الله بن ميمون والمعتمد بن عباد كانوا أبناء عصر الطوائف.... كان الكثير من ملوكها على قدر كبير من الأدب والعلم كالشاعر بن عباد صاحب إشبيلية والمظفر بن افضاس الذي ألف كتاباً في التاريخ بخمسين جزءاً سماه كتاب المظفري!

على أن ازدهار ممالك الطوائف لم يمنع سقوطها تجاه زحف الأسبان فكانت تلك الممالك كزهور الربيع الطرية التي هبت عليها الحصباء فصارت كالهشيم.

لقد تناسى أولئك الحكام المتصارعون التحذير القرآني **{وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ**

رِيحُكُمْ} [الأنفال: ٤٦] وغاب عنهم أن من نام لم ينم عنه فكان أملهم الوحيد تجاه قوة

الأسبان في الشمال «مملكة قشتالة» هو الاستعانة بإخوانهم في الشمال الإفريقي.

كانت قد نشأت في المغرب العربي دولة قوية ناشئة من البربر الذين أسلموا حديثاً وسموا أنفسهم بالمرابطين وكان ملكهم يوسف بن تاشفين الذي عبر المضيق المائي الفاصل لنجدة إخوانه في الأندلس والحق بالأسبان هزيمة منكرة في معركة زلاقة الشهيرة حيث لم يعد من جيش الأسبان البالغ ٦٠ ألفاً سوى بضع مئات لاذوا بالفرار مع ملكهم الفرنسي السادس.

وتنفست ممالك الطوائف الصعداء ولو لفترة قصيرة.. كانت إشبيلية يحكمها المعتمد بن عباد الشاعر المشهور والذي دبّ الخلاف بينه وبين يوسف بن تاشفين فنفاه يوسف هذا إلى المغرب في مدينة أغمات التي مات فيها فقيراً مأسوراً.
وقد رثى نفسه بقصيدة مؤثرة مطلعها.

فيما مضى كنت بالأيام مسرورا فجاءك العيد في أغمات مأسورا
ترى بناتك في الأطمار عاريةً يطآن في الدين ما يملكن قطميرا

رجع يوسف بن تاشفين إلى الشمال الإفريقي وتوفي هناك فدب النزاع بين سلالته وسلالة أخرى أنشأت لها دولة سميت بدولة الموحدين والذين كانت لهم الغلبة أخيراً واشتهر من ملوكهم السلطان يعقوب أبو يوسف الذي عبر إلى الأندلس بعد أن سمع بالتهديد الأسباني الجديد لنصارى قشتالة فاشتبك مع الأسبان في معركة دامية «معركة الاركوس» حيث خسر الأسبان معظم جيشهم وقد حاصر أبو يعقوب مدينة طليطلة حصاراً طويلاً فخرجت ملكة الأسبان وبناتها إلى السلطان ترجو منه فك الحصار وقد تحرك قلب أبي يعقوب لهذه الجراءة وملئت قلبه الأريحية فأرجعها معززة مكرمة ومحملة بالهدايا والنفائس.. وكان السلطان يعقوب هذا هو الذي بنى المأذنة وبرج المراقبة المسمى الجيرالدا «Giraldo» والذي مازال يطل شامخاً في سماء إشبيلية. كان هذا السلطان يحترم العلماء والمفكرين وقد ضم بلاطه ابن رشد وابن طفيل وغيرهم من الأطباء ابن زهر وابن باجة.

عزم السلطان يعقوب على الرحيل إلى الشمال الإفريقي حيث قرر مغادرة الأندلس تاركاً طوائفها لقسوة القدر وفتك الأسبان الذين سرعان ما أعادوا تنظيم جيوشهم وزادوا من عدتهم وعديدهم بينما زاد التناحر والتحارب ممالك الطوائف ضعفاً على ضعف..... ولم يكن هناك عبر الساحل الإفريقي أبو يوسف يعقوب ليهب لنجدتهم فأصبحوا أمام مصيرهم المحتوم، الذين هم سارعوا في تقريب ساعته إذ لا يعدم أن يرى المستطلع لتاريخ هذه الفترة استعانة المسلمين بالأسبان على إخوانهم المسلمين وبالتالي صار الأسبان يضربون بعض هذه الممالك ببعضها حتى إذا أبادوا أحدها التفتوا إلى الأخرى فتساقطت هذه الدويلات تباعاً فسقطت قرطبة وبلقيسة ومرسية وحوصرت إشبيلية لمدة ١٥ شهراً من

قبل الأسبان وكان ممن اشترك في الحصار ابن الأحمر مؤسس دولة بني الأحمر في غرناطة وسيأتي ذلك اليوم الذي يلتهم الأسبان مملكته ولو بعد حين **{وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ}** [فاطر: ٤٣] وأخيرا فتحت إشبيلية أبوابها للأسبان فبدأت المجازر التي يعجز القلم عن وصفها ولم يستثنوا حتى الأطفال الرضع أو النساء أو الشيوخ.. وقد رثى الشعراء سقوط إشبيلية رثاء مبكياً كما في هذه الأبيات للشاعر موسى بن هارون:

فكم أسارى غدت في القيد موثقة تشكو من الذل أقداما لها حطما
وكم صريع رضيع ظل مختطفاً عن امه فهو بالأمواج قد فطما
يدعو الوليد أباه وهو في شغل عن الجواب بدمع سال وانسجما
فكم ترى والها فيهم ووالهة لا يرجع الطرف إن حاولته الكلما
في كل حين ترى صرعى مجذلة وآخرين أساوى خطبهم عظما

لابد أن نذكر هنا أن السقوط المتسارع لممالك الطوائف هو نتيجة لمعركة العقاب التي دارت رحاها في سنة ٦٠٩ هـ «١٢١٢م» بين الأسبان ومن ساندتهم من الصليبيين العائدين من أرض الشام بعد طردهم من قبل صلاح الدين، وبين جيش السلطان محمد بن يعقوب أبي يوسف الذي عبر إلى الأندلس لتأديب الأسبان إلا أن تعسفه وسوء إدارته أدت إلى انفضاض مسلمي الأندلس عنه عند أول هجوم للأسبان في تلك المعركة فمنهم من هرب ومنهم من انضم إلى الأسبان.

وكانت هزيمة ساحقة للمسلمين كما وأصبحت بالتالي بداية النهاية لدويلات الطوائف كما ذكرناه آنفاً.. ومرة أخرى تناسى المسلمون تعليم قرآنهم فكانت النتيجة وبالأعلى عليهم.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَذْبَارَ (١٥) وَمَنْ يُولِهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرُهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ} [الأنفال: ١٥، ١٦].

مملكة غرناطة وسلالة بني الأحمر

في تلك المرحلة الدامية العصبية التي مرت بها دويلات الطوائف ظهر متنافسان قويان رئيسيان هما محمد بن الأحمر وابن هود وكان قد بلغ العداء بينهما على أشده بحيث استعان

ابن الأحمر على خصمه بالأسبان وتنازل ابن هود بدوره عن ثلاثين من قلاع المسلمين للأسبان رغبة في مساندة الأسبان له ضد ابن الأحمر. كان حظ ابن هود أقل من حظ خصمه إذ استطاع أن يهزمه الأسبان ويموت أخيراً بالسّم بينما استطاع ابن الأحمر هذا الذي اشترك في حصار إشبيلية كما ذكرنا، من بسط سلطانه ودعمه في جنوب الأندلس فاستولى على غرناطة عاصمة للملك، التي قد تضخم عدد سكانها فبلغوا ٢٠٠ ألفاً بسبب نزح الهاريين إليها من مجازر الأسبان وكانت تقع في موقع حصين في واد فسيح تحيد به الجبال وتتوفر فيها المياه العذبة وبسبب جهود الغرناطيين وخبرتهم تحول ذلك الوادي إلى حدائق غناء تنتج الغذاء الوفير مما جعلها موضع حسد من قبل النصارى الأسبان يتحينون الفرص للإيقاع بها وابتلاعها كما سنرى فيما بعد.

كان أسلاف ابن الأحمر ينتمون إلى سلالة بني نصر وهم من الأنصار من الخزرج بالذات وكان أسلافه ممن خدموا السلالة الأموية في غرناطة وأبلوا بلاء حسناً في الحروب.... بدأ محمد بن الأحمر ببناء قصره الحمراء على قمة تل كان موقعاً لحماية عسكرية مسلمة «القصب» فجلب إلى هذا الموقع المياه بواسطة قنوات عميقة داخل الأرض من الجبال المحيطة واتسع البناء ليستطيع ضم ٤٠ / ١٠٠ ألفاً وقد تعاقب سلاطين بني الأحمر على عمارة قصر الحمراء وتوسعته والعناية بحديقته البهيجة حتى صار أعجوبة في الفن المعماري لهذا اليوم أصبحت غرناطة آخر معقل للإسلام في الأندلس وازدهرت فيها العلوم والفنون والآداب والفلسفة وكان سلاطينها يشجعون هذه النهضة ويرعونها ويجودون عليها بالغالي والنفيس.. وازدهرت الزراعة عبر موانئها الجنوبية الواقعة على البحر الأبيض المتوسط ففيها عاش لسان الدين بن الخطيب وقضى ابن خلدون بعض الوقت من عمره في بلاط بني الأحمر.. واستطاعت غرناطة أن تصمد لقرنين آخرين من الزمان حتى سقوطها سنة ١٤٩٢م.

سقوط غرناطة

إن صمود غرناطة لهذا الزمن الطويل يرجع لعدة أسباب منها منعة غرناطة وحنكة سلاطين بني الأحمر السياسية وصراعات الأسبان الداخلية.

كانت ممالك الأسبان الرئيسية هي قشتالة والاراكون «وليون التي ضمت إلى الاراكون» أنه لمن سوء طالع غرناطة أن يتم التصالح بين قشتالة والاراكون بزواج ملكة قشتالة إيزابيلا من ملك الاراكون فرديناند وبهذا توحدت ممالك الأسبان وبرزت أسبانيا المسيحية كدولة فتية قوية كان هدفاً مشتركاً بينهما أن يقضي فرديناند وإيزابيلا على غرناطة بصورة نهائية.. كانت إيزابيلا متعصبة لمسيحيها إلى حد الهوس وكانت ترى أن رسالتها أن تطهر أرض أسبانيا من الكفرة في نظرها وكان يساعدها على ذلك صرامة شديدة وقلب قاسي لا يلين. أما زوجها فرديناند فهو ضب لا يرى ضيراً أن يكتب عهداً بيمينه لتتقضيها شماله. وبينما كان البلاط الأسباني سائراً في طريق الوحدة كان بلاط بني الأحمر مسرحاً للفتن والدسائس والمؤامرات التي أدت إلى أن يقتل بعضهم البعض. اقتربت نهاية غرناطة عندما اعتلى السلطان علي أبو الحسن ابن الأحمر عرش غرناطة - كان أبو الحسن شجاعاً مقداماً ولكن يخالط شجاعته مزاج حاد وطبيعة نارية تبلغ درجة التهور والطيش غير عابئ للعواقب - كان أبوه قد شخص ضعف غرناطة أمام الأسبان فأثر السلامة ورضي أن يدفع لملك الأسبان ضريبة سنوية لإرضائهم.. أما أبو الحسن هذا فعندما طوب بالضريبة. أجاب الأسبان أن ليس عنده إلا السيف وأعقب كلامه بالفعل فهجم على حامية أسبانية قريبة واحتلها وطردها منها الأسبان. وجد فرديناند وإيزابيلا فرصتهم الذهبية لتحقيق حلم أسلافهم بالقضاء على هذا المعقل الحصين للإسلام.

وقد ساعدهم على ذلك حصول فتنة كبيرة في البلاط الملكي في غرناطة إذ أن أبا الحسن كان قد تزوج من ابنة عمه عائشة أو «فاطمة» التي ولدت له ابنه أبو عبد الله الملقب «الصغير» وكان لأبي الحسن زوجة أسبانية جميلة كانت المفضلة عنده حيث ولدت له طفلين وأراد أن يجعل الملك لهما من بعده.. حدثت الفتنة داخل القصر بين أبي عبد الله الصغير مدفوعاً من أمه عائشة وبين أبيه كان للأسبان يد فيها.. ويلف الغموض أحداث هذه الفترة إلا أن المعروف أن أبا الحسن ترك غرناطة متجهاً إلى المرية عند أخيه الملقب «الزغال» لشجاعته وبأسه وهناك توفي أبو الحسن فاندلعت الفتنة بين الزغال وابن أخيه أبي عبد الله الصغير

انتهت بأن يقسم الاثنان المملكة بينهما فيكون للزغال مالقة والمرية وجنوب غرناطة يكون الباقي لأبي عبد الله.

قرر فرديناند تصفية الخصمين كلاً على حدة وكان أبو عبد الله قد ارتبط بمعاهدة صداقة مع فرديناند.. فبعث فرديناند جيشاً كبيراً لمحاصرة مالقة لعدة شهور أصابت المجاعة أهلها ببلاء عظيم واستبسل سكانها في الدفاع عن مدينتهم.. وقد أرسل الزغال جيشاً من المرية لنجدة مالقة ولكن قطع الطريق عليه قوة عسكرية أرسلها أبو عبد الله.. انتصاراً للأسبان!! ولم يجد هذا الخسيس ضيراً أن يرسل رسالة تهنئة إلى فرديناند بسقوط مالقة فيما بعد. أخيراً استسلمت مالقة للأسبان وبدأت المجازر التي راح ضحيتها الطفل والشيخ والمرأة على حد سواء.. لقد سجل الأسبان صفحة سوداء أخرى في تاريخهم في مالقة حفظتها كتب التاريخ.

أبدى الزغال شجاعة نادرة في مناوراته مع الأسبان وحقق انتصارات لا باس بها عليهم ولكن الكفة رجحت أخيراً لصالحهم فلم يجد بداً من الاستسلام فأعطي بعض المال ونفي إلى أرض وهبها له فرديناند.

ولكن بقاءه في الأندلس لم يعد مرغوباً فيه فأمر أخيراً بالرحيل فعبر إلى فاس في مراكش وهناك اتهم بالخيانة والجبن وصودرت أمواله وفقأت عيناه وسجن ثم أخرج من السجن ليبدأ بالتسول في شوارع فاس وليموت البطل أخيراً كسير القلب مجروح الفؤاد على الرغم من استماتته في الدفاع عن معقل الإسلام الأخير في الأندلس.

ودارت الأيام على أبي عبد الله.. فلم يمض إلا وقت قصير حتى طلب فرديناند من أبي عبد الله تسليم غرناطة فوراً.... أسقط في يد أبي عبد الله ولم يجد الغرناطيون بداً من الدفاع عن مدينتهم والاستماتة في سبيلها.

وهكذا فقد بدأ حصار غرناطة في خريف سنة ١٤٩١م بعد أن سبقه تدمير الحقول والمروج والبساتين في وديان غرناطة الخضراء استمر الحصار لبضعة شهور كانت تكثر خلالها المناوشات والمبارزات بين فرسان المسلمين والأسبان كانت الغلبة في معظمها لفرسان

الإسلام حتى خشي فرديناند على فرسانه من الابدادة فأمر بإيقاف المبارزة بين الطرفين وضيق بدلها الحصار حتى تفشت المجاعة في داخل غرناطة. وهناك بدأ أبو عبد الله الصغير مفاوضاته سرّاً لتسليم غرناطة وفك الحصار عنها على شروط عديدة.

وفي صباح يوم الثالث من كانون الثاني ١٤٩٢ استيقظ الأسبانيون على إطلاق المدافع من قصر غرناطة وإذا بهم يرون الصليب منتصباً على قصبته فما قد تم الاستسلام وأعطيت المفاتيح لفرديناند وإيزابيلا وبهذا انهزم هلال التوحيد أمام صليب الشرك ولا حول ولا قوة إلا بالله.

كانت شروط تسليم غرناطة للأسبان تقضي للمسلمين بحرية الدين واللغة.. كما أن للمسلمين الحق في المحافظة على أموالهم وتقاليدهم وأن تحسم قضاياهم من قبل قضاة مسلمين وكذلك السماح للمؤذنين بالأذان في أوقات الصلاة. ويمنع المسيحيون من دخول بيوت المسلمين من غير إذن.. الخ، لقد استنام الغرناطيون لهذه العهود والمواثيق التي قطعها الأسبان لهم والتي كانت مخدعة الصبي عن اللبن أو الفطام.. فلم يعرف الأسبان أبدا أنهم حافظوا على عهد سابق أبدا.

كان هناك صوت رافض لهذه الشروط لفارس من فرسان غرناطة الشجعان واسمه موسى الذي خطب في قومه قبل الاستسلام محذراً إياهم من مغبة الاستنامة لوعود الأسبان ولما لم يجد أذناً صاغية غادر قومه قائلاً: «أنه يفضل الموت بالسيف على أن يموت صبراً بيد لئام الأسبان أو يُجرع الذل والهوان على يد الشرك».

وعندما خرج موسى من غرناطة اعترضته قوة من فرسان الأسبان فدارت معركة غير متكافئة قتل فيها عدة منهم وسقط أخيراً من على فرسه مثخناً بالجراح فقاتل بسيفه قائماً على ركبتيه ولما تكاثر الأسبان عليه ليفتكوا به رمى بنفسه من علو إلى النهر ولما كان مثقلاً بالدروع غاص موسى إلى قاع النهر ولم يعثر عليه على أثر فضرِب هذا الفارس المثل الأعلى في الإباء والعزة والكرامة والشجاعة.

وقد صدق حدس موسى رحمه الله فلم يمض وقت قصير إلا والعهود تنكث الواحد تلو الآخر من قبل الأسبان حتى لم يبق منها شيء يذكر وإذا بالمرحلة العصبية الأخرى تمر على مسلمي الأندلس لتسدل الخاتمة على هذا التاريخ إلى يومنا هذا.

مرحلة ما بعد السقوط

بدأ التعسف والاضطهاد مباشرة بعد سقوط غرناطة وبدأت حملات التنصير الإجباري للمسلمين. ولكن الأسبان لاحظوا أن هؤلاء غالباً ما كانوا يظهرون المسيحية ويبطنون الإسلام وبدأت محاكم التفتيش بمحاكمة وحرق من يشتبه فيه التنصير الظاهري فراح الكثير ضحايا هذه المحاكم التي أمرت بأنشائها الملكة إيزابيلا لتلتهم اليهود والمسلمين وفيما بعد حتى النصارى الذين يشك في ولائهم المطلق للكنيسة الكاثوليكية فاقترنت إيزابيلا بمحاكم التفتيش هذه في التاريخ فكانت سنة سيئة عليها وزرها ووزر من عمل بها.. إيزابيلا هذه التي سمّاها شكسبير شاعر الإنكليز «ملكة ملكات الأرض» وهي نفسها التي يبحث الفاتكان الآن في شأن رفعها إلى مستوى القديسة.. هذه هي التي كانت سبباً في إبادة شعبين مسلمين، المسلم في الأندلس والهنود الحمر في أميركا التي عبر إليها كولمبس مبحراً من إشبيلية بأموال الغنائم التي غنمها الأسبان من غرناطة وبأمر من إيزابيلا وزوجها فرديناند.. في سنة ١٥٠٢م صدر مرسوم ملكي يقضي بأن يُمنح المسلمون شهرين فقط لا غير لاعتناق المسيحية أو الطرد النهائي فشهدت ساحات غرناطة إحراق ٨٠ / ٠٠٠ من الكتب العربية والتنصير الإجباري للمسلمين من نزلاء حي البيازين المقابل لقصر الحمراء.

وفي سنة ١٥٦٦م صدر مرسوم ملكي آخر يقضي بمصادرة الكتب العربية ومنع التكلم بالعربية ومنع الحجاب بالنسبة للمسلمات وغلق الحمامات العامة ومنع الزي الإسلامي والاستعاضة عنه بالزي الأسباني وتغيير الأسماء العربية إلى الأسبانية.

كان هذا فوق طاقة تحمل المسلمين فاندلعت ثورة عارمة في غرناطة وفي منطقة جبال إلبشارات التي التجأ إليها الألوفا من المسلمين استمرت هذه الثورة لثلاث سنوات متتالية.. ارتكب فيها الأسبان أبشع الجرائم فأحرقت الكهوف على ساكنيها في جبال إلبشارات وقتل فيها الأطفال والشيوخ والنساء.. كان مدبر هذه الحملة على هؤلاء المقهورين البائسين هو

(الأمير دون جون) الابن اللقيط للإمبراطور كارلوس الخامس، فلم تهز قلب هذا اللقيط أنات الأطفال والنساء وهم يقتلون ويحرقون أمام ناظريه بالألوف، فنال هذا اللقيط مكانة بجدارة في التاريخ بين سفاحي ومجرمي البشرية الجديرين بلعنة الله ولعنة اللاعنين! يقول: أبو البقاء الرندي

تبكي الحنيفة البيضاء من أسف كما بكى لفراق الإلف هيمان
على ديار من الإسلام خالية قد أقفرت ولها بالكفر عمران
حتى المحارب تبكي وهي جامدة حتى المنابر ترثي وهي عيدان
يا غافلاً وله في الدهر موعظة إن كنت في سنة فالدهر يقظان
تلك المصيبة أنست ما تقدمها وما لها من طوال الدهر نسيان
يا راكبين عتاق الخيل ضامرة كأنها في مجال السبق عُقبان
وحاملين سيوف الهند مرهقة كأنها في ظلام النقع نيران
وراتعين وراء البحر في دعة لهم بأوطانهم عز وسلطان

بالغ المسلمون في كتمان دينهم عن الأسبان، وقد أطلق عليهم الأسبان (المورسيكيون) في النصراري الذين أبطنوا الإسلام فكانت الوفود السرية تتوالى على المسلمين من شمال إفريقيا ناقلة الفتاوى والتشريعات التي تعلمهم كيف يحافظون على دينهم في ظل هذا الكبت والكتمان، إلا أن ذلك لم يكن ليستمر طويلاً، ففي سنة ١٦١٢م كانت خاتمة الإسلام في الأندلس حيث اجبر المسلمون على الرحيل ومغادرة البلاد فغادر الكثير منهم ومات الكثير منهم في الطريق إلى شمال إفريقيا وحمل بعضهم مفاتيح بيوتهم في غرناطة على أمل العودة يوماً ما واستقر الكثير منهم في فاس والرباط وغيرها من مدن الشمال الإفريقي، كانت هذه الهجرة هي الأخيرة وقد قدر عدد النازحين بين نصف مليون والمليون وبعضهم يصل بالعدد إلى ٣ ملايين وهكذا أسدل الستار على شعب مسلم عظيم عمّر أرض أسبانيا وأرسى فيها حضارة عظيمة كان محط أنظار العالم في القرون الوسطى.

{قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ يَدُكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [آل عمران: ٢٦].

ولم تنج أسبانيا من العدالة الإلهية فإذا إمبراطوريتها التي امتدت في أوروبا والأمريكيتين تنهار سريعاً وتحولت أسبانيا إلى أرض جدداء وسارعت الخطى إلى عصور الظلام بينما دخلت مثيلاتها الأوروبية في عصور النهضة.. وبقيت أسبانيا تغط في نومها العميق إلى أن تلملت أخيراً في أواخر القرن العشرين بعد أن دخلت وأختها البرتغال السوق الأوروبية المشتركة!! ففي القرن الثامن وبالتحديد في العام ٧١١م، وصل المسلمون إلى أسبانيا، وفي السنة التالية أكملوا بسط سيطرتهم عليها، وأسموها الأندلس.

وظلت خاضعة للدولة الأموية ٣٩ سنة، وبلغت ذروة مجدها في أيام عبد الرحمن الداخل. وبدأ بعد ذلك التراجع، حيث سادت صفوفهم الفرقة والانقسام، وأنهكتهم الصراعات الداخلية. فاغتنمت الممالك الأوروبية المحيطة بتلك الأوضاع، وأخذت تحتل مدن المسلمين الواحدة تلو الأخرى، إلى أن سلم السلطان أبو عبد الله بن الأحمر غرناطة آخر معاقل المسلمين في الأندلس إلى ملكي قشتالة وآرغون الزوجين فرديناند وإيزابيلا اللذين أطلقت عليهما الكنيسة اسم الملكين الكاثوليكين، لإخلاصهما الديني ولدورهما في رعاية الكثرة في أسبانيا، ولا سيما إصدار القوانين المناوئة للإسلام وإنشاء محاكم التفتيش الأسبانية بمباركة الكنيسة وتشجيعها لتستأصل المسلمين واليهود من أسبانيا.

فبعد توقيع ابن الأحمر معاهدة الاستسلام مع الملكين الكاثوليكين بتاريخ ٢٥ نوفمبر/ تشرين الثاني ١٤٩١م التي تضمنت ٢٧ مادة، تحدد أولها ضرورة تسليم غرناطة قبل ٢٥ يناير/ كانون الثاني ١٤٩٢م للملكين الكاثوليكين، وتضمنت المواد الأخرى حقوق المسلمين في الأندلس بعد انصوائهم تحت حكم القشتاليين.

قام السلطان أبو عبد الله ورجاله بتسليم غرناطة (في يوم ٢ يناير/ كانون الثاني ١٤٩٢م) قبل التاريخ المتفق عليه. وتسلم الكاردينال مندوسة مفاتيح الحمراء من يد الوزير ابن كماشة.

وحول مسجد غرناطة الأعظم إلى كاتدرائية، ثم بدأت الكنيسة بتنظيم فرق لتنصير المسلمين، والضغط بالوعد والوعيد على وجهاء المدينة وفقهائها ليتنصروا، حتى تم تعميد جميع الأهالي بالقوة بين العامين ١٥٠٠-١٥٠١م.

ثم صدر مرسوم بتحويل جميع المساجد إلى كنائس. وفي يوم ١٢ أكتوبر/ تشرين الأول ١٥٠١م صدر مرسوم آخر بإحراق جميع الكتب الإسلامية والعربية، فأحرقت آلاف الكتب في ساحة الرملة بغرناطة، ثم تتابع حرق الكتب في جميع مدن وقرى مملكة غرناطة. كما صدر أمر بمنع استعمال اللغة العربية، ومصادرة أسلحة الأندلسيين الذين أصبحوا يسمونهم بالموريسكيين، ويعاقب المخالف لأول مرة بالحبس والمصادرة، وفي الثانية بالإعدام.

وفي العام ١٥٠٨م جددت لائحة ملكية بمنع اللباس الإسلامي. وفي العام ١٥١٠م طبقت على الموريسكيين ضرائب خاصة اسمها (الفارضة). وفي العام ١٥١١م جددت الحكومة قرارات بمنع السلاح، وحرق المتبقي من الكتب الإسلامية، ومنع ذبح الحيوانات. وفي العام ١٥٢٣م صدر مرسوم جديد يحتم تنصير كل مسلم بقي على دينه وإخراج كل من أبى التنصير، وعقاب كل من خالف الأمرين بالرق مدى الحياة.

وفي ٣٠ يناير/ كانون الثاني ١٦٠٨م قرر مجلس الدولة بالإجماع طرد الموريسكيين (مسلمي أسبانيا) من الأراضي الأسبانية.

وفي مايو/ أيار ١٦١١م صدر قرار للقضاء على المتخلفين من المسلمين في بلنسية، يقضي بإعطاء جائزة ستين ليرة لكل من يأتي بمسلم حي وله الحق في استعباده، وثلاثين ليرة لمن يأتي برأس مسلم قتل.

ونشطت محاكم التفتيش في غرناطة في ملاحقة المتهمين بالإسلام، إلى أن طلبت بلدية المدينة من الملك سنة ١٧٢٩م طرد كل الموريسكيين حتى تبقى المملكة نقية من «الدم الفاسد». وقد تعسفت محاكم التفتيش في أعمال التعذيب والإعدام، حيث كانت تحرق أحيانا المتهمين بصورة جماعية في مواكب الموت، وأحيانا تحرق عائلات بأكملها بأطفالها ونسائها. وكانت تحاكم الموتى فتنبش قبورهم، وعندما أصدر البابا (أنوسنت) الرابع قراره المعروف بإباحة تعذيب المسلمين، حتى وإن ارتدوا عن دينهم وأقروا باعتناق المسيحية. وكان التعذيب يجري بلا قواعد، حيث أنشئت محاكم التفتيش لهذا الغرض.

وقد أصدر البابا (كليمنت الخامس) بعد ذلك قرارا لمراقبة جلسات التعذيب التي تقوم بها محاكم التفتيش جاء فيه:

من أجل ألا يسيء الرهبان والقساوسة والقضاة تنفيذ قرار البابا (أنوسنت) الرابع، المعروف باسم (قرار قانونية التعذيب)، وقرار البابا (جريجوري) التاسع الخاص بالمهام الموكلة إلى محاكم التفتيش، نقرر بأن يشهد جلسات التعذيب مراقبون من رجال القضاء المدني، على ألا يقل عددهم في أي جلسة عن ثلاثة. وبالطبع كان رئيس محكمة التفتيش هو الذي يختار هؤلاء المراقبين.

وصف دقيق لما كان يحدث في محاكم التفتيش

تقول الدكتورة سيجريد هونكة (في ٢ يناير ١٤٩٢ م رفع الكاردينال (ديدر) الصليب على الحمراء القلعة الملكية للأسرة الناصرية، فكان إعلاناً بانتهاء حكم المسلمين على أسباني

وبانتهاء هذا الحكم ضاعت تلك الحضارة العظيمة التي بسطت سلطانها على أوروبا طوال العصور الوسطى، وقد احترمت المسيحية المنتصرة اتفاقاتها مع المسلمين لفترة وجيزة، ثم باشرت عملية القضاء على المسلمين وحضارتهم وثقافتهم.

لقد حُرِّم الإسلام على المسلمين، وفرض عليهم تركه، كما حُرِّم عليهم استخدام اللغة العربية، والأسماء العربية، وارتداء اللباس العربي، ومن يخالف ذلك كان يحرق حيًّا بعد أن يعذب أشد العذاب. (١)

وهكذا انتهى وجود الملايين من المسلمين في الأندلس فلم يبق في أسبانيا مسلم واحد يُظهر دينه.

لكن كيف كانوا يعذبون؟!.. هل سمعت بدواوين التفتيش.. إن لم تكن قد سمعت فتعال أعرفك عليها.

(١) - القومية - ص ١٧٤.

قال الله تعالى: (وَالسَّمَاءَ ذَاتِ الْبُرُوجِ {١} وَالْيَوْمَ الْمَوْعُودِ {٢} وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ {٣} قِيلَ أَصْحَابُ الْأَخْذُودِ {٤} النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ {٥} إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ {٦} وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ {٧} وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ {٨} الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ {٩} إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ) [سورة البروج].

وقال الله تعالى: (كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ {٧} كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ {٨} اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ {٩} لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ) [سورة التوبة].

وعَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ خَبَابِ بْنِ الْأَرْتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: شَكُونَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مَتَوَسِدٌ بَرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ فَقُلْنَا: أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا، أَلَا تَدْعُو لَنَا؟ فَقَالَ: ((قَدْ كَانَ مِنْ قَبْلِكُمْ يُوْخَذُ الرَّجُلُ فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهَا، ثُمَّ يُؤْتَى بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُجْعَلُ نَصْفَيْنِ، وَيَمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ وَعَظْمِهِ مَا يَصْده ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ! وَاللَّهُ لِيَتِمَّنَّ اللَّهُ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّكَّابُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ وَالذُّبَّ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنْكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ!)) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

سقطت غرناطة -آخر قلاع المسلمين في إسبانيا- سنة (٨٩٧ هـ = ١٤٩٢ م)، وكان ذلك نذيراً بسقوط صرح الأمة الأندلسية الديني والاجتماعي، وتبدد تراثها الفكري والأدبي، وكانت مأساة المسلمين هناك من أفظع مآسي التاريخ؛ حيث شهدت تلك الفترة أعمالاً بربرية وحشية ارتكبتها محاكم التحقيق (التفتيش)؛ لتطهير أسبانيا من آثار الإسلام والمسلمين، وإيادة تراثهم الذي ازدهر في هذه البلاد زهاء ثمانية قرون من الزمان. وهاجر كثير من مسلمي الأندلس إلى الشمال الإفريقي بعد سقوط مملكتهم؛ فراراً بدينهم وحریتهم من اضطهاد النصارى الأسبان لهم، وعادت أسبانيا إلى دينها القديم، أما من بقي من المسلمين فقد أجبر على التنصر أو الرحيل، وأفضت هذه الروح النصرانية المتعصبة إلى

مطاردة وظلم وترويع المسلمين العزل، انتهى بتنفيذ حكم الإعدام ضد أمة ودين على أرض أسبانيا.

ونشط ديوان التحقيق أو الديوان المقدس الذي يدعمه العرش والكنيسة في ارتكاب الفظائع ضد الموريسكيين (المسلمين المنتصرين)، وصدرت عشرات القرارات التي تحول بين هؤلاء المسلمين ودينهم ولغتهم وعاداتهم وثقافتهم، فقد أحرق الكردينال «خمينيث» عشرات الآلاف من كتب الدين والشريعة الإسلامية، وصدر أمر ملكي يوم (٢٢ ربيع أول ٩١٧ هـ/ ٢٠ يونيو ١٥١١) يلزم جميع السكان الذي تنصروا حديثاً أن يسلموا سائر الكتب العربية التي لديهم، ثم تتابعت المراسيم والأوامر الملكية التي منعت التخاطب باللغة العربية وانتهت بفرض التنصير الإجباري على المسلمين، فحمل التعلق بالأرض وخوف الفقر كثيراً من المسلمين على قبول التنصر ملاذاً للنجاة، ورأى آخرون أن الموت خير ألف مرة من أن يصبح الوطن العزيز مهذاً للكفر، وفر آخرون بدينهم، وكتبت نهايات متعددة للأساة واحدة هي رحيل الإسلام عن الأندلس.

محاكم التفتيش:

توفي فرناندو الخامس ملك إسبانيا في (١٧ ذي الحجة ٩٢١ هـ= ٢٣ يناير ١٥١٦ م) وأوصى حفيده شارل الخامس بحماية الكاثوليكية والكنيسة واختيار المحققين ذوي الضمائر الذين يخشون الله لكي يعملوا في عدل وحزم لخدمة الله، وتوطيد الدين الكاثوليكي، كما يجب أن يسحقوا طائفة محمد!

وقد لبث «فرناندو» زهاء عشرين عاماً بعد سقوط الأندلس ينزل العذاب والاضطهاد بمن بقي من المسلمين في أسبانيا، وكانت أدواته في ذلك محاكم التحقيق التي أنشئت بمرسوم بابوي صدر في (رمضان ٨٨٨ هـ= أكتوبر ١٤٨٣ م) وعين القس «توماس دي تركيمادا» محققاً عاماً لها، ووضع دستوراً لهذه المحاكم الجديدة، وعددًا من اللوائح والقرارات.

وقد مورست في هذه المحاكم معظم أنواع التعذيب المعروفة في العصور الوسطى، وأزهقت آلاف الأرواح تحت وطأة التعذيب، وقلما أصدرت هذه المحاكم حكماً بالبراءة، بل كان الموت والتعذيب الوحشي هو نصيب وقسمة ضحاياها، حتى إن بعض ضحاياها كان ينفذ

فيه حكم الحرق في احتفال يشهده الملك والأحبار، وكانت احتفالات الحرق جماعية، تبلغ في بعض الأحيان عشرات الأفراد، وكان فرناندو الخامس من عشاق هذه الحفلات، وكان يمتدح الأحبار المحققين كلما نظمت حفلة منها.

وبث هذا الديوان منذ قيامه جواً من الرهبة والخوف في قلوب الناس، فعمد بعض هؤلاء المورييسكيين إلى الفرار، أما الباقي فأبت الكنيسة الكاثوليكية أن تؤمن بإخلاصهم لدينهم الذي أجبروا على اعتناقه؛ لأنها لم تقتنع بتنصير المسلمين الظاهري، بل كانت ترمي إلى إبادةهم.

شارل الخامس والتنصير الإجباري:

تنفس المورييسكيون (المسلمون المنصرون قسراً) الصعداء بعد موت فرناندو وهبت عليهم رياح جديدة من الأمل، ورجوا أن يكون عهد «شارل الخامس» خيراً من سابقه، وأبدى الملك الجديد -في البداية- شيئاً من اللين والتسامح نحو المسلمين والمورييسكيين، وجنحت محاكم التحقيق إلى نوع من الاعتدال في مطاردتهم، وكفت عن التعرض لهم بسبب توسط النبلاء والسادة الذين يعمل المسلمون في ضياعهم، ولكن هذه السياسة المعتدلة لم تدم سوى بضعة أعوام، وعادت العناصر الرجعية المتعصبة في البلاط وفي الكنيسة، فغلبت كلمتها، وصدر مرسوم في (١٦ جمادى الأولى ٩٣١ هـ = ١٢ مارس ١٥٢٤ م) يحتم تنصير كل مسلم بقي على دينه، وإخراج كل من أبى النصرانية من إسبانيا، وأن يعاقب كل مسلم أبى التنصير أو الخروج في المهلة الممنوحة بالرق مدى الحياة، وأن تحول جميع المساجد الباقية إلى كنائس. ولما رأى المورييسكيون هذا التطرف من الدولة الإسبانية، استغاثوا بالإمبراطور شارل الخامس، وبعثوا وفداً منهم إلى مدريد ليشرح له مظالمهم، فندب شارل محكمة كبرى من النواب والأحبار والقادة وقضاة التحقيق، برئاسة المحقق العام لتتظفر في شكوى المسلمين، ولتقرر ما إذا كان التنصير الذي وقع على المسلمين بالإكراه يعتبر صحيحاً ملزماً، بمعنى أنه يحتم عقاب المخالف بالموت.

وقد أصدرت المحكمة قرارها بعد مناقشات طويلة، بأن التنصير الذي وقع على المسلمين صحيح لا تشوبه شائبة؛ لأن هؤلاء الموريسكيين سارعوا بقبوله اتقاء لما هو شر منه، فكانوا بذلك أحراراً في قبوله.

وعلى أثر ذلك صدر أمر ملكي بأن يرغم سائر المسلمين الذين تنصروا كرهاً على البقاء في أسبانيا، باعتبارهم نصارى، وأن ينصر كل أولادهم، فإذا ارتدوا عن النصرانية، قضى عليهم بالموت أو المصادرة، وقضى الأمر في الوقت نفسه، بأن تحول جميع المساجد الباقية في الحالة إلى كنائس.

وكان قدر هؤلاء المسلمين أن يعيشوا في تلك الأيام الرهيبة التي ساد فيها إرهاب محاكم التحقيق، وكانت لوائح الممنوعات ترد تباعاً، وحوت أوامر غريبة منها: حظر الختان، وحظر الوقوف تجاه القبلة، وحظر الاستحمام والاغتسال، وحظر ارتداء الملابس العربية. ولما وجدت محكمة تفتيش غرناطة بعض المخالفات لهذه اللوائح، عمدت إلى إثبات تهديدها بالفعل، وأحرقت اثنين من المخالفين في (شوال ٩٣٦هـ/ مايو ١٥٢٩م) في احتفال ديني. كان لقرارات هذا الإمبراطور أسوأ وقع لدى المسلمين، وما لبثت أن نشبت الثورة في معظم الأنحاء التي يقطنونها في سرقسطة وبلنسية وغيرهما، واعتزم المسلمون على الموت في سبيل الدين والحرية، إلا أن الأسبان كانوا يملكون السلاح والعتاد فاستطاعوا أن يخمّدوا هذه الثورات المحلية باستثناء بلنسية التي كانت تضم حشداً كبيراً من المسلمين يبلغ زهاء (٢٧) ألف أسرة، فإنها استعصت عليهم، لوقوعها على البحر واتصالها بمسلمي المغرب. وقد أبدى مسلمو بلنسية مقاومة عنيفة لقرارات التنصير، ولجأت جموع كبيرة منهم إلى ضاحية (بني وزير)، فجردت الحكومة عليهم قوة كبيرة مزودة بالمدافع، وأرغمت المسلمين في النهاية على التسليم والخضوع، وأرسل إليهم الإمبراطور إعلان الأمان على أن يتنصروا، وعدلت عقوبة الرق إلى الغرامة، وافتدى الأندلسيون من الإمبراطور حق ارتداء ملابسهم القومية بمبلغ طائل.

وكانت سياسة التهدة من شارل الخامس محاولة لتهدة الأوضاع في جنوب الأندلس حتى يتفرغ للاضطرابات التي اندلعت في ألمانيا وهولندا بعد ظهور مارتن لوثر وأطروحاته الدينية

لإصلاح الكنيسة وانتشار البروتستانتية؛ لذلك كان بحاجة إلى توجيه كل اهتمامه واهتمام محاكم التحقيق إلى «الهراطقة» في شمال أوروبا، كما أن قيام محاكم التحقيق بما يفترض أن تقوم به كان يعني إحراق جميع الأندلسيين؛ لأن الكنيسة تدرك أن تنصرهم شكلي لا قيمة له، يضاف إلى ذلك أن معظم المزارعين الأندلسيين كانوا يعملون لحساب النبلاء أو الكنيسة، وكان من مصلحة هؤلاء الإبقاء على هؤلاء المزارعين وعدم إبادتهم.

وكان الإمبراطور شارل الخامس حينما أصدر قراره بتنصير المسلمين، وعد بتحقيق المساواة بينهم وبين النصارى في الحقوق والواجبات، ولكن هذه المساواة لم تتحقق قط، وشعر هؤلاء أنهم ما زالوا موضع الريب والاضطهاد، ففرضت عليهم ضرائب كثيرة لا يخضع لها النصارى، وكانت وطأة الحياة تثقل عليهم شيئاً فشيئاً، حتى أصبحوا أشبه بالرقيق والعبيد، ولما شعرت السلطات بميل الموريسكيين إلى الهجرة، صدر قرار في سنة (٩٤٨ هـ = ١٥١٤ م)، يحرم عليهم تغيير مساكنهم، كما حرم عليهم النزوح إلى بلنسية التي كانت دائماً طريقهم المفضل إلى الهجرة، ثم صدر قرار بتحريم الهجرة من هذه الثغور إلا بترخيص ملكي، نظير رسوم فادحة. وكان ديوان التحقيق يسهر على حركة الهجرة ويعمل على قمعها بشدة.

ولم تمنع هذه الشدة من ظهور اعتدال من الإمبراطور في بعض الأوقات، ففي سنة (٩٥٠ هـ = ١٥٤٣ م) أصدر عفواً عن بعض المسلمين المنتصرين؛ تحقيقاً لرغبة مطران طليطلة، وأن يسمح لهم بتزويج أبنائهم وبناتهم من النصارى الخالص، ولا تصدر المهور التي دفعوها للخزينة بسبب الذنوب التي ارتكبوها.

وهكذا لبثت السياسة الأسبانية أيام الإمبراطور شارل الخامس (٩٢٢ هـ = ١٥١٦ م) حتى (٩٦٣ هـ = ١٥٥٥ م) إزاء الموريسكيين تتردد بين الشدة والقسوة، وبين بعض مظاهر اللين والعفو، إلا أن هؤلاء المسلمين تعرضوا للإرهاق والمطاردة والقتل ووجدت فيهم محاكم التحقيق الكنسية مجالاً مفضلاً لتعصبها وإرهابها.

الأخمياذو:

وكانت الأمة الأندلسية خلال هذا الاستشهاد المحزن، الذي فرض عليها تحاول بكل وسيلة أن تستبقي دينقتها وتراثها، فكان الموريسيكيون بالرغم من دخولهم في النصرانية يتعلقون

سراً بالإسلام، وكثير منهم يؤدون شعائر الإسلام خفية، وكانوا يحافظون على لغتهم العربية، إلا أن السياسة الإسبانية فطنت إلى أهمية اللغة في تدعيم الروح الإسلامية؛ لذلك أصدر الإمبراطور شارل الخامس سنة (٩٣٢ هـ = ١٥٢٦ م) أول قانون يحرم التخاطب بالعربية على الموريسكيين، ولكنه لم يطبق بشدة؛ لأن هؤلاء الموريسكيين دفعوا له (١٠٠) ألف دوقية حتى يسمح لهم بالتحدث بالعربية، ثم أصدر الإمبراطور فيليب الثاني سنة (٩٦٤ هـ / ١٥٦٦ م) قانوناً جديداً يحرم التخاطب بالعربية، وطبق بمنتهى الشدة والصرامة، وفرضت القشتالية كلغة للتخاطب والتعامل، ومع ذلك وجد الموريسكيون في القشتالية متنفساً لتفكيرهم وأدبهم، فكانوا يكتبونها سراً بأحرف عربية، وأسفر ذلك بمضي الزمن عن خلق لغة جديدة هي «الأخميا دو» وهي تحريف إسباني لكلمة «الأعجمية»، ولبثت هذه اللغة قرنين من الزمان سراً مطموراً، وبذلك استطاعوا أن يحتفظوا بعقيدتهم الإسلامية، وألف بها بعض الفقهاء والعلماء كتباً عما يجب أن يعتقد المسلم ويفعله حتى يحتفظ بإسلامه، وشرحوا آيات القرآن باللغة الأخمياوية وكذلك سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، وكان من أشهر كتاب هذه اللغة الفقيه المسمى «فتى أبيرالو» وهو مؤلف لكتب التفسير، وتلخيص السنة، ومن الشعراء محمد ربدان الذي نظم كثيراً من القصائد والأغنيات الدينية؛ وبذلك تحصن الموريسكيون بمبدأ «التقية» فصمدوا في وجه مساعي المنصرين الذين لم تنجح جهودهم التبشيرية والتعليمية والإرهابية في الوصول إلى تنصير كامل هؤلاء الموريسكيين، فجاء قرار الطرد بعد هذه الإخفاقات.

ولم تفلح مساعي الموريسكيين في الحصول على دعم خارجي فعال من الدولة العثمانية أو المماليك في مصر، رغم حملات الإغارة والقرصنة التي قام بها العثمانيون والجزائريون والأندلسيون على السفن والشواطئ الأسبانية، ودعم الثوار الموريسكيين. واستمرت محاكم التحقيق في محاربة هؤلاء المسلمين طوال القرن السادس عشر الميلادي، وهو ما يدل على أن آثار الإسلام الراسخة في النفوس بقيت بالرغم من الحن الرهيبة وتعاقب السنين، ولعل من المفيد أن نذكر أن رجلاً أسبانياً يدعى «بديّة» توجه إلى مكة

المكرمة لأداء فريضة الحج سنة (١٢٢٢هـ=١٨٠٧م) أي بعد ٣٢٩ سنة من قيام محاكم التفتيش.

وبعد مرور أربعة قرون على سقوط الأندلس، أرسل نابليون حملته إلى إسبانيا وأصدر مرسوماً سنة ١٨٠٨ م بإلغاء دواوين التفتيش في المملكة الأسبانية. ولنستمع إلى هذه القصة التي يرويها لنا أحد ضباط الجيش الفرنسي الذي دخل إلى إسبانيا بعد الثورة الفرنسية (كتب «الكولونيل ليموتسكي» أحد ضباط الحملة الفرنسية في إسبانيا قال: « كنت سنة ١٨٠٩ ملحقاً بالجيش الفرنسي الذي يقاتل في إسبانيا وكانت فرقتي بين فرق الجيش الذي احتل (مدريد) العاصمة، وكان الإمبراطور نابليون أصدر مرسوماً سنة ١٨٠٨ بإلغاء دواوين التفتيش في المملكة الإسبانية، غير أن هذا الأمر أهمل العمل به للحالة والاضطرابات السياسية التي سادت وقتئذ.

وصمم الرهبان الجزوبت أصحاب الديوان الملغى على قتل وتعذيب كل فرنسي يقع في أيديهم انتقاماً من القرار الصادر، وإلقاء للرعب في قلوب الفرنسيين حتى يضطروا إلى إخلاء البلاد فيخلوا لهم الجو.

وبينما أسير في إحدى الليالي أجتاز شارعاً يقل المرور فيه من شوارع مدريد إذ باثنين مسلحين قد هجما عليّ يبغيان قتلي، فدافعت عن حياتي دفاعاً شديداً ولم ينجني من القتل إلا قدوم سرية من جيشنا مكلفة بالتطواف في المدينة، وهي كوكبة من الفرسان تحمل المصابيح وتبيت الليل ساهرة على حفظ النظام، فما أن شاهدها القاتلان حتى لاذا بالهرب. وتبين من ملابسهما أنهما من جنود ديوان التفتيش فأسرعت إلى (المارشال سولت) الحاكم العسكري لمدير وقصصت عليه النبأ، وقال لا شك بأن من يقتل من جنودنا كل ليلة إنما هو من صنع أولئك الأشرار، لا بد من معاقبتهم وتنفيذ قرار الإمبراطور بحل ديوانهم، والآن خذ معك ألف جندي وأربع مدافع وهاجم دير الديوان واقبض على هؤلاء الرهبان الأبالسة .

حدث إطلاق نار من اليسوعيين حتى دخلوا عنوة ثم يتابع قائلاً « أصدرت الأمر لجنودي بالقبض على أولئك القساوسة جميعاً، وعلى جنودهم الحراس توطئة لتقديمهم إلى مجلس

عسكري، ثم أخذنا نبحث بين قاعات وكراس هزازة وسجاجيد فارسية وصور ومكاتب كبيرة، وقد صنعت أرض هذه الغرفة من الخشب المصقول المدهون بالشمع، وكان شذى العطر يعبق أرجاء الغرف، فتبدو الساحة كلها أشبه بأبهاء القصور الفخمة التي لا يسكنها إلا ملوك قصرُوا حياتهم على الترف واللهو، وعلمنا بعد أن تلك الروائح المعطرة تنبعث من شمع يوقد أمام صور الرهبان ويظهر أن هذا الشمع قد خلط به ماء الورد».

« وكادت جهودنا تذهب سدى ونحن نحاول العثور على قاعات التعذيب، إننا فحصنا الدير وممراته وأقبية كلها. فلم نجد شيئاً يدل على وجود ديوان للتفتيش. فعزمنا على الخروج من الدير يائسين، كان الرهبان أثناء التفتيش يقسمون ويؤكدون أن ما شاع عن ديرهم ليس إلا تهماً باطلة، وأنشأ زعيمهم يؤكد لنا براءته وبراءة أتباعه بصوت خافت وهو خاشع الرأس، توشك عيناه أن تطفر بالدموع، فأعطيت الأوامر للجنود بالاستعداد لمغادرة الدير، لكن «دي ليل» استمهلني قائلاً: (أسمح لي الكولونيل أن أخبره أن مهمتنا لم تنته حتى الآن؟!).

قلت له: فتشنا الدير كله، ولم نكتشف شيئاً مريباً. فماذا تريد يا لفتنانت؟!..

قال: (إنني أرغب أن أفحص أرضية هذه الغرف فإن قلبي يحدثني بأن السر تحتها).

عند ذلك نظر الرهبان إلينا نظرات قلقة، فأذنت للضابط بالبحث، فأمر الجنود أن يرفعوا السجاجيد الفاخرة عن الأرض، ثم أمرهم أن يصبوا الماء بكثرة في أرض كل غرفة على حدة - وكنا نرقب الماء - فإذا بالأرض قد ابتلعت في إحدى الغرف. فصفق الضابط «دي ليل» من شدة فرحه، وقال ها هو الباب، انظروا، فنظرنا فإذا بالباب قد انكشف، كان قطعة من أرض الغرفة، يُفتح بطريقة ماهرة بواسطة حلقة صغيرة وضعت إلى جانب رجل مكتب رئيس الدير.

أخذ الجنود يكسرون الباب بقحوف البنادق، فاصفرت وجوه الرهبان، وعلتها الغبرة.

وفُتح الباب، فظهر لنا سلم يؤدي إلى باطن الأرض، فأسرعت إلى شمعة كبيرة يزيد طولها على متر، كانت تضيء أمام صورة أحد رؤساء محاكم التفتيش السابقين، ولما هممت

بالنزول، وضع راهب يسوعى يده على كتفي متلطفاً، وقال لي: يا بني: لا تحمل هذه الشمعة بيدك الملوثة بدم القتال، إنها شمعة مقدسة.

قلت له، يا هذا إنه لا يليق بيدي أن تتنجس بلمس شمعتكم المملوطة بدم الأبرياء، وسنرى من النجس فينا، ومن القاتل السفاك!؟!.

وهبطت على درج السلم يتبعني سائر الضباط والجنود، شاهرين سيوفهم حتى وصلنا إلى آخر الدرج، فإذا نحن في غرفة كبيرة مربعة، وهي عندهم قاعة المحكمة، في وسطها عمود من الرخام، به حلقة حديدية ضخمة، وربطت بها سلاسل من أجل تقييد المحاكمين بها. وأمام هذا العمود كانت المصطبة التي يجلس عليها رئيس ديوان التفتيش والقضاة لمحكمة الأبرياء. ثم توجهنا إلى غرف التعذيب وتمزيق الأجسام البشرية التي امتدت على مسافات كبيرة تحت الأرض.

رأيت فيها ما يستفز نفسي، ويدعوني إلى القشعريرة والتقرز طوال حياتي. رأينا غرفاً صغيرة في حجم جسم الإنسان، بعضها عمودي وبعضها أفقي، فيبقى سجين الغرف العمودية واقفاً على رجليه مدة سجنه حتى يموت، ويبقى سجين الغرف الأفقية ممدداً بها حتى الموت، وتبقى الجثث في السجن الضيق حتى تبلى، ويتساقط اللحم عن العظم، وتأكله الديدان، ولتصريف الروائح الكريهة المنبعثة من جثث الموتى فتحوا نافذة صغيرة إلى الفضاء الخارجي.

وقد عثرنا في هذه الغرف على هياكل بشرية ما زالت في أغلالها. كان السجناء رجالاً ونساءً، تتراوح أعمارهم ما بين الرابعة عشرة والسبعين، وقد استطعنا إنقاذ عدد من السجناء الأحياء، وتحطيم أغلالهم، وهم في الرmq الأخير من الحياة. كان بعضهم قد أصابه الجنون من كثرة ما صبوا عليه من عذاب، وكان السجناء جميعاً عرايا، حتى اضطر جنودنا إلى أن يخلعوا أرديتهم ويستروا بها بعض السجناء.

أخرجنا السجناء إلى النور تدريجياً حتى لا تذهب أبصارهم، كانوا يكون فرحاً، وهم يقبلون أيدي الجنود وأرجلهم الذين أنقذوهم من العذاب الرهيب، وأعادوهم إلى الحياة، كان مشهداً يبكي الصخور.

ثم انتقلنا إلى غرف أخرى، فرأينا فيها ما تقشعر لهوله الأبدان، عثرنا على آلات رهيبة للتعذيب، منها آلات لتكسير العظام، وسحق الجسم البشري، كانوا يبدؤون بسحق عظام الأرجل، ثم عظام الصدر والرأس واليدين تدريجياً، حتى يهشم الجسم كله، ويخرج من الجانب الآخر كتلة من العظام المسحوقة، والدماء الممزوجة باللحم المفروم، هكذا كانوا يفعلون بالسجناء الأبرياء المساكين، ثم عثرنا على صندوق في حجم جسم رأس الإنسان تماماً، يوضع فيه رأس الذي يريدون تعذيبه بعد أن يربطوا يديه ورجليه بالسلاسل والأغلال حتى لا يستطيع الحركة، وفي أعلى الصندوق ثقب تتقاطر منه نقط الماء البارد على رأس المسكين بانتظام، في كل دقيقة نقطة، وقد جُنّ الكثيرون من هذا اللون من العذاب، ويبقى المعذب على حاله تلك حتى يموت.

كانوا يلقون الشاب المعذب في هذا التابوت، ثم يطبقون بابه بسكاكينه وخناجره. فإذا أغلق مزق جسم المعذب المسكين، وقطعه إرباً إرباً. كما عثرنا على آلات كالكلاليب تغرز في لسان المعذب ثم تشد ليخرج اللسان معها، ليقص قطعة قطعة، وكلاليب تغرس في أثداء النساء وتسحب بعنف حتى تنقطع الأثداء أو تبتز بالسكاكين.

وعثرنا على سياط من الحديد الشائك يُضرب بها المعذبون وهم عراة حتى تنفتت عظامهم، وتتناثر لحومهم.

وصل الخبر إلى مدريد، فهب الألوفا ليروا وسائل التعذيب، فأمسكوا برئيس اليسوعيين ووضعوه في آلة تكسير العظام، فدقت عظامه دقاً وسحقها سحقاً، وأمسكوا كاتم سره وزفوه إلى السيدة الجميلة، وأطبقوا عليه الأبواب فمزقته السكاكين شر ممزق ثم أخرجوا الجثتين وفعلوا بسائر العصاة وبقية الرهبان كذلك. ولم تمض نصف ساعة حتى قضى الشعب على حياة ثلاثة عشر راهباً، ثم أخذ ينهب ما بالدير^(١)

(١) - التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام للشيخ محمد الغزالي، المرجع الرئيسي موقع الموسوعة الحرة

<http://ar.wikipedia.org>

يقول الشاعر:

حكمتنا فكان العدل منا سجيّة.. وحكمتم فسال بالدم أبطح!!

وحسبكم هذا التفاوت بيننا وكل إناء بالذي فيه ينضح

صفحة من تاريخ الأندلس (معركة الزلاقة)

سقطت طليطلة التي كان يحكمها بنو ذو النون - الذين حكموها في فترة ملوك الطوائف بالأندلس مدة ٧٨ سنة - في يد ألفونسو ملك قشتالة النصراني عام ٤٧٨ هـ بمعاونة المعتمد ابن عباد صاحب إشبيلية ، بعد أن حكمها المسلمون ثلاثمائة واثنين وسبعين عاماً ، وأحدث سقوطها دويماً عنيفاً ، واشتدت وطأة النصارى على المسلمين وتوحدت جهود ألفونسو السادس ملك قشتالة الذي كان يحكم جليقية وجزءاً من البرتغال ، مع سانشو الأول ملك أراجون ونافارا ، والكونت برنجار ريموند حاكم برشلونة وأورجل ، وساروا بجيش مشترك وحاصروا مدناً وقلاعاً واحتلوا قرى وأحرقوا أراضي كثيرة ، وانتبه ابن عباد لخطئه بمعاونة النصارى فاجتمع مع أمراء الأندلس الآخرين في إشبيلية ثم في قرطبة واتفقوا على أن يرسلوا سفيراً إلى يوسف بن تاشفين سلطان دولة المرابطين في المغرب والجزائر وتونس وموريتانيا يلتمسون عونه وغوثه .

وجاءت وفود شعبية كثيرة لمدينة مراكش لنفس الغرض ، فاستشار ابن تاشفين مجلسه الاستشاري فوافقوا شرط أن يعطيه الأندلسيون الجزيرة الخضراء يجعل فيها أثقاله وأجناده ، وتكون حصناً له ، وليكون بها على اتصال بإفريقية .

ومع شدة ضغط ألفونسو على المسلمين في الأندلس دفع الأمراء الجزية له ، أو سلموا حصوناً له ، وسلم ابن عباد الجزيرة الخضراء للمرابطين ، وقال لابنه : (أي بني ، والله لا يسمع عني أبداً أنني أعدت الأندلس دار كفر ولا تركتها للنصارى ، فتقوم علي اللعنة في منابر الإسلام مثل ما قامت على غيري) ، وقال : (إن دهيانا من مداخله الأضداد لنا فأهون الأمرين أمر المثلثين - لقب المرابطين - ، ولأن يرعى أولادنا جماهم أحب إليهم من أن يرعوا خنازير الفرنج) ، وقال لبعض حاشيته لما خوفوه من ابن تاشفين : (تالله إنني

لأوثر أن أرعى الجمال لسلطان مراکش على أن أغدو تابعاً لملك النصارى وأن أؤدي له الجزية ، إن رعي الجمال خير من رعي الخنازير) .

وقبل ابن تاشفين الدعوة، ولما أنهى استعدادته أمر بعبور الجمال، وفي ربيع الأول من عام ٤٧٩هـ سار ابن تاشفين بجيشه من سبتة، وما كاد السفن تنشر قلاعها حتى هاج البحر فصعد إلى مقدمة السفينة، ورفع يديه نحو السماء، ودعا الله مخلصاً: (اللهم إن كنت تعلم أن في جوازي هذا خيراً وصلاحاً للمسلمين فسهل علي جواز هذا البحر ، وإن كان غير ذلك فصعبه حتى لا أجوزه) ، فهدأ البحر ، وجازت السفن سراعاً ، ولما وصلت إلى شاطئ الأندلس سجد لله شكراً .

وتسلم ابن تاشفين الجزيرة الخضراء، وأمر بتحصينها أتم تحصين، ورتب بها حامية مختارة لتسهر عليها، وشحنها بالآقوات والذخائر لتكون ملاذاً أميناً يلتجئ إليه إذا هزم. ثم غادرها جيشه إلى إشبيلية ، وتعهد كل أمير من أمراء الأندلس أن يجمع كل ما في وسعه من الجند والمؤن ، وأن يسير إلى مكان محدد في وقت معين ، ولبت ابن تاشفين في إشبيلية ثمانية أيام حتى يرتب القوات وتتكامل الأعداد ، وكان صائم النهار قائم الليل ، مكثراً من أعمال البر والصدقات ، ثم غادر إشبيلية إلى بطليوس، في مقدمة الجيش الفرسان يقودهم أبو سليمان داود بن عائشة ، وعددهم عشرة آلاف ، ثم قوات الأندلس عليهم المعتمد بن عباد ، ثم سار بعدهم - بيوم واحد - جيش المرابطين ، ولما وصلوا إلى بطليوس أقام هناك ثلاثة أيام .

ولما سمع ألفونسو بمقدم المرابطين وكان محاصراً سرقسطة تحالف مع ملك أراجون ، والكونت ريموند ، فانضمما إليه ، وانضم إليه كذلك فرسان من فرنسا ، وجاءته الإمدادات من كل صوب من ملوك أوروبا ، وعمل الباباوات دوراً كبيراً في توجيه النصارى وحثهم على القتال .

وكان جيش المسلمين ثمانية وأربعين ألفاً نصفهم من الأندلسيين ونصفهم من المرابطين ، أما جيش ألفونسو فقد كان مائة ألف من المشاة وثمانين ألفاً من الفرسان ، منهم أربعون ألفاً من ذوي العدد الثقيلة ، والباقون من ذوي العدد الخفيفة .

وعسكر الجيشان قرب بطليوس في سهل تتخلله الأحراش، سماه العرب الزلاقة، وفرق بين الجيشين نهر صغير، وضرب ابن تاشفين معسكره وراء ربوة عالية، منفصلاً عن مكان الأندلسيين، وعسكر الأندلسيون أمام النصارى، ولبث الجيشان أمام بعضهما ثلاثة أيام راسل فيها ابن تاشفين النصارى يدعوهم للإسلام أو الجزية أو القتال فاختاروا الثالثة. وتكاتب القائدان ، ومما كتبه ألفونسو: (إن غداً يوم الجمعة وهو يوم المسلمين ، ولست أراه يصلح للقتال ، ويوم الأحد يوم النصارى ، وعلى ذلك فإني أقترح اللقاء يوم الاثنين ، ففيه يستطيع كل منا أن يجاهد بكل قواه لإحراز النصر دون الإخلال بيوم) ، فقبل ابن تاشفين الاقتراح ، ومع هذا تحوط المسلمون وارتابوا من نيات ملك قشتالة ، فبعث ابن عباد عيونه لترقب تحركات معسكر النصارى ، فوجدوهم يتأهبون للقتال ، فارتدوا مسرعين لابن عباد بالخبر ، فأرسل الخبر إلى ابن تاشفين يعرفه غدر ألفونسو ، فاستعد ، وأرسل كتيبة لتشغل ألفونسو وجيشه .

خطط المرابطون تخطيطاً جيداً، إذ اتخذوا الجزيرة الخضراء خطأ للرجعة، وحينما احتفظوا بقوة احتياطية تحتوي أشجع الجنود للانقضاض في الوقت المناسب على الأعداء، وحينما قاتل جيشهم بنظام متماسك أربك النصارى، وهو نظام الصفوف المتراسة المتناسقة الثابتة، وكان النصارى معتادين على القتال الفردي.

تهياً الطرفان للمعركة، وسير ألفونسو القسم الأول من جيشه بقيادة جارسيان ورودريك لينقض بمنتهى العنف على معسكر الأندلسيين الذي يقوده المعتمد، آملاً في بث الرعب في صفوف المسلمين، ولكنهم وجدوا أمامهم جيشاً من المرابطين قوامه عشرة آلاف فارس بقيادة داود بن عائشة أشجع قادة ابن تاشفين ، ولم يستطع ابن عائشة الصمود لكثرة النصارى وعنف الهجوم ، لكنه استطاع تحطيم عنف الهجمة ، وخسر كثيراً من رجاله في صد هذا الهجوم .

ولما رأى الأندلسيون كثرة النصارى هرب بعض أمرائهم، بيد أن فرسان إشبيلية بقيادة أميرهم الشجاع المعتمد بن عباد استطاعوا الصمود وقاتلوا قتال الأسود الضواري، يؤازرهم ابن عائشة وفرسانه.

وأيقن ألفونسو بالنصر عندما رأى مقاومة المعتمد تضعف، وفي هذه اللحظة الحرجة وثب الجيش المرابطي المظفر إلى الميدان، وقد كان مختبأ خلف ربوة عالية لا يرى، وأرسل ابن تاشفين عدة فرق لغوث المعتمد، وبادر بالزحف في حرسه الضخم، واستطاع أن يباغت معسكر ألفونسو الذي كان يطارد ابن عباد حتى بعد قدوم النجدات التي أرسلها ابن تاشفين.

وفي تلك اللحظة يرى ألفونسو جموعاً فارة من النصارى، وعلم أن ابن تاشفين قد احتوى المعسكر النصراني، وفتك بمعظم حرسه، وغنم كل ما فيه، وأحرق الخيام، فتعالت النار في محالهم، وما كاد ألفونسو يقف على هذا النبأ حتى ترك مطاردة الأندلسيين، وارتد من فوره لينقذ محلته من الهلاك، وليسترد معسكره، وقاتلوا الجيش المرابطي بجلد، وكان ابن تاشفين يحرض المؤمنين على الجهاد، وكان بنفسه يقاتل في مقدمة الصفوف يخوض المعركة في ذروة لظاها، وقد قتلت تحته أفراس ثلاث، وقاتل المسلمون قتال من يطلب الشهادة ويتمنى الموت.

ودام القتال بضع ساعات، وسقطت ألوف مؤلفة وقد حصدهم سيوف المرابطين، وبدأت طلائع الموقعة الحاسمة قبل حلول الظلام، فقد لاحظ ابن عباد وابن عائشة عند ارتدادهما في اتجاه بطليوس أن ألفونسو قد كف عن المطاردة فجأة، وسرعان ما علما أن النصر قد مال إلى جانب ابن تاشفين، فجمعوا قواتهما وهروا إلى الميدان مرة أخرى، وأصبح ألفونسو وجيشه بين مطرقة ابن عباد وسندان ابن تاشفين.

وكانت الضربة الأخيرة أن دفع يوسف ابن تاشفين بحرسه وقوامه أربعة آلاف إلى قلب المعركة، واستطاع أحدهم أن يصل إلى ملك قشتالة ألفونسو وأن يطعنه بخنجر في فخذه طعنة نافذة، وكانت الشمس قد أشرفت على المغيب، وأدرك ألفونسو وقادته أنهم يواجهون الموت، ولما جن الليل بادر ألفونسو في قلة من صحبه إلى التراجع والاعتصام بتل قريب، ولما حل الليل انحدر ومن معه تحت جناح الظلام إلى مدينة قورية.

ولم ينج من جيش القشتاليين مع ملكهم سوى أربعمئة أو خمسمئة فارس معظمهم جرحى، ولم ينقذ البقية من جيش ألفونسو سوى حلول الظلام حيث أمر ابن تاشفين بوقف المطاردة، ولم يصل إلى طليطلة فيما بعد من الفرسان سوى مائة فارس فقط.

كل ما سبق كان في ١٢ رجب من سنة ٤٧٩هـ، وقضى المسلمون ليلهم في ساحة القتال يرددون أناشيد النصر شكراً لله عز وجل ، فلما بزغ الفجر أدوا صلاة الصبح في سهل الزلاقة ، ثم حشدوا جموع الأسرى ، وجمعوا الأسلاب والغنائم ، وأمر ابن تاشفين برؤوس القتلى فصفت في سهل الزلاقة على شكل هرم ، ثم أمر فأذن للصلاة من فوق أحدها ، وكان عدد الرؤوس لا يقل عن عشرين ألف رأس .

وذاع خبر النصر وقرئت البشرى به في المساجد وعلى المنابر، وغنم المسلمون حياة جديدة في الأندلس امتدت أربعة قرون أخرى.^(١)



^(١) - موقع التاريخ /، الدكتور شوقي أبو خليل

الفصل السابع:

المؤامرة على الخلافة العثمانية والعالم الإسلام

اعلم علمي الله وإياك : أن التدافع بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان قائم إلى قيام الساعة ، وأن من سنن الله في عباده المؤمنين أن الحرب بينهم وبين أعدائهم سجال فيوم نساء ويوم نصر ، ولقد رأينا كيف كانت نهاية المسلمين في بلاد الأندلس وكيف خرجوا منها ومن بقى منهم هناك لم يسلم من الأذى والقتل البطيء في محاكم التفتيش وفي هذا الفصل نقف مع حاضرة الخلافة الإسلامية ومع الجامعة التي كانت تجمع المسلمين في أحضانها لنرى عن قرب كيف تآمر اليهود والصليبيون عليها وكيف انتهت تلك الخلافة بل والإسلام من تركيا ولم يبق منه إلا اسمه واضحى هؤلاء المسلمين حربا على دينهم وشعائره فلم يكذ يتهى هذا القرن حتى كانت القوى الصليبية الكبرى في ذلك الوقت بريطانيا وفرنسا والروسيا تحاول الوصول إلى صيغة ملائمة للانقضاض واقتسام الغنائم. لا سيما وقد اكتشفوا ضعف الجانب التركي في معركة سان جوتار وعلى أبواب فيينا عموما عندما ظهر تحلف العسكرية العثمانية .

وفي سنة ١٧٩٨ م كان صبي الثورة الفرنسية التي وقف اليهود وراء مبادئها نابليون بونابرت يزحف على مصر ليلقنها بمدافعه وخيوله وتحويله الأزهر الشريف إلى إسطنبول لخيوله ، وتدميره القرى والمدن على امتداد الطريق بين القاهرة والإسكندرية . . يلقنها بهذه الوسائل وبغيرها من الوسائل الهمجية الأوروبية كالخمر والتحلل الخلقي وإغراء الخادמות المصريات يلقن مصر والعالم الإسلامي أو دروس القومية، والمدنية والمبادئ الثلاثة الماسونية المزيفة التي رفعتها الثورة الفرنسية

بريطانيا تحاول غزو العالم العربي مستهلة وجودها فيه بغزو مصر سنة ١٨٠٧ فيما يسمى بحملة فريزر ، وبين هذه السنوات، وبالتحديد في سنة ١٨٠٣ نجح عميل فرنسي في أن يصل إلى الحكم، ويعلن أكبر محاولة للانفصال عن الدولة العثمانية ، وكان هذا العميل الفرنسي محمد علي باشا صدى باهتا رديئا للغزو النابليوني لمصر ، وكما أهان نابليون بونابرت الأزهر - بدل إيقاظه لو كان قائد ثورة ، كذلك أهان محمد علي - الأزهر وعلماءه

- وعلى الرغم من أن محمد علي كان مجرد عبد مملوك لا ينتمي إلى الدم العربي ، إلا أنه رفع راية القومية باعتبارها السلاح البراق الذي يمكن به ضرب الوحدة الإسلامية والشعور بالمصير الإسلامي الواحد ثم يتبع ذلك وضع العرب على انفراد - كما حدث فعلا - ، ولعل بعث محمد علي غير العربي للفتنة القومية لضرب الخلافة العثمانية - لمصلحة فرنسا - أكبر دليل على حقيقة جذور هذه اللعبة التي اخترعها تطور الفكر الأوروبي في عصر النهضة ، لكي يقضي على الشعوب ذات الوحدة الأيديولوجية كي تنفرد أوروبا بالتقدم وحدها ، بينما تضيع الدول والأيديولوجيات الأخرى في زحمة الانشقاقات القومية والجنسية ، وهذا ما حدث !! .

وبعد أن كانت دولة الخلافة المسكينة تقف على تخوم القرن التاسع عشر تحاول أن تفيق من سكرة لقاءها المفاجئ لمنتجات الحضارة الصناعية، وتحاول أن تبحث عن حل حضاري مضاد وجدت دولة الخلافة نفسها متخمة بالمشاكل العنصرية التي أثارها عملاء الغرب ... هؤلاء العملاء الذين أنهكوا قواها، وحاولوا أن يفرضوا عليها الدواء الأوروبي لعلاج أمراضها دون تبصر بحقيقة أمراضها، وبحقيقة اختلاف بنائها المادي والمعنوي ، ودون وعي بالعلاج الحضاري الناجع !

وامتدادا للخروج الشاذ الذي أعلنه المملوك الآبق محمد علي ظهرت محاولات أخرى للخروج وقام بها بشير الشهابي في لبنان ، وحركات في المغرب العربي ، بل وحركات داخل تركيا نفسها ترفع القومية الطورانية .

هذا فضلا عن حركات الخروج التي سبقت حركة محمد علي تحت تأثير دوافع انفصالية مختلفة ، كحركة علي بك الكبير سنة ١٧٧٣م في مصر ، وحركة الشيخ ضاهر العمر سنة ١٧٧٥م في فلسطين ، وفخر الدين المعنى في لبنان قبل سنة ١٦٣٥م وهكذا....

كانت الدولة العثمانية تعاني من الداخل أشد المعاناة، وتواجه من الخارج بتحديات صليبية غربية ... ففقدت على الطريق - بالتالي - أملاكها في أوروبا هنغاريا، وبلغراد، وألبانيا، واليونان، ورومانيا وصربية، وبلغاريا .

وأكبر الظن أن بعض أتباع لورانس في ذلك الوقت قد فرحوا لسقوط هذه البلاد من يد

الإمبراطورية الإسلامية الكبرى .

فهذا هو الهدف الحقيقي الذي ساقهم إليه أسيادهم من الصليبيين والماسون ! . . سقطوا حين ساعدوا على سقوطها: يدرج بعض الكتاب في العالم العربي على وصف الحركات المناهضة للدولة العثمانية (بالحركات الاستقلالية) . . ! ! وهذا التعبير يوازي بين حركات الاستقلال عن الاستعمار الإنجليزي والفرنسي مثلاً وبين حركات التمرد على الخلافة العثمانية.

وفي تصور أصحاب هذا التعبير أن الدولة العثمانية لا تعدو أن تكون استعماراً. تماماً كالاستعمار الإنجليزي ، وبالتالي يعتبر الانفصال عنها استقلالاً ، والانشقاق عنها تحرراً دون أية تفرقة بينها وبين الاستعمار الأوروبي .

وهؤلاء الكتاب الذي يفرضون هذه الروح على دراسة (الخلافة الإسلامية العثمانية) يتعمدون الوقوع في عدة أخطاء !

أولها: التجاهل التام لوشيجة (الإسلام) التي تربط العثمانيين بالعرب ، وهي وشيجة غير متوفرة في الاستعمار الأوروبي .

ثانيها: ويتجاهل هؤلاء كذلك أربعة قرون (أربعة أخماس) ويذكرون قرناً واحداً هو فترة وقوف الدولة العثمانية في موقف الدفاع عن حياتها ، وتعلقها في سبيل ذلك بأي خيط ، وتخطيطها تحبط المشرف على الغرق !

ثالثها: وهؤلاء يتجاهلون كذلك أن الانفصال عن العثمانيين كان لحساب الاستعمار الأوروبي، وأنه هو الذي كان يقوده مغنياً في العرب روح الانفصال لمصلحته!! وأن الوعي الديني والقومي الصحيح لو كان موجوداً لأوجب التمسك بالخلافة وقيادتها في هذه المرحلة على الأقل كضربة للاستعمار الأوروبي!

لقد قدمت حركات الانفصال هذه أكبر خدمة للاستعمار الأوروبي ، وفي الوقت نفسه جرت على الأمة العربية أكبر الويلات ، وكان أكبر ويلاتها مأساة فلسطين ثم ما تبعها من هزيمة سنة ١٩٦٧ م .

ولم يقف أمر خطأ هذه الحركات عند هذا الحد ، بل إنها وقعت في خطأ (أيديولوجي) آخر

، فتركيا الإسلامية لم تكن أبدا حين بدءوا ينشقون عنها في مرحلة (استعمار) فالاستعمار مرحلة تاريخية معينة بحسب تعريفهم له ، تقف في قمة الهرم الرأسمالي أي أنها مرحلة اقتصادية تعني توفر رءوس الأموال لدرجة تتطلب فتح أسواق جديدة وتوفير أيد عاملة ومواد خام ، فهل كان العثمانيون يعيشون (مرحلة الاستعمار) هذه ؟ أم أنهم كانوا بحاجة إلى مجرد إصلاح اقتصادي بداخل تركيا نفسها؟

إن كثيرا من المصلحين لم تفهم هذه الحقيقة وعلى رأسهم: الزعيم مصطفى كامل - في مصر، وعبد العزيز جاویش، ومحمد فريد، وغيرهم، بل إنني أشك كثيرا في أن أكثر الزعماء الإسلاميين الإصلاحيين كجمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده، أشك في أن هذه الحقيقة فاتتهم.

وما كانت دعوة هؤلاء دعوة انفصالية عن الخلافة ، وإنما كانت دعوة إلى إصلاح أمر الخلافة الذي كان يميل إلى التداعي بفعل مؤثرات خارجية كثيرة ، ومؤثرات أخرى داخلية . وقد وقعت هذه الحركات في خطأ آخر كبير .

فمنذ أواخر القرن التاسع عشر أخذت الحركة الصهيونية التي بدأت تأخذ شكلا تنظيميا واضحا مرتكزا على الأيديولوجية الصهيونية محاولة الوصول إلى أهدافها في إقامة دولة يهودية .

وفي سنة ١٨٩٧م (والسلطان عبد الحميد رحمه الله - هو الحاكم) عقد المؤتمر الصهيوني بزعامة هرتزل في مدينة بال بسويسرا وهو المؤتمر المعروف باسم مؤتمر بال ووضعت خطة إنشاء وطن قومي يهودي في فلسطين .

وقد حاول الصهاينة بقيادة هرتزل إقناع (السلطان عبد الحميد) العثماني عدو القوميين العرب - بالسماح لهم بالهجرة إلى فلسطين . . فرفض السلطان رفضا قاطعا ولم يكتف بهذا، بل وأصدر قانونا بمنع الهجرة اليهودية وبمنع إقامة مستعمرات لليهود في فلسطين وكان هذا هو (قشة البعير) كما يقولون التي قصمت ظهر الرجل المظلوم ، فقد حرك الصهاينة . .

حركات التحرر والحركات القومية ، والاستعمار الإنجليزي ، ووجدت الإمبراطورية العثمانية نفسها أمام طوفان من المشاكل لا ينتهي ، كان أشدها وأبعدها أثرا حركات التمرد

الداخلي ، ومن الغريب جدا أن يكون مشعلو الثورات ضد الخلافة الإسلامية في داخل البلدان العربية من الطوائف الإسلامية أو الإسلامية المتطرفة التي تحركها أيديولوجيا وحركيا - أيد أجنبية ، لكن مع ذلك ، وبتأثير شعارات براءة صنعها اليهود ، بتأثير هذا وغيره من الوسائل اندمج في هذه التجمعات المضادة للخلافة بعض العناصر الإسلامية . ولم تأت سنة ١٩١٨م إلا وكان السلطان عبد الحميد المظلوم قد سقط ، ووقعت جميع الأقطار العربية كمناطق نفوذ لبريطانيا وفرنسا . . وأيضاً صدر (وعد بلفور) المشؤوم في ٢ نوفمبر ١٩١٧م ، وبدأت فلسطين تقع تحت الظروف الممهدة للزوال ، وكانت أولى الخطوات في ذلك وقوعها تحت الانتداب البريطاني في عام ١٩٢٠م .

وبين الحربين العالميتين ١٩١٨م - ١٩٣٩م كان التطبيق العملي للمؤامرة العالمية ، وأيضاً في الجانب الآخر الحركات الداخلية الممتصة للطاقة والمبددة لها والصارفة عن الخط الحقيقي لاستهلاكها . . كان ذلك كله يعمل على سقوط الخلافة العثمانية، وسقوط العرب بدءاً من فلسطين!! وطوى اليهود آخر صفحاتنا المشرقة!

كان رفض السلطان العظيم عبد الحميد تهويد فلسطين لطمة لم ينس اليهود أن يردوها للخلافة ردا سخيا لم يكن بوسع السلطان عبد الحميد أن يتخيله !

فإلى جانب ما ذكرناه من تحريك للقوى المناوئة للدولة ، ومن غرس لبذور الفكرة العنصرية المحاربة للراية الإسلامية الموحدة لربع البشر !

إلى جانب هذا هجم اليهود من الداخل على الدولة العثمانية بواسطة الأسلحة نفسها التي استعملوها في كل بلدان العالم الإسلامي، وهي أسلحة العنصرية والتحضرية، والحرية، والإخاء، والمساواة . . وهلم جرا من الشعارات التي اصطنعها الماسون، وروجوا لها، واستعملوا بعض المخدوعين لإذاعتها وتفتيت راية الأمة وقبلتها وأهدافها! وكانت جماعة تركيا الفتاة ثم الاتحاد والترقي هما الأداتين اللتين سخرهما اليهود وطوعوهما لهذا الغرض. وكانت الكاتبة خالدة أديب إحدى المروجات على المستوى الأدبي والفكري لفكرة القومية الطورانية، بينما كان زعماء تركيا الفتاة هم المنفذون على المستويات الأخرى لعملية إحداث الانقلاب نحو تحلي تركيا عن هويتها ورسالتها الإسلامية.

وقد أقحم هؤلاء تركيا في الحرب العالمية الأولى دون مبرر معقول أو سبب يتعلق بها ، فلما هزم الألمان ، أذعنّت تركيا للهزيمة بنفسها ، وسجل رسميا سقوط الكرامة العثمانية الإسلامية بهدنة رودس في ١٩١٨ م .

وقد غادر زعماء تركيا الفتاة البلاد ، فقصد أحدهم أنور باشا روسيا ، وقصد طلعت باشا ألمانيا ، ولقد شاء الله أن يقتص منهم قصاصا دنيويا عاجلا ، فلم يلبث أنور باشا أن قتل اغتيالاً في تركستان ، وأن يصرع طلعت في برلين ، ويغتال جمال في تفليس أما الكاتبة خالدة أديب . . التي طال بها العمر فترة . . فلم تلبث أن طردت شر طردة ، من تركيا بعد خلاف حاد بينها وبين الزعيم اليهودي الكبير مصطفى كمال أتاتورك

ولم تكد الحرب العالمية الأولى توشك على الانتهاء حتى كانت الدول الأوروبية قد أتمت المسرحية الهزلية لاقتسام أملاك الخلافة الإسلامية الأخيرة، ولإبراز رجل ينفذ مخططاتهم وأطماعهم بحذافيرها. وعلى الرغم من أن الكتابات الاستشراقية والكتابات الصليبية واليهودية والشيوعية تجمع على إخفاء هذه الحقيقة ، فإن الأحداث بطبيعة تطورها تثبت هذه الحقيقة ، ويكاد يصرح بهذه الحقيقة المستشرق كارل بروكلمان على الرغم من ذكائه الحاد في تطويع الحقائق ، وبترها وإضفاء جو إنشائي حماسي عليها ، نعم ، يكاد يصرح بهذا في كتابه الشهير تاريخ الشعوب الإسلامية - الدولة الإسلامية بعد الحرب العالمية الأولى وهو يقول : عند ذلك . . هيأت الدول الحليفة لتركيا - لاحظ الحليفة - الفرصة السانحة للرجل الذي قدر له أن ينشئ تركية الحديثة - يقصد اليهودي الدونمي أتاتورك - ولنا أن نتساءل: أي دول حليفة لتركيا تلك التي حولتها من زعيمة روحية - على الأقل - لربع البشرية إلى دولة هزيلة تعيش بلا ماض وبلا حاضر وبلا مستقبل ؟ وأي دول هذه التي ساعدت هذا اليهودي على إلغاء الحروف العربية ، وإزالة الأوقاف ، وإغلاق المساجد ، وقصر علماء الدين على ثلاثمائة واعظ في طول البلاد وعرضها ، وتحويل مسجد أياصوفيا الشهير إلى متحف ، ومسجد محمد الفاتح إلى مستودع ، وإلغاء الشريعة الإسلامية ، واستبدال القبعة بلباس الرأس الوطني السابق الطربوش

وفرض اللباس الأوربي بالقوة ، وحذف اللغة العربية واللغة الفارسية من مناهج التعليم بالمرّة ، وبيع الكتب والمخطوطات العربية بأجنس الأثمان ، فضلا عن التعليم العلماني الأوروبي ، ليس في المجال التقني كما يجب أن يكون ، بل - فقط - في المجال الإنساني والأدبي والديني ! إن إلغاء الخلافة الإسلامية وإعلان الجمهورية التركية في ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٢٣م ، وانتخاب مصطفى كمال أتاتورك من قبل جمعية لقبت نفسها بالجمعية الوطنية ، إن هذا كله لم يكن يعني سقوط تركيا الإسلامية في الحقيقة، فكم من شعارات براقة زائفة ترفع ثم لا تلبث أن تزول . لكن تمكن الأتاتوركي الغازي من السيطرة على البلاد، بمساعد (الدول الخليفة لتركيا) كما يقول بروكلمان وأمثاله ، ثم الإجراءات الخطيرة التي ذكرناها والتي اتخذها أتاتورك بعد ذلك .

هذه في الحقيقة كانت الإلغاء الحقيقي لتركيا الإسلامية وللخلافة العثمانية . ولم يكن الخليفة العثماني محمد السادس الذي عاصر هذا الانقلاب ، كما لم يكن الخليفة الذي وضعه الانقلابيون مكانه عبد المجيد بن عبد العزيز لم يكن هذا وذاك أكثر من تحفيتين تاريخيتين . . تحملان معالم صورة هزيلة مهتزة، لحقيقة كانت - يوما ما - عظيمة قوية ترعب أوروبا كلها. و

مع ذلك فلقد أدرك مصطفى كمال الدونمي اليهودي أن البقاء الرمزي الصوري لهذه الحقيقة القوية العظيمة يشكل في حد ذاته خطرا على مخططاته الصهيونية، ولذا فلم يكد يملك السلطة في يده ويتربع بتؤدة على عرش السيطرة لمدة خمسة أشهر، حتى أعلن إلغاء الخلافة الإسلامية، ثم طرد آخر خليفة للمسلمين من البلاد في اليوم الثالث من مارس سنة ١٩٢٤م .

ولعل العقلاء وحدهم هم الذين يسألون : ماذا استفادت تركيا من هذه الخطوة ؟ وماذا كان يمكن أن تكسب لو أنها مضت في طريق الإصلاح مبقية على مركزها كزعيمة روحية إذا كانت هناك نية إصلاح حقيقية؟

ولعل هذا وذاك يفسران للعقلاء وحدهم أن هناك أمرا كان مبيتا، وأن العالم الإسلامي والعالم العربي كانا من الأهداف الرئيسية لضرب الخلافة الإسلامية، ولم تكن أبدا تركيا هي المقصودة وحدها.

وفعلا تداعت تركيا وسقطت، فلم تقم لها قائمة حتى اليوم وتداعى بعدها ومعها العالم الإسلامي بلدا بلدا، وفكت أواصر الحب والوحدة . . ونال العرب حظهم من كل ما أصاب العالم الإسلامي ولعل الأقدار قد لقنتهم أقسى الدروس، حين زرعت في قلوبهم شوكة الصهيونية تؤرق مضجعهم، وتنتقم للخلافة الإسلامية وتطلعهم بجلاء على حقيقة كمال أتاتورك، وحقيقة مخططاته، وأيضا على حقيقة الذين ساروا على هدى أتاتورك في فلسطين العربية وفق انقلابات يقف وراءها اليهود مستترين في كلمات الشيوعية أو الحرية أو القومية ليزرعوا في القلب العربي أشواكا أخرى!! .



دور اليهود في إسقاط الخلافة الإسلامية

إلى الذين يزعمون أن لا مؤامرة على الإسلام وينكرون برتوكولات حكام صهيون ويقولون أنها من وضع الروس... إلى الذين يتوددون ويخطبون ود اليهود إلى هؤلاء المتخاذلين والمتواطئين حقيقة المخطط اليهودي وكيف أنهم كانوا وراء إسقاط الخلافة الإسلامية وكيف كان موقفهم من السلطان عبد الحميد لما رفض اقتراحاتهم.

السلطان عبد الحميد وزعيم اليهودية العالمية (هرتزل):

استطاع زعيم الحركة اليهودية الصهيونية العالمية (تيودر هرتزل) أن يتحصل على تأييد أوروبي للمسألة اليهودية من الدول (ألمانيا، وبريطانيا وفرنسا) وجعل من هذه الدول قوة ضغط على الدولة العثمانية تمهيداً لمقابلة السلطان عبد الحميد، وطلب فلسطين منه وكانت الدولة العثمانية تعاني من مشاكل مالية متعددة، إذ كانت الأحوال الاقتصادية في البلاد على درجة من السوء بحيث فرضت الدول الأوروبية الدائنة وجود بعثة مالية أوروبية في تركيا العثمانية للإشراف على أوضاعها الاقتصادية ضماناً لديونها، الأمر الذي دفع عبد الحميد الثاني أن يجد حلاً لهذه المعضلة.

كانت هذه الثغرة هي السبيل الوحيد أمام هرتزل، كي يؤثر على سياسة عبد الحميد الثاني تجاه اليهود. وفي هذا الصدد يقول هرتزل في مذكراته: (علينا أن ننفق عشرين مليون ليرة تركية لإصلاح الأوضاع المالية في تركيا... مليونان منها ثمناً لفلسطين والباقي لتحرير تركيا العثمانية بتسديد ديونها تمهيداً للتخلص من البعثة الأوروبية... ومن ثم نقوم بتمويل السلطان بعد ذلك بأي قروض جديدة يطلبها^(١))

لقد أجرى هرتزل اتصالات مكثفة مع المسؤولين في ألمانيا والنمسا وروسيا وإيطاليا وإنكلترا وكانت الغاية من هذه الاتصالات هي إجراء حوار مع عبد الحميد الثاني. وفي هذا الصدد فقد نصح لاندو منذ ٢١ شباط ١٨٩٦م الصديق اليهودي لهرتزل أن يقوم بواسطة صديقه نيولنسكي رئيس تحرير (بريد الشرق).

(١) - اليهود والدولة العثمانية، ص ١١٦.

وفي هذا المجال يقول هرتزل: (إن نحن حصلنا على فلسطين، سندفع لتركيا كثيراً أو سنقدم عطايا كثيرة لمن يتوسط لنا).

ومقابل هذا نحن مستعدون أن نسوي أوضاع تركيا المالية. سنأخذ الأراضي التي يمتلكها السلطان ضمن القانون المدني، مع أنه ربما لم يكن هناك فرق بين السلطة الملكية والممتلكات الخاصة^(١)

وقام هرتزل بزيارة إلى القسطنطينية وذلك في حزيران عام ١٨٩٦م، ورافقه في هذه الزيارة نيولنسكي، الذي كانت له علاقة ودية مع السلطان عبد الحميد، ونتيجة لذلك فقد نقل بيولنسكي آراء هرتزل إلى قصر يلدز، وقد دارت محاورة بين نيولنسكي والسلطان عبد الحميد إذ قال السلطان له: (هل بإمكان اليهود أن يستقروا في مقاطعة أخرى غير فلسطين؟ أجاب نيولنسكي قائلاً:

(تعتبر فلسطين هي المهد الأول لليهود، فعليه فإن اليهود لهم الرغبة في العودة إليها)، ورد السلطان قائلاً: (إن فلسطين لا تعتبر مهداً لليهود فقط، وإنما تعتبر مهداً لكافة الأديان الأخرى). أجاب نيولنسكي قائلاً: (في حالة عدم استرجاع فلسطين من قبل اليهود فإنهم سوف يحاولون الذهاب وبكل بساطة إلى الأرجنتين)^(٢).

وقام السلطان عبد الحميد بإرسال رسالة إلى هرتزل بواسطة صديقه نيولنسكي جاء فيها: (انصح صديقك هرتزل، أن لا يتخذ خطوات جديدة حول هذا الموضوع، لأنني لا أستطيع أن أتنازل عن شبر واحد من الأراضي المقدسة، لأنها ليست ملكي، بل هي ملك شعبي. وقد قاتل أسلافي من أجل هذه الأرض، ورووها بدمائهم؛ فليحتفظ اليهود بملايينهم. إذا مزقت دولتي، من الممكن الحصول على فلسطين بدون مقابل، ولكن لزم أن يبدأ التمزيق أولاً في جثتنا ولكن لا أوافق على تشريح جثتي وأنا على قيد الحياة)^(٣).

(١) - اليهود والدولة العثمانية، ص ١١٧

(٢) المصدر السابق نفسه، ص ١٢٠.

(٣): اليهود والدولة العثمانية، ص ١٢٠.

ويقول السلطان عبد الحميد -رحمه الله- في مذكراته:

(ومن المناسب أن نقوم باستغلال الأراضي الخالية في الدولة، وهذا يعني من جانب آخر، أنه كان علينا أن ننهج إتباع سياسة تهجير خاصة، ولكننا لا نجد أن هجرة اليهود مناسبة، لأن غايتنا هي استيطان عناصر تنتمي إلى دين أسلافنا وتقاليدنا حتى لا يستطيعوا من الهيمنة على زمام الأمور في الدولة) (١).

وبعد إخفاق جهود هرتزل في واسطة نيولنسكي، اتجه هرتزل إلى قصر وليم الثاني إمبراطور ألمانيا، ولاسيما أنه كان صديقاً لعبد الحميد، بالإضافة إلى كون وليم الثاني هو الحليف الوحيد للعثمانيين في أوروبا (٢) إلا أن مساعيه لم تكلل بالنجاح يقول المؤرخ التركي نظام الدين نظيف في كتابه (إعلان الحرية والسلطان عبد الحميد الثاني): (....عندما رد طلب الوفد اليهودي -المسند من قبل الإمبراطور وليم- في الحصول على وطن لهم، أي: عندما خاب هرتزل في مسعاه إشتد العداء ضد (يلدز) وهذا ما كان يتوقعه عبد الحميد، لأن اليهود قوم يتقنون العمل المنظم، وكانت لديهم قوى عديدة تضمن لهم النجاح في مسعاهم، فالمال متوفر لديهم وكانوا يسيطرون على أهم العلاقات التجارية الدولية، وكانت صحافة أوروبا في قبضتهم، فكان في مقدورهم إطلاق العواصف التي يريدونها لدى الرأي العام متى شاءوا....) (٣).

يردف المؤرخ التركي قائلاً: (بدأوا أولاً بتحريك الصحافة العالمية، ثم أخذوا بتوحيد أعداء عبد الحميد الذين نشأوا في ذلك المجتمع العثماني الخليط، نجد، أنصار المشروطية يتخذون طابعاً منظماً وهجومياً، علماً بأنهم كانوا حتى ذلك الوقت متفرقين ويعملون دون نظام ودون تنسيق، إذ لم يكن صعباً عليهم توحيد أعداء عبد الحميد الذين نشأوا في ذلك المجتمع العثماني الخليط.

(١) المصدر السابق نفسه، ص ١٢٠.

(٢) المصدر السابق نفسه، ص ١٢١.

(٣) السلطان عبد الحميد حياته وأحداث عهده، محمد أورخان، ص ٢٨١، ٢٨٢.

وقد أخذ (المشرق الأعظم الماسوني الإيطالي) على عاتقه هذه المهمة في التوحيد والتنسيق لأنه كان أقرب مركز ماسوني للإمبراطورية العثمانية. ولعبت المحافل الإيطالية وخاصة محفل (ريزوتا) في سلانيك دوراً ملحوظاً...^(١).

إزاء هذا الإخفاق قرر هرتزل أن يستخدم وسائل أخرى لاستمالة عبد الحميد الثاني، حيث عرض نفسه عن طريق نيولنسكي خدمته بواسطة القضية الأرمنية^(٢) وفي هذا الصدد يقول هرتزل: (طلب مني السلطان أن أقوم بخدمة له، وهي أن أؤثر على الصحف الأوروبية، بغية قيام الأخيرة بالتحدث عن القضية الأرمنية بلهجة أقل عداء للأتراك، أخبرت نيولنسكي حالاً باستعدادي للقيام بهذه المهمة، ولكنني أكدت على إعطائي فكرة وافية عن الوضع الأرمني : من هم الأشخاص في لندن الذين يجب أن أقنعهم بما يريدون ، وأي الصحف يجب أن نستميلها لجهتنا وغير ذلك)^(٣).

وعلى هذا الأساس، فقد نشطت الدبلوماسية الصهيونية لإقناع الأرمن بالتخلي عن ثورتهم. ونتيجة لذلك فقد اتصل هرتزل مع سالزبوري والمسؤولين الإنكليز بغية استخدامهم للضغط على الأرمن، كما نشط اليهود في مدن أوروبية أخرى مثل فرنسا للقيام بنفس الدور. إلا أن دبلوماسية هرتزل قد أخفقت بسبب عدم تحمس بريطانيا، لأن ذلك كان يعني تأييد سياسة عبد الحميد، الأمر الذي يؤدي في إثارة الرأي العام البريطاني ضد الحكومة^(٤).

وقد حاول هرتزل لقاء عبد الحميد الثاني، ولاسيما أثناء الزيارة الثانية للإمبراطور وليم الثاني الى القسطنطينية، إلا أن موظفي قصر يلدز منعه من ذلك. واستمر هرتزل في محاولاته المستمرة حتى تكللت جهوده بالنجاح بعد سنتين (١٨٩٩-١٩٠١م) من الاحتكاك

(١) المصدر السابق نفسه، ص ٢٨٢.

(٢) اليهود والدولة العثمانية، ص ١٣٢.

(٣) : اليهود والدولة العثمانية ، ص ١٣٧.

(٤) المصدر السابق نفسه، ص ١٣٨.

المباشر مع الموظفين الكبار لقصر يلدز من مقابلة عبد الحميد، حيث قابل السلطان لمدة ساعتين وقد اقترح هرتزل قيام البنوك اليهودية الغنية في أوروبا بمساعدة الدولة العثمانية لقاء السماح بالاستيطان في فلسطين، بالإضافة إلى ذلك فإنه قد أكد لعبد الحميد أنه سوف يخفف الديون العامة للدولة العثمانية وذلك منذ عام ١٨٨١م، وقد وعد هرتزل عبد الحميد أن يحتفظ بمناقشاته السرية معه^(١).

كان السلطان عبد الحميد في خلال مقابلته مع هرتزل مستمعاً أكثر منه متكلماً وكان يرخي لهرتزل في الكلام كي يدفعه أن يتحدث بكل ما يخطر في مخيلته من أفكار ومشروعات ومطالب. وقد أدى هذا الأمر إلى أن يعتقد هرتزل بأنه نجح في مهمته هذه. ولكنه أدرك في نهاية الأمر بأنه قد أخفق مع عبد الحميد وأنه أخذ يسير في طريق مسدود معه^(٢).

وبعد إخفاق جهود هرتزل عند عبد الحميد الثاني، تحدث هرتزل قائلاً: (في حالة منح السلطان فلسطين لليهود، سنأخذ على عاتقنا تنظيم الأوضاع المالية، أما في القارة الأوروبية فإننا سنقوم بإيجاد حصن منيع ضد آسيا، وسوف نبني حضارة ضد التخلف، كما سنبقي في جميع أنحاء أوروبا بغية ضمان وجودنا)^(٣).

وفي الحقيقة كان عبد الحميد يرى أنه من الضروري عدم توطين اليهود في فلسطين، كي يحتفظ العنصر العربي بتفوقه الطبيعي. وفي هذا الصدد يقول: (... ولكن لدينا عدد كافٍ من اليهود، فإذا كنا نريد أن يبقى العنصر العربي متفوقاً، علينا أن نصرف النظر عن فكرة توطين المهاجرين في فلسطين وإلا فإن اليهود إذا استوطنوا أرضاً تملكوا كافة قدراتها خلال وقت قصير، ولذا نكون قد حكمنا على إخواننا في الدين بالموت المحتم)^(٤).

وكانت الدولة العثمانية تسعى في أحيان كثيرة إلى أبعاد اليهود العثمانيين عن أفكار هرتزل والحركة الصهيونية، ومع ذلك فإنها في أحيان أخرى كانت تستخدم لغة التهديد معهم. وفي

(١) -اليهود والدولة العثمانية، ص ١٤١.

(٢) -المصدر السابق نفسه، ص ١٤٣.

(٣) -المصدر السابق نفسه، ص ١٤٣.

(٤) -اليهود والدولة العثمانية، ص ١٤٦.

هذا الصدد أوضح علي فروخ بك الوسائل الإعلامية الأجنبية، وبصراحة تامة: (إنه لبعيد من الصواب أن يقوم الصهاينة على خلق صعوبات للحكومة العثمانية، بغية إرغامها على تحقيق مصالحها. ولكن هذه الصعوبات سوف تؤدي في نهاية الأمر إلى إلحاق الأذى بوجودهم السلمي والسعيد في الدولة العثمانية... وهذه النقطة واضحة بالنسبة لعلاقة العثمانيين مع رعايا الأرمن، لأن قلة من المتمردين الذين قاموا على ارتكاب الخطأ والحماقة معتمدين إلى الإرشاد الميكافلي قد أدى في نهاية الأمر أن يندما على ما فعلوه، من دون التوصل على أية نتيجة)^(١).

وعلى الرغم، من اخفاق جهود هرتزل عند السلطان عبد الحميد، كتب هرتزل قائلاً: (يجب تملك الأرض بواسطة اليهود بطريقة تدريجية دون ما حاجة إلى استخدام العنف، سنحاول أن نشجع الفقراء من السكان الأصليين على النزوح إلى البلدان المجاورة بتأمين أعمال لهم هناك مع خطر تشغيلهم في بلدنا إن الاستيلاء على الأرض سيتم بواسطة العملاء السريين للشركة اليهودية التي تتولى بعد ذلك بيع الأرض لليهود. علاوة على ذلك تقوم الشركة اليهودية بالإشراف على التجارة في بيع العقارات وشرائها، على أن يقتصر بيعها على اليهود وحدهم)^(٢).

وكتب هرتزل قائلاً: (أقر على ضوء حديثي مع السلطان عبد الحميد الثاني أنه لا يمكن الاستفادة من تركيا إلا إذا تغيرت حالتها السياسية أو عن طريق الزج بها في حروب تهزم فيها، أو عن طريق الزج بها في مشكلات دولية أو بالطريقتين معاً في آن واحد)^(٣).

إن السلطان عبد الحميد كان يعرف أهداف الصهيونية، حيث قال في مذكراته السياسية: (لن يستطيع رئيس الصهاينة هرتزل أن يقنعني بأفكاره وقد يكون قوله: ستحل المشكلة اليهودية يوم يقوي فيه اليهودي على قيادة محرائه بيده، صحيحاً في رأيه، أنه يسعى لتأمين أرض

(١) - المصدر السابق نفسه، ص ١٤٦.

(٢) - اليهود والدولة العثمانية، ص ١٤٨.

(٣) - المصدر السابق نفسه، ص ١٤٧.

لإخوانه اليهود، لكنه ينسى أن الذكاء ليس كافياً لحل جميع المشاكل ... لن يكتفي الصهاينة بممارسة الأعمال الزراعية في فلسطين بل يريدون أموراً مثل تشكيل حكومة وانتخاب ممثلين، إنني أدرك أطماعهم جيداً، لكن اليهود سطحيون في ظنهم أنني سأقبل بمحاولاتهم. وكما أنني أقدر في رعايانا من اليهود خدماتهم لدى الباب العالي فإنني أعادي أمانيتهم وأطماعهم في فلسطين) (١).

وعن القدس يقول عبد الحميد الثاني: (لماذا نترك القدس ... إنها أرضنا في كل وقت وفي كل زمان وستبقى كذلك، فهي من مدننا المقدسة، وتقع في أرض إسلامية، لا بد أن تظل القدس لنا) (٢).

لقد كان غرض السلطان عبد الحميد في استماعه إلى (تيودور هرتزل) معرفة الآتي: حقيقة الخطط اليهودية.

معرفة قوة اليهود العالمية ومدى قوتها.

إنقاذ الدولة العثمانية من مخاطر اليهود (٣).

وشرع السلطان عبد الحميد في توجيه أجهزة الاستخبارات الداخلية والخارجية لمتابعة اليهود وكتابة التقرير عنهم وأصدر إرادتين سنتين الأولى في ٢٨ يونيو ١٨٩٠م والأخرى في ٧ يونيو ١٨٩٠م. في الأولى (رفض قبول اليهود في الممالك الشاهسانية) والأخرى: (على مجلس الوزراء دراسة تفرعات المسألة واتخاذ قرار جدّي وحاسم في شأنها) (٤).

واتخذ السلطان عبد الحميد الثاني كل التدابير اللازمة في سبيل عدم بيع الأراضي إلى اليهود في فلسطين، وفي سبيل ذلك عمل جاهداً على عدم إعطاء أي امتياز لليهود من شأنه أن يؤدي إلى تغلب اليهود على أرض فلسطين. ولا بد في هذه الحالة أن تتكاتف جهود

(١) - المصدر السابق نفسه، ص ١٤٨.

(٢) - العثمانيون في التاريخ والحضارة، ص ٥٧.

(٣) - المصدر السابق نفسه، ص ٥٦.

(٤) - السلطان عبد الحميد الثاني، ص ٨٨.

المنظمات الصهيونية بغية إبعاد السلطان عبد الحميد الثاني من الحكم. ويعزز هذا القول هرتزل عندما قال: (إنني أفقد الأمل في تحقيق أمني اليهود في فلسطين، وإن اليهود لن يستطيعوا دخول الأرض الموعودة، مادام السلطان عبد الحميد قائماً في الحكم، مستمراً فيه) (١).

وتحركات الصهيونية العالمية، لتدعم أعداء السلطان عبد الحميد الثاني، وهم المتمردون الأرمن، والقوميون في البلقان، وحركة حزب الاتحاد والترقي، والوقوف مع كل حركة انفصالية عن الدولة العثمانية (٢).

وفي هذا الصدد يقول نيازي بركس في كتابه (المعاصرة في تركيا): (أن لليهود الأوروبيين واليهود المحليين) في الدولة العثمانية في القرنين التاسع عشر والعشرين دوراً ضخماً في إرساء تيار القومية الطورانية فالعلماء اليهود في الغرب مثل لومالي دافيد وليون كاهون وارمينيوس فاميري تصدوا للكتابة عن أصول الفكرة القومية الطورانية كما أن اليهود المحليين في الدولة العثمانية، مثل كراسوا (قراصو) وموئيز كوهين وابارهام غالانتي، كان لهم ضلع في جمعية الاتحاد والترقي وبمجرد أن نجحت هذه الجمعية في الإطاحة بحكم عبد الحميد ومن ثم الاستيلاء على السلطة تقدم الصهاينة الى الاتحاديين برغبتهم في أن تعترف الجمعية بفلسطين وطناً قومياً لليهود...) (٣).

وقد ذكر نيازي بركس في كتابه السابق اسم اليهودي موئيز كوهين الذي وصفه رينيه بيلو قائلاً:

١- إن كوهين هو من مؤسسي الفكر القومي الطوراني في الدولة العثمانية.

٢- إن كتاب موئيز كوهين هو الكتاب المقدس للسياسة الطورانية (٤).

(١)-اليهود والدولة العثمانية، ص ١٥٨.

(٢)- السلطان عبد الحميد الثاني لمحمد حرب، ص ٢٣٤.

(٣)-العثمانيون في التاريخ والحضارة، ص ١١٩.

(٤) المصدر السابق نفسه، ص ١١٩.

كان اليهودي مؤييز كوهين نشطاً جداً في التعريف بحركة الاتحاد والترقي في الصحف الأوروبية، فقد كان يعرف بجانب العبرية والتركية، عدة لغات أوروبية، وبدأ هذا بمقال باللغة الفرنسية يحمل عنوان (الأترك يبحثون عن روح قومي) (١).

لقد أسهم مؤييز كوهين في التخطيط للسياسة العنصرية الطورانية التي سارت عليها جميعة الاتحاد والترقي وهي السياسة التي شقت شعوب الدولة العثمانية وأوجدت بينها العداوة والبغضاء.

وكان هذا اليهودي لا يكل ولا يمل في نشر الفكر القومي التركي لتفتت الدولة العثمانية. وكتب ثلاثة كتب اعتمدت عند جمعية الاتحاد والترقي وهي: (ماذا يمكن أن يكسب الأترك من هذه الحرب) و(الطوران) و(سياسة التريك). كما أسهم هذا الكاتب اليهودي في الكتابة للفكر الكمالي بكتابة (الكمالية) وكتابة (الروح التركية) الذي أرخ فيه التطور العنصر التركي (٢).

لقد قامت جمعية الاتحاد والترقي على إثارة المشاعر القومية عند الأترك، تحت حلم الطورانية، وقد نادت بمفاهيم جديدة مثل الوطن والدستور والحرية، وكانت هذه المفاهيم غريبة على العثمانيين، وقد ضمت في صفوفها مجموعة من الشباب المثقفين الأترك، بالإضافة الى يهود الدونمة وكانت الغاية منها الإطاحة بحكم عبد الحميد الثاني (٣).

وقد حدث هذا الاضطراب الكبير في العاصمة بتخطيط أوروبى يهودى، مع رجال الاتحاد الترقى وتحرك على أثره عسكر الاتحاد والترقى من سلانيك ودخل إستانبول، وبهذا تم عزل خليفة المسلمين السلطان عبد الحميد الثاني من كل سلطاته المدنية والدينية. ثم وجهت إليه جمعية الاتحاد والترقى التهم التالية:

١- تدبير حادث ٣١ مارت.

(١)-انظر: العثمانيون في التاريخ والحضارة، ص ١٢٠.

(٢) المصدر السابق نفسه، ص ١٢٢.

(٣) انظر: اليهود والدولة العثمانية، ص ١٦٨.

٢- إحراق المصاحف.

٣- الإسراف.

٤- الظلم وسفك الدماء^(١).

مع أن جمعية الاتحاد والترقي العثمانية، تبنت الأفكار الغريبة المضادة للإسلام ولل فكر الإسلامي؛ لكنها استغلت الدين عند مخاطبتها للناس للتأثير فيهم، وكسب أنصار لهم في معركتهم ضد السلطان عبد الحميد الثاني. وقد نجحوا في ذلك.

تقول الجمعية في بياناتها إلى العثمانيين: (أيها العثمانيون: إن مقصدنا هو سلامة الدولة والخلافة، ولم يعد أحد يجهل هذا). (وبعون الباري وهمة الإخوان) و(أيها المسلمون: كفانا أن نقوم بدور المتفرج على سلطان جبار، عديم الإيمان، يسحق القرآن تحت أقدامه، وكذلك يسحق الضمير والإيمان) و(استيقظوا يا أمة محمد) و(الشجاعة الشجاعة يا مسلمون الشجاعة منا والعون من الله. نصر من الله وفتح قريب) و(أيها المسلم الموحد! اقرأ باسم ربك) و(انهض أيها المسلم الموحد! وأنقذ دينك، وإيمانك من يد الظالمين. وأنقذ بذلك نفسك! فهنا شيطان جبار يحمل فوق رأسه تاجاً. وفي يده دينك وإيمانك. فأنقذ دينك منه وإيمانك أيها الموحد) و(يا أيها المسلمون: إن السلطان عبد الحميد -شرعاً- ليس بسلطان، ولا خليفة! ومن لا يصدق قولنا هذا: فلينظر في الكتاب والسنة. لقد أبرزت جمعيتنا بالآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، وأوامر الله وأوامر الرسول الموجهة إلى الحكومة والأهالي. لكن السلطان عبد الحميد، أشاح بوجهه بعيداً عن أوامر الله، وأوامر الرسول. وبالتالي: أثبت ظلمه ولم ينجل من الاعتراض على الله؛ لذلك ينبغي على شعبنا، أن يلجأ إلى السلاح ضده وإذا لم يفعل الشعب هذا، فليتحمل إذاً وزر ما عليه السلطان عبد الحميد من ظلم^(٢)).

لقد كان الفكر الحاكم في اتجاهات جمعية (الاتحاد والترقي)، هو: الماسونية وهي لاتعترف

(١) - انظر: العثمانيون في التاريخ والحضارة، ص ٥٠.

(٢) - انظر: السلطان عبد الحميد الثاني، ص ٢٨٣، ٢٨٢.

بالأديان، والفلسفة الوضعية (العقلانية وهي تنفي الدين) والعلمانية (وهي تبعد الدين عن الحياة)، ومع ذلك استخدم الثوار الاتحاديون الدين لمحاربة السلطان عبد الحميد الثاني وافتروا عليه باسم الدين^(١).

إن التهم التي وجهت للسلطان عبد الحميد الثاني لا تثبت أمام البحث العلمي، والحجج، والبراهين الدالة على برائته الكلية مما ينسب إليه، فقد أثبتت الأدلة على عدم علم السلطان عبد الحميد بحادث ٣١ مارت، كما أنه (من المحال إحراق السلطان عبد الحميد للمصاحف، فهو سلطان معروف بتقواه، ولم يعرف عنه تركه للصلاة وإهماله للتعبد، كما أنه معروف بعدم إسرافه ولأنه لا يعرف الاسراف فقد كان المال يتوفر معه دائماً ولذلك فقد أزاح من على كاهل الدولة أعباء كثيرة من ماله الخاص). وعن ظلمه وسفكه للدماء فلم يعرف عن السلطان عبد الحميد هذا، وسفك الدماء لم يكن أبداً ضمن سياسته^(٢).

ولم لا يغيب عن بال الانقلابيين الضغط على مفتي الإسلام محمد ضياء الدين بإصدار فتوى الخلع ففي يوم الثلاثاء السابع والعشرين من شهر نيسان عام ١٩٠٩م اجتمع ٢٤٠ عضواً من مجلس الأعيان في جلسة مشتركة وقرروا بالاتفاق خلع السلطان عبد الحميد الثاني وكتب مسودة الفتوى للشيخ نائب حمدي أفندي المالي لكن أمين الفتوى نوري أفندي الذي دعى للاجتماع رفض هذه المسودة وهدد بالاستقالة من منصبه إن لم يجر تعديل عليها وأيده في التعديل عدد من أنصاره من النواب فعدل القسم الأخير على أن يقرر مجلس المبعوثان عرض التنازل عن العرش أو خلعه.

وإليك نص الفتوى:

(الموقع عليها من شيخ الإسلام محمد ضياء الدين أفندي ووافق عليها مجلس المبعوثان بالإجماع إذا قام أمام المسلمين زيد فجعل ديدنه طي وإخراج المسائل الشرعية المهمة من الكتب الشرعية وجمع الكتب المذكورة والتبذير والإسراف من بيت المال واتفاقية خلاف

(١) انظر: السلطان عبد الحميد الثاني، ص ٢٨٣.

(٢) انظر: العثمانيون في التاريخ والحضارة، ص ٥٠.

المسوغات الشرعية وقتل وحبس وتغريب الرعية بلا سبب شرعي وسائر المظالم الأخرى ثم أقسم على الرجوع عن غيه ثم عاد فحنث وأصر على أحداث فتنة ليخل بها وضع المسلمين كافة فورد من المسلمين من كافة الأقطار الإسلامية بال تكرار ما يشعر باعتبار زيد هذا مخلوعاً فلو حظ أن في بقائه ضرراً محققاً وفي زواله صلاحاً فهل يجب على أهل الحل والعقد وأولياء الأمور أن يعرضوا على زيد المذكور التنازل عن الخلافة والسلطنة أو خلعه من قبلهم. الجواب: نعم يجب^(١).

قرأت هذه الفتوى في الاجتماع المشترك للمجلس الملي فصرخ النواب الاتحاديون نريد خلعه وبعد مداولات تم الموافقة على خلع السلطان عبد الحميد الثاني^(٢). وبتكليف من جمعية الاتحاد والترقي تم تكوين لجنة لإبلاغ خليفة المسلمين وسلطان الدولة العثمانية عبد الحميد الثاني بقرار خلعه. وكانت هذه اللجنة تتألف من:

١- إيمانويل قراصو: وهو يهودي أسباني. كان من أوائل المشتركين في حركة تركيا الفتاة وكان مسؤولاً أمام جمعية الاتحاد والترقي عن إثارة الشغب وتحريضه ضد السلطان عبد الحميد الثاني وتأمين التخابر بين سلانيك وإستانبول فيما يتعلق بالاتصالات الحركية. وقراصو هذا محام، عملت جمعية الاتحاد والترقي بنجاح على تعيينه في المجلس النيابي العثماني نائباً عن سلانيك مرة وعن إستانبول مرتين. وصفته المصادر الإنكليزية بأنه من قادة الاتحاد والترقي.

عمل أثناء الحرب مفتشاً للإعاشة، واستطاع أثناء وجوده في هذا المنصب أن يجمع أموالاً كثيرة لحسابه الخاص، ولعب دوراً هاماً في احتلال إيطاليا لليبيا نظير مبلغ من المال دفعته إليه إيطاليا. واضطر نتيجة لخيانته للدولة أن يهرب إلى إيطاليا ويحصل على حق المواطنة الإيطالية واستقر في تريسنا حيث مات عام ١٩٣٤م. وكان أثناء وجوده في الدولة العثمانية الأستاذ الأعظم لمحل مقدونيا ريزولتا الماسوني.

(١) انظر: صحوة الرجل المريض، ص ٤١٠.

(٢) المصدر السابق نفسه، ص ٤١٠.

٢- آرام: وهو أرمني عضو في مجلس الأعيان العثماني.

٣- أسعد طوبطاني: وهو ألباني، نائب في مجلس المبعوثان عن منطقة دراج.

٤- عارف حكمت: وهو فريق بحري وعضو مجلس الأعيان، وهو كرجي العراق^(١).

يروى السلطان عبد الحميد في مذكراته تفاصيل هذه الحادثة فيقول: (إن ما يحزنني ليس الإبعاد عن السلطة، ولكنها المعاملة غير المحترمة التي ألقاها بعد كلمات أسعد باشا هذه والتي خرجت عن كل حدود الأدب، حيث قلت لهم: إنني أنحني للشرعية ولقرار مجلس المبعوثان ذلك تقدير العزيز العليم، سوى إنني أؤكد بأنه لم يكن لي أدنى علاقة لا من بعيد ولا من قريب بالأحداث التي تفجرت في ٣١ مارت ثم أردف قائلاً: (إن المسؤولية التي تحملتموها ثقيلة جداً). ثم أشار عبد الحميد إلى قرصو قائلاً: (ما تهو عمل هذا اليهودي في مقام الخلافة^(٢))؟ وبأي قصد جئتم بهذا الرجل أمامي؟^(٣).

لقد اعتبر اليهود والماسونيون هذا اليوم عيداً لهم، وابتهجوا به وساروا بمظاهرة كبيرة في مدينة سلانيك، ولم يكتف الماسونيون بذلك بل طبعوا صورة هذه المظاهرات في بطاقات بريدية لتباع في أسواق تركيا العثمانية ولمدة طويلة. لقد كان الاتحاديون يفتخرون دائماً بأنهم ماسونيون. وقد أدلى رفيق مانياسي زادة بتصريحات إلى صحيفة تمبس والفرنسية في باريس عقب نجاح انقلاب حركة الاتحاد والترقي، حيث جاء فيها: (لقد كانت للمساعدات المالية والمعنوية التي تلقيناها من الجمعية الماسونية الإيطالية التي أمدتنا بالعون العظيم نظراً لارتباطنا الوثيق بها)^(٤).

إن هذه العلاقة بين الصهيونية والماسونية، وضحها السلطان عبد الحميد الثاني في الرسالة التي وجهها إلى الشيخ محمود أبي الشامات شيخه في الطريقة الشاذلية بعد خلعه وذلك في

(١)- العثمانيون في التاريخ والحضارة، ص ٥١.

(٢)- اليهود والدولة العثمانية، ص ٢١٩.

(٣)- المصدر السابق نفسه، ص ٢٢٠.

(٤)- المصدر السابق نفسه، ص ٢٢١.

سنة ١٣٢٩هـ (١)

وقد جاء في هذه الرسالة:

(إن هؤلاء الاتحاديون قد أصروا عليّ بأن أصادق على تأسيس وطن قومي لليهود في الأرض المقدسة (فلسطين) ورغم إصرارهم، لم أقبل بصورة قطعية هذا التكليف، وأخيراً وعدوا بتقديم مائة وخمسين مليون ليرة إنكليزية ذهباً، فرفضت هذا التكليف بصورة قطعية أيضاً، وأجبتهم بهذا الجواب القطعي: (إنكم لو دفعتم ملئ الدنيا ذهباً، فلن أقبل بتكليفكم هذا بوجه قطعي، لقد خدمت الملة الإسلامية والأمة المحمدية ما يزيد على ثلاثين سنة فلم أسود صحائف المسلمين). وبعد جوابي هذا اتفقوا على خلعي، وأبلغوني أنهم سيبعدوني إلى سلانيك، فقبلت بهذا التكليف الأخير. هذا وحمدت المولى وأحمده أنني لم أقبل بأن الطخ العالم الإسلامي بهذا العار الأبدي الناشئ عن تكليفهم بإقامة دولة يهودية في الأراضي المقدسة! فلسطين) (٢).

وفي مقال نشرت في جريدة (بويوك ضوغو) التركية في ٢ مايو عام ١٩٤٧م العدد ٦١ يقول (محرم فوزي طوغاي) تحت عنوان (فلسطين والمسألة اليهودية) الآتي:

(منع السلطان عبد الحميد تحقيق هدف إنشاء دولة يهودية في فلسطين، وكلف هذا لمنع السلطان عبد الحميد غالباً وأودى بعرشه، وأدى هذا فيما بعد إلى انهيار الدولة العثمانية كلها). رغم أنه كان يدرك -كما قال نظام الدين لبه دنلي أوغلو- في دراسته عن دور اليهود في هدم الدولة العثمانية أن: (اليهود يمتلكون قوى كثيرة تستطيع النجاح في العمل المنظم، فالمال كان عندهم والعلاقات التجارية الدولية كانت في أيديهم. كما كانوا يمتلكون الصحافة الأوروبية والمحافل الماسونية) (٣).

إن بعض أقطاب حركة الاتحاد والترقي اكتشفوا فيما بعد أنهم قد وقعوا تحت تأثير الماسونية

(١) - المصدر السابق نفسه، ص ٢٢٣.

(٢) - اليهود والدولة العثمانية، ص ٢٢٣.

(٣) - السلطان عبد الحميد الثاني، ص ٨٨.

والصهيونية، فهذا أنور باشا الذي لعب دوراً مهماً في انقلاب عام ١٩٠٨ م، يقول في حديث له مع جمال باشا أحد أركان جمعية الاتحاد والترقي: (أتعرف يا جمال ما هو ذنبنا؟ وبعد تحسر عميق قال: (نحن لم نعرف السلطان عبد الحميد، فأصبحنا آلة بيد الصهيونية، واستثمرتنا الماسونية العالمية، نحن بذلنا جهودنا للصهيونية فهذا ذنبنا الحقيقي) (١). وفي هذا المعنى، يقول أيوب صبري قائد الاتحاديين العسكريين: (لقد وقعنا في شرك اليهود، عندما نفذنا رغبات اليهود عن طريق الماسونيين لقاء صفيحتين من الليرات الذهبية في الوقت الذي عرض فيه اليهود ثلاثين مليون ليرة ذهبية على السلطان عبد الحميد لتنفيذ مطالبهم، إلا إنه لم يقبل بذلك) (٢).

ويقول في هذا الصدد برنارد لويس: (لقد تعاون الإخوة الماسونيون واليهود بصورة سرية على إزالة السلطان عبد الحميد، لأنه كان معارضاً قوياً لليهود، إذ رفض بشدة إعطاء أي شبر أرض لليهود في فلسطين) (٣).

وقد حدث هذا الاضطراب الكبير في العاصمة بتخطيط أوروبي يهودي، مع رجال الاتحاد الترقى وتحرك على أثره عسكر الاتحاد والترقي من سلانيك ودخل إستانبول، وبهذا تم عزل خليفة المسلمين السلطان عبد الحميد الثاني من كل سلطاته المدنية والدينية. ثم وجهت إليه جمعية الاتحاد والترقي التهم التالية:

١- تدبير حادث ٣١ مارت.

٢- إحراق المصاحف.

٣- الإسراف.

٤- الظلم وسفك الدماء (٤).

(١)- اليهود والدولة العثمانية، ص ٢٢٨.

(٢)- المصدر السابق نفسه، ص ٢٢٩.

(٣)- المصدر السابق نفسه، ص ٢٢٩.

(٤)- العثمانيون في التاريخ والحضارة، ص ٥٠.

مع أن جمعية الاتحاد والترقي العثمانية، تبنت الأفكار الغربية المضادة للإسلام ولل فكر الإسلامي؛ لكنها استغلت الدين عند مخاطبتها للناس للتأثير فيهم، وكسب أنصار لهم في معركتهم ضد السلطان عبد الحميد الثاني. وقد نجحوا في ذلك.

تقول الجمعية في بياناتها إلى العثمانيين: (أيها العثمانيون: إن مقصدنا هو سلامة الدولة والخلافة، ولم يعد أحد يجهل هذا). (وبعون الباري وهمة الإخوان) و(أيها المسلمون: كفانا أن نقوم بدور المتفرج على سلطان جبار، عديم الإيمان، يسحق القرآن تحت أقدامه، وكذلك يسحق الضمير والإيمان) و(استيقظوا يا أمة محمد) و(الشجاعة الشجاعة يا مسلمون الشجاعة منا والعون من الله، نصر من الله وفتح قريب) و(أيها المسلم الموحد! اقرأ باسم ربك) و(انهض أيها المسلم الموحد! وأنقذ دينك، وإيمانك من يد الظالمين. وأنقذ بذلك نفسك! فهنا شيطان جبار يحمل فوق رأسه تاجاً. وفي يده دينك وإيمانك. فأنقذ دينك منه وإيمانك أيها الموحد) و(يا أيها المسلمون: إن السلطان عبد الحميد -شرعاً- ليس بسلطان، ولا خليفة! ومن لا يصدق قولنا هذا: فلينظر في الكتاب والسنة. لقد أبرزت جمعيتنا بالآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، وأوامر الله وأوامر الرسول الموجهة إلى الحكومة والأهالي. لكن السلطان عبد الحميد، أشاح بوجهه بعيداً عن أوامر الله، وأوامر الرسول. وبالتالي: أثبت ظلمه ولم يخجل من الاعتراض على الله؛ لذلك ينبغي على شعبنا، أن يلجأ إلى السلاح ضده وإذا لم يفعل الشعب هذا، فليتحمل إذاً وزر ما عليه السلطان عبد الحميد من ظلم^(١).

لقد كان الفكر الحاكم في اتجاهات جمعية (الاتحاد والترقي)، هو: الماسونية وهي لا تعترف بالأديان، والفلسفة الوضعية (العقلانية وهي تنفي الدين) والعلمانية (وهي تبعد الدين عن الحياة)، ومع ذلك استخدم الثوار الاتحاديون الدين لمحاربة السلطان عبد الحميد الثاني

(١) - السلطان عبد الحميد الثاني، ص ٢٨٣، ٢٨٢.

وافترضوا عليه باسم الدين^(١).

إن التهم التي وجهت للسلطان عبد الحميد الثاني لا تثبت أمام البحث العلمي، والحجج، والبراهين الدالة على براءته الكلية مما ينسب إليه، فقد أثبتت الأدلة على عدم علم السلطان عبد الحميد بمحادث ٣١ مارت، كما أنه (من المحال إحراق السلطان عبد الحميد للمصاحف، فهو سلطان معروف بتقواه، ولم يعرف عنه تركه للصلاة وإهماله للتعبد، كما أنه معروف بعدم إسرافه ولأنه لا يعرف الإسراف فقد كان المال يتوفر معه دائماً ولذلك فقد أزاح من على كاهل الدولة أعباء كثيرة من ماله الخاص). وعن ظلمه وسفكه للدماء فلم يعرف عن السلطان عبد الحميد هذا، وسفك الدماء لم يكن أبداً ضمن سياسته^(٢).

ولم لا يغيب عن بال الانقلابين الضغط على مفتي الإسلام محمد ضياء الدين بإصدار فتوى الخلع ففي يوم الثلاثاء السابع والعشرين من شهر نيسان عام ١٩٠٩م اجتمع ٢٤٠ عضواً من مجلس الأعيان في جلسة مشتركة وقرروا بالاتفاق خلع السلطان عبد الحميد الثاني وكتب مسودة الفتوى الشيخ نائب حمدي أفندي المالي لكن أمين الفتوى نوري أفندي الذي دعي للاجتماع رفض هذه المسودة وهدد بالاستقالة من منصبه إن لم يجر تعديل عليها وأيده في التعديل عدد من أنصاره من النواب فعدل القسم الأخير على أن يقرر مجلس المبعوثان عرض التنازل عن العرش أو خلعه.

وإليك نص الفتوى:

(الموقع عليها من شيخ الإسلام محمد ضياء الدين أفندي ووافق عليها مجلس المبعوثان بالإجماع) إذا قام أمام المسلمين زيد فجعل ديدنه طي وإخراج المسائل الشرعية المهمة من الكتب الشرعية وجمع الكتب المذكورة والتبذير والإسراف من بيت المال واتفاقية خلاف المسوغات الشرعية وقتل وحبس وتغريب الرعية بلا سبب شرعي وسائر المظالم الأخرى ثم أقسم على الرجوع عن غيه ثم عاد فحنث وأصر على أحداث فتنة ليخل بها وضع

(١) - السلطان عبد الحميد الثاني، ص ٢٨٣.

(٢) - العثمانيون في التاريخ والحضارة، ص ٥٠.

المسلمين كافة فورد من المسلمين من كافة الأقطار الإسلامية بالتكرار ما يشعر باعتبار زيد هذا مخلوعاً فلو حظ إن في بقائه ضرراً محققاً وفي زواله صلاحاً فهل يجب على أهل الحل والعقد وأولياء الأمور أن يعرضوا على زيد المذكور التنازل عن الخلافة والسلطنة أو خلعه من قبلهم. الجواب: نعم يجب) (١).

قرأت هذه الفتوى في الاجتماع المشترك للمجلس الملي فصرخ النواب الاتحاديون نريد خلعه وبعد مداولات تم الموافقة على خلع السلطان عبد الحميد الثاني (٢).

إن هذه العلاقة بين الصهيونية والماسونية، وضحها السلطان عبد الحميد الثاني في الرسالة التي وجهها إلى الشيخ محمود أبي الشامات شيخه في الطريقة الشاذلية بعد خلعه وذلك في سنة ١٣٢٩هـ (٣) وقد جاء في هذه الرسالة:

(إن هؤلاء الاتحاديون قد أصرروا عليّ بأن أصادق على تأسيس وطن قومي لليهود في الأرض المقدسة (فلسطين) ورغم إصرارهم، لم أقبل بصورة قطعية هذا التكليف، وأخيراً وعدوا بتقديم مائة وخمسين مليون ليرة إنكليزية ذهباً، فرفضت هذا التكليف بصورة قطعية أيضاً، وأجبتهم بهذا الجواب القطعي: (إنكم لو دفعتم ملئ الدنيا ذهباً، فلن أقبل بتكليفكم هذا بوجه قطعي، لقد خدمت الملة الإسلامية والأمة المحمدية ما يزيد على ثلاثين سنة فلم أسود صحائف المسلمين). وبعد جوابي هذا اتفقوا على خلعي، وأبلغوني أنهم سيبعدوني إلى سلانيك، فقبلت بهذا التكليف الأخير. هذا وحمدت المولى وأحمده أنني لم أقبل بأن ألطخ العالم الإسلامي بهذا العار الأبدي الناشئ عن تكليفهم بإقامة دولة يهودية في الأراضي المقدسة! فلسطين) (٤).

وفي مقال نشرت في جريدة (بويوك ضوغو) التركية في ٢ مايو عام ١٩٤٧م العدد ٦١ يقول

(١) - صحوة الرجل المريض، ص ٤١٠.

(٢) - المصدر السابق نفسه، ص ٤١٠.

(٣) - المصدر السابق نفسه، ص ٢٢٣.

(٤) - اليهود والدولة العثمانية، ص ٢٢٣.

(محرم فوزي طوغاي) تحت عنوان (فلسطين والمسألة اليهودية) الآتي:

(منع السلطان عبد الحميد تحقيق هدف إنشاء دولة يهودية في فلسطين، وكلف هذا لمنع السلطان عبد الحميد غالباً وأودى بعرشه، وأدى هذا فيما بعد الى انهيار الدولة العثمانية كلها). رغم أنه كان يدرك - كما قال نظام الدين لبه دنلي أوغلو- في دراسته عن دور اليهود في هدم الدولة العثمانية أن: (اليهود يمتلكون قوى كثيرة تستطيع النجاح في العمل المنظم، فالمال كان عندهم والعلاقات التجارية الدولية كانت في أيديهم. كما كانوا يمتلكون الصحافة الأوروبية والمحافل الماسونية) (١).

إن بعض أقطاب حركة الاتحاد والترقي اكتشفوا فيما بعد أنهم قد وقعوا تحت تأثير الماسونية والصهيونية، فهذا أنور باشا الذي لعب دوراً مهماً في انقلاب عام ١٩٠٨م، يقول في حديث له مع جمال باشا أحد أركان جمعية الاتحاد والترقي: (أتعرف يا جمال ماهو ذنبنا؟ وبعد تحسر عميق قال : (نحن لم نعرف السلطان عبد الحميد ، فأصبحنا آلة بيد الصهيونية، واستثمرتنا الماسونية العالمية، نحن بذلنا جهودنا للصهيونية فهذا ذنبنا الحقيقي) (٢).

وفي هذا المعنى، يقول أيوب صبري قائد الاتحاديين العسكريين: (لقد وقعنا في شرك اليهود، عندما نفذنا رغبات اليهود عن طريق الماسونيين لقاء صفيحتين من الليرات الذهبية في الوقت الذي عرض فيه اليهود ثلاثين مليون ليرة ذهبية على السلطان عبد الحميد لتنفيذ مطالبهم، إلا إنه لم يقبل بذلك) (٣).

ويقول في هذا الصدد برنارد لويس: (لقد تعاون الإخوة الماسونيون واليهود بصورة سرية على إزالة السلطان عبد الحميد، لأنه كان معارضاً قوياً لليهود، إذ رفض بشدة إعطاء أي شبر أرض لليهود في فلسطين) (٤).

(١)-السلطان عبد الحميد الثاني، ص ٨٨.

(٢)-اليهود والدولة العثمانية، ص ٢٢٨.

(٣)- المصدر السابق نفسه، ص ٢٢٩.

(٤)- المصدر السابق نفسه، ص ٢٢٩.

كمال أتاتورك: صناعة يهودية ومؤامرة صليبية

كمال أتاتورك وإسقاط الخلافة الإسلامية

أخي المسلم: بعد أن تعرضنا في الصفحات الماضية على أسباب سقوط الخلافة الإسلامية هيا لتعرف على تلك الشخصية الخبيثة التي كان لها دورا بارزا في إسقاط الخلافة وعلمنة تركيا

يقول الأستاذ أنور الجندي-رحمه الله -حاولت أجهزة الدعاية الغربية والصهيونية إعطاء مصطفى كمال أتاتورك حجماً أكبر بكثير من حجمه الطبيعي، وذلك عن طريق عشرات المؤلفات التي طبعت ووزعت في مختلف أنحاء العالم، بتضخيم حجم هذا العمل التخريبي □
التخريبي الخطير الذي قام به.

منها كتاب كمال أتاتورك الذي كتبه محمد ولقد حظيت اللغة العربية بعدد من هذه الكتب، إنجليزية وفرنسية، وما زال يعد في نظر التغريبيين محمد توفيق واعتمد على ٥٣ مرجعاً النموذج الأول الذي هو بمثابة المثل البكر لتجربة التغريب في مرجعاً أساسياً في تقديم هذا □
العالم الإسلامي والتي فشل تطبيقها في البلاد العربية، وسقطت أخيراً في إيران ولا يمكن فهم حقيقة كمال أتاتورك إلا بالعودة إلى السلطان عبد الحميد ومحاولة إسقاطه، التي تمت عام ١٩٠٩ م والتي تولى الاتحاديون بعدها زمام الحكم إلى نهاية الحرب العالمية الأولى ١٩١٨ م، كمرحلة إعداد الدور الذي قام به كمال أتاتورك من بعد.

بداية مريبة:

وما إن أسقط السلطان عبد الحميد حتى تحول الأمر في الدولة العثمانية إلى شيء خطير، فقد فتحت الأبواب لكل الأقطار والدعوات المعارضة للوحدة الإسلامية والخلافة الإسلامية والإسلام نفسه، وأتيحت الفرصة لكل الغلاة وخصوم العرب والإسلام في أن يذيعوا كل ما من شأنه أن يحقق للاستعمار الغربي واليهودية العالمية مطامعها وأهدافها، وخرجت جماعات خريجي الإرساليات التبشيرية والمحافل الماسونية ؛ لتسيطر على الرأي

العام عن طريق الصحافة، وتولت الحكم وزارة في الدولة العثمانية بها ثلاثة وزراء من اليهود.

ثم انفتح الطريق إلى فلسطين ، وأتيح لسماسرة بيع الأراضي العمل في حرية كاملة، ونشط اليهود والدوغة والماسون من ورائهم للعمل.

وأُسفرت عن نفسها:

وبدأت الحركة الطورانية تشق طريقها في تمزيق وحدة العرب والإسلام، واندفعت جمعية الاتحاد والترقي إلى تترك العناصر الداخلة ضمن الإمبراطورية، وكان التركيز على تترك العرب شديداً.

وكانت أولى خطوات الاتحاديين في الحكم: بناء منهج سياسي فكري للدولة العثمانية، مستمد من النظرية الغربية العلمانية، جرياً وراء الخطة التي رسمتها الماسونية للثورة الفرنسية، وإلغاء المفاهيم الإسلامية، وإحلال مفاهيم غربية خالصة بدلاً منها، وسارع الاتحاديون بإصدار تصريحات تقول بعزل النظام السياسي القائم، وقال أحدهم: إنه لا محل للجامعة الإسلامية في برنامج تركيا الفتية.

وقد جرت مهمة الاتحاديين في هذه الفترة على إعداد الدولة العثمانية لحركة التغريب في عديد من الجهات:

١- استسلامهم لبريطانيا استسلاماً كاملاً.

٢- تسليم طرابلس الغرب لإيطاليا.

٣- فتح الطريق أمام اليهود إلى فلسطين.

٤- وضع العقبات أمام وحدة العرب والترك بتعليق العرب على المشانق في الشام.

٥- محاولة تترك الأعراق البشرية الداخلة في نطاق إمبراطوريتهم وخاصة العرب.

٦- إعلان فكرة الطورانية، وإعلاء الجنس التركي على العالم كله.

وهكذا فإن كل ما حدث في فترة السنوات العشر السابقة للحرب العالمية الأولى إنما كان تمهيداً لما جاء بعد ذلك في تركيا أو في مصر أو لبنان، وذلك في ضوء التحول الخطير الناتج

عن إسقاط الدولة العثمانية وتمزيقها، وقد تحقق ذلك بالفعل نتيجة لدخول الاتحاديين الحرب العالمية في صف الألمان.

فكانت هزيمة الألمان في الحرب هزيمة لهم مما أدى إلى السيطرة على تركيا وإذلالها، وفرض نفوذ فكري سياسي غربي عليها، حتى ينتهي هذا الوجود الإسلامي المرتبط بالخلافة والوحدة الإسلامية، وحتى لا تكون تركيا مرة أخرى منطلقاً للإسلام إلى أوروبا، أو مصدراً للخطر، أو جرثومة لتجمع إسلامي.

نعم كانت فترة السنوات العشر للاتحاديين مقدمة لما بعد ذلك، وتمهيداً للمخطط التغريبي العنيف، الذي نفذته مصطفى كمال أتاتورك بقوة القانون.

مصطفى كمال والأهداف:

وقد كان مصطفى واحداً من الاتحاديين بين زملائه طلعت وجمال وجاويد، ولكنه لم يلمع تحت الأضواء في هذه الفترة، فقد استبقاه التخطيط الدقيق ليحمل لواء المرحلة التالية؛ وليصبح بعد الحرب امتداداً لهم، ونقطة تجمع لهذه القوى؛ لتشكل مرة أخرى على نحو آخر، بعد أن حققت أكبر أهدافها وهي:

١- إسقاط الدولة العثمانية وتمزيق وحدة العرب والترك التي هي مظهر وحدة العروبة والإسلام، فقد كان أتاتورك واحداً من رجال جماعة سالونيك ومحافلها الماسونية، ومن أبرز رجال الاتحاد والترقي، مؤمناً بتلك المبادئ والمخططات التي نفذت، فلم يكن حرباً عليها وإن أعلن اختلافه معها - في ظاهر الأمر - ولكنه كان يحقق مرحلة جديدة، فيها إعادة النظر إزاء بعض الوسائل مع الاحتفاظ بالغاية الكبرى، والوصول إليها بأساليب أشد إحكاماً.

ولم تكن معارضته لفكرة الدعوة الطورانية إلا من هذا القبيل، وإذا كان الاتحاديون قد حطموا الدولة العثمانية، وفرقوا رابطة العروبة والإسلام فإن أتاتورك قد حقق عملاً واحداً في التاريخ الإسلامي أشد قسوة وخطراً من كل عمل، وهو إلغاء الخلافة الإسلامية وتحويل تركيا من دولة إسلامية تحمل لواء الجامعة الإسلامية والخلافة وقيادة الأمم الإسلامية إلى دولة غربية خالصة تكتب من الشمال، وتطبق القانون السويسري المسيحي.

بروتوكول لوزان:

وأبرز هذه الأعمال إقرار تلك الوثيقة الخطيرة: بروتوكول معاهدة لوزان المعقود بين الحلفاء والدولة التركية عام ١٩٢٣ م المعروفة بشروط كرزون الأربعة وهي:

١- قطع كل صلة بالإسلام.

٢- إلغاء الخلافة.

٣- إخراج أنصار الخلافة والإسلام من البلاد.

٤- اتخاذ دستور مدني بدلاً من دستور تركيا القديم المؤسس على الإسلام.

ويؤكد أرنست أ. ر أفرو. وصديقه أرنست باك. وبمراجعة كتاب أرمسترونج الذنب الأغبر: عن حياة مصطفى كمال: أنه كان ماسونياً، وأن المحفل الإيطالي الذي ساعد الاتحاديين عام ١٩٠٨ م على نجاح حركتهم كان معاوناً له في نجاح حركته، ولعله أحس بعد أن نجحت حركته أنه لا حاجة إلى الجمعيات الماسونية في بلاده، فألغاهها بعد أن تحققت كل أهدافها.

من هو مصطفى كمال؟؟

ولا شك أن العنف الذي واجه به مصطفى كمال مؤسسات الإسلام، وما قام به من دحر لنفوذه في تركيا، يكشف بوضوح عن أنه كان من أخلص رجال المحافل الماسونية، بل يصل إلى أبعد من ذلك عندما يؤكد ما رده كثير من الباحثين من: أن مصطفى كمال نفسه من أصل يهودي من الدوغمة في سالونيك، وأنه كان يتخفى بالمكر والخديعة في معاركه حتى استطاع كسب قلوب المسلمين، فأرسلوا له من التبرعات والأموال الشيء الكثير حتى إذا تمكن من امتلاك أزمة الأمور سحق أنصار الإسلام سحقاً.

والواضح من دراسة تاريخ حياة مصطفى كمال أمور عدة:

أولاً: أنه لم يكن هو قائد معركة التحرير ضد القوات الأوروبية واليونانية، وإنما هو الذي سيطر على هذه القوات من بعد، وسحب أسماء الأبطال الذين بدأوا هذه المعارك، وكان لهم دور كبير في تحقيق النصر، وإن الفضل الأول كان للقائد قره بكير وغيره.

ثانياً: أن أوروبا قد سلمت لمصطفى كمال بزعامة تركيا، وانسحبت أمامه بعد أن وقع على وثيقة رسمية دولية في مؤتمر الصلح، قرر فيها إزالة الإسلام والخلافة، وإخراج زعماء المسلمين، والحكم بالقوانين الغربية، وإلغاء اللغة العربية بعد أن اطمأنت إلى أن تركيا - عنصر المخافة - قد انتهت.

ثالثاً: أن هذه البطولة التي حكيت لها أثوابها، ووضعت في هذا الطابع من الروعة والبهاء، إنما كانت خدعة النفوذ الاستعماري لتأكيد وجوده وسلطانه، ومنحه القوة على تدمير كل المؤسسات الإسلامية، حتى لا يبقى منها شيء يخيف أوروبا، أو يزعج اليهودية العالمية، التي كانت تطمع منذ وقت بعيد إلى أحد أمرين:

القضاء على الدولة العثمانية، واتخاذ إلغاء الخلافة الإسلامية طريقاً للوصول إلى فلسطين. وظهر على حقيقته: ولقد دفع مصطفى كمال تركيا دفعاً قوياً إلى العلمانية، وألغى القوانين الإسلامية، واضطهد المسلمين والإسلام أبشع اضطهاد، وقتل العشرات، وعلق جثثهم على أعواد الشجر، وأغلق المساجد، ومنع الأذان والصلاة باللغة العربية، وأعاد مسجد أيا صوفيا كنيسة ومتحفاً، واستبدل بالشرعية الإسلامية قانوناً وضعياً، واتخذ الحروف اللاتينية بدلاً من العربية في كتابة الأبجدية التركية، وألغى تدريس الإسلام في المدارس والجامعات، ودعا إلى قومية طورانية عرقية متصلة الأواصر بالوثنيين السابقين للإسلام. ولقد كان منفذا أميناً للمخطط الذي رسمه الاستعمار واليهودية العالمية، وهو إزالة الخلافة وفصل تركيا عن العالم الإسلامي والأمة العربية، وبذلك حقق مصطفى كمال - في العالم الإسلامي وفي مواجهة العروبة - أخطر حركة استغراب، وفرضها فرضاً على الأمة التركية، ولم يحققها تدريجياً، أو على نحو التقبل والتطور والمرونة.

فقد كان مدفوعاً من القوى الأجنبية إلى تنفيذ ذلك في أقصى سرعة وأبعد مدى، وإقامة هذا النظام على أساس السلطة الحاكمة والقوانين والإرهاب الدموي، وذلك حتى لا توجد ثغرة من بعد للفتح على الإسلام من جديد أو الترابط بين العرب والترك، ولقد جمع الاتحاديون الشمل المشتت بعد الحرب العالمية خلف مصطفى كمال فتسموا بالقوى الكمالية.

ولا فارق بين الدعوة الاتحادية والدعوة الكمالية في أبرز مخططاتها، وهو إعلاء العنصرية التركية، وكتابة اللغة التركية بالحروف اللاتينية، وتنفيذ نظام سياسي واجتماعي غربي لا ديني منفصل عن الإسلام والشريعة والقيم والمعتقدات الإسلامية التي عرفتها الدولة العثمانية أكثر من أربعمئة عام ، وقبل قيام الدولة العثمانية كان الأتراك مسلمين منذ عهد العباسيين.

آراء مؤرخي الغرب:

ولقد كان انتماء تركيا إلى الغرب سبة في تاريخها، فلم تسلم من قلم مؤرخ أو فيلسوف، فما استطاعت تركيا أن تعطي الحضارة الغربية شيئاً ما بعد أن انتمت إليها كما أعطتها شعوبها، إلا أنها كانت ولا تزال ذليلاً لها.

وقد أشار أرنولد توينبي إلى ذلك صراحة في موسوعته وقال: إن تركيا حين تغربت لم تقدم شيئاً إلى الغرب أو جديداً إلى الحضارة، وعاشت عالة على القوانين والمنظمات الغربية. وكما قال عبد الله التل: كان تخلي تركيا عن الإسلام ثمناً لتأييد دول الحلفاء لها في حركتها التي قادها مصطفى كمال، ولقد كان الوسيط الذي أشرف على اتفاق الحلفاء مع مصطفى كمال هو الحاخام حاييم ناحوم الذي كان رئيساً لليهود في تركيا قبل انتقاله إلى مصر، وهو الوسيط القوي الذي أوفده مصطفى كمال إلى دول الغرب في مؤتمر لوزان فحقق لتركيا ما أراد الغرب.

دراسات جادة: وقد ظهرت في السنوات الأخيرة دراسات جادة تكشف حقيقة كمال أتاتورك منها كتاب الدكتور رضا نور، حيث كشف جرائم أتاتورك وما خزيه وخياناته في أكثر من ألفين من الصفحات تحت عنوان حياتي وذكرياتي كما صدر كتاب الرجل الصنم لأحد الضباط المقربين من أتاتورك.

وقد هدمت هذه المؤلفات بناء الأكاذوبة الأسطورية التي خدعت الأتراك والمسلمين في بعض البلاد إلى حين، وألقت الأضواء الحقيقية على حياة المغامر الخطير، بل لقد تحدثت في جراحة شديدة على مولده وظروف حياته الأولى.

بل إن هذه الظروف قد أوردتها كتب ناصرت أتاتورك، وأهمها كتاب ﴿الذنب الأغبر﴾ الذي يقول بالنص: كان بفطرته ثائراً لا يحترم رئيساً أو إنساناً، أو وضعاً من الأوضاع، ولا يقبح شيئاً على الإطلاق. وإنه كان يشرب ويلهو كل ليلة حتى مطلع الفجر في المقاهي وأوكار الغرام، وقد مارس جميع الرذائل، وجرب كل الموبقات، وانغمس فيها حتى أذنيه، ثم دفع الثمن مرضاً جنسياً وصحة منهارة.

ويقول أر مسترونج أيضاً: إنه كان ولوعاً بالأحاديث الخليعة، والإفراط في الشراب والمغامرات الماجنة والليالي الحمراء في رفقة النساء، وهناك جوانب أخرى يعف القلم عن ذكرها أو ترديدها.

عنف وتسلسل: وعندما نستعرض حياة كمال أتاتورك منذ تولي السلطة حتى وفاته ١٩٣٨ م نجد صورة عاصفة من العنف والظلم والتسلط البالغ المدى في سبيل تثبيت دعائم هذا النظام الوافد، وآية ذلك الولاء المزدوج لبريطانيا وروسيا الشيوعية في آن.

وأبرز هذه المواقف صلته بالإنجليز، وما تحمله الوثائق مشيرة إلى عبارة: قيامه ببيع الوطن إلى الإنجليز، ومن ذلك موقفه إبان المرض عندما استدعى السفير البريطاني في تركيا، وطلب إليه أن يتولى منصب رئيس جمهورية تركيا وفزعت بريطانيا لذلك.

ولقد استطاع أن يحقق للصهيونية العالمية خططها في السيطرة بإلغاء الخلافة والوجهة الإسلامية والحروف العربية والشريعة والمواثيق والأوقاف والتعليم الديني.

إسقاط الخلافة الإسلامية:

وإذا كانت تركيا تحاول أن تعود اليوم إلى طابعها الإسلامي الأصيل فإن محاذير كثيرة تعمل لتصدها عن تحقيق هذه الغاية، **{وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ}** [يوسف: ٢١] ولكن التجربة كلها تثبت أن مجاوزة الفطرة ومحاربة الدين هي محاولة باطلة لا يمكن أن تستمر، ولا بد أن يحطمها الزمن لمجافاتها لسنن الأمم والحضارات والتاريخ.

وإذا أردنا أن نتحدث عن كمال أتاتورك في كلمة قلنا: إن تاريخه قد ارتبط بأخطر حدث في تاريخ الإسلام وهو إلغاء الخلافة الإسلامية بعد تدمير الدولة العثمانية أكبر مركز تجمع للأمة الإسلامية، وهو آخر المراحل التي تطلع إليها الاستعمار واليهودية العالمية من أجل

تمزيق وحدة الإسلام والعروبة ، والقضاء على آخر صرح جامع للعرب والترك يحمل لواء الجامعة الإسلامية ، ويتنادى بالمسلمين في كل بقاع الأرض .

لقد كان إسقاط الخلافة عام ١٩٢٤ م من أخطر الأحداث في العالم كله، وسيظل من الأعمال الكبرى ضد الإسلام، وسيحمل لاسم مصطفى كمال أكبر التبعات في حكم التاريخ ، فقد فتح الباب واسعاً أمام صراع الإقليميات والقوميات التي تتحرك في فراغ ، دون أن ترتبط بدائرة أساسية هي دائرة الفكر الإسلامي ، أو الوحدة الإسلامية للجامعة في مجال الجغرافيا أو في مجال الفكر .

غير أن إلغاء الخلافة الإسلامية لم يحقق ما توقعه الاستعمار واليهودية العالمية من تمزق الإسلام أو اضطراب المسلمين والعرب، الذين أغرقوا على التو في أتون الأجناس والعصبيات والعنصرية، بقصد تعميق عوامل الخلاف ودعمها، والحيلولة دون قيام وحدة فكرية أو اجتماعية بينهم، لقد ركزت هذه الدعوات التغريبية على الازدراء بالخلافة العثمانية والجامعة الإسلامية ، وعلى إثارة الصراع بين الإسلام والعروبة ، وبين القومية والوطنية ، وبين الإقليمية والقومية ، وبين العناصر المختلفة وبين الأديان والمذاهب، وذلك كله لإذابة كل هدف سليم واضح تطرحه حركة اليقظة الإسلامية في الطريق الصحيح إلى معرفة الحقيقة ، وإلى اتخاذ الأسلوب الأصيل لمواجهة الأخطار ، ونتيجة للضعف السياسي الذي كان يمر بالعالم الإسلامي .

فقد عجز قادة المسلمين عن إعادة بناء الخلافة الإسلامية مرة أخرى بعد أن أسقطها مصطفى كمال، وإن ظلت عنصراً أساسياً في مناهج الدعوات الإسلامية، وخطة واضحة في برنامج حركة اليقظة العربية الإسلامية .

وما زال المسلمون يبحثون عن صيغة تحمل لواء الوحدة بديلاً من الخلافة أو مقدمة لها، ولقد كانت مكة وجامعتها في أيام الحج، وكان الأزهر من القوى التي ساندت حركة اليقظة الإسلامية بعد سقوط الخلافة، وكان انتعاش السلفية الجديدة في الجزيرة العربية واليقظة الإسلامية في مصر وباكستان وغيرها، من علامات التعويض السريع، ثم جاءت بعد ذلك مؤتمرات التضامن الإسلامي، وما زالت تخطو خطوات بطيئة ولكنها ثابتة .

آثار إلغاء الخلافة: وقد صور الدكتور عبد الوهاب عزام الآثار التي ترتبت على إلغاء الخلافة في العالم الإسلامي فقال: إن عمل الكمالين من بعد دل على أن إلغاء الخلافة لم يكن نزوة عابرة، بل كان الحلقة الأولى في سلسلة مصنوعة، والخطوة الأولى من خطة موضوعة، خطة أملاها عليهم الروس والإنجليز وأروبا.

لقد كان إلغاء الخلافة من هذه الخطوب المكفهرة حل رباط حزمة من التعصب في ريح عاصف بلغت من المسلمين أسوأ مبلغ، وبلغت بأعدائهم أبعد غاية، ولا ينكر هذا إلا جاهل بطباع الأمم، وأحسب أن الإنجليز كان يهون عليهم أن يبذلوا ملايين الجنيهات ليلغوا الغاية التي بلغهم إياها الكماليون بغير بذل ولا كد.

أمر مقرر؟؟

وهناك من الدلائل ما يؤكد أن إلغاء الخلافة الإسلامية كان أمراً مقررماً منذ اليوم الأول للانقلاب العثماني الذي قام بإسقاط السلطان عبد الحميد عام ١٩٠٩ م، ولكنه نفذ على مراحل، واتخذت إجراءاته واحدة بعد أخرى، حتى تم تنفيذه على يد مصطفى كمال عام ١٩٢٤ م، بعد أن أسقط الخلافة الزمنية، وأقام بدلاً منها خلافة منفصلة عن السلطنة توطئة للإجهاز عليها، جملة.

وسيظل تاريخ مصطفى كمال أتاتورك مرتبطاً بإسقاط الخلافة الإسلامية إلى أن تعود بإذن الله تبارك وتعالى خلال القرن الخامس عشر.^(١)



^(١) - هذا المقال من موقع التاريخ / <https://secure25.nocdirect.com/~altareek/doc>

اللعبة العالمية للقضاء على الخلافة العثمانية

وتعالى أخي المسلم لنرى تلك المسرحية التي يقوم بها كثير من الأعداء لتحقيق أهدافهم والصعود على أكتاف أبطالها إنها اللعبة الكبرى التي يخدع بها العدو عدوه إنها نفس اللعبة التي قام بها الأمريكان لغزو العراق وغيره من الدول الإسلامية....

(كانت اللعبة العالمية للقضاء على الخلافة العثمانية نهائياً تستدعي اصطناع بطل تتراجع أمامه جيوش الحلفاء الجرارة وتعلق الأمة الإسلامية اليأس في أملها الكبير وحلمها المنشود، وفي أوج عظمتها وانتفاخه ينقض على الرمح الباقي في جسم الأمة فينهشه ويجهز عليها وهذا أفضل قطعاً من كل الـ مائة مشروع لتقسيم تركيا وهدم الإسلام^(١))

وتمت صناعة البطل بواسطة المخابرات الإنجليزية بنجاح باهر، وظهر مصطفى كمال بمظهر المنقذ لشرف الدولة من الحلفاء واليونان الذين احتلوا أزمير بتمكين من بريطانيا سنة ١٣٣٨هـ وتوغلوا في حقد صليبي دفين في الأناضول، فقام مصطفى كمال باستثارة روح الجهاد في الأتراك ورفع القرآن ورد اليونانيين على أعقابهم، وتراجعت أمامه قوات الحلفاء بدون أن يستعمل أسلحته وأخلت أمامه المواقع وبدأ مصطفى كمال يطفوا على السطح تدريجياً فقد ابتهج العالم الإسلامي وأطلق عليه لقب الغازي ومدحه الشعراء وأشاد به الخطباء

فأحمد شوقي قرنه بخالد بن الوليد في أول بيت من قصيدة مشهورة^(٢)

الله أكبر كم في الفتح من عجب يا خالد الترك جدد خالد العرب

ثم يجعله في مصاف صلاح الدين الأيوبي حين يقول:

حذوت حرب الصلاحيين في زمن فيه القتال بلا شرع ولا أدب

وشبه انتصاره بانتصار بدر فيقول:

يوم كبدر فخيّل الحق راقصه على الصعيد وخیل الله في السحب

تهيئة أيها الغازي وتهتة بآية الفتح تبقى آية الحقب^(١)

(١) - انظر: العلمانية، د. سفر الحوالي، ص ٥٦٩.

(٢) - حاضر العالم الإسلامي (١/١١١).

فكان الناس إذا قارنوا كفاح مصطفى كمال المظفر باستسلام الخليفة وحيد الدين محمد السادس القابع في الأستانة مستكيناً لما يجري عليه من الذل، كبر في نظرهم الأول بمقدار ما يهون الثاني، وزاد في سخطهم على الخليفة ما تناقلته الصحف بإهدار دم مصطفى كمال واعتباره عاصياً متمرداً. ولم يكن مصطفى كمال في نظرهم إلا بطلاً مكافحاً يغامر بنفسه لاستعادة مجد الخلافة، الذي خيل إليهم أن الخليفة يمرغه في التراب تحت أقدام الجيوش المحتلة.

ولكنه لم يلبث غير قليل حتى ظهر على حقيقته صنيعه لأعداء الإسلام من اليهود والنصارى وخاصة إنجلترا التي رأت أن إلغاء الخلافة ليس بالأمر الهين وإن ذلك لا يمكن أن يتم دون اصطناع بطل وإعطائه صورة عظيمة وإظهار هالة حوله وتصويره وكأن الكرامات تجري على يديه وعندها يمكن توجيه الطعنة على يديه بلا ألم عميق إذ الشعور قد تخدّر من نشوة الانتصارات الزائفة، فالخلفاء أنفسهم هم الذين اصطنعوا القلاقل وطلبوا من السلطان إخمادها واقترحوا اسم مصطفى كمال لتلك المهمة ليصبح محط آمال الناس وموضع تقدير ضباط الجيش فتصاعد مكانته وهيبته وتدهور سمعة الخليفة وينحط مركز الخلافة في أعين الناس، فألا عيب الإنجليزية لا تدرك بسهولة^(٢)

لقد استطاعت المخابرات الإنجليزية أن تجد ضالتها المنشودة في شخصية مصطفى كمال وكانت تلك العلاقة بين المخابرات الإنجليزية ومصطفى كمال بواسطة رجل المخابرات الإنجليزي (أرمسترونج) الذي تعززت علاقته في فلسطين وسورية، عندما كان مصطفى كمال قائداً هناك في الجيش العثماني.

نجد أرمسترونج في كتابه عن مصطفى كمال يضع إصبعه بصراحة على بداية العقد النفسية عند مصطفى كمال حينما يشير إلى الزواج الثاني لوالدته من أحد الروديسين الميسورين، وانقطاعه عن زيارتها ولجوئه إلى أصحابه من الرهبان المقدونيين، الذين تلقفوه فلقنوه مبادئ اللغة الفرنسية، مع صديقه المقدوني فتحي.

(١) - حاضرم العالم الإسلامي (١١١/١).

(٢) - التاريخ الدولة العثمانية، ص ٢٧٧.

فإلتهما كتب فولتير وروسو ومؤلفات هوبز وجون ستيورات ميل وغيرها من الكتب الممنوعة، حتى أصبح ينظم الشعر الملهب بمشاعر القومية ويخطب في ملائه بالكلية العسكرية، فيحدثهم عن فساد السلطان، قبل أن يتجاوز العشرين من العمر، ثم انتقل إلى استانبول وانغمس في ملاهيها وحاناتها، وراح يشرب ويقامر ويغازل، قبل أن يسجن لانضمامه إلى (جمعية وطن)^(١)

ويشهد ارمسترونج بعلاقة الاتحاد والترقي بالدوغة والماسونية في معرض تأريخه لحياة مصطفى كمال فيذكر كيف (دعي لحضور أحد اجتماعاتها في بيوت بعض اليهود المنتمين للجنسية الإيطالية، والجمعيات الماسونية الإيطالية إذ أن جنسيتهم هذه تحميهم بحكم المعاهدات والامتيازات الأجنبية وقد دأب الاتحاديون على الاحتماء بحصانة اليهود، فكانوا يجتمعون في بيوتهم آمنين من كل خطر، وكان بعضهم كفتحي المقدوني صديق كمال القديم، قد انضم إلى جماعة الماسون (البنائين الأحرار) ويروي كيف استعانوا على تأليف جمعيتهم الثورية وتنظيمها باقتباس أساليب المنظمات الماسونية، وصاروا يتلقون الإعانات المالية الوافرة من مختلف الجهات ويتصلون باللاجئين السياسيين الذين نفاهم السلطان إلى خارج البلاد.

ويكشف ارمسترونج كيف وقع الاختيار على مصطفى كمال وحده، من دون بقية أقرانه، لتنفيذ آخر خطوة في الخطة البريطانية فيقول: (إن طبيعته كانت تميل إلى أن يكون الأمر النهائي، فلم يظهر أي احترام لزعماء الاتحاديين، وتشاجر مع : أنور وجمال وجاويد اليهودي الأصل، ونيازي الألماني المتوحش، وطلعت الدب الكبير، الذي كان موظفاً صغيراً في مصلحة البريد.

وبعد أن تحول مصطفى كمال من مجرد ضابط صغير ثائر على الأوضاع إلى قائد عسكري يملك رصيلاً من الأجداد والانتصارات لقبت بـ(الغازي) بفضل نفوذ رجال الاستخبارات البريطانية، ويذكرنا أرمسترونج صفحة جديدة من حياته الخاصة بعد كشفه عن مجونه

(١) - صورة الرجل المريض، ص ٢٦٦، ٢٦٥.

وفسقه، وأهليته لنسف الخلافة الإسلامية ، فيتطرق إلى زواجه الأسطوري من (لطيفة) تلك الفتاة الأميرية الموسرة التي عادت لتوها من باريس لتقدم خبراتها الإدارية وثقافتها العصرية وإجادتها لعدة لغات فضلاً عن أنوثتها وسحرها مع قصر أبيها الفاخر في أزمير إلى الغازي مصطفى كمال ، الذي أوقعته في حبائلها بتمنعها ودلالها فتخلص من (فكرية) التي أرسلها إلى ميونخ للعلاج من المرض الذي نقله إليها، ثم دبر أمر انتحارها كما تخلص من (صالحة) ليقوم بزواج خاطف من (لطيفة) بعد أفسد حياة (سعاد) وعشرات البنات والنساء والغلمان وغيرها، كما تؤكد ذلك الوثائق التي تركها أحد زملائه من الضباط المتقاعدين^(١) وقد كانت لطيفة نفسها ضحية من ضحاياه، فيما بعد، حيث طلقها بقرار وزاري ، وتركها فريسة للأمراض والأوجاع، بعد تحذيرها للصمت من كل شذوذه، ولم تبق بجانبه إلا (عفت) ، تلك الفنانة التي كانت له معلمة ومؤرخة، حتى استطاعت أن تقود ذلك الوحش -على حد تعبير - بأسلوب الخضوع والعبودية له.

ولكن (لطيفة) هانم أشاكي كيل لك يمنعها قانون حماية مصطفى كمال من أي هجوم أو نقد من التلميح بين سطور مذكراتها التي نشرتها صحيفة (الحرية) التركية في حزيران (يونيو) عام ١٩٧٣ من تسليط بعض الأضواء على حياة أتاتورك الخاصة وأفراطه في الشرب، محاولة إلقاء المسؤولية على أصحابه وزملائه أمثال: (قلج علي) و(نوري جنكر) ، و(رجب هدى) الذي كانوا يتعمدون إهدار وقته وهم مجموعة من القتلة والأشقياء المعروفين الذين ضمهم إلى حاشيته ولحراسته وأصبح بعضهم يرفع الكلفة معه إلى أبعد الحدود بعد تنفيذهم للعديد من المهمات الإجرامية التي كلفهم بها للتخلص من بعض خصومه^(٢).

إن تلك الأخلاق العفنة التي اشتهر بها مصطفى كمال لا تستغرب منه خصوصاً عندما نعلم أن أصله من يهود الدونمة.

فقد جاء في دائرة المعارف اليهودية: (لقد أكد الكثير من اليهود سلانيك أن كمال أتاتورك

(١) - صحوة الرجل المريض، ص ٢٦٧.

(٢) - المصدر السابق نفسه، ص ٢٦٧.

كان أصله من الدونمة، وهذا هو أيضاً رأي الإسلاميين المعارضين لكمال أتاتورك، ولكن الحكومة تنكر ذلك^(١)

ويعلق تويني على نسب مصطفى كمال قائلاً: (إن دماً يهودياً يجري في عروق الأسرة الكمالية. فقد كانت سلانيك مهبط اليهود أيام محنتهم. وقد درؤوا عقائدهم باعتناق الإسلام.

ولكن طبائع مصطفى كمال ولون عينه وتكوينه الجسمي يبعده عن أن يكون متأثراً بدماء يهودية)^(٢)

ويقول أسامة عيناوي: (أن الدونمة يعتزون كثيراً بأتاتورك ويعتقدون اعتقاداً راسخاً أنه منهم وحثتهم في ذلك أن أتاتورك أسفر عن نيته ضد الإسلام حين تولى الحكم)^(٣)

إن أفعال مصطفى كمال دلت على بغضه للإسلام فيما بعد، فبينما كان في عام ١٣٣٧هـ عندما انتصر على اليونان في أنقرة يعلن أمام الشعب: (إن كل التدابير التي ستتخذ لا يقصد منها غير الاحتفاظ بالسلطنة والخلافة وتحرير السلطان والبلاد من الرق الأجنبي)^(٤)

نجاهه بعد أن تمكن من العباد والبلاد في عام ١٣٤١هـ/ ١٩٢٣م تعلن الجمعية الوطنية التركية بزعامته عن قيام الجمهورية التركية وانتخب مصطفى كمال أول رئيس لها، وتظاهر بالاحتفاظ مؤقتاً بالخلافة فاختر عبد المجيد بن السلطان عبد العزيز خليفة بدلاً من محمد السادس الذي غادر البلاد على بارجة بريطانية إلى مالطة ولم يمارس السلطان عبد المجيد أي سلطات للحكم^(٥)

كان الخليفة عبد المجيد رجلاً مهذباً مثقفاً كما يليق بسلالة بني عثمان، وقد أصبح في نظر الأتراك الصلة الحية بالتراث والتاريخ العثماني الإسلامي، وكانت جماهير إستانبول تهرع

(١) - يهود الدونمة، د. النعيمي، ص ٨٧ إلى ٨٩.

(٢) - المصدر السابق نفسه، ص ٩٠.

(٣) - المصدر السابق نفسه، ص ٩٤.

(٤) - انظر: حاضر العالم الإسلامي (١/١١٢).

(٥) - انظر: حاضر العالم الإسلامي (١/١١٢).

لإلقاء نظرة عليه وتحيته كل جمعة وهو في طريقه لأداء الفريضة، وكان الخليفة مدركاً تمام الإدراك مكانة منصبه السامية، وعراقة السلالة التي ينتمي إليها، فكان مرة يرتدي عمامة محمد الفاتح وثانية يتقلد لسيف السلطان سليمان القانوني.

استشاط مصطفى كمال غيظاً فما كان ليطلق أن يرى أو يسمع عن محبة الناس وتعلقهم بآل عثمان وبالخلافة والسلطنة، فمنع الخليفة من الخروج للصلاة ثم خفض مخصصاته للنصف وحكم مصطفى كمال البلاد بالحديد والنار، وضمن تأييد الدول العظمى لسياسته التعسفية.

دعا مصطفى كمال الجمعية التأسيسية إلى اجتماع في ٣ آذار/ مارس ١٩٢٤م، وكان على ثقة تامة من أن أحداً في الجمعية التأسيسية -التي لم يبق منها سوى اسمها- لن يجروا على معارضته، وطرح على الجمعية مشروع قرار بإلغاء الخلافة التي أسماها هذا الورم من القرون الوسطى^(١)، وقد أجاز القرار الذي شمل نفي الخليفة في اليوم التالي دون مناقشة، وانطفأت على يد مصطفى كمال شعلة الخلافة التي كان المسلمون طيلة القرون يستمدون من بقائها رمز وحدتهم واستمرار كيانهم^(٢)

لقد كان مصطفى كمال ينفذ مخططاً مرسوماً له في المعاهدات التي عقدت مع الدول الغربية، فقد فرضت معاهدة لوزان سنة ١٣٤٠هـ/ ١٩٢٣م على تركيا فقبلت شروط الصلح والمعروفة بشروط كرزون الأربع وهو رئيس الوفد الإنجليزي في مؤتمر لوزان وهي:

١- قطع كل صلة لتركيا بالإسلام.

٢- إلغاء الخلافة الإسلامية إلغاءً تاماً.

٣- إخراج الخليفة وأنصار الخلافة والإسلام من البلاد ومصادرة أموال الخليفة.

٤- اتخاذ دستور مدني بدلاً من دستور تركيا القديم^(٣)

لقد نفذ مصطفى كمال المخطط كاملاً وابتعد عن الخطوط الإسلامية ودخلت تركيا

(١) - انظر: التاريخ العثماني في شعر أحمد شوقي لمحمد أبو غدة ، ص ١١٠.

(٢) - المصدر السابق نفسه ، ص ١١٠.

(٣) - انظر: تاريخ الدولة العثمانية، د. علي حسون ، ص ٢٨٧.

لعمليات التغريب البشعة؛ فألغيت وزارة الأوقاف سنة ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م، وعهد بشؤونها الى وزارة المعارف. وفي عام ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م أغلقت المساجد وقضت الحكومة في قسوة بالغة على كل تيار ديني وواجهت كل نقد ديني لتدبيرها بالعنف. وفي عام (١٣٥٠ - ١٣٥١هـ/ ١٩٣١-١٩٣٢م) حددت عدد المساجد ولم تسمح بغير مسجد واحد في كل دائرة من الأرض يبلغ محيطها ٥٠٠ متر وأعلن أن الروح الإسلامية تعوق التقدم. وتماذى مصطفى كمال في تهجمه على المساجد فخفض عدد الواعظين الذين تدفع لهم الدولة أجورهم إلى ثلاثمائة واعظ، وأمرهم أن يفسحوا في خطبة الجمعة مجالاً واسعاً للتحديث على الشؤون الزراعية والصناعية وسياسة الدولة وكيل المديح له. وأغلق أشهر جامعين في إستانبول وحول أولهما وهو مسجد آيا صوفيا الى متحف، وحول ثانيهما وهو مسجد الفاتح إلى مستودع.

أما الشريعة الإسلامية فقد استبدلت وحل محلها قانون مدني أخذته حكومة تركيا عن القانون السويسري عام ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٦م. وغيرت التقويم الهجري واستخدمت التقويم الجريجوري الغربي، فأصبح عام ١٣٤٢هـ ملغياً في كل أنحاء تركيا وحل محله عام ١٩٢٦م. وفي دستور عام ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٨م أغفل النص على أن تركيا دولة إسلامية، وغير نص القسم الذي يقسمه رجال الدولة عند توليهم لمناصبهم، فأصبحوا يقسمون بشرفهم على تأدية الواجب بدلاً من أن يخلفوا بالله كما كان عليه الأمر من قبل.

وفي عام ١٩٣٥م غيرت الحكومة العطلة الرسمية فلم يعد الجمعة، بل أصبحت العطلة الرسمية للدولة يوم الأحد، وأصبحت عطلة نهاية الأسبوع تبدأ منذ ظهر يوم السبت وتستمر حتى صباح يوم الاثنين.

وأهملت الحكومة التعليم الديني كلية في المدارس الخاصة، ثم تم إلغاؤه بل أن كلية الشريعة في جامعة إستانبول بدأت تقلل من أعداد طلابها التي أغلقت عام ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٣م. وامعنت حكومة مصطفى كمال في حركة التغريب فأصدرت قراراً بإلغاء لبس الطربوش

وأمرت بلبس القبعة تشبهاً بالدول الأوروبية^(١).

وفي عام ١٣٤٨هـ/ ١٩٢٩م بدأت الحكومة تفرض إجبارياً استخدام الأحرف اللاتينية في كتابة اللغة التركية بدلاً من الأحرف العربية. وبدأت الصحف والكتب تصدر بالأحرف اللاتينية وحذفت من الكليات التعليم باللغة العربية واللغة الفارسية، وحرم استعمال الحرف العربي لطبع المؤلفات التركية وأما الكتب التي سبق لمطابع إستانبول أن طبعتها في العهود السالفة، فقد صدرت إلى مصر، وفارس، والهند، وهكذا قطعت حكومة تركيا ما بين تركيا وماضيها الإسلامي من ناحية، وما بينها وبين المسلمين في سائر البلدان العربية والإسلامية من ناحية أخرى^(٢)

• وأخذ أتاتورك ينفخ في الشعب التركي روح القومية، واستغل ما نادى به بعض المؤرخين من أن لغة السومريين أصحاب الحضارة القديمة في بلاد ما بين النهرين كانت ذات صلة باللغة التركية فقال: بأن الأتراك هم أصحاب أقدم حضارة في العالم ليعوضهم عما أفقدهم إياه من قيم بعد أن حارب كل نشاط إسلامي وخلع مصطفى كمال على نفسه (أتاتورك) ومعناه أبو الأتراك^(٣)

• وعملت حكومته على الاهتمام بكل ما هو أوروبي فازدهرت الفنون وأقيمت التماثيل لأتاتورك في ميادين المدن الكبرى كلها، وزاد الاهتمام بالرسم والموسيقى ووفد إلى تركيا عدد كبير من الفنانين أغلبهم من فرنسا والنمسا^(٤)

• وعملت حكومته على إلغاء حجاب المرأة وأمرت بالسفور، وألغيت قوامة الرجل على المرأة وأطلق لها العنان باسم الحرية والمساواة، وشجع الحفلات الراقصة والمسارح المختلطة والرقص.

• وفي زواجه من لطيفة هانم ابنه أحد أغنياء أزمير الذين كانوا على صلة كبيرة مع اليهود

(١) - انظر: حاضر العالم الإسلامي (١/١١٥).

(٢) - المصدر السابق نفسه (١/١١٥).

(٣) - حاضر العالم الإسلامي (١/١١٥).

(٤) - المسألة الشرقية للدسوقي ، ص ٤٢٨-٤٣٢.

من سكان أزمير، أجرى مراسم الزواج على الطريقة الغربية كي يشجع على نبذ العادات الإسلامية واصطحابها وطاف بها أرجاء البلاد وهي بادية المفاتن تختلط مع الرجال وترتدي أحدث الأزياء المعينة على التبرج الصارخ^(١)

• وأمر بترجمة القرآن إلى اللغة التركية ففقد كل معانيه ومدلولاته، وأمر أن يكون الأذان باللغة التركية^(٢)

• عمل على تغيير المناهج الدراسية وأعيد كتابة التاريخ من أجل إبراز الماضي التركي القومي، وجرى تنقية اللغة التركية من الكلمات العربية والفارسية، واستبدلت بكلمات أوروبية أو حثية قديمة.

• وأعلنت الدولة عزمها في التوجيه نحو أوروبا وانفصلت عن العالم الإسلامي والعربي، وامعنت حكومتها من استدبار الإسلام حتى حاربت بقسوة أي محاولة ترمي إلى إحياء المبادئ الإسلامية^(٣)

وكان خطوات مصطفى كمال هذه بعيدة الأثر في مصر وأفغانستان وإيران والهند الإسلامية، وتركستان وفي كل مكان من العالم الإسلامي، إذ أتاحت الفرصة لدعاة التغريب وخدام الثقافة الاستعمارية أن ينفذوا إلى مكان الصدارة وأن يضربوا المثل بتركيا في مجال التقدم والنهضة المزعومة، فقد هللت له صحف مصر -الأهرام، والسياسة والمقطم- ذات الاتجاهات المضادة للإسلام، والمدعومة النفوذ الغربي واليهودي والماسوني.

لقد بررت تلك الصحف تصرفات كمال أتاتورك ووافقت عما ابتدعه، ونشرت له أقوال: (ليس لتركيا الجديدة علاقة بالدين). وأنه -أي مصطفى كمال-: (ألقى القرآن ذات يوم في بده فقال: إن ارتقاء الشعوب لا يصلح أن ينفذ بقوانين وقواعد سنت في العصور الغابرة).

لقد كانت حكومة تركيا العلمانية الكمالية -هي كما وصفها الأمير شكيب أرسلان- ليست

(١) - حاضِر العالم الإسلامي (١١٦/١).

(٢) - المصدر السابق نفسه (١١٦/١)

(٣) - لاتجاهات الوطنية لمحمد حسين (١٠٠/٢).

حكومة دينية من طراز فرنسا و الانكلترا فحسب، بل هي دولة مضادة للدين كالحكومة البلشفية في روسيا سواء بسواء، إذ أنه حتى الدول اللادينية في الغرب بثوراتها المعروفة لم تتدخل في حروف الأناجيل وزى رجال الدين وطقوسهم الخاصة وتلغى الكنائس^(١) وكان للأعلام اليهودي دور كبير في الترويج لهذه الردة، مثلما كان له دوره البارز في تشجيع أتاتورك على البطش بأية معارضة إسلامية، وكانت تزين له أن ما يقوم به من المذابح والوحشية ضد المسلمين ليست سوى معارك بطولية، كما كانت منبراً لكل دعوات التشبه بالغرب الصليبي والمناداة بالحرية الفاجرة للمرأة التركية، والترويج لفنون الانحلال الخلقي معتبرة أن شرب الخمر والمقامرة والزنا ليست إلا مظاهر للتمدن والتحضر^(٢) إن الحقيقة المرة أن مصطفى كمال أصبح نموذجاً صارخاً للحكام في العالم الإسلامي وكان لأسلوبه الاستبدادي الفذ أثره في سياسات من جاء بعده منهم، كما أنه أعطى الاستعمار الغربي مبرراً كافياً للقضاء على الإسلام فإن فرنسا مثلاً بررت حرصها على تنصير بلاد شمال الأفريقي وأخرجها من دينها وعقيدتها وإسلامها بأنه لا يجب عليها أن تحافظ على الإسلام أكثر من الأتراك المسلمين أنفسهم^(٣) لقد أصبح مصطفى كمال زعيماً روحياً لكثير من الحكام الذين باعوا آخرتهم بديناهم الزائلة.

قاد المسلمون ثورات مسلحة ضد الحكم العلماني التركي المعادي للإسلام وظهرت أهم الثورات في المنطقة الجنوبية الشرقية عام ١٣٤٤هـ، ثم في منيمين عام ١٣٤٩هـ وقد قمعها الكماليون بشدة منقطعة النظر وذهب ضحيتها عدد كبير من العلماء، وأهملت المنطقة اقتصادياً وعلمياً.

وقامت حركة النور بزعامة الشيخ بديع الزمان سعيد النورس وتلاميذه من بعده، وقد كتب العديد من الرسائل الإسلامية تحت عنوان (رسائل النور) في سبيل التوعية الإسلامية

(١) - العلمانية، د. سفر الحوالي، ص ٥٧٣.

(٢) - حاضر العالم الإسلامي (١/١١٧)

(٣) - العلمانية، د. سفر الحوالي، ص ٥٧٣.

ومقاومة مبادئ الكمالين والعلمانية، ولم تعتمد حركته إلى حمل السلاح واقتصر جهادها على اللسان. وقد حاول أتاتورك استمالة وناقشه واستنكر دعوته الناس إلى الصلاة مدعياً أنها تثير الفرقة بين أعضاء المجلس فأجابه:

(إن أعظم حقيقة تتجلى بعد الإسلام إنما هي في الصلاة، وإن الذي لا يصلي خائن وحكم الخائن مردود) ^(١)

فسجنه ثم نفاه بعد أن اتهمه بمؤامرة لقلب نظام الحكم، ولكن دعوته استمرت في الانتشار سراً بين صفوف الجامعين ومعسكرات الجيش ودوائر الدولة، ومثل للمحاكمة مرة أخرى بتهمة أتاتورك بالدجال، فوقف أمام المحكمة وقال:

(إنني لأعجب كيف يتهم أناس يتبادلون فيما بينهم تحية القرآن وبيانه ومعجزاته باتباعهم للسياسة والجمعيات السرية، على حين يحق للمارقين الافتراء على القرآن وحقائقه في وقاحة وإصرار، ثم يعد ذلك أمراً مقدساً لأنه حرية. أما نور القرآن الذي يأبى إلا أن يشع في أفئدة ملايين المسلمين المرتبطين بدستوره، فهو خطورة ينهال عليها جميع ألفاظ الشر والخبث والسياسة...

أسمعوا يا من بعتم دينكم بديناكم وتنكستم في الكفر المطلق: إنني أقول بمنتهى ما أعطاني الله من قوة افعلوا ما يمكنكم فعله فغاية ما نتمناه أن نجعل رؤوسنا فداءً لأصغر حقيقة من حقائق الإسلام....) ^(٢)

فأعيد إلى منفاه وبقي حتى عام ١٣٦٧ هـ حين بدأت الحكومة تضطر للاستجابة لمطالب الشعب المسلم بخصوص النشاط الديني ^(٣)

لقد تجلت سياسة أتاتورك العلمانية في برنامج حزبه (حزب الشعب الجمهوري) لعام ١٣٤٩ هـ مرة وعام ١٣٥٥ هـ مرة ثانية والتي نص عليها الدستور التركي وهي المبادئ

^(١) - حاضر العالم الإسلامي (١/١١٧).

^(٢) - حاضر العالم الإسلامي (١/١٢٢).

^(٣) - حاضر العالم الإسلامي (١/١٢٢).

الستة التي رسمت بشكل ستة أسهم على علم الحزب وهي: القومية، الجمهورية، الشعبية، العلمانية، الثورة، سلطة الدولة^(١)

توفي أتاتورك عام ١٣٥٦ هـ بعد أن حقق علمانية تركيا رغم أنف المسلمين. لقد أصيب مصطفى كمال بمرض قبل وفاته بسنين بمرض عضال في الكلية لم تعرف كنهته. وكان يتعرض لآلام مبرحة مزمنة لا تطاق، كانت السبب في إدمانه على شرب الخمر مما أدى إلى إصابته بتليف الكبد والتهاب في أعصابه الطرفية وتعرضه لحالات من الكآبة والانطواء -وقد تدهور في المستويات العليا للمخ- لذلك كان هذا الديكتاتور مثلاً فريداً في القسوة والتنكيل والأنانية المدمرة^{(٢)(٣)}

(١) - حاضر العالم الإسلامي (١١٦/١).

(٢) - المسألة الشرقية ، محمد ثابت الشاذلي ، ص ٢٤٢.

(٣) - الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط

الفصل الثامن: المؤامرة في الحروب الصليبية الجديدة

أخي المسلم ٠٠ أختي المسلمة ٠٠٠ بعد هذه الرحلة التي بدأتها معكم عن المؤامرة منذ سيدنا نوح -عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى التسليم - هيا لنرى حقيقة المؤامرة الصليبية على الإسلام والمسلمين في عصرنا المليء بالفتن والمحن تلك الفتن وتلك المؤامرات التي عمى عنها هؤلاء الذين يزعمون أن لا مؤامرة على الإسلام والمسلمين، إن الغرب لا يرضى منا إلا بالكفر بالله والدخول في دينهم ولو قدمنا لهم عيوننا على أطباق من ذهب فلن يرضهم ذلك وصدق الله العظيم إذ يخبرنا عن تلك الحقيقة فيقول وهو اصد القائلين {وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنَّ آتِئْتَهُمْ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ} [البقرة: ١٢٠] فقد سقطت الخلافة في الأندلس فلم يرضهم ذلك حتى أخرجوهم من دينهم وديارهم، ثم سقطت الخلافة العثمانية فهل أرضاهاهم ذلك؟ كلا إنهم لن يرضهم إلا ما قال الله تعالى في كتابة.

فالحرب ما زالت على قدم وساق ولن تنتهي الحرب بيننا وبينهم يقول الحق سبحانه وتعالى {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} (٢١٦) يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكَفَرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [البقرة: ٢١٦، ٢١٧]

المؤامرة الغربية على الاسلام

اعلم علمني الله وإياك: أن الحروب الصليبية مستمرة: وأن الغرب يبني علاقاته معنا على أساس أن الحروب الصليبية لا تزال مستمرة بيننا وبينه، ولكن كثيرا من المغفلين لا يرى إلا أنفه فينفى تلك الفكرة ولا يقر بها والسبب في ذلك المصالح و الهواء الشخصية وأنهم أضحوا لعبة في يد هؤلاء المتآمرين، ولكن كيف يبني الغرب سياسته معنا ؟

إليك أخي الحبيب بيان ذلك من أقوالهم ومخططاتهم:

١- فسياسة أمريكا معنا تخطط على هذا الأسس:

يقول أيوجين روستو رئيس قسم التخطيط في وزارة الخارجية الأمريكية ومساعد وزير الخارجية الأمريكية، ومستشار الرئيس جونسون لشؤون الشرق الأوسط حتى عام ١٩٦٧م يقول: يجب أن ندرك أن الخلافات القائمة بيننا وبين الشعوب العربية ليست خلافات بين دول أو شعوب، بل هي خلافات بين الحضارة الإسلامية والحضارة المسيحية. لقد كان الصراع محتدماً ما بين المسيحية والإسلام منذ القرون الوسطى، وهو مستمر حتى هذه اللحظة، بصور مختلفة. ومنذ قرن ونصف خضع الإسلام لسيطرة الغرب، وخضع التراث الإسلامي للتراث المسيحي.

ويتابع: (إن الظروف التاريخية تؤكد أن أمريكا إنما هي جزء مكمل للعالم الغربي، فلسفته، وعقيدته، ونظامه، وذلك يجعلها تقف معادية للعالم الشرقي الإسلامي، بفلسفته وعقيدته المتمثلة بالدين الإسلامي، ولا تستطيع أمريكا إلا أن تقف هذا الموقف في الصف المعادي للإسلام وإلى جانب العالم الغربي والدولة الصهيونية، لأنها إن فعلت عكس ذلك فإنها تنكر للغتها وفلسفتها وثقافتها ومؤسساتها.

إن روستو يحدد أن هدف الاستعمار في الشرق الأوسط هو تدمير الحضارة الإسلامية، وأن قيام إسرائيل، هو جزء من هذا المخطط، وأن ذلك ليس إلا استمراراً للحروب الصليبية.^(١)

٢- والحرب الصليبية الثامنة قادها النبي :

(١) - معركة المصير - صفحات ٨٧-٩٤.

يقول باترسون سمث في كتابه حياة المسيح الشعبية (باءت الحروب الصليبية بالفشل، لكن حادثاً خطيراً وقع بعد ذلك، حينما بعثت انكلترا بحملتها الصليبية الثامنة، ففازت هذه المرة، إن حملة اللنبى على القدس أثناء الحرب العالمية الأولى هي الحملة الصليبية الثامنة، والأخيرة.^(١))

لذلك نشرت الصحف البريطانية صور اللنبى وكتبت تحتها عبارته المشهورة التي قالها عندما فتح القدس: (اليوم انتهت الحروب الصليبية). ونشرت هذه الصحف خبراً آخر يبين أن هذا الموقف ليس موقف اللنبى وحده بل موقف السياسة الإنكليزية كلها، قالت الصحف:

هنأ لويد جورج وزير الخارجية البريطاني الجنرال اللنبى في البرلمان البريطاني، لإحرازه النصر في آخر حملة من الحروب الصليبية، التي سماها لويد جورج الحرب الصليبية الثامنة.

٣- والفرنسيون أيضاً صليبيون:

فالجنرال غورو عندما تغلب على جيش ميسلون خارج دمشق توجه فوراً إلى قبر صلاح الدين الأيوبي عند الجامع الأموي، وركله بقدمه وقال له: ها قد عدنا يا صلاح الدين^(٢) ويؤكد صليبية الفرنسيين ما قاله مسيو بيدو وزير خارجية فرنسا عندما زاره بعض البرلمانيين الفرنسيين وطلبوا منه وضع حد للمعركة الدائرة في مراكش أجابهم: إنها معركة بين الهلال والصليب.^(٣)

الاعتراف سيد الأدلة

وهذه مجموعة من الأقوال التي تلفظ بها هؤلاء المجرمون وأعلنوا بها في مؤتمراتهم وكتبهم وهى تحمل في طياتها ما تكنه صدورهم للإسلام والمسلمين وصدق الله العظيم إذ يقول (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صدورهم أكبرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ (١١٨) هَا أَنْتُمْ

(١) - مجلة الطليعة القاهرية، مقال وليم سليمان، عدد ديسمبر عام ١٩٦٦ - صفحة ٨٤.

(٢) - القومية والغزو الفكري - ص ٨٤.

(٣) - مأساة مراكش روم رولاند (ص: ٣١٠)

أُولَئِكَ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُؤْتُوا يَغْنِظْكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١١٩) إِنَّ تَمَسَّسَكُمْ حَسَنَةً تَسْؤُهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِيرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (١٢٠)

قال القرطبي: نهى الله المؤمنين بهذه الآية أن يتخذوا من الكفار واليهود وأهل الأهواء دخلاء وولجاء ، يفاوضونهم في الآراء ويسندون إليهم أمورهم . وفى سنن أبى داود عن أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخال (١)

وقيل لعمر بن الخطاب -رضي الله عنه -إن ههنا رجلا من نصارى الحيرة لا أحد أكتب منه ولا أخط بقلم، أفلا يكتب عنك؟ فقال: لا آخذ بطانة من دون المؤمنين. ثم قال القرطبي -رحمه الله - : قلت وقد انقلبت الأحوال في هذه الأزمان باتخاذ أهل الكتاب كتبة وأمناء ، وتسودوا بذلك عند الجهلة الأغبياء من الولاة والأمراء . روى البخاري عن أبى سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان: بطانة تأمره بالخير وتحضه عليه، وبطانة تأمره بالشر وتحثه عليه، والمعصوم من عصمه الله (٢) فماذا قالوا؟

وماذا بيتوا للإسلام والمسلمين؟
استمع إلى أقوالهم وخططاتهم:

*وقالوا عام ١٩٦٧م بعد سقوط القدس:

قال راندولف تشرشل: (لقد كان إخراج القدس من سيطرة الإسلام حلم المسيحيين واليهود على السواء، إن سرور المسيحيين لا يقل عن سرور اليهود. إن القدس قد خرجت

(١) - أخرجه : أبو داود (٤٨٣٣) ، والترمذي (٢٣٧٨) وقال : ((حديث حسن غريب))

(٢) - تفسير القرطبي (٤/ ١٧٨)

من أيدي المسلمين، وقد أصدر الكنيست اليهودي ثلاثة قرارات بضمها إلى القدس اليهودية ولن تعود إلى المسلمين في أية مفاوضات مقبلة ما بين المسلمين واليهود.^(١)

*** والصهاينة عندما دخلت قوات إسرائيل القدس عام ١٩٦٧ تجمهر الجنود حول حائط**

المبكى، وأخذوا يهتفون مع موسى دايان:

هذا يوم بيوم خير ... يا لثارات خير.

وتابعوا هتافهم:

حطوا المشمش عالتفاح، دين محمد ولى وراح ..

وهتفوا أيضاً:

محمد مات .. خلف بنات ..

كل ذلك دعا الشاعر محمد الفيتورى إلى تنظيم قصيدته الرائعة مخاطباً نبينا محمداً صلى الله

عليه وسلم:

يا سيدي ..

عليك أفضل الصلاة والسلام ..

من أمة مُضاعة ..

تقذفها حضارة الخراب والظلام ..

يا سيدي ... منذ ردمنا البحر بالسدود ..

وانتصبت ما بيننا وبينك الحدود ..

متنا ..

وداست فوقنا ماشية اليهود..^(٢)

*** واستغلت إسرائيل صليبية الغرب:**

(١) - راندولف تشرشل، حرب الأيام الستة - ص ١٢٩ من الترجمة العربية.

(٢) - الشعب والأرض - ج١ - ص ٣٤ - ودرس من النكبة الثانية - ص ٧٦.

خرج أعوانها بمظاهرات قبل حرب الـ ١٩٦٧ تحمل لافتات في باريس، سار تحت هذه اللافتات جان بول سارتر، كتبت على هذه اللافتات، وعلى جميع صناديق التبرعات لإسرائيل جملة واحدة من كلمتين، هما:

قاتلوا المسلمين

فالتهب الحماس الصليبي الغربي، وتبرع الفرنسيون بألف مليون فرنك خلال أربعة أيام فقط ... كما طبعت إسرائيل بطاقات معايدات كتبت عليها هزيمة الهلال. بيعت بالملايين ... لتقوية الصهاينة الذين يواصلون رسالة الصليبية الأوروبية في المنطقة، وهي محاربة الإسلام وتدمير المسلمين^(١)

أما سمع الذين ينعمون بأن لا مؤامرة بهذه الأقوال؟

*** فهم يرون الإسلام هو الجدار الوحيد أمام الاستعمار:**

يقول لورنس براون: إن الإسلام هو الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الأوروبي^(٢) ما دام هذا القرآن موجوداً في أيدي المسلمين فلن تستطيع أوربة السيطرة على الشرق .^(٣) ويقول الحاكم الفرنسي في الجزائر في ذكرى مرور مائة سنة على استعمار الجزائر: (إننا لن نتصر على الجزائريين ما داموا يقرؤون القرآن، ويتكلمون العربية، فيجب أن نزيل القرآن العربي من وجودهم، ونقتلع اللسان العربي من ألسنتهم^(٤))

*** ويرون أن الإسلام هو الجدار الذي يقف في وجه انتشار النفوذ الشيوعي :**

في افتتاحية عدد ٢٢ أيار عام ١٩٥٢ من جريدة كيزيل أوزباخستان الجريدة اليومية للحزب الشيوعي الأورباخستاني ذكر المحرر ما يلي: من المستحيل تثبيت الشيوعية قبل سحق الإسلام نهائياً.^(٥)

(١) - طريق المسلمين إلى الثورة الصناعية - ص ٢٠ - ٢١.

(٢) - التبشير و الاستعمار (ص: ١٠٤)

(٣) - الإسلام على مفترق الطرق، لمحمد أسد - ص ٣٩.

(٤) - المنار عدد ١١/١٩٦٢

(٥) - الإسلام والتنمية الاقتصادية - جاك أوستري - ٥٦.

* ويرون أنه الجدار الذي يحول دون انتشار المسيحية وتمكن الاستعمار من العالم الإسلامي: يقول أحد المبشرين :

إن القوة الكامنة في الإسلام هي التي وقفت سداً منيعاً في وجه انتشار المسيحية ، وهي التي أخضعت البلاد التي كانت خاضعة للنصرانية (١) ويقول أشعياء بومان في مقالة نشرها في مجلة العالم الإسلامي التبشيرية: لم يتفق قط أن شعباً مسيحياً دخل في الإسلام ثم عاد نصرانياً. (٢)

* ويرون أن الإسلام هو الخطر الوحيد أمام استقرار الصهيونية وإسرائيل:

يقول بن غوريون، رئيس وزراء إسرائيل سابقاً: إن أخشى ما نخشاه أن يظهر في العالم العربي محمد جديد. (٣) وحدث ضابط عربي كبير وقع أسيراً في أيدي اليهود عام ١٩٤٨ أن قائد الجيش اليهودي دعاه إلى مكتبه قبيل إطلاق سراحه، وتلطف معه في الحديث. سأله الضابط المصري: هل أستطيع أن أسأل لماذا لم تهاجموا قرية صور باهر ؟ وصور باهر قرية قريبة من القدس. أطرق القائد الإسرائيلي إطراقة طويلة ثم قال: أجيبك بصراحة، إننا لم نهجم صور باهر لأن فيها قوة كبيرة من المتطوعين المسلمين المتعصبين. دهش الضابط المصري، وسأل فوراً: وماذا في ذلك، لقد هجمتم على مواقع أخرى فيها قوات أكثر .. وفي ظروف أصعب ؟!. أجابه القائد الإسرائيلي: إن ما تقوله صحيح، لكننا وجدنا أن هؤلاء المتطوعين من المسلمين المتعصبين يختلفون عن غيرهم من المقاتلين النظاميين، يختلفون تماماً، فالقتال عندهم ليس وظيفة يمارسونها وفق الأوامر الصادرة إليهم، بل هو هواية يندفعون إليها بحماس وشغف جنوني، وهم في ذلك يشبهون جنودنا الذين يقاتلون عن عقيدة راسخة لحماية إسرائيل.

(١) - جذور البلاء (ص ٢٠١)

(٢) - التبشير والاستعمار للخالدين وفورخ - ص ١٣١ - الطبعة الرابعة

(٣) - جريدة الكفاح الإسلامي لعام ١٩٥٥ - عدد الأسبوع الثاني من نيسان.

ولكن هناك فارقاً عظيماً بين جنودنا وهؤلاء المتطوعين المسلمين. إن جنودنا يقاتلون لتأسيس وطن يعيشون فيه، أما الجنود المتطوعون من المسلمين فهم يقاتلون ليموتوا، إنهم يطلبون الموت بشغف أقرب إلى الجنون، ويندفعون إليه كأنهم الشياطين، إن الهجوم على أمثال هؤلاء مخاطرة كبيرة، يشبه الهجوم على غابة مملوءة بالوحوش، ونحن لا نحب مثل هذه المغامرة المخيفة، ثم إن الهجوم عليهم قد يثير علينا المناطق الأخرى فيعملون مثل عملهم، فيفسدوا علينا كل شيء، ويتحقق لهم ما يريدون.

دهش الضابط المصري لإجابة القائد الإسرائيلي، لكنه تابع سؤاله ليعرف منه السبب الحقيقي الذي يخيف اليهود من هؤلاء المتطوعين المسلمين.

قال له: قل لي برأيك الصريح، ما الذي أصاب هؤلاء حتى أحبوا الموت، وتحولوا إلى قوة ماردة تتحدى كل شيءٍ معقول؟!.

أجابه الإسرائيلي بعفوية: إنه الدين الإسلامي يا سيادة الضابط. ثم تلثم، وحاول أن يخفى إجابته، فقال:

إن هؤلاء لم تتح لهم الفرصة كما أتيحت لك، كي يدرسوا الأمور دراسة واعية تفتح عيونهم على حقائق الحياة، وتحررهم من الخرافة وشعوذات المتاجرين بالدين، إنهم لا يزالون ضحايا تعساء لوعد الإسلام لهم بالجنة التي تنتظرهم بعد الموت.

وتابع مسترسلاً: إن هؤلاء المتعصبين من المسلمين هم عقدة العقد في طريق السلام الذي يجب أن نتعاون عليه وهم الخطر الكبير على كل جهد يبذل لإقامة علاقات سليمة واعية بيننا وبينكم.

وتابع مستدركاً، وكأنه يستفز الضابط المصري ضد هؤلاء المسلمين، تصور يا سيدي أن خطر هؤلاء ليس مقتصرأً علينا وحدنا، بل هو خطر عليكم أنتم أيضاً. إذ أن أوضاع بلادكم لن تستقر حتى يزول هؤلاء، وتنقطع صرخاتهم المنادية بالجهاد والاستشهاد في سبيل الله، هذا المنطق الذي يخالف رقى القرن العشرين، قرن العلم وهيئة الأمم والرأي العام العالمي، وحقوق الإنسان.

واختتم القائد الإسرائيلي حديثه بقوله:

يا سيادة الضابط، أنا سعيد بلقائك، وسعيد بهذا الحديث الصريح معك، وأتمنى أن نلتقى لقاءً قادمًا، لتتعاون في جو أخوى لا يعكره علينا المتعصبون من المسلمين المهووسين بالجهاد وحب الاستشهاد في سبيل الله. ^(١)

* ويرون أن بقاء إسرائيل مرهون بإزالة المتمسكين بالإسلام :

يقول الكاتب الصهيوني ((إيرل بوغر)) في كتابه العهد والسيف الذي صدر عام ١٩٦٥ ما نصه بالحرف :

((ان المبدأ الذي قام عليه وجود إسرائيل منذ البداية هو أن العرب لا بد أن يبادروا ذات يوم إلى التعاون معها ، ولكي يصبح هذا التعاون ممكناً فيجب القضاء على جميع العناصر التي تغذي شعور العداء ضد إسرائيل في العالم العربي ، وهي عناصر رجعية تتمثل في رجال الدين والمشائخ

* ويقول اسحاق راين غداة فوز جيمي كارتر برئاسة الولايات المتحدة ، ونقلت قوله جميع وكالات الأنباء :

ان مشكلة الشعب اليهودي هي أن الدين الإسلامي ما زال في دور العدوان والتوسع ، وليس مستعداً لمواجهة الحول وإن وقتاً طويلاً سيمضي قبل أن يترك الإسلام سيفه ^(٢)

* يقول لورانس براون :

(كان قادتنا يخوفنا بشعوب مختلفة، لكننا بعد الاختبار لم نجد مبرراً لمثل تلك المخاوف. كانوا يخوفنا بالخطر اليهودي، والخطر الياباني الأصفر، والخطر البلشفي. لكنه تبين لنا أن اليهود هم أصدقائنا، والبلاشفة الشيوعيون حلفاؤنا، أما اليابانيون، فإن هناك دولاً ديمقراطية كبيرة تتكفل بمقاومتهم. لكننا وجدنا أن الخطر الحقيقي علينا موجود في الإسلام، وفي قدرته على التوسع والاختضاع، وفي حيويته المدهشة. ^(١)

^(١) - مجلة المسلمين - العدد الأول من المجلد الثامن - شهر تموز عام ١٩٦٣ ، مع بعض الاختصار بما يناسب المقام ، مع رجائنا عفو الكاتب وإخوانه.

^(٢) - العدد (٣٢٤) من مجلة المجتمع الكويتية / ٩ نوفمبر ١٩٧٦ .

* -ونكرر هنا قول غلادستون :

ما دام هذا القرآن موجوداً في أيدي المسلمين، فلن تستطع أوروبا السيطرة على الشرق، ولا أن تكون هي نفسها في أمان. (٢)

* -ويقول المستشرق غاردنر:

إن القوة التي تكمن في الإسلام هي التي تخيف أوربة. (٣)

* -ويقول هانوتر وزير خارجية فرنسا سابقاً:

لا يوجد مكان على سطح الأرض إلا واجتاز الإسلام حدوده وانتشر فيه، فهو الدين الوحيد الذي يميل الناس إلى اعتناقه بشدة تفوق كل دين آخر. (٤)

* -ويقول البر مشادر: (من يدري؟! ربما يعود اليوم الذي تصبح فيه بلاد الغرب مهددة بالمسلمين، يهبطون إليها من السماء، لغزو العالم مرة ثانية، وفي الوقت المناسب. ويتابع: لست متنبئاً، لكن الأمارات الدالة على هذه الاحتمالات كثيرة .. ولن تقوى الذرة ولا الصواريخ على وقف تيارها.

إن المسلم قد استيقظ، وأخذ يصرخ، ها أنذا، إنني لم أمت، ولن أقبل بعد اليوم أن أكون أداة تسيرها العواصم الكبرى ومخابراتها. (٥)

* - ويقول أشعيا بومان في مقال نشره في مجلة العالم الإسلامي التبشيرية:

إن شيئاً من الخوف يجب أن يسيطر على العالم الغربي من الإسلام، لهذا الخوف أسباب، منها أن الإسلام منذ ظهر في مكة لم يضعف عددياً، بل إن أتباعه يزدادون باستمرار، من أسباب الخوف أن هذا الدين من أركانه الجهاد. (٦)

* - ويقول أنطوني ناتنج في كتابه ﴿العرب﴾

(١) - المجلد الثامن صفحة ١٠، لورانس بروان نقلاً عن التبشير والاستعمار، صفحة ١٨٤.

(٢) - الإسلام على مفترق الطرق - ص ٣٩.

(٣) - التبشير والاستعمار - ص ٣٦ - طبعة رابعة.

(٤) - الفكر الإسلامي وصلته بالاستعمار الغربي - ص ١٨.

(٥) - لم هذا الرعب كله من الإسلام - للأستاذ جودت سعيد.

(٦) - التبشير والاستعمار (ص: ١٣١)

منذ أن جمع محمد صلى الله عليه وسلم أنصاره في مطلع القرن السابع الميلادي، وبدأ أول خطوات الانتشار الإسلامي، فإن على العالم الغربي أن يحسب حساب الإسلام كقوة دائمة، وصلبة، تواجهنا عبر المتوسط. (١)

* وصرح سالازار في مؤتمر صحفي قائلاً:

إن الخطر الحقيقي على حضارتنا هو الذي يمكن أن يحدثه المسلمون حين يغيرون نظام العالم.

فلما سأل أحد الصحفيين: لكن المسلمين مشغولون بخلافاتهم ونزاعاتهم ، أجابه: أخشى أن يخرج منهم من يوجه خلافهم إلينا. (٢)

٩- ويقول مسؤول في وزارة الخارجية الفرنسية عام ١٩٥٢:

ليست الشيوعية خطراً على أوربة فيما يبدو لي، إن الخطر الحقيقي الذي يهددنا تهديداً مباشراً وعنيفاً هو الخطر الإسلامي، فالمسلمون عالم مستقل كل الاستقلال عن عالمنا الغربي، فهم يملكون تراثهم الروحي الخاص بهم. ويتمتعون بحضارة تاريخية ذات أصالة، فهم جديرون أن يقيموا قواعد عالم جديد، دون حاجة إلى إذابة شخصيتهم الحضارية والروحية في الحضارة الغربية، فإذا تهيأت لهم أسباب الإنتاج الصناعي في نطاقه الواسع، انطلقوا في العالم يحملون تراثهم الحضاري الثمين، وانتشروا في الأرض يزيلون منها قواعد الحضارة الغربية، ويقذفون برسالتنا إلى متاحف التاريخ.

وقد حاولنا نحن الفرنسيين خلال حكمنا الطويل للجزائر أن نتغلب على شخصية الشعب المسلمة، فكان الإخفاق الكامل نتيجة مجهوداتنا الكبيرة الضخمة.

ان العالم الإسلامي عملاق مقيد، عملاق لم يكتشف نفسه حتى الآن اكتشافاً تاماً، فهو حائر، وهو قلق، وهو كاره لانهطاطه وتخلفه، وراغب رغبةً يخالطها الكسل والفوضى في مستقبل أحسن، وحرية أوفر ...

(١) - وليم بولك. الولايات المتحدة والعالم الغربي - والفقومية والغزو الفكر ص ٤٢

(٢) - جند الله ص ٢٢.

فلنعط هذا العالم الإسلامي ما يشاء، ولننقو في نفسه الرغبة في عدم الإنتاج الصناعي، والفني، حتى لا ينهض، فإذا عجزنا عن تحقيق هذا الهدف، بإبقاء المسلم متخلفاً، وتحرر العملاق من قيود جهله وعقدة الشعور بعجزه، فقد بؤنا بإخفاق خطير، وأصبح خطر العالم العربي، وما وراءه من الطاقات الإسلامية الضخمة خطراً داهماً ينتهي به الغرب، وتنتهي معه وظيفته الحضارية كقائد للعالم. ^(١)

* - ويقول مورو بيرجر في كتابه العالم العربي المعاصر:

إن الخوف من العرب، واهتمامنا بالأمة العربية، ليس ناتجاً عن وجود البترول بغزارة عند العرب، بل بسبب الإسلام.

يجب محاربة الإسلام، للحيلولة دون وحدة العرب، التي تؤدي إلى قوة العرب، لأن قوة العرب تتصاحب دائماً مع قوة الإسلام وعزته وانتشاره.

إن الإسلام يفزعنا عندما نراه ينتشر بيسر في القارة الأفريقية. ^(٢)

* - ويقول هانوتو وزير خارجية فرنسا: (رغم انتصارنا على أمة الإسلام وقهرها، فإن الخطر لا يزال موجوداً من انتفاض المجهورين الذين أعتبتهم النكبات التي أنزلناها بهم لأن همتهم لم تحمد بعد... ^(٣)

* - بعد استقلال الجزائر ألقى أحد كبار المستشرقين محاضرة في مدريد عنوانها: لماذا كنا نحاول البقاء في الجزائر. (أجب على هذا السؤال بشرح مستفيض ملخصه :

إننا لم نكن نسخر النصف مليون جندي من أجل نبيذ الجزائر أو صحاريها .. أو زيتونها ..
إننا كنا نعتبر أنفسنا سور أوربا الذي يقف في وجه زحف إسلامي محتمل يقوم به الجزائريون وإخوانهم من المسلمين عبر المتوسط، ليستعيدوا الأندلس التي فقدوها، وليدخلوا معنا في قلب فرنسا بمعركة بواتيه جديدة ينتصرون فيها، ويكتسحون أوربا الواهنة، ويكملون ما كانوا قد عزموا عليه أثناء حلم الأمويين بتحويل المتوسط إلى بحيرة إسلامية خالصة.

^(١) مجلة روز اليوسف في عددها الصادر بتاريخ ١٩٦٣/٦/٢٩.

^(٢) - الفكر الإسلامي وصلته بالاستعمار الغربي - ص ١٩.

^(٣) - الفكر الإسلامي وصلته بالاستعمار الغربي - ص ١٩.

من أجل ذلك كنا نحارب في الجزائر. ^(١)

***- في أول الشهر الحادي عشر من عام ١٩٧٤ ذكرت** إذاعة لندن مساء زيارة وزير خارجية فرنسا سوفانيارك لاسرائيل . واجتماعه بقياداتها ، بعد أن اجتمع في بيروت برئيس منظمة التحرير الفلسطينية. ما جرى في آخر اجتماع عقد بين القادة الاسرائيليين وسوفانيارك ، وانتقاداتهم للسياسة الفرنسية لأنها تقف إلى جانب العرب ضد اسرائيل ، وتؤيد الفلسطينيين ، وهاجموا سوفانيارك شخصيا لأنه اجتمع بياسر عرفات . عندها غضب وزير الخارجية الفرنسية وصرخ في وجوههم : إما أن تعترفوا بمنظمة التحرير ، أو أن يعلن العرب كلهم عليكم الجهاد ..

والعجب أن إذاعة لندن لم تعد إلى إذاعة هذا الخبر مرة أخرى ، كما أن جميع اذاعات العرب لم تذكره .

ففرنسا حين تتحرك إلى جانب العرب لا تتحرك إلا خوفاً من أن يثير عداء العالم الغربي للعرب روح الجهاد في المسلمين ، فيعلنوه ويشنوا حربا على الحضارة الغربية تؤدي إلى دمار الغرب ويقظة المسلمين وهذا وحده كاف أن يدفع فرنسا إلى مهادنتهم ودعوة الآخرين لمهادنتهم !!! .

*** قالت إذاعة لندن صباح ١٠/٤/١٩٧٦ بمناسبة افتتاح مهرجان العالم الإسلامي في لندن**

: إن الشعور العام السائد في الغرب أن المسيحية إذا لم تغير موقفها من الإسلام بحيث تتعاون معه للقضاء على الشر في العالم ، لا أن تعتبر الإسلام مصدرا من مصادر الشر ، إن لم تفعل ذلك فإن المستقبل لا يؤذن بخير بالنسبة للمسيحية والعالم .

١-يقول غاردنر:إن الحروب الصليبية لم تكن لإنقاذ القدس، إنها كانت لتدمير الإسلام. ^(٢)

٢-ونشيد جيوش الاستعمار كان يقول:أنا ذاهب لسحق الأمة الملعونة، لأحارب الديانة الإسلامية،ولأحو القرآن بكل قوتي.

(١) - جريدة الأيام - سنة ١٩٦٣.

(٢) - التبشير والاستعمار ص ١١٥ - جذور البلاء ص ٢٠١.

٣- **وشعار قاتلوا المسلمين** الذي وزعته إسرائيل في أوروبا عند حرب الـ ٦٧، لقي تجاوباً لا نظير له في دول الغرب كلها ...

٤- **يقول فيليب فونداسي:**

ان من الضروري لفرنسا أن تقاوم الإسلام في هذا العالم وأن تنتهج سياسة عدائية للإسلام، وأن تحاول على الأقل إيقاف انتشاره. ^(١)

٦- **يقول المستشرق الفرنسي كيمون في كتابه باثولوجيا الإسلام:**

إن الديانة المحمدية جذام تفشى بين الناس، وأخذ يفتك بهم فتكاً ذريعاً، بل هو مرض مريع، وشلل عام، وجنون ذهولي يبعث الإنسان على الخمول والكسل، ولا يوقظه من الخمول والكسل إلا ليدفعه إلى سفك الدماء، والإدمان على معاقرة الخمر، وارتكاب جميع القبائح. وما قبر محمد إلا عمود كهربائي يبعث الجنون في رؤوس المسلمين، فيأتون بمظاهر الصرع والذهول العقلي إلى ما لا نهاية، ويعتادون على عادات تنقلب إلى طباع أصيلة، ككراهة لحم الخنزير، والخمر والموسيقى. إن الإسلام كله قائم على القسوة والفجور في اللذات. ويتابع هذا المستشرق المجنون:

اعتقد أن من الواجب إبادة خمس المسلمين، والحكم على الباقين بالأشغال الشاقة، وتدمير الكعبة، ووضع قبر محمد وجثته في متحف اللوفر. ^(٢) ويبدو أن قائد الجيوش الإنكليزية في حملة السودان قد طبق هذه الوصية، فهجم على قبر المهدي الذي سبق له أن حرر السودان وقتل القائد الإنكليزي غوردون، هجم القائد الإنكليزي على قبر المهدي، ونبشه، ثم قطع رأسه وأرسله إلى عاهر إنكليزي وطلب إليه أن يجعله مطفأة لسجائره. ^(٣)

(١) - الاستعمار الفرنسي في أفريقيا السوداء، تأليف فيليب فونداسي - ص ٢.

(٢) - الاتجاهات الوطنية ج ١ - ص ٣٢١، وتاريخ الإمام ج ٢ - ص ٤٠٩، والفكر الإسلامي الحديث ص ٥١، والقومية والغزو الفكري - ص ١٩٢.

(٣) - لقومية والغزو الفكري، ص ٢٢٢.

٦- صرّح الكاردينال بور ، كاردينال برلين لمجلة تابلت الانكليزية الكاثوليكية يوم سقوط القدس عام ١٩٦٧ بعد أن رعى صلاة المسيحيين مع اليهود في كنيس يهودي لأول مرة في تاريخ المسيحية قال : إن المسيحيين لا بد لهم من التعاون مع اليهود للقضاء على الإسلام وتخليص الأرض المقدسة . (١)

٧- قال لويس التاسع ملك فرنسا الذي أسر في دار ابن لقمان بالمنصورة ، في وثيقة محفوظة في دار الوثائق القومية في باريس :
إنه لا يمكن الانتصار على المسلمين من خلال حرب وانما يمكن الانتصار عليهم بواسطة السياسة باتباع ما يلي :

- * إشاعة الفرقة بين قادة المسلمين ، واذا حدثت فليعمل على توسيع شقتها ما أمكن حتى يكون هذا الخلاف عاملاً في اضعاف المسلمين .
- * عدم تمكين البلاد الإسلامية والعربية أن يقوم فيها حكم صالح .
- * إفساد أنظمة الحكم في البلاد الإسلامية بالرشوة والفساد والنساء ، حتى تنفصل القاعدة عن القمة .
- * الحيلولة دون قيام جيش مؤمن بحق وطنه عليه ، يضحى في سبيل مبادئه .
- * العمل على الحيلولة دون قيام وحدة عربية في المنطقة .
- * العمل على قيام دولة عربية في المنطقة العربية تمتد ما بين غزة جنوباً ، انطاكية شمالاً ، ثم تتجه شرقاً ، وتمتد حتى تصل إلى الغرب (٢) .

(١) - (نشرة التعايش المشبوه - ص ٤)

(٢) - العدد ٢١٠٦ آخر ساعة ، ٥ آذار ١٩٧٥ من خطبة أمير الحاج المصري لعام ١٩٧٥ الوزير أحمد كمال وزير الري المصري .

خططهم لتدمير الإسلام

بعد فشل الحروب الصليبية الأولى التي استمرت قرنين كاملين في القضاء على الإسلام، قاموا بدراسة واعية لكيفية القضاء على الإسلام وأمته، وبدؤوا منذ قرنين يسعون بكل قوة للقضاء على الإسلام.

كانت خطواتهم كما يلي

أولاً: القضاء على حكم الإسلامي :

بإنهاء الخلافة الإسلامية المتمثلة بالدولة العثمانية، التي كانت رغم بعد حكمها عن روح الإسلام، إلا أن الأعداء كانوا يخشون أن تتحول هذه الخلافة من خلافة شكلية إلى خلافة حقيقية تهددهم بالخطر.

كانت فرصتهم الذهبية التي مهدوا لها طوال قرن ونصف هي سقوط تركيا مع حليفها ألمانيا خاسرة في الحرب العالمية الأولى.

دخلت الجيوش الإنكليزية واليونانية، والإيطالية، والفرنسية أراضي الدولة العثمانية، وسيطرت على جميع أراضيها، ومنها العاصمة استانبول.

ولما ابتدأت مفاوضات مؤتمر لوزان لعقد صلح بين المتحاربين اشترطت إنكلترا على تركيا أنها لن تنسحب من أراضيها إلا بعد تنفيذ الشروط التالية:

أ - إلغاء الخلافة الإسلامية، وطرد الخليفة من تركيا ومصادرة أمواله.

ب - أن تتعهد تركيا بإخماد كل حركة يقوم بها أنصار الخلافة.

ج - أن تقطع تركيا صلتها بالإسلام.

د - أن تختار لها دستوراً مدنياً بدلاً من دستورها المستمد من أحكام الإسلام.^(١)

فنفذ كمال أتاتورك الشروط السابقة، فانسحبت الدول المحتلة من تركيا. ولما وقف كرزون وزير خارجية إنكلترا في مجلس العموم البريطاني يستعرض ما جرى مع تركيا، احتج بعض

(١) - الأرض والشعب - ص ٤٦ - مجلد أول.

النواب الإنكليز بعنف على كرزون، واستغربوا كيف اعترفت إنكلترا باستقلال تركيا، التي يمكن أن تجمع حولها الدول الإسلامية مرة أخرى وتهجم على الغرب. فأجاب كرزون: لقد قضينا على تركيا، التي لن تقوم لها قائمة بعد اليوم .. لأننا قضينا على قوتها المتمثلة في أمرين: الإسلام والخلافة.

فصق النواب الإنكليز كلهم وسكتت المعارضة . (١)

ثانياً: القضاء على القرآن ومحوه: لأنهم كما سبق أن قلنا يعتبرون القرآن هو المصدر الأساسي لقوة المسلمين، وبقاؤه بين أيديهم حياً يؤدي إلى عودتهم إلى قوتهم وحضارتهم.

١ - يقول غلادستون: ما دام هذا القرآن موجوداً، فلن تستطيع أوربة السيطرة على الشرق، ولا أن تكون هي نفسها في أمان. (٢)

٢ - ويقول المبشر وليم جيفورد بالكراف:

متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب، يمكننا حينئذ أن نرى العربي يتدرج في طريق الحضارة الغربية بعيداً عن محمد وكتابه. (٣)

٣- ويقول المبشر تاكلي:

يجب أن نستخدم القرآن، وهو أمضى سلاح في الإسلام، ضد الإسلام نفسه، حتى نقضى عليه تماماً، يجب أن نبين للمسلمين أن الصحيح في القرآن ليس جديداً، وأن الجديد فيه ليس صحيحاً. (٤)

٤ - ويقول الحاكم الفرنسي في الجزائر بمناسبة مرور مائة عام على احتلالها: يجب أن نزيل القرآن العربي من وجودهم .. ونقتلع اللسان العربي من ألسنتهم، حتى نتصر عليهم. (٥)

(١) - (كيف هدمت الخلافة ص ١٩٠)

(٢) - الإسلام على مفترق الطرق - ص ٣٩.

(٣) - جذور البلاء - ص ٢٠١.

(٤) - التبشير والاستعمار - ص ٤٠ (طبعة رابعة).

(٥) - المنار عدد ١١/٩/١٩٦٢.

وقد أثار هذا المعنى حادثةً طريفةً جرت في فرنسا، وهي إنها من أجل القضاء على القرآن في نفوس شباب الجزائر قامت بتجربة عملية، قامت بانتقاء عشر فتيات مسلمات جزائريات، أدخلتهن الحكومة الفرنسية في المدارس الفرنسية، وألبستهن الثياب الفرنسية، ولقنتهن الثقافة الفرنسية، وعلمتهن اللغة الفرنسية، فأصبحن كالفرنسيات تماماً. وبعد أحد عشر عاماً من الجهود هيأت لهن حفلة تخرج رائعة دعى إليها الوزراء والمفكرون والصحفيون ... ولما ابتدأت الحفلة، فوجيء الجميع بالفتيات الجزائريات يدخلن بلباسهن الإسلامي الجزائري ...

فثارت ثائرة الصحف الفرنسية وتساءلت: ماذا فعلت فرنسا في الجزائر إذن بعد مرور مائة وثمانية وعشرين عاماً !!!؟؟
أجاب لاکوست، وزير المستعمرات الفرنسي: وماذا أصنع إذا كان القرآن أقوى من فرنسا؟! (١)

ثالثاً: تدمير أخلاق المسلمين، وعقولهم، وصلتهم بالله، وإطلاق شهواتهم:

١- يقول مرماديوك باكتول:

إن المسلمين يمكنهم أن ينشروا حضارتهم في العالم الآن بنفس السرعة التي نشروها بها سابقاً.

بشرط أن يرجعوا إلى الأخلاق التي كانوا عليها حين قاموا بدورهم الأول، لأن هذا العالم الخاوي لا يستطيع الصمود أمام روح حضارتهم. (٢)

١- يقول صموئيل زويمر رئيس جمعيات التبشير في مؤتمر القدس للمبشرين

المنعقد عام ١٩٣٥ م:

إن مهمة التبشير التي ندبتكم دول المسيحية للقيام بها في البلاد المحمدية ليست في إدخال المسلمين في المسيحية، فإن في هذا هداية لهم وتكريماً، إن مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله، وبالتالي لا صلة تربطه بالأخلاق التي تعتمد عليها

(١) - جريدة الأيام - عدد ٧٧٨٠، الصادر بتاريخ ٦ كانون أول ١٩٦٢..

(٢) - جند الله - ص ٢٢.

الأمم في حياتها، ولذلك تكونون بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعماري في الممالك الإسلامية، لقد هيأت جميع العقول في الممالك الإسلامية لقبول السير في الطريق الذي سعيتم له، ألا يعرف الصلة بالله، ولا يريد أن يعرفها، أخرجتم المسلم من الإسلام، ولم تدخلوه في المسيحية، وبالتالي جاء النشء الإسلامي مطابقاً لما أراده له الاستعمار، لا يهتم بعظائم الأمور، ويجب الراحة، والكسل، ويسعى للحصول على الشهوات بأي أسلوب، حتى أصبحت الشهوات هدفه في الحياة، فهو إن تعلم فللحصول على الشهوات، وإذا جمع المال فللشهووات، وإذا تبوأ أسمى المراكز ففي سبيل الشهوات .. إنه يجود بكل شيء للوصول إلى الشهوات، أيها المبشرون: إن مهمتكم تتم على أكمل الوجوه.^(١)

١- ويقول صموئيل زويمر نفسه في كتاب الغارة على العالم إن للتبشير بالنسبة للحضارة الغربية مزيّتان، مزية هدم، ومزية بناء

أما الهدم فنعني به انتزاع المسلم من دينه، ولو بدفعه إلى الإلحاد ..

وأما البناء فنعني به تنصير المسلم إن أمكن ليقف مع الحضارة الغربية ضد قومه.^(٢)

٣- ويقولون إن أهم الأساليب للوصول إلى تدمير أخلاق المسلم وشخصيته يمكن أن يتم بنشر التعليم العلماني.

أ- يقول المبشر تكلّي:

يجب أن نشجع إنشاء المدارس على النمط الغربي العلماني، لأن كثيراً من المسلمين قد زرع اعتقادهم بالإسلام والقرآن حينما درسوا الكتب المدرسية الغربية وتعلموا اللغات الأجنبية.^(٣)

ب- ويقول زويمر: مادام المسلمون ينفرون من المدارس المسيحية فلا بد أن ننشيء لهم المدارس العلمانية، ونسهل التحاقهم بها، هذه المدارس التي تساعدنا على القضاء على الروح الإسلامية عند الطلاب.^(١)

(١) - جذور البلاء - ص ٢٧٥.

(٢) - الغارة على العالم الإسلامي - ص ١١.

(٣) - التبشير والاستعمار - ص ٨٨.

ج- يقول جب: لقد فقد الإسلام سيطرته على حياة المسلمين الاجتماعية، وأخذت دائرة نفوذه تضيق شيئاً فشيئاً حتى انحصرت في طقوس محددة، وقد تم معظم هذا التطور تدريجياً عن غير وعي وانتباه، وقد مضى هذا التطور الآن إلى مدى بعيد، ولم يعد من الممكن الرجوع فيه، لكن نجاح هذا التطور يتوقف إلى حدٍ بعيدٍ على القادة والزعماء في العالم الإسلامي، وعلى الشباب منهم خاصة. كل ذلك كان نتيجة النشاط التعليمي والثقافي العلماني.^(٢)

رابعاً: القضاء على وحدة المسلمين:

١ - يقول القس سيمون:

إن الوحدة الإسلامية تجمع آمال الشعوب الإسلامية، وتساعد التملص من السيطرة الأوربية، والتبشير عامل مهم في كسر شوكة هذه الحركة، من أجل ذلك يجب أن نحول بالتبشير اتجاه المسلمين عن الوحدة الإسلامية.^(٣)

١ - ويقول المبشر لورنس براون:

إذا اتحد المسلمون في إمبراطورية عربية، أمكن أن يصبحوا لعنةً على العالم وخطراً، أو أمكن أن يصبحوا أيضاً نعمةً له، أما إذا بقوا متفرقين، فإنهم يظلون حينئذ بلا وزن ولا تأثير.^(٤) ويكمل حديثه:

يجب أن يبقى العرب والمسلمون متفرقين، ليبقوا بلا قوة ولا تأثير.

٣ - ويقول أرنولد توينبي في كتابه الإسلام والغرب والمستقبل:^(٥)

إن الوحدة الإسلامية نائمة، لكن يجب أن نضع في حسابنا أن النائم قد يستيقظ.

(١) - الغارة على العالم الإسلامي - ص ٨٢.

(٢) - الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر - ج ٢ - ص ٢٠٤ - ٢٠٦، تأليف محمد حسين.

(٣) - كيف هدمت الخلافة - ص ١٩٠.

(٤) - جذور البلاء - ص ٢٠٢.

(٥) - الإسلام والغرب والمستقبل - ص ٧٣.

٤ - وقد فرح غابرائيل هانوتو وزير خارجية فرنسا حينما انحل رباط تونس الشديد بالبلاد الإسلامية، وتفلتت روابطه مع مكة، ومع ماضيه الإسلامي، حين فرض عليه الفرنسيون فصل السلطة الدينية عن السلطة السياسية.^(١)

٥ - من أخطر ما نذكره من أخبار حول هذه النقطة هو ما يلي:
في سنة ١٩٠٧ عقد مؤتمر أوربي كبير، ضم أضخم نخبة من المفكرين والسياسيين الأوربيين برئاسة وزير خارجية بريطانيا الذي قال في خطاب الافتتاح:
إن الحضارة الأوروبية مهددة بالانحلال والفناء، والواجب يقضى علينا أن نبحث في هذا المؤتمر عن وسيلة فعالة تحول دون انهيار حضارتنا.
واستمر المؤتمر شهراً من الدراسة والنقاش.

واستعرض المؤتمر الأخطار الخارجية التي يمكن أن تقضى على الحضارة الغربية الآفلة، فوجدوا أن المسلمين هم أعظم خطر يهدد أوربة.
فقرر المؤتمر وضع خطة تقضي ببذل جهودهم كلها لمنع إيجاد أي اتحاد أو اتفاق بين دول الشرق الأوسط، لأن الشرق الأوسط المسلم المتحد يشكل الخطر الوحيد على مستقبل أوربة.

وأخيراً قرروا إنشاء قومية عربية معادية للعرب والمسلمين شرقي قناة السويس، ليبقى العرب متفرقين.

وبذا أرست بريطانيا أسس التعاون والتحالف مع الصهيونية العالمية التي كانت تدعو إلى إنشاء دولة يهودية في فلسطين.^(٢)

خامساً: تشكيك المسلمين بدينهم:

في كتاب مؤتمر العاملين المسيحيين بين المسلمين يقول:
إن المسلمين يدعون أن في الإسلام ما يلبي كل حاجة اجتماعية في البشر، فعلى نحن المبشرين أن نقاوم الإسلام بالأسلحة الفكرية والروحية.^(١)

(١) - هانوتو - ص ٢١.

(٢) - المؤامرة ومعركة المصير - ص ٢٥.

تنفيذاً لذلك وضعت كتب المستشرقين المتربصين بالإسلام، التي لا تجد فيها إلا الطعن بالإسلام، والتشكيك بمبادئه، والغمز بنبية محمد صلى الله عليه وسلم.

سادساً: إبقاء العرب ضعفاء: يعتقد الغربيون أن العرب هم مفتاح الأمة الإسلامية يقول مورو بيرجر في كتابه العالم العربي:

لقد ثبت تاريخياً أن قوة العرب تعني قوة الإسلام فليدمر العرب ليدمروا بتدميرهم الإسلام.

سابعاً: إنشاء ديكتاتوريات سياسية في العالم الإسلامي:

يقول المستشرق و. ك. سميث الأمريكي، والخبير بشؤون الباكستان: ذا أعطى المسلمون الحرية في العالم الإسلامي، وعاشوا في ظل أنظمة ديمقراطية، فإن الإسلام ينتصر في هذه البلاد، وبالديكتاتوريات وحدها يمكن الحيلولة بين الشعوب الإسلامية ودينها.

وينصح رئيس تحرير مجلة تايم في كتابه سفر آسيا الحكومة الأمريكية أن تنشئ في البلاد الإسلامية ديكتاتوريات عسكرية للحيلولة دون عودة الإسلام إلى السيطرة على الأمة الإسلامية، وبالتالي الانتصار على الغرب وحضارته واستعمارهم.^(٢)

لكنهم لا ينسوا أن يعطوا هذه الشعوب فترات راحة حتى لا تتفجر.

يقول هانوتو وزير خارجية فرنسا:

إن الخطر لا يزال موجوداً في أفكار المقهورين الذين أتعبتهم النكبات التي أنزلناها بهم، لكنها لم تثبط من عزائمهم.^(٣)

ثامناً: إبعاد المسلمين عن تحصيل القوة الصناعية ومحاولة إبقائهم مستهلكين لسلع

الغرب: يقول أحد المسؤولين في وزارة الخارجية الفرنسية عام ١٩٥٢ إن الخطر الحقيقي الذي يهددنا تهديداً مباشراً عنيفاً هو الخطر الإسلامي ... (ويتابع):

فلنعط هذا العالم ما يشاء، ولننقو في نفسه عدم الرغبة في الإنتاج الصناعي والفني ، فإذا عجزنا عن تحقيق هذه الخطة، وتحرر العملاق من عقدة عجزه الفني والصناعي، أصبح خطر

(١) - التبشير والاستعمار - ص ١٩١.

(٢) - جند الله - ص ٢٩.

(٣) - الفكر الإسلامي وصلته بالاستعمار الغربي - ١٩.

العالم العربي وما وراءه من الطاقات الإسلامية الضخمة، خطراً داهماً ينتهي به الغرب ، وينتهي معه دوره القيادي في العالم.^(١)

وبما أن الحقد ملاً لقلوبهم وهمهم الأوحـد تحقيق معتقداتهم التي أخبر الله عنها ، فقد نفذ صبر الرئيس الأمريكي بوش ولم يستطع كتم عقيدته فصرح في مؤتمر صحفي أجراه يوم الأحد ١٦ / ٩ / ٢٠٠١ م الموافق ٢٨ / ٦ / ١٤٢٢ هـ بقوله ﴿ This crusade, this war on terrorism, is going to take a long time

وترجمة كلامه المتقدم قاتله الله هو قوله هذه الحرب الصليبية ، هذه الحرب ضد الإرهاب سوف تأخذ وقتاً طويلاً ثم قال الواجب على الأمريكيين أن يتحلوا بالصبر .

ومن أمثلة ذلك وهي كثيرة ما نشرته مجلة ناشونال ريفيو تحت عنوان (إنها الحرب فلنغزهم في بلادهم) ليس هذا أوان ترف البحث عن أماكن المتورطين بالعمليات الإرهابية ، المسؤولون عن هذه العمليات هم كل من ارتسمت على وجهه ابتسامة عندما سمع بالهجمات على نيويورك و واشنطن.. لا نحتاج إلى تحقيقات مطولة أو أدلة جنائية ولا إلى تحالف دولي ، امتنا غزتها طائفة متطرفة مجرمة ، علينا غزوهم في بلادهم و قتل قادتهم و إجبارهم على التحول إلى المسيحية .

الشيخ سفر الحوالي في كتابه كشف الغمة عن علماء الأمة خطط الصليبيين للسيطرة على منطقة الخليج وحقول النفط ، ومن ضمن ما نقل أيضاً حرص الغرب على حرب الإسلام واعتباره الخطر الأكبر عليهم في العالم الثالث ، وأنقل من كلامه بعض المقتطفات التي نقلها عن الصليبيين ذات الطابع الهجومي يقول في ص ٣٢ - والواقع إن جوهر القضية في هذه التحالفات قديمها وحديثها واحد وهو أن مصلحة الغرب تقتضي تناسي خلافاته الداخلية والتوحيد لمقاومة الخطر الخارجي الذي يعد الإسلام رأس الحربة فيه ، فقد تحالفت أوروبا المتناحرة ضد الدولة العثمانية فيما سُمي (الحلف المقدس) كما ظلت تركيا -رغم إنها دولة أوروبية من جهة الموقع- خارج الاتفاقيات الدولية الأوروبية إلى عهد قريب لسبب واحد

(١) - جند الله - ص ٢٢.

هو أنها مسلمة ، ومنذ أسابيع فقط سئل الرئيس التركي -أوزال- عن سبب عدم قبول تركيا عضواً في الوحدة الأوروبية رغم أنها عضو في حلف الناتو - فأجاب بأن السبب هو أن الغرب لا يزال ينظر إلى تركيا باعتبارها دولة إسلامية !!.

إن الحرب العالمية الأولى انتهت كما هو معلوم بالنقاط الأربعة عشر للرئيس الأمريكي - ولسن- التي أصبحت أساس مبدأ عصبة الأمم ، والتي بمقتضاها اتفق الغرب على وضع العالم الإسلامي تحت الوصاية الدولية أي تحت السيطرة الغربية، مع أن الأجزاء المهمة منه كانت قد وضعت من قبل تحت سيطرة الغرب باسم -الحماية- ومنها عدن والكويت ومشيخات الخليج وبقية الحرب العالمية الثانية انهارت عصبة الأمم كما انهارت القوة الاستعمارية التقليدية وبرزت قوتان جديدتان هما أمريكا وروسيا وكان وفاق المنتصرين فيها المتمثل في مؤتمر -يالطة- وفي التحكم في العالم من خلال الهيئة الدولية الجديدة هيئة الأمم المتحدة إذ احتفظ الطواغيت الكبار بحق النقض الفيتو في مجلس الأمن الدولي كما يسمى!!!..

وقال في ص-٣٥- وفي عدد آخر بتاريخ ٢١/١٢/١٤١٠هـ يقول كاتب آخر هو مدير المركز العربي لبحوث- التنمية والمستقبل بالقاهرة عن تحديات أوروبا:-

يتزايد القلق في أوروبا الغربية وجنوب أوروبا بشكل خاص وفرنسا تحديداً من تطور يطلقون عليه المد الإسلامي، وتطور آخر يسمونه التغيير الديمغرافي والتطوران حادثان في شمال أفريقيا

** ويقول في ص-٣٧- وفي هذا المسار نشرت مجلة البلاغ الإسلامية الكويتية في ١٦ ذي الحجة ١٤١٠هـ أي قبل الغزو بحوالي ٢٥ يوماً مقالاً مؤثراً بعنوان: هل انتهت الحروب الصليبية؟ .

قالت فيه: اليوم تتوالى الأخبار التي يخيل للسامع أنها ليست إلا بيانات عسكرية في معركة طاحنة تدور رحاها بصمت عجيب.

وتعرضت فيه للفكرة التي طُرحت في الغرب ونشرت عنها الفايننشال تايمز وهي: إقامة عمود دفاعي أوروبي ضد العالم الإسلامي! .

بل نشرت الصحافة الأمريكية أن دول البلقان مثل اليونان وبلغاريا قد تصبح (دول مواجهة في أوروبا ضد انتشار التطرف الإسلامي).

وأذرت صحافة أمريكا عدوها النووي الاتحاد السوفيتي باحتمال وقوع الأسلحة الذرية في الجمهوريات الإسلامية السوفيتية في أيدي متطرفين مسلمين وأن ذلك يعتبر تهديداً خاصاً للبشرية والعالم المتمدن .

وقالت: إن المتطرف يأتي من الصحراء والمبدع يأتي من الغابات وربما كان هذا هو الفارق الأكبر بين الشرق والغرب.

وقد علّق المحامي الأمريكي الذي أورد هذه النصوص بعنوان إعلام أمريكا وخطر المسلمين قائلاً: بالترويج لخطر المسلمين لا بالنسبة إلى الدول الغربية فحسب بل حتى إلى الاتحاد السوفيتي يرى المرء تقارباً بين مصالح الأعداء القدامى الذين كانوا يشتبكون في الحرب الباردة، ويُحتمل أن تتردد القضية الجديدة عن الخطر الإسلامي على العالم المتمدن أكثر فأكثر في المستقبل

ونقل الشيخ أيضاً ص ٣٧- وفي الوقت نفسه جرى الإعلان أيضاً عن وظيفة جديدة للمخابرات الأمريكية في ظل الوفاق (وهي قديمة في الواقع) فقد أذاعت هيئة الإذاعة البريطانية في برنامج عالم الظهيرة في أواخر ذي القعدة الماضي ما نصه تقريباً: إن الجهد الرئيسي للمخابرات الأمريكية الذي كان منصباً لمراقبة إمبراطورية الشر -يعني الاتحاد السوفيتي- سيتجه أساساً لمراقبة الجماعات الأصولية في العالم الإسلامي ووضع العقبات والعراقيل أمامها.

وأذاعت تعليقاً لصحيفة الفايننشال تايمز قالت فيه:

إذا كانت أمريكا تشجع الاتجاهات الديمقراطية في شرق أوروبا ودول العالم الثالث فإنه يجب عليها ألا تشجع تلك الاتجاهات في العالم الإسلامي لأنها بذلك تدفع -دون أن تدري- بالأصوليين إلى تسلم زمام السلطة في ذلك العالم!!!

وفي أثناء الإعلانات والشعارات المعسولة عن السلام العالمي القريب وحرية الشعوب في الحرية والاستقلال والديمقراطية... الخ. فجّر الرئيس الفرنسي ميتران قبلة صليبية مذهلة

حين قال: إذا نجح الأصوليون في حكم الجزائر فسوف أ تدخل عسكرياً كما تدخل بوش في بنما. !!

والواقع أن مثار الدهول ليس مجرد تهديد بالتدخل فقد تدخلت فرنسا فعلاً في دول كثيرة منها (زائر ووسط أفريقيا وساحل العاج وتشاد والجابون) ولكنه في الجراءة على إعلان بعض مخططات الغرب السرية وإشهار الحرب الصليبية الذي يزيد الصحوة الإسلامية اشتعالاً، ومن هنا كان تراجع ميتران الحاد في موقفه إلا أن ذلك لم يمنعه من التصريح بأن (الانتفاضة الفلسطينية خطر يهدد المنطقة كلها بوباء التطرف).

وفي غمرة هذه الإعلانات والتصريحات التي اجتاحت الإعلام الغربي في الشهور الأخيرة جاء الحديث المكشوف للأمير حسن ولي عهد الأردن، لصحيفة نيويورك تايمز الذي قال فيه: إنه ينبغي إجراء محادثات بين المعتدلين العرب والإسرائيليين لأن الخطر الحقيقي للسلام يكمن في تنامي الأصوليين. وقال: إن العدو الحقيقي هو تصاعد الأصوليين والتطرف حيث المتطرفون اليهود من جهة والمد الإسلامي الذي يؤثر على السياسات الممتدة من عبر أفغانستان ولبنان وشمال أفريقيا، وقال: يتصاعد نشاط المتطرفين في الانتفاضة الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة.

وعن إسرائيل والصحوة الإسلامية يقول نيكسون في كتابه نصر بلا حرب وفي الشرق الأوسط نرى صراع العرب ضد اليهود يتطور إلى نزاع بين الأصوليين الإسلاميين من جانب وإسرائيل والدول العربية المعتدلة من جانب آخر. وما لم تتغلب هذه الأمم على خلافاتها وتعترف بأنها تواجه تهديداً أشد خطراً ... ص ٢٨٤ - أي كما قال ولي عهد الأردن.

ونقل الشيخ في ص٤٢- عن كتاب نكسون نصر بلا حرب قوله وفي العالم الإسلامي من المغرب إلى إندونيسيا تخلف الأصولية الإسلامية محل الشيوعية باعتبارها الأداة الأساسية للتغيير العنيف... ص ٣٠٧.

وقال نيكسون: إن الثوريين الشيوعيين والإسلاميين أعداء إيديولوجيين يتبنون هدفاً مشتركاً: الرغبة في الحصول على السلطة بأي وسيلة ضرورية بغية فرض سيطرة دكتاتورية

تقوم على مثلهم التي لا تحتمل، ولن تحقق أي من الثورتين حياة أفضل للشعوب في العالم الثالث.

بل سيجعلون الأمور أسوأ، لكن إحداها أو الأخرى، ستسود ما لم يضع الغرب سياسة موحدة لمواجهة الأبعاد الاقتصادية والروحية على حد سواء للصراع الدائر الآن في العالم الثالث.

إن رياح التغيير في العالم الثالث تكتسب قوة العاصفة، ونحن لا نستطيع إيقافها لكننا نستطيع أن نساعد في تغيير اتجاهها... ص ٣٠٧.

ونقل الشيخ في ص-٧٧- عن أحد محلي السياسة الأمريكية قوله في مقابلة له في قناة (CNN) تعليقا على دعوة صدام للجهاد قال : نحن لا نخاف من جيوش صدام وإنما نخشى من الأصوليين في الجزيرة العربية والجزائر ومصر . أه كلام الشيخ سفر حفظه الله .

يقول خفير سولانا أمين عام حلف شمال الأطلسي سابقاً في اجتماع للحلف عام

١٤١٢هـ بعد سقوط الاتحاد السوفيتي بعد انتهاء الحرب والباردة وسقوط العدو الأحمر يجب على دول حلف شمال الأطلسي ودول أوروبا جميعاً أن تتناسى خلافاتها فيما بينها وترفع أنظارها من على أقدامها لتنظر إلى الأمام لتبصر عدواً متربصاً بها يجب أن تتحد لمواجهة وهو الأصولية الإسلامية .

يقول جلادستون رئيس وزراء بريطانيا سابقاً موصياً بإبعاد الناس عن دينهم تمهيداً للحرب

الصليبية ما دام هذا القرآن موجوداً في أيدي المسلمين فلن تستطيع أوروبا السيطرة على الشرق .

ويقول ألبر مشادور من يدري ربما يعود اليوم الذي تصبح فيه بلاد الغرب مهددة بالمسلمين يهبطون إليها من السماء لغزو العالم مرة ثانية ، وفي الوقت المناسب .

ويقول القس لورانس براون داعياً إلى تفريق الأمة ❦ إذا اتحد المسلمون في إمبراطورية عربية

أمكن أن يصبحوا لعنة على العالم وخطراً أو أمكن أن يصبحوا أيضاً نعمة له ، أما إذا بقوا متفرقين فإنهم يظلون حينئذ بلا وزن ولا تأثير

ويقول أرنولد توينب: إن الوحدة الإسلامية نائمة لكن يجب أن نضع في حسابنا أن النائم قد يستيقظ ((

ويقول المستشرق الأمريكي وك سميث الخبير بشئون باكستان : إذا أعطي المسلمون الحرية في العالم الإسلامي، وعاشوا في ظل أنظمة ديمقراطية فإن الإسلام ينتصر في هذه البلاد، وبالدكتاتوريات وحدها يمكن الحيلولة بين الشعوب الإسلامية ودينها .

ويقول لاکوست وزير المستعمرات الفرنسي عام ١٩٦٢م ماذا أصنع إذا كان القرآن أقوى من فرنسا.

ويقول هانوتو وزير خارجية فرنسا سابقاً محذراً من الإسلام وداعياً إلى حربه : لا يوجد مكان على سطح الأرض إلا واجتاز الإسلام حدوده وانتشر فيه فهو الدين الوحيد الذي يميل الناس إلى اعتناقه بشدة تفوق أي دين آخر❦

ويقول سالازار : إن الخطر الحقيقي على حضارتنا هو الذي يمكن أن يحدثه المسلمون حين يغيرون نظام العالم ويقول : إن الخطر الحقيقي الذي يهددنا مباشراً وعنيفاً هو الخطر الإسلامي، فالمسلمون عالم مستقل كل الاستقلال عن عالمنا الغربي، فهم يملكون تراثهم الروحي الخاص بهم، ويتمتعون بحضارة تاريخية ذات أصالة فهم جديرون أن يقيموا قواعد عالم جديد دون حاجة إلى إذابة شخصيتهم الحضارية والروحية في الحضارة الغربية. وحرص الرئيس الروسي الأرتذوكسي بوتين على تحريك هذه النزعة الصليبية ضد الإسلام في آخر اجتماع له أمام دول الكومنولث من عام ١٤٢١هـ إن الأصولية الإسلامية هي الخطر الوحيد الذي يهدد العالم المتحضر اليوم وهي الخطر الوحيد الذي يهدد نظام الأمن والسلم العالمين، والأصوليون لهم نفوذ ويسعون إلى إقامة دولة موحدة تمتد من الفلبين إلى كوسوفو، وينطلقون من أفغانستان التي تعتبر قاعدة لتحركاتهم، فإذا لم ينهض العالم لموجهتها فإنها ستحقق أهدافها، وروسيا تحتاج إلى دعم عالمي لمكافحة الأصولية في شمال القوقاز.

فالحملات الصليبية لم تتوقف ولن تتوقف، إلا بيد إسلامية ضاربة توقف الطغيان وتعلي كلمة الله.

إن توجيه ضربة عسكرية ما، وسريعة قدر الإمكان، هو الذي يسيطر الآن على مخيلة قادة الحرب الصليبية وأفغانستان تعد هدفا جاهزا وسهلا من زاوية الاقتصار على الضربات الجوية والصاروخية، لذلك اندفعت أمريكا في اتجاه أسامة بن لادن و أفغانستان والإمارة ذ. لقد قال بوش في مؤتمر صحفي له في ثاني يوم من الحادث عندما سئل عن كيفية الرد على الفاعلين قال لا أستطيع أن أقول إلا أن الدولة التي حمت الإرهابيين سوف نمسحها من على خارطة العالم إشارة منه إلى الإمارة الإسلامية في أفغانستان قبل أن يعثروا على أي دليل ضدهم.

لقد قال قائد الحملة الصليبية بوش بكل حقد على الإسلام والمسلمين كلمة أخرى تجاهلتها كل وسائل الإعلام عندما هدد الأفغان بقوله سوف ندخنهم (we will smoke them) أي يقصد تدخينهم على الطريقة الأمريكية الإجرامية البشعة على غرار ما كان يفعله في فتنام ويقتل آلافاً من المدنيين بتدخين القرى والمدن بالغازات السامة .

ولم ينتبه المسلمون لمعنى هذه الكلمة ، ولم يزد أحد على ما قالته قناة الجزيرة من أنه ربما يقصد استعمال الغازات السامة ، إلا أن هذه الكلمة لها مفهوم واسع إذ هي دليل على عزمهم على شن حرب إبادة جماعية بكل ما تعنيه الكلمة من معنى ، ولقد استعمل الفرنسيون الطريقة نفسها في الجزائر مع المسلمين ، كان الفرنسيون يطاردون الجزائريين العزل بالرصاص في شعاب الجبال وهم يفرون أمامهم ويلجئون إلى الكهوف ، فيقوم الرجل الأبيض الصليبي المتحضر ، الذي ليس إرهابيا كالمسلمين بإشعال النار في فوهات الكهوف فيموت اللاجئون إليه بالدخان ، وهذا أسلوب واحد لمدلول الكلمة التي قالها بوش : سوف ندخنهم

المؤامرة في مخططات اليهود

الوثيقة الصهيونية لتفتيت الأمة العربية (١)

١- في عام ١٩٨٢ نشرت مجلة كيفونيم التي تصدرها المنظمة الصهيونية العالمية، وثيقة بعنوان استراتيجية إسرائيلية للثمانينات.

ولقد نشرت الوثيقة باللغة العبرية، وتم ترجمتها إلى اللغة العربية، وقدمها الدكتور / عصمت سيف الدولة كأحد مستندات دفاعه عن المتهمين في قضية تنظيم ثورة مصر عام ١٩٨٨.

ولقد رأيت أهمية إعادة نشر هذه الوثيقة الآن للأسباب الآتية :

* أن تقسيم العراق كأحد أهداف الحرب الحالية على العراق (مارس ٢٠٠٣) هو أحد الأفكار الرئيسية الواردة في الوثيقة المذكورة.

* أن الخطط الحالية الساعية لفصل جنوب السودان وتقسيمه، هو أيضا ضمن الأفكار الواردة في الوثيقة .

* أن الاعتراف الرسمي بالامازيغية كلغة ثانية، بجوار اللغة العربية في الجزائر هي خطوة لا تبتعد عن التصور الصهيوني عن المغرب العربي .

* أن مخطط تقسيم لبنان إلى عدد من الدويلات الطائفية، الذي حاولت الدولة الصهيونية تنفيذه في السبعينات والثمانينات من القرن الماضي، وفشلت في تحقيقه، هو تطبيق عملي لما جاء بهذه الوثيقة بخصوص لبنان .

* أن الحديث الدائر الآن في الأوساط الصهيونية حول تهجير الفلسطينيين إلى الأردن، والتخوفات العربية من استغلال أجواء العدوان على العراق لتنفيذ ذلك، هو من أساسيات الأفكار المطروحة في الوثيقة

^١ موقع ومنتدى شبكة مجالس العرب <http://www.omangate.net>

* وأخيرا وليس آخرا، إن الأخطار التي تتعرض لها مصر، واردة بالتفصيل في الوثيقة الصهيونية.

والحديث عن وثيقة من هذا النوع، ليس حديثا ثانويا يمكن تجاهله، فهم ينصون فيها صراحة على رغبتهم في مزيد من التفتيت لامتنا العربية . كما أن تاريخنا الحديث هو نتاج لمشروعات استعمارية مماثلة. بدأت أفكارا، وتحولت إلى اتفاقات ووثائق، تلزمنا وتحكمنا حتى الآن:

* فمعاهدة لندن ١٨٤٠ سلخت مصر منذئذ وحتى تاريخه عن الأمة العربية. فسمحت لمحمد علي وأسرته بحكم مصر فقط، وحرمت عليه أي نشاط خارجها. ولذلك نسمى هذه الاتفاقية اتفاقية كامب ديفيد الأولى.

* واتفاقية سايكس بيكو ١٩١٦ قسمت الوطن العربي، هذا التقسيم البائس الذي نعيش فيه حتى الآن، والذي جعلنا مجموعة من العاجزين، المحبوسين داخل حدودا مصطنعة، محرومين من الدفاع عن باقي شعبنا وباقي أرضنا في فلسطين أو في العراق أو في السودان.

* ووعد بلفور ١٩١٧ كان المقدمة التي أدت إلى اغتصاب فلسطين فيما بعد

• تم تلاه وقام على أساسه، صك الانتداب البريطاني على فلسطين، في ٢٩ سبتمبر ١٩٢٢ ، الذي اعترف في مادته الرابعة بالوكالة اليهودية من أجل إنشاء وطن قومي لليهود . فأعطوا بذلك الضوء الأخضر للهجرة اليهودية إلى فلسطين.

* فلما قوى شأن العصابات الصهيونية في فلسطين، أصدرت لهم الأمم المتحدة، قرارا بتقسيم فلسطين في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧، وهو القرار الذي أعطى مشروعية للاغتصاب الصهيوني، وأنشأت بموجبه دولة إسرائيل. وهو القرار الذي رفضته الدول العربية في البداية، وظلت ترفضه عشرون عاما

* لتعود وتعترف به بموجب القرار رقم ٢٤٢ الصادر من الأمم المتحدة في ١٩٦٧، الذي ينص على حق إسرائيل في الوجود، وحقها أن تعيش في أمان على أرض فلسطين المغتصبة.

• وعلى أساس هذا القرار أبرمت معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية الموقعة في ٢٦ / ٣ / ١٩٧٩، والتي بموجبها خرجت مصر من الصراع العربي ضد المشروع الصهيوني، لتنفرد إسرائيل بالقطار الأخرى.

* كل ذلك وغيره الكثير، بدأ أفكارا، وأهدافا استعمارية، وتحول فيما بعد إلى حقائق.

* وبالتالي ليس من المستبعد أبدا أن تتحول الأفكار، التي وردت في الوثيقة الصهيونية المذكورة، إلى أمر واقع ولو بعد حين، خاصة الآن بعد العدوان الأمريكي على العراق، ومخاطر التقسيم التي تخدم ذات التصور الصهيوني عن المنطقة.

٤- والوثيقة الصهيونية منشورة في الصفحات التالية بنص كلماتها و فقراتها، مع فرق واحد ، هو أنني أخذت ما جاء متفرقا بالوثيقة بخصوص كل قطر ، و قمت بتجميعه في فقرة واحدة ، وحاولت ترقيمه وتبنيده ، لتسهيل متابعته .

٥- وأخيرا فإن الهدف الذي رجوته من نشر هذه الوثيقة، هو أن ننظر إلى العدوان علينا في مساره التاريخي. وأن نراه على حقيقته كمخطط، موحد، منتظم، متسلسل، ممتد، وأن نحرر أنفسنا من منطق التناول المجزأ لتاريخنا ، الذي يقسمه إلى حوادث منفصلة عن بعضها البعض .

آملا في النهاية ألا تقتصر حياتنا على مجموعة من الانفعالات وردود الفعل اللحظية المؤقتة ، التي تعلو وقت الشدة ، وتخبو في الأوقات الأخرى . فتاريخنا كله ومنذ زمن بعيد ، ولزمن طويل آت ، هو وقت شدة .



نص الوثيقة الصهيونية

أولاً: نظرة عامة على العالم العربي والإسلامي:

- ١- إن العالم العربي الإسلامي هو بمثابة برج من الورق أقامه الأجانب (فرنسا وبريطانيا في العشرينيات) ، دون أن توضع في الحسبان رغبات وتطلعات سكان هذا العالم .
- ٢- لقد قسم هذا العالم إلى ١٩ دولة كلها تتكون من خليط من الأقليات والطوائف المختلفة، والتي تعادى كل منهما الأخرى وعليه فإن كل دولة عربية إسلامية معرضة اليوم لخطر التفتت العرقي والاجتماعي في الداخل إلى حد الحرب الداخلية كما هو الحال في بعض هذه الدول.
- ٣- وإذا ما أضفنا إلى ذلك الوضع الاقتصادي يتبين لنا كيف أن المنطقة كلها، في الواقع، بناء مصطنع كبرج الورق، لا يمكنه التصدي للمشكلات الخطيرة التي تواجهه.
- ٤- في هذا العالم الضخم والمشتت، توجد جماعات قليلة من واسع الثراء وجماهير غفيرة من الفقراء. إن معظم العرب متوسط دخلهم السنوي حوالي ٣٠٠ دولار في العام.
- ٥- إن هذه الصورة قائمة وعاصفة جدا للوضع من حول إسرائيل، وتشكل بالنسبة لإسرائيل تحديات ومشكلات وأخطار، ولكنها تشكل أيضا فرصا عظيمة ...

ثانياً - مصر:

- ١- في مصر توجد أغلبية سنية مسلمة مقابل أقلية كبيرة من المسيحيين الذين يشكلون الأغلبية في مصر العليا، حوالي ٨ مليون نسمة . وكان السادات قد أعرب في خطابه في مايو من عام ١٩٨٠ عن خشيته من أن تطالب هذه الأقلية بقيام دولتها الخاصة أي دولة لبنانية مسيحية جديدة في مصر ..
- ٢- والملايين من السكان على حافة الجوع نصفهم يعانون من البطالة وقلّة السكن في ظروف تعد أعلى نسبة تكدس سكاني في العالم.

- ٣- وبخلاف الجيش فليس هناك أي قطاع يتمتع بقدر من الانضباط والفعالية
- ٤- والدولة في حالة دائمة من الإفلاس بدون المساعدات الخارجية الأمريكية التي خصصت لها بعد اتفاقية السلام.
- ٥- إن استعادة شبه جزيرة سيناء بما تحتويه من موارد طبيعية ومن احتياطي يجب إذن أن يكون هدفا أساسيا من الدرجة الأولى اليوم.... إن المصريين لن يلتزموا باتفاقية السلام بعد إعادة سيناء، وسوف يفعلون كل ما في وسعهم لكي يعودوا إلى أحضان العالم العربي، وسوف نضطر إلى العمل لإعادة الأوضاع في سيناء إلى ما كانت عليه
- ٦- إن مصر لا تشكل خطرا عسكريا استراتيجيا على المدى البعيد بسبب تفككها الداخلي، ومن الممكن أعادتها إلى الوضع الذي كانت عليه بعد حرب يونيو ١٩٦٧ بطرق عديدة.
- ٧- إن أسطورة مصر القوية والزعيمة للدول العربية قد تبددت في عام ١٩٥٦ وتأكد زوالها في عام ١٩٦٧.
- ٨- إن مصر بطبيعتها وبتركيباتها السياسية الداخلية الحالية هي بمثابة جثة هامدة فعلا بعد سقوطها، وذلك بسبب التفرقة بين المسلمين والمسيحيين والتي سوف تزداد حدتها في المستقبل، إن تفتت مصر إلى أقاليم جغرافية منفصلة هو هدف إسرائيل السياسي في الثمانينات على جبهتها الغربية.
- ٩- إن مصر المفككة والمقسمة إلى عناصر سيادية متعددة، على عكس ما هي عليه الآن، سوف لا تشكل أي تهديد لإسرائيل بل ستكون ضمانا للزمن والسلام لفترة طويلة، وهذا الأمر هو اليوم متناول أيدينا .
- ١٠- إن دول مثل ليبيا والسودان والدول لأبعد منها سوف لا يكون لها وجود بصورتها الحالية ، بل ستندمج إلى حالة التفكك والسقوط التي ستعرض لها مصر . فإذا ما تفككت مصر فستفكك سائر الدول الأخر، إن فكرة إنشاء دولة قبطية مسيحية في مصر العليا إلى جانب عدد من الدويلات الضعيفة التي تتمتع بالسيادة الإقليمية في مصر - بعكس السلطة

والسيادة المركزية الموجودة اليوم - هي وسيلتنا لإحداث هذا التطور التاريخي. إن التفتت لبنان إلى خمس مقاطعات إقليمية يجب أن يكون سابقة لكل العالم العربي بما في ذلك مصر وسوريا والعراق وشبه الجزيرة العربية.

ثالثا - ليبيا:

إن القذافي يشن حروبه المدمرة ضد العرب أنفسهم انطلاقاً من دولة تكاد تخلو من وجود سكان يمكن أن يشكلوا قومية قوية وذات نفوذ، ومن هنا جاءت محاولاته لعقد اتفاقيات باتحاد مع دولة حقيقية كما حدث في الماضي مع مصر ويحدث اليوم مع سوريا.

رابعا - السودان:

وأما السودان أكثر دول العالم العربي الإسلامي تفككا فإنها تتكون من أربع مجموعات سكانية كل منها غريبة عن الأخرى، فمن أقلية عربية مسلمة سنية تسيطر على أغلبية غير عربية إفريقية إلى وثنيين إلى مسيحيين.

خامسا - سوريا:

١- إن سوريا لا تختلف اختلافا جوهريا عن لبنان الطائفية باستثناء النظام العسكري القوى الذي يحكمها. ولكن الحرب الداخلية الحقيقية اليوم بين الأغلبية السنية والأقلية الحاكمة من الشيعة العلويين الذين يشكلون ١٢٪ فقط من عدد السكان، تدل على مدى خطورة المشكلة الداخلية.

٢- إن تفكك سوريا والعراق في وقت لاحق إلى أقاليم ذات طابع قومي وديني مستقل، كما هو الحال في لبنان، هو هدف إسرائيل الأسمى في الجبهة الشرقية على المدى القصير، فسوف تتفتت سوريا تبعا لتركيبها العرقي والطائفي إلى دويلات عدة كما هو الحال الآن في لبنان.

٣- وعليه فسوف تظهر على الشاطئ دولة علوية

٤- وفي منطقة حلب دويلة سنية

- ٥- وفى منطقة دمشق دويلة سنية أخرى معادية لتلك التي في الشمال
- ٦- وأما الدروز فسوف يشكلون دويلة في الجولان التي نسيطر عليها
- ٧- وكذلك في حوران وشمال الأردن وسوف يكون ذلك ضمانا للأمن والسلام في المنطقة بكاملها على المدى القريب، وهذا الأمر هو اليوم في متناول أيدينا.

سادسا - العراق:

- ١- إن العراق لا تختلف كثيرا عن جارتها ولكن الأغلبية فيها من الشيعة والأقلية من السنة، إن ٦٥٪ من السكان ليس لهم أي تأثير على الدولة التي تشكل الفئة الحاكمة فيها ٢٠٪ إلى جانب الأقلية الكردية الكبيرة في الشمال
- ٢- ولولا القوة العسكرية للنظام الحاكم وأموال البترول، لما كان بالإمكان أن يختلف مستقبل العراق عن ماضي لبنان وحاضر سوريا.
- ٣- إن بشائر الفرقة والحرب الأهلية تلوح فيها اليوم، خاصة بعد تولى الخميني الحكم، والذي يعتبر في نظر الشيعة العراقيين زعيمهم الحقيقي وليس صدام حسين.
- ٤- إن العراق الغنية بالبترول والتي تكثر فيها الفرقة والعداء الداخلي هي المرشح التالي لتحقيق أهداف إسرائيل.
- ٥- إن تفتيت العراق هو أهم بكثير من تفتيت سوريا وذلك لأن العراق أقوى من سوريا
- ٦- إن في قوة العراق خطورة على إسرائيل في المدى القريب أكبر من الخطورة النابعة من قوة أية دولة أخرى.
- ٧- وسوف يصبح بالإمكان تقسيم العراق إلى مقاطعات إقليمية طائفية كما حدث في سوريا في العصر العثماني
- ٨- وبذلك يمكن إقامة ثلاث دويلات (أو أكثر) حول المدن العراقية

٩- دولة في البصرة، ودولة في بغداد، ودولة في الموصل، بينما تنفصل المناطق الشيعية في الجنوب عن الشمال السني الكردي في معظمه.

سابعاً-لبنان :

أما لبنان فإنها مقسمة ومنهارة اقتصاديا لكونها ليس بها سلطة موحدة، بل خمس سلطات سيادية (مسيحية في الشمال تؤيدها سوريا وتزعمها أسرة فرنجية ، وفى الشرق منطقة احتلال سوري مباشر ، وفى الوسط دولة مسيحية تسيطر عليها الكتائب ، وإلى الجنوب منها وحتى نهر الليطاني دولة لمنظمة التحرير الفلسطينية هي في معظمها من الفلسطينيين ، ثم دولة الرائد سعد حداد من المسيحيين وحوالي نصف مليون من الشيعة) .

(ملحوظة من المحرر: كان هذا هو الوضع اللبناني زمن كتابة الوثيقة ، ولكن القوى الوطنية اللبنانية نجحت في إعادة الوحدة الوطنية)

ثامناً-السعودية والخليج:

١-إن جميع إمارات الخليج وكذلك السعودية قائمة على بناء هش ليس فيه سوى البترول.

٢-وفى البحرين يشكل الشيعة أقلية السكان ولكن لا نفوذ لهم.

٣-وفى دولة الإمارات العربية المتحدة يشكل الشيعة أغلبية السكان

٤-وكذلك الحال في عمان

٥-وفى اليمن الشمالية وكذلك في جنوب اليمن، توجد أقلية شيعية كبيرة.

٦-وفى السعودية نصف السكان من الأجانب المصريين واليمنيين وغيرهم بينما القوى الحاكمة هي أقلية من السعوديين.

٧-وأما في الكويت فإن الكويتيين يشكلون ربع السكان فقط

٨- إن دول الخليج والسعودية وليبيا تعد أكبر مستودع في العالم للبترول والمال ولكن المستفيد بكل هذه الثروة هي أقليات محدودة لا تستند إلى قاعدة عريضة وأمن داخلي، وحتى الجيش ليس باستطاعته أن يضمن لها البقاء.

٩- وأن الجيش السعودي بكل ما لديه من عتاد لا يستطيع تأمين الحكم ضد الأخطار الفعلية من الداخل والخارج، وما حدث في مكة عام ١٩٨٠ ليس سوى مثال لما قد يحدث.

١٠- إن شبه الجزيرة العربية بكاملها يمكن أن تكون خير مثال للانهييار والتفكك كنتيجة لضغوط من الداخل ومن الخارج وهذا الأمر في مجمله ليس بمستحيل على الأخص بالنسبة للسعودية سواء دام الرخاء الاقتصادي المترتب على البترول أو قل في المدى القريب، إن الفوضى والانهييار الداخلي هي أمور حتمية وطبيعية على ضوء تكوين الدول القائمة على غير أساس.

تاسعا - المغرب العربي

١- ففي الجزائر هناك حرب أهلية في المناطق الجبلية بين الشعبين الذين يكونان سكان هذا البلد

٢- كما أن المغرب والجزائر بينهما حرب بسبب المستعمرة الصحراوية الإسبانية بالإضافة إلى الصراعات الداخلية التي تعاني منها كل منهما

٣- كما أن التطرف الإسلامي يهدد وحدة تونس

عاشرا - إيران وتركيا وباكستان وأفغانستان:

١- فإيران تتكون من النصف المتحدث بالفارسية والنصف الآخر تركي من الناحية العرقية واللغوية، وفي طباعه أيضا.

٢- وأما تركيا منقسمة إلى النصف من المسلمين السنية أتراك الأصل واللغة، والنصف الثاني أقليات كبيرة من ١٢ مليون شيعي علوي و٦ مليون كردى سني.

٣- وفي أفغانستان خمسة ملايين من الشيعة يشكلون حوالي ثلث عدد السكان.

٤- وفي باكستان السنية حوالي ١٥ مليون شيعي يهددون كيان هذه الدولة.

الحادي عشر - الأردن وفلسطين:

١- والأردن هي في الواقع فلسطينية حيث الأقلية البدوية من الأردنيين هي المسيطرة، ولكن غالبية الجيش من الفلسطينيين وكذلك الجهاز الإداري. وفي الواقع تعد عمان فلسطينية مثلها مثل نابلس

٢- وهي هدف استراتيجي وعاجل للمدى القريب وليس للمدى البعيد وذلك أنها لن تشكل أي تهديد حقيقي على المدى البعيد بعد تفتيتها

٣- ومن غير الممكن أن يبقى الأردن على حالته وتركيبته الحالية لفترة طويلة. أن سياسة إسرائيل - أما بالحرب أو بالسلم - يجب أن تؤدي إلى تصفية الحكم الأردني الحالي ونقل السلطة إلى الأغلبية الفلسطينية

٤- إن تغيير السلطة شرقي نهر الأردن سوف يؤدي أيضا إلى حل مشكلة المناطق المكتظة بالسكان العرب غربي النهر سواء بالحرب أو في ظروف السلم.

٥- إن زيادة معدلات الهجرة من المناطق وتجميد النمو الاقتصادي والسكاني فيها هو الضمان لأحدث التغير المنتظر على ضفتي نهر الأردن

٦- ويجب أيضا عدم الموافقة على مشروع الحكم الذاتي أو أي تسوية أو تقسيم للمناطق ...

٧- وأنه لم يعد بالإمكان العيش في هذه البلاد في الظروف الراهنة دون الفصل بين الشعبين بحيث يكون العرب في الأردن واليهود في المناطق الواقعة غربي النهر.

٨- إن التعايش والسلام الحقيقي سوف يسودان البلاد فقط إذا فهم العرب بأنه لن يكون لهم وجود ولا أمن دون التسليم بوجود سيطرة يهودية على المناطق الممتدة من النهر إلى البحر، وأن امنهم وكيانهم سوف يكونان في الأردن فقط.

٩- إن التميز في دولة إسرائيل بين حدود عام ١٩٦٧ وحدود عام ١٩٤٨ لم يكن له أي مغزى

١٠- وفي أي وضع سياسي أو عسكري مستقبلي يجب أن يكون واضحاً بأن حل مشكلة عرب إسرائيل سوف يأتي فقط عن طريق قبولهم لوجود إسرائيل ضمن حدود آمنة حتى نهر الأردن وما بعده

١١- تبعاً لمتطلبات وجودنا في العصر الصعب (العصر الذري الذي ينتظرنا قريباً)

١٢- فليس بالإمكان الاستمرار في وجود ثلاثة أرباع السكان اليهود على الشريط الساحلي الضيق والمكتظ بالسكان في العصر الذري.

١٣- إن إعادة توزيع السكان هو إذن هدف استراتيجي داخلي من الدرجة الأولى، وبدون ذلك فسوف لا نستطيع البقاء في المستقبل في إطار أي نوع من الحدود، إن مناطق يهودا والسامرة والجليل هي الضمان الوحيد لبقاء الدولة.

١٤- وإذا لم نشكل أغلبية في المنطقة الجبلية فإننا لن نستطيع السيطرة على البلاد. وسوف يصبح مثل الصليبيين الذين فقدوا هذه البلاد التي لم تكن ملكاً لهم في الأصل وعاشوا غرباء فيها منذ البداية.

١٥- إن إعادة التوازن السكاني الاستراتيجي والاقتصادي لسكان البلاد هو الهدف الرئيسي والأسمى لإسرائيل اليوم.

١٦- إن السيطرة على المصادر المائية من بئر سبع وحتى الجليل الأعلى، هي بمثابة الهدف القومي المنبثق من الهدف الاستراتيجي الأساسي، والذي يقضى باستيطان المناطق الجبلية التي تخلو من اليهود اليوم.

انتهت الوثيقة _

فهل قرأت الأمة هذه الوثيقة التي شرعوا في تنفيذها في العراق وغيرها من البلدان العربية؟

هذه الوثيقة هي عبارة عما تظهره تلك الألسن، أما ما تخفى صدورهم فهو أكبر من ذلك والله المستعان وحسبنا الله ونعم الوكيل .



الفصل التاسع

الشيعة ودورهم في تنفيذ المؤامرات على الإسلام والمسلمين

أخي المسلم: بعد أن تعرفنا في الفصول السابقة عن فصول المؤامرة التي يقوم بها الصليبيون والصهاينة هيا لنرى عدوا آخر يتزيا بزي أهل الإيمان ويتكلم بالسنتنا ولكنه عدو للحق ومن حملة، أن هذا العدو هو الخطر الصفوي الشيعي الذي يكن العداء لأهل السنة والجماعة.

وفى الحرب الأخيرة التي قامت بين اليهود والشيعة وفى تلك المسرحية الفاشلة التي صوروا فيها للمسلمين أن الخلاص من اليهود لن يكون إلا على أيدي هؤلاء الشيعة هلل لهم كثير من المسلمين وهتفوا بهم وهم لا يدرون ما العبارة، فلما قام العلماء بكشف عورهم وزيفهم وأنهم أخطر علينا من اليهود لعقائدهم الفاسدة في أهل السنة والجماعة استنكر كثير من المسلمين على هؤلاء العلماء ذلك البيان لأجل ذلك عقدت هذا الفصل لبيان مؤامرات الشيعة عبر العصور على المسلمين، ولكن لماذا هذا الحقد ولماذا هذا التآمر؟

اعلم علمني الله وإياك: أن هذا التآمر ناتج عن تلك العقيدة الخبيثة في أهل السنة والجماعة واليك طرفا من ذلك الاعتقاد

كفر من لا يؤمن بولاية الأئمة الإثني عشر: لقد نصت كتب الشيعة ومراجعهم على أن الإمامة أصل من أصول الدين، وأن من أنكرها أو أنكر أحد الأئمة فهو كافر. وقد نقل صاحب كتاب حقيقة الشيعة طرفاً من أقوال أئمة الشيعة في تقرير هذا الاعتقاد، أسوق لك بعضه:

يقول رئيس محدثيهم محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي الملقب عندهم بالصدوق في رسالة الاعتقادات (ص ١٠٣ - ط مركز نشر الكتاب - إيران ١٣٧٠) ما نصه: ... واعتقادنا

فيمن جحد إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والأئمة من بعده - عليهم السلام - أنه كمن جحد نبوة جميع الأنبياء، واعتقادنا فيمن أقر بأمر المؤمنين وأنكر واحداً ممن بعده من الأئمة أنه بمنزلة من أقر بجميع الأنبياء وأنكر نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وآله، وينقل حديثاً منسوباً إلى الإمام الصادق أنه قال: المنكر لآخرنا كالمنكر لأولنا.

وينسب أيضاً إلى النبي ﷺ أنه قال: "الأئمة من بعدي اثنا عشر؛ أولهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وآخرهم القائم، طاعتهم طاعتي ومعصيتهم معصيتي، من أنكر واحداً منهم فقد أنكرني".

"وأقوال الصدوق هذه وأحاديثه نقلها عنه علامتهم محمد باقر المجلسي في بحار الأنوار ٢٧/٦١-٦٢" (١)

"ويقول علامتهم على الإطلاق جمال الدين الحسن بن يوسف بن المطهر الحلي.. في كتابه الألفين في إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ص ١٣ ط ٣ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت ١٩٨٢: "الإمامة لطف عام والنبوة لطف خاص لإمكان خلو الزمان من نبي حي، بخلاف الإمام لما سيأتي. وإنكار اللطف العام شر من إنكار اللطف الخاص، وإلى هذا أشار الصادق عليه السلام بقوله عن منكر الإمامة أصلاً ورأساً وهو شرهم".

ويقول شيخهم ومحدثهم يوسف البحراني في موسوعته المعتمدة عند الشيعة: "الحدائق الناضرة في أحكام العزة الطاهرة ١٨/١٥٣ دار الأضواء - بيروت - لبنان": "وليت شعري أي فرق بين من كفر بالله سبحانه وتعالى ورسوله، وبين من كفر بالأئمة عليهم السلام مع ثبوت كون الإمامة من أصول الدين".

ويقول الملا محمد باقر المجلسي والذي يلقبونه بالعلم العلامة الحجة فخر الأمة في بحار الأنوار ٢٣/٣٩٠: "اعلم أن إطلاق لفظ الشرك والكفر على من لم يعتقد إمامة أمير المؤمنين والأئمة من ولده عليهم السلام وفضل عليهم غيرهم يدل أنهم مخلدون في النار".

(١) عبد الله الموصلي: حقيقة الشيعة ط دار الإيمان الإسكندرية الطبعة الثانية ٢٠٠٢.

ويقول شيخهم محمد حسن النجفي في جواهر الكلام ٦/ ٦٢ ط دار إحياء التراث العربي - بيروت: " والمخالف لأهل الحق كافر بلا خلاف بيننا، كالمحكي عن الفاضل محمد صالح في شرح أصول الكافي بل والشريف القاضي نور الله في إحقاق الحق من الحكم بكفر منكري الولاية لأنها أصل من أصول الدين "

" هذا ونقل شيخهم محسن الطباطبائي الملقب بالحكيم: كفر من خالفهم بلا خلاف بينهم في كتابه مستمسك العروة الوثقى ١/ ٣٩٢ ط ٣ مطبعة الآداب - النجف ١٩٧٠ *^(١) .

ويقول آية الله الشيخ/ عبد الله الماقي الملقب عندهم بالعلامة الثاني في تنقيح المقال (١/ ٢٠٨ باب الفوائد - ط النجف ١٩٥٢): "وغاية ما يستفاد من الأخبار جريان حكم الكافر والمشرک في الآخرة على من لم يكن اثني عشري"^(٢).

وقال آيتهم العظمى ومرجعهم أبو القاسم الخوئي في كتابه مصباح الفقاهة في المعاملات (٢/ ١١ ط دار الهادي-بيروت): "

بل لا شبهة في كفرهم - أي المخالفين - لأن إنكار الولاية والأئمة حتى الواحد منهم والاعتقاد بخلافة غيرهم وبالعقائد الخرافية كالجبر ونحوه يوجب الكفر والزندقة وتدل عليه الأخبار المتواترة الظاهرة في كفر منكر الولاية.. أنه لا أخوة ولا عصمة بيننا وبين المخالفين".

ويقول شيخهم محمد حسن النجفي وهو يعلن بصراحة عدااء الشيعة الشديد لأهل السنة، وذلك في موسوعته الفقهية المتداولة بين الشيعة "جواهر الكلام في شرائع الإسلام" ٢٢/ ٦٢: "ومعلوم أن الله تعالى عقد الأخوة بين المؤمنين بقوله تعالى: { **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ** [الحجرات: ١٠]، دون غيرهم، وكيف يُتَصَوَّرُ الأخوة بين المؤمن وبين المخالف بعد تواتر الروايات وتضافر الآيات في وجوب معاداتهم والبراءة منهم"^(٣).

(١) حقيقة الشيعة (ص ٣٧، ٣٨) بتصريف يسير.

(٢) المرجع السابق (ص ٣٨).

(٣) حقيقة الشيعة (ص ٤١، ٤٢، ٤٣).

ويقول علامتهم السيد عبد الله شبر الذي يلقب عندهم بالسيد الأعظم والعماد الأقوم علامة العلماء وتاج الفقهاء رئيس الملة والدين، جامع المعقول والمنقول، مهذب الفروع والأصول، في كتابه "حق اليقين في معرفة أصول الدين" (٢/ ١٨٨ - طبع بيروت): "وأما سائر المخالفين ممن لم ينصب ولم يعاند ولم يتعصب فالذي عليه جملة من الأئمة كالسيد المرتضى أنهم كفار في الدنيا والآخرة والذي عليه الأكثر الأشهر أنهم كفار مخلدون في النار في الآخرة"^(١).

ومن هذه الأقوال السابقة ترى أن اعتقاد الشيعة بكفر أهل السنة هو الذي يبرر لهم عداؤهم وخياناتهم لأهل السنة واستباحة دمائهم وأموالهم كما سيأتي.

(٢) اعتقاد الشيعة بأن أهل السنة أعداء لأهل البيت:

ومن أخطر الاعتقادات التي تؤجج نار الخيانة في قلوب الشيعة اعتقادهم بأن أهل السنة أعداء لأهل بيت رسول الله ﷺ؛ يكرهونهم ويبغضونهم وينتقصونهم، فأهل السنة هم الأعداء بل ألد الأعداء، ولذلك يسمونهم النواصب أي الذين ينصبون العداة لأهل البيت! وهاك بعض أقوال شيوخهم ومحدثهم وفقهائهم التي تبين لنا أنهم العدو الحقيقي لأهل السنة لا غير:

يقول شيخهم وعالمهم ومحققهم ومدققهم حسين بن الشيخ محمد آل عصفور الدرزي البحراني الشيعي في كتابه "الحاسن النفسانية في أجوبة المسائل الخراسانية" (ص ١٤٧ طبع بيروت):

"بل أخبارهم عليهم السلام تنادي بأن الناصب هو ما يقال له عندهم سُنيًا.. ولا كلام في أن المراد بالناصبية هم أهل التسنن".

ويقول الشيخ الشيعي علي آل محسن في كتابه "كشف الحقائق" - ط دار الصفوة - بيروت (ص ٢٤٩): "وأما النواصب من علماء أهل السنة فكثيرون أيضًا منهم ابن تيمية وابن كثير الدمشقي وابن الجوزي وشمس الدين الذهبي وابن حزم الأندلسي وغيرهم"^(٢).

(١) المرجع السابق (ص ٤٢).

(٢) حقيقة الشيعة (ص ٤٦).

وذكر الشيعي محسن المعلم في كتابه (النصب والنواصب) ط دار الهادي - بيروت في الباب الخامس، الفصل الثالث (ص ٢٥٩) تحت عنوان: "النواصب في العباد أكثر من مائتي ناصب - على حد زعمه - وذكر منهم:

"عمر بن الخطاب، وأبو بكر الصديق، وعثمان بن عفان، وأم المؤمنين عائشة، وأنس بن مالك، وحسان بن ثابت، والزبير بن العوام، وسعيد بن المسيب، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيد الله، والإمام الأوزاعي، والإمام مالك، وأبو موسى الأشعري، وعروة بن الزبير، والإمام الذهبي، والإمام البخاري، والزهري، والمغيرة بن شعبة، وأبو بكر الباقلاني، والشيخ حامد الفقي رئيس أنصار السنة المحمدية في مصر، ومحمد رشيد رضا، ومحب الدين الخطيب، ومحمود شكري الألوسي.. وغيرهم كثير".

فلا أدري من بقي من أهل السنة لم يدخله الشيعة في عداد الأعداء النواصب.

ويقول الدكتور الشيعي/ محمد التيجاني^(١) في كتابه "الشيعة هم أهل السنة" ط مؤسسة الفجر في لندن وبيروت ص ٧٩: "وبما أن أهل الحديث هم أنفسهم أهل السنة والجماعة فثبت بالدليل الذي لا ريب فيه أن السنة المقصودة عندهم هي بغض علي بن أبي طالب ولعنه، والبراءة منه فهي النصب".

ويقول في صفحة ١٦١: "وغني عن التعريف أن مذهب النواصب هو مذهب أهل السنة والجماعة".

ويقول في صفحة ١٦٣: "وبعد هذا العرض يتبين لنا بوضوح بأن النواصب الذين عادوا علياً عليه السلام وحاربوا أهل البيت عليهم السلام هم الذين سموا أنفسهم بأهل السنة والجماعة".

ويقول في صفحة ٢٩٥: " وإذا شئنا التوسع في البحث لقلنا بأن أهل السنة والجماعة هم الذين حاربوا أهل البيت النبوي بقيادة الأمويين والعباسيين ".

(١) أو الجاني كما سماه الشيخ/ عثمان محمد الخميس.

عقد التيجاني في نفس الكتاب فصلاً بعنوان: "عداوة أهل السنة لأهل البيت تكشف عن هويتهم" وقال في صفحة ١٥٩ منه: "إن الباحث يقف مبهوراً عندما تصدمه حقيقة أهل السنة والجماعة ويعرف بأنهم كانوا أعداء العترة الطاهرة يقتدون بمن حاربهم ولعنهم وعمل على قتلهم ومحو آثارهم".

ثم يقول في صفحة ١٦٤: "تمعن في خفايا هذا الفصل فإنك ستعرف خفايا أهل السنة والجماعة إلى أي مدى وصل بهم الحقد على عترة النبي ﷺ فلم يتركوا شيئاً إلا وحرفوه". ويقول في صفحة ٢٩٩: "وبعد نظرة وجيزة إلى عقائد أهل السنة والجماعة وإلى كتبهم وإلى سلوكهم التاريخي تجاه أهل البيت؛ تدرك بدون غموض أنهم اختاروا الجانب المعاكس والمعادي لأهل البيت عليهم السلام، وأنهم أشهروا سيوفهم لقتالهم وسخروا أقلامهم لانتقاصهم والنيل منهم ولرفع شأن أعدائهم"^(١).

وهذا غيظ من فيض من الأقوال التي تبين اعتقاد الشيعة في عداوة أهل السنة لآل البيت، ولسنا هنا في معرض الدفاع لنبين أن أهل السنة لا يبغضون أهل البيت، وإنما يبغضون الذين يبغضون ويسبون إلى آل بيت رسول الله، ويتقولون عليهم، وينسبون إليهم الكذب. وسترى فيما سنعرض بعد خيانات الشيعة بناء على هذا الاعتقاد؛ كلما خان الشيعي خيانة أو دبر مكيدة لأهل السنة فإنه يعتبر ذلك من حسناته وصالح عمله؛ لأنه ينتصر لآل البيت من مبغضيه وأعدائهم.

(٣) اعتقاد الشيعة في حل دماء أموال أهل السنة ونجاستهم:

إن الدماء وقتل الأنفس من أهم القضايا التي عالجتها الشريعة الإسلامية بحكمة وشمول وبينت حرمة الدم خصوصاً إذا كان هذا الدم سِراق عن طريق الغدر حتى ولو كان هذا الدم دم كافر بالله - عز وجل -، قال ﷺ: "من أمن كافراً على دمه ثم غدر به فأنا من القاتل بريء ولو كان مسلماً"^(٢).

(١) انظر هذه الأقوال في كتاب حقيقة الشيعة (ص ٤٨ - ٥٠).

(٢) الحديث رواه.

ولكن برغم هذا فإن الشيعة يستحلون دماء وأموال أهل السنة، ويفتي علماءهم بذلك، روى شيخهم محمد بن علي بن بابويه القمي والملقب عندهم بالصدوق وبرئيس المحدثين في كتابه "علل الشرائع" (ص ٦٠١ طبع النجف) عن داود بن فرقد قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما تقول في قتل الناصب - أي السني -؟

قال: "حلال الدم، ولكنني أتقي عليك، فإن قدرت أن تقلب عليه حائطاً أو تغرقه في ماء لكيلا يشهد به عليك فافعل، قلت فما ترى في ماله؟ قال: توه ما قدرت عليه".

وقد ذكر هذه الرواية الخبيثة شيخهم الحر العاملي في وسائل الشيعة (٤٦٣/١٨) والسيد نعمة الله الجزائري في الأنوار النعمانية (٣٠٧/٢) إذ قال: "جواز قتلهم - أي النواصب - واستباحة أموالهم" (١).

وأما إباحة أموال أهل السنة فيروي محدثوا الشيعة وشيوخهم عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: "خذ مال الناصب حيث ما وجدته وادفع إلينا الخمس"، أخرج هذه الرواية شيخ طائفتهم أبو جعفر الطوسي في تهذيب الأحكام (١٢٢/٤) والفيض الكاشاني في الوافي (٤٣/٦) ط دار الكتب الإسلامية بطهران)، ونقل هذا الخبر شيخهم الدرزي البحراني في المحاسن النفسانية (ص ١٦٧)، ووصفه بأنه مستفيض، وبمضمون هذا الخبر أفتى مرجعهم الكبير روح الله الخميني في تحرير الوسيلة (٣٥٢/١) بقوله: "والأقوى إلحاق النواصب بأهل الحرب في إباحة ما أُغْنِمَ منهم وتعلق الخمس به، بل الظاهر جواز أخذ ماله أين وجد وبأي نحو كان ووجوب إخراج خمسة".

ونقل هذه الرواية أيضاً محسن المعلم في كتابه (النصب والنواصب) - ط دار الهادي - بيروت (ص ٦١٥) يستدل بها على جواز أخذ مال أهل السنة لأنهم نواصب في نظره (٢).

ويقول فقيههم الشيخ / يوسف البحراني في كتابه الحقائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة (٣٢٣/١٢ ، ٣٢٤) ما نصه: "إن إطلاق المسلم على الناصب وأنه لا يجوز أخذ ماله من

(١) حقيقة الشيعة (ص ٥٣).

(٢) حقيقة الشيعة (ص ٥٩).

حيث الإسلام خلاف ما عليه الطائفة المحقة سلفاً وخلفاً من الحكم بكفر الناصب ونجاسته وجواز أخذ ماله بل قتله".

ويقول البحراني - أيضاً - في موضع آخر (١٠-٣٦٠): "وإلى هذا القول ذهب أبو صلاح وابن إدريس وسلار، وهو الحق الظاهر من الأخبار لاستفاضتها وتكاثرها بكفر المخالف ونصبه وشركه وحل ماله ودمه كما بسطنا عليه الكلام بما لا يحوم حوله شبهة النقض والإبرام في كتاب الشهاب الثاقب في بيان معنى الناصب وما يترتب عليه من المطالب"^(١).
وأما عن نجاسة أهل السنة في اعتقاد الشيعة فيقول مرجعهم المرزا حسن الحائري الإحراقي في كتابه أحكام الشيعة (١/١٣٧ مكتبة جعفر الصادق - الكويت): "النجاسات: وهي اثنا عشر، وعد الكفار منها، ثم عد النواصب من أقسام الكفار".

ويقول شيخهم نعمة الله الجزائري في كتاب الأنوار النعمانية (٢/٣٠٦ ط الأعلمي - بيروت): "وأما الناصب وأحواله، فهو يتم ببيان أمرين: الأول: في بيان معنى الناصب الذي ورد في الأخبار أنه نجس، وأنه أشر من اليهودي والنصراني والمجوسي، وأنه نجس بإجماع علماء الإمامية رضوان الله عليهم"^(٢).

وبناء على هذه الروايات الخبيثة التي كونت اعتقاد الشيعة في كفر أهل السنة واستباحة دمائهم وأموالهم، والحكم بنجاستهم سترى العجب - فيما بعد - حينما نقلت صفحات التاريخ نفتش عن خيانات الشيعة، فالشيعة الذي يقرأ في عقائده وأحكامه أنه مأمور بقتل السني ولكن يستحسن أن يغرقه في الماء أو يقلب عليه حائطاً حتى لا يدع دليلاً يشهد به عليه كما يقول فقهاؤهم - إذا وجد فرصة يتحالف فيها ولو مع الشيطان لقتل النواصب (أهل السنة) فإنه سيراهما فرصة ذهبية ولن يتوانى، فلا بأس أن يتحالف مع شياطين التار أو شياطين الصليبيين أو شياطين الأمريكان والإنجليز.
وفي رواية: (مال الناصب وكل شيء يملكه حلال) (٣).

(١) - المرجع السابق (ص ٦٠).

(٢) - حقيقة الشيعة (ص ٦٤-٥٦) بتصرف يسير.

(٣) - انظر: المصدر السابق (٨/٥٣٣).

وذكر حسين الدرازي البحراني (.... — ١٢١٦هـ) (١) في كتابه المحاسن النفسانية في أجوبة المسائل

الخراسانية (٢) في آخر رواية إسحاق بن عمار: لولا أنا نخاف عليكم أن يقتل رجل منكم برجل منهم ورجل

منكم خير من ألف رجل منهم لأمرناكم بالقتل لهم، ولكن ذل الإمام عليه السلام (٣). وعلق الدرازي عليها قائلاً: وربما يثبت من هذه الرواية أن جواز قتلهم مخصوص بحضورهم صلوات الله عليهم وإذنه، وقد عرفت أن الأخبار جاءت بالإذن في حال غيبتهم كحال حضورهم فلعل هذا مخصوص بزمن التقية (٤).

الصلاة خلف أهل السنة (النواصب) باطلة وغير صحيحة.

وهذا بناء على أنهم كفار — أي السنة — كما في النقل المتقدم ونزيد ذلك بيان بذكر بعض الروايات:

أ- عن الفضل بن يسار قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن مناكحة الناصب والصلاة خلفه فقال

لا تناكحه ولا تصل عليه (٥).

وعلق عليها الحر العاملي (١٠٣٣ — ١١٠٤هـ) (٦) فقال: (هذا مخصوص بغير وقت التقية) (١).

(١) انظر: ترجمته في الأعلام (٢٥٧/٢).

(٢) قال الشيخ محمد مال الله — رحمه الله — عن هذا الكتاب: (وهو الكتاب الأول من مطبوعات جمعية أهل البيت لتحقيق وطبع ونشر التراث الإسلامي بالبحرين. وعندما انتبه أهل السنة بالبحرين لهذا الكتاب أخفاه الشيعة وأصبح نادراً وشاء الله تعالى أن أحصل على نسخة منه بواسطة أحد الأخوة) انظر: كتاب موقف الخميني من أهل السنة ٤٨ حاشية ٢٨.

(٣) — انظر: المحاسن النفسانية (ص ١٦٦).

(٤) — انظر: المصدر السابق (ص ١٦٦).

(٥) — انظر: وسائل الشيعة (٣/٣٨٣).

(٦) — انظر: ترجمته في الأعلام (٩٠/٦).

ب- عن أبي جعفر محمد بن علي عليهما السلام أنه قال: لا تصلوا خلف ناصب ولا كرامة (٢).

ج- جامع الأخبار عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: من صلى خلف المنافقين بتقية كان كمن صلى خلف الأئمة (٣).

د- عن صفوان الجمال قال:

قلت لأبي عبد الله عليه السلام إن عندنا مصلى لا نصلي فيه وأهله نصّاب وإمامهم مخالف أفأنتم به؟ قال: لا.

قلت: إن قرأ أقرأ خلفه؟

قال: نعم.

قلت: فإن نفدت السورة قبل أن يفرغ.

قال: سبّح وكبّر إنما هو بمنزلة القنوت وكبّر وهلل (٤).

عقب الكاشاني (.... — ١٠٩١) (٥) في الوافي على الأحاديث الآمرة بالصلاة خلف أهل السنة (النواصب) فقال: هذه الأخبار حملها في التهذيب (٦) على شدة التقية والخوف.

-تحريم نكاح أهل السنة: نورد بعض الروايات في ذلك:

١- عن الفضيل بن يسار قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن المرأة العارفة (١) هل أزوجها الناصب؟

(١) انظر: وسائل الشيعة (٣/٣٨٣).

(٢) انظر: مستدرک الوسائل (٣/٤٩٠).

(٣) انظر: المصدر السابق نفس الصفحة.

(٤) انظر: وسائل الشيعة (٣/٤٣٣).

(٥) -انظر: ترجمته في أمل الآمل (٢/٣٠٥ — ٣٠٦).

(٦) -أي الطوسي (٣٨٥ — ٤٦٠) المسمى لديهم بشيخ الطائفة، انظر: ترجمته في الأعلام (٦/٨٤ — ٨٥).

قال: لا، لأن الناصب كافر.

قلت: فأزوجها لرجل غير الناصب ولا العارف؟

فقال: غيره أحب إليّ منه (٢).

٣- عن الفضيل بن يسار قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام إن لامرأتي أختاً عارفة على رأينا،

وليس على رأينا بالبصرة إلا قليل فأزوجها ممن لا يرى رأيها؟

قال: لا ولا نعمة إن الله عزّ وجلّ يقول: **{فَلَا تَرْجِعُوهُمْ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ}** [الممتحنة: ١٠] (٣).

٤- عن عبد الله بن سفيان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سأله أبي وأنا أسمع عن نكاح اليهودية والنصرانية.

فقال: نكاحهما أحب إليّ من نكاح الناصبية (٤).

٥- عن سليمان الحمار عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لا ينبغي للرجل المسلم منكم أن يتزوج الناصبية،

ولا يزوج ابنته ناصبياً ولا يطرحها عنده (٥).

٥- عن الفضيل بن يسار قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن المرأة العارفة هل أزوجها الناصب؟

فقال: لا، لأن الناصب كافر (١).

(١) - أي الشيعة.

(٢) - انظر: وسائل الشيعة (٤٣١/٧)، والتهذيب (٣٠٣/٧).

(٣) - انظر: وسائل الشيعة (٤٢٤/٧).

(٤) - انظر: وسائل الشيعة (٤٢٦/٧)، والفروع من الكافي (٣٥١/٣).

(٥) - انظر: وسائل الشيعة (٤٢٦/٧).

٦-- عن الفضيل بن يسار قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن مناكحة الناصب والصلاة خلفه.

فقال: لا تناكحه ولا تصل خلفه (٢).

مخالفة أهل السنة واجبة عند الرافضة: بل إن مقياس صحة أي خبر عند الرافضة لابد أن يكون خلاف ما عليه أهل السنة ويوضح لنا ذلك الهالك الخميني حيث أورد روايات دالة على ذلك وعلق عليها قائلاً:

أ- فمن الأولى: مصححة عبد الرحمن بن أبي عبد الله وفيها: فإن لم تجدوهما في كتاب الله فاعرضوهما على أخبار العامة فما وافق أخبارهم فذروه وما خالف أخبارهم فخذوه.

ب- وعن رسالة القطب أيضاً بسند فيه إرسال عن الحسن بن السري قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إذا ورد

عليكم حديثان فخذوا بما خالف القوم.

ثم قال: وعلى أي حال لا إشكال في أن مخالفة العامة من مرجحات باب التعارض (٣) وختم كلامه بملخص هي (فتحصل من جميع ما ذكرنا من أول البحث إلى هنا أن الراجح المنصوص

منحصر في أمرين:

موافقة الكتاب والسنة، ومخالفة العامة (٤).

(١) - انظر: وسائل الشيعة (٤٢٤/٧)، والاستبصار (٢٨٤/٣).

(٢) - انظر: بحار الأنوار (٣٧٨/١٠٠).

(٣) - انظر: التعادل والترجيح للهالك الخميني (ص ٨٣).

(٤) - انظر: التعادل والترجيح للهالك الخميني (ص ٨٠ - ٩١) وقد ألف أحد مشايخ الرافضة وهو المدعو يوسف البحراني ، كتاباً سماه (الشهاب الثاقب في بيان معنى الناصب وما يترتب عليه من المطالب).

ولم يبين لنا حفيد ابن سبأ ما هو الكتاب والسنة هل المقصود بهما ما يدين به المسلمون من كتاب الله العزيز وسنة نبيه الثابتة فهي ناسخة لعقائد الرافضة أم خرافات الزنادقة وزارة وأبي بصير (١).

وتأمل أخي أنهم بمخالفتهم لأهل السنة خرجوا من الدين بالكلية نسأل الله العافية.

قصة وعبرة.

أ- ذكر حسين الموسوي (٢) فقال: (...) وما زال الاعتقاد عند معاصر الشيعة أن لكل فرد من أهل السنة ذيلاً في دبره، وإذا شتم أحدهم الآخر وأراد أن يغلظ له في الشتيمة قال له: (عظم سني في قبر أبيك) وذلك لنجاسة السني في نظرهم إلى درجة لو اغتسل ألف مرة لما طهر، ولما ذهب عنه النجاسة (٣)

ب- وقال أيضاً: (ما زلت أذكر أن والدي رحمه الله التقى رجلاً غريباً في أحد أسواق المدينة، وكان والدي رحمه الله محباً للخير إلى حد بعيد، فجاء به إلى دارنا ليحل ضيفاً عندنا في تلك الليلة فأكرمناه بما شاء الله تعالى، وجلسنا للسمر بعد العشاء وكنت وقتها شاباً في أول دراستي في الحوزة، ومن خلال حديثنا تبين أن الرجل سني المذهب ومن أطراف سامراء جاء إلى النجف لحاجة ما، بات الرجل تلك الليلة، ولما أصبح أتيناه بطعام الإفطار فتناول طعامه ثم هم بالرحيل، فعرض عليه والدي رحمه الله مبلغاً من المال فلربما يحتاجه في سفره، شكر الرجل حسن ضيافتنا، فلما غادر أمر والدي بحرق الفراش الذي نام فيه وتطهير الإناء

(١) - (موقف الشيعة من أهل السنة) باختصار وتصرف.

(٢) - ألف الموسوي كتاب (لله ثم للتاريخ كشف الأسرار وتبرئة الأئمة الأطهار) انتقد فيه مذهب الرافضة الإمامية مدلاً على ذلك من كتبهم المعتمدة بالإضافة لذكره كثير من الفضائح والوقائع والأحداث التي تجري في الحوزات العلمية ومن بعض مشايخ الرافضة مما حدا ببعض مراجع الشيعة إلى التهجم عليه وتخطئته وسلبه جميع درجاته العلمية.

(٣) - انظر: كتاب (لله ثم للتاريخ كشف الأسرار وتبرئة الأئمة الأطهار) (ص ٨٢).

الذي أكل فيه تطهيراً جيداً لاعتقاده بنجاسة السني وهذا اعتقاد الشيعة جميعاً، إذ أن فقهاءنا قرنوا السني بالكافر والمشرک والخنزير وجعلوه من الأعيان النجسة^(١). وبعد هذه النصوص والروايات المكذوبة التي يدين بها الرافضة نعرف من خلالها سبب من أسباب قتلهم للسنّة فإن مجرد القتل مطلوب شرعاً عندهم.



(١) - انظر: المصدر السابق نفس الصفحة.

صور من مؤامرات الشيعة

١ - الفاطميون يمالئون الفرنجة ويكتبون إليهم:

ومن تلك المؤامرات التي قام بها الشيعة مع الصليبيين ما ذكره المقرئ في الخطط والآثار) من أن صلاح الدين الأيوبي لما تولى وزارة العاضد الفاطمي - وكان قد ولاه لصغر سنه وضعفه كما ظن به - قوى نفوذه في مصر وأخذت سلطة العاضد في الضعف، حتى ثقلت وطأة صلاح الدين على أهل القصر الفاطمي، وتجلّى استبداده بأمر الدولة وإضعاف الخلافة الفاطمية، حنق عليه رجال القصر ودبروا له المكائد، وقد أئفق رأيهم على مكاتبة الفرنجة ودعوتهم إلى مصر فإذا ما خرج صلاح الدين إلى لقائهم قبضوا على من بقي من أصحابه بالقاهرة، وانضموا إلى الفرنجة في محاربتهم والقضاء عليه.^(١)

وفعلًا جاء الفرنجة إلى مصر وحاصروا دمياط في سنة ٥٦٥هـ، وضيقوا على أهلها وقتلوا أمّا كثيرة، جاءوا إليها من البر والبحر رجاء أن يملكوا الديار المصرية وخوفًا من استيلاء المسلمين على القدس، وأرسل إلى عمه نور الدين محمود بدمشق، يستنجد به فأمده، وبعث صلاح الدين جيشًا بقيادة ابن أخيه وخاله شهاب الدين وأمداهما بالسلاح والذخائر، واضطروهم للبقاء في القاهرة خشية أن يقوم رجال القصر الفاطمي وجند السودان الناقمين بتدبير المؤامرات ضده.^(٢)

وكان من فضل الله أن رد كيد الفرنجة والشيعة الفاطميين الذين كاتبوهم ففشلت هذه الحملة، وانصرف الفرنجة عن دمياط، وذلك لما تسرب إليهم من قلق من جراء ما عانوه في سبيل تموين قواتهم، وكما وقع الخلاف بين قوادهم على الخطة التي يتبعونها في مهاجمة المدينة، فضلًا عن ذلك بلغهم أن نور الدين محمود قد غزا بلادهم وهاجم حصن الكرك

(١) المقرئ: الخطط والآثار (٢/٢).

(٢) انظر ابن كثير: البداية والنهاية (١٢: ٢٦٠).

وغيره من نواحيهم وقتل خلقاً من رجالهم، وسي كثيراً من نسائهم وأطفالهم وغنم من أموالهم.^(١)

وهكذا دائماً في كل خيانة يحدثونها يجعلون الأمة الإسلامية بين شقي الرحى، بين عدو خارجي وعدو داخلي، فاللهم انتقم من الخونة ولو كانوا من أهل السنة.

ومن مؤامرات الشيعة مع الفرنجة:

ومن تلك المؤامرات التي قامت بها الشيعة قبحهم الله ما ذكره ابن كثير -رحمه الله وما أن ذهب الفرنجة في هذا العام حتى عادوا مرة أخرى عام ٥٦٤هـ.

قال ابن كثير فيها: طغت الفرنج بالديار المصرية وذلك أنهم جعلوا شاور شحنة لهم بها، وتحكموا في أموالها ومساكنها أفواجاً أفواجاً، ولم يبق شيء من أن يستحوذوا عليها ويخرجوا منها أهلها من المسلمين وقد سكنها أكثر شجعانهم فلما سمع الفرنج بذلك أتوا من كل فج وناحية في صحبة ملك عسقلان في جحافل هائلة، فأول ما أخذوا مدينة بلبس وقتلوا من أهلها خلقاً وأسروا آخرين ونزلوا بها وتركوا أنقاهم موئلاً لهم، ثم تحركوا نحو القاهرة. فأمر الوزير شاور رجاله بإشعال النار فيها على أن يخرج منها أهلها؛ فهلك للناس أموال كثيرة، وأنفس، وشاعت الفوضى، واستمرت النيران أربعة وخمسين يوماً، عندئذ بعث العاضد الفاطمي إلى نور الدين بشعور نسائه يقول: أدركني واستنقذ نسائي من الفرنج، والتزم له بثلاث خراج مصر، فشرع نور الدين في تجهيز الجيوش لتسييرها إلى مصر، فلما أحس شاور بوصول جيوش نور الدين، أرسل إلى ملك الفرنج يقول: قد عرفت محبتي ومودتي لكم، ولكن العاضد لا يوافقني على تسليم البلد، فاعتذر لهم وصالحهم على ألف ألف دينار وعجل لهم من ذلك ثمانمائة ألف ليرجعوا؛ فانتشروا راجعين خوفاً من عساكر نور الدين وطمعاً في العودة إليها مرة أخرى، وشرع شاور في مطالبة الناس بالذهب الذي صالح به الفرنج وتحصيله وضيق على الناس..^(٢)

(٢) ومن مؤامرات الشيعة أيضاً:

(١) البداية والنهاية (١٢/٢٦٠)، حسن الحبشي/ نور الدين والصليبيون (ص١٤٧) وما بعدها.

(٢) البداية والنهاية ١٢/٢٥٥.

ما حدث في سنة ٥٦٢هـ لما أقبلت جحافل الفرنج إلى الديار المصرية وبلغ ذلك أسد الدين شيركوه فاستأذن الملك نور الدين محمود في الذهاب إليها - وكان كثير الحنق على الوزير شاور الفاطمي - فأذن له فسار ومعه ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب.

ولما بلغ الوزير شاور قدوم أسد الدين والجيش معه بعث إلى الفرنج فجاءوا من كل فج إليه، وبلغ أسد الدين ذلك من شأنهم وأن معهم ألف فارس، فاستشار من معه من الأمراء فكلهم أشار عليه بالرجوع إلى نور الدين إلا أميراً واحداً يقال له شرف الدين برغش فإنه قال من خاف القتل والأسر فليقعد في بيته عند زوجته، ومن أكل أموال الناس فلا يسلم بلادهم على العدو، وقال مثل ذلك ابن أخيه صلاح الدين، فعزم الله لهم فساروا نحو الفرنج فاقتتلوا قتالاً عظيماً، فقتلوا من الفرنج مقتلة عظيمة وهزموهم. والله الحمد^(١).

(٤) مؤامرة الوزير مؤيد ابن العلقمي الشيعي في دخول التتار بغداد

إن أسد الدين شيركوه لما كان قد أظفره الله بالفرنجة في الواقعة السابقة بمصر برغم خيانة الخونة، رأى أن يفتح الإسكندرية، ففتحها واستناب عليها ابن أخيه صلاح الدين، ثم توجه إلى الصعيد فملكه، وعندئذ اتفق الفاطميون مع الفرنجة على حصار الإسكندرية لانتزاعها من يد صلاح الدين في أثناء غياب أسد الدين شيركوه، فامتنع فيها صلاح الدين أشد الامتناع، ولكن ضاقت عليهم الأقوات والحال جداً فسار إليهم أسد الدين شيركوه فصالحه الوزير شاور عن الإسكندرية بخمسين ألف دينار، فأجابه إلى ذلك وخرج منها وسلمها للمصريين ثم عاد إلى الشام، وقرر شاور للفرنجة على مصر في كل سنة مائة ألف دينار وأن يكون لهم شحنة بالقاهرة^(٢).

- مؤامرة ابن العلقمي الرافضي في إسقاط بغداد ٦٥٦هـ: وملخص الحادثة أن ابن العلقمي كان وزيراً للخليفة العباسي المستعصم وكان الخليفة على مذهب أهل السنة، كما كان أبوه وجده، ولكن كان فيه لين وعدم تيقظ، فكان هذا الوزير الرافضي يخطط للقضاء على دولة

(١) - البداية والنهاية (٢٥٢/١٢).

(٢) - البداية والنهاية (٢٥٢/١٢ ، ٢٥٣).

الخلافة، وإبادة أهل السنة، وإقامة دولة على مذهب الشيعة الرافضة، فاستغل منصبه، وغفلة الخليفة لتنفيذ مؤامراته ضد الخلافة، وكانت خيوط المؤامرة تتمثل في ثلاث مراحل:

أ- المرحلة الأولى: إضعاف الجيش، ومضايقة الناس حيث سعى في قطع أرزاق عسكر المسلمين قال ابن كثير رحمه الله: وكان الوزير ابن العلقمي يجتهد في صرف الجيوش، وإسقاط اسمهم من الديوان فكانت العساكر في آخر أيام المستنصر قريبا من مائة ألف مقاتل، فلم يزل يجتهد في تقليلهم، إلى أن لم يبق سوى عشرة آلاف (١).

ب- المرحلة الثانية: مكاتبة التتار: يقول ابن كثير رحمه الله: ثم كاتب التتار وأطعمهم في أخذ البلاد وسهل عليهم ذلك، وحكى لهم حقيقة الحال وكشف لهم ضعف الرجال (٢).

ج- المرحلة الثالثة: النهي عن قتال التتار وتثبيط الخليفة والناس: فقد نهى العامة عن قتالهم (٣)، وأوهم الخليفة وحاشيته أن ملك التتار يريد مصالحتهم، وأشار على الخليفة بالخروج إليه والمثول بين يديه لتقع المصالحة على أن يكون نصف خراج العراق لهم، ونصفه للخليفة، فخرج الخليفة إليه في سبعمائة راكب من القضاة والفقهاء، والأمراء والأعيان، فتم بهذه الحيلة قتل الخليفة ومن معه من قواد الأمة وطلائعها، بدون أي جهد من التتار.

وقد أشار أولئك الملأ من الشيعة الرافضة وغيرهم من المنافقين على هولاء أن لا يصلح الخليفة، وقال له الوزير ابن العلقمي: متى وقع الصلح على المناصفة لا يستمر هذا إلا عاما أو عامين، ثم يعود الأمر إلى ما كانت عليه قبل ذلك، وحسنوا له قتل الخليفة، ويقال: إن الذي أشار إليه بقتله الوزير العلقمي ونصير الطوسي (٤)، ثم مالوا على البلد فقتلوا جميع من قدروا عليه من الرجال والنساء والمشايخ والكهول والشباب، ولم ينج منهم أحد سوى أهل الذمة من اليهود والنصارى، ومن التجأ إليهم، وإلى دار الوزير ابن العلقمي الرافضي، وقد قتلوا من المسلمين ما يقال إنه بضعة عشر ألف ألف إنسان أو أكثر أو أقل، ولم ير

(١) -البداية والنهاية (١٣/ ٢٠٢).

(٢) -البداية والنهاية (١٣/ ٢٠٢).

(٣) -منهاج السنة (٣/ ٨٣).

(٤) -المقرئزي: الخطط والآثار

الإسلام ملحمة مثل ملحمة الترك الكفار المسمين بالتتار، وقتلوا الهاشميين، وسبوا نساءهم من العباسيين وغير العباسيين، فهل يكون مواليا لآل رسول الله من يسلط الكف على قتلهم وسبيهم وعلى سائر المسلمين (١).

وقتل الخطباء والأئمة، حملة القرآن، وتعطلت المساجد، والجماعات، مدة شهور ببغداد (٢). وكان هدف ابن العلقمي: أن يزيل السنة بالكلية وأن يظهر البدعة الرافضة، وأن يبني للرافضة مدرسة هائلة، ينشرون بها مذهبهم، فلم يقدره الله على ذلك، بل أزال نعمته عنه وقصف به عمره بعد شهور يسيرة من هذه الحادثة، وأتبعه بولده (٣).

وكان الوزير ابن العلقمي الرافضي الخائن شديد الحنق على العلماء من أهل السنة، حتى أنه كان يتشفى بقتلهم، ومن أبرزهم في ذلك الوقت الشيخ محي الدين يوسف بن الشيخ أبي الفرج بن الجوزي وهو وأولاده الثلاثة "عبد الله وعبد الرحمن وعبد الكريم" وأكابر الدولة واحداً واحداً، وكان الرجل يستدعي به من دار الخلافة فيذهب به إلى مقبرة الغلال فيذبح كما تذبح الشاة، ويؤسر من يختارون من بناته وجواريه، وقتل شيخ الشيوخ مؤدب الخليفة صدر الدين علي بن النيار، وقتل الخطباء والأئمة وحملة القرآن وتعطلت المساجد والجماعات والجمعات مدة شهور ببغداد، وأراد الوزير ابن العلقمي قبحه الله ولعنه أن يعطل المساجد والمدارس ببغداد ويستمر بالمشاهد ومحال الرفض، وأن يبني للرافضة مدرسة هائلة ينشرون علمهم وعلمهم بها وعليها (٤).
تقديرات ضحايا هذه الخيانة الشيعية:

(١) - منهاج السنة (٣/ ٨٣).

(٢) - البداية والنهاية (١٢/ ٢٠٣).

(٣) - البداية والنهاية (١٣/ ٢٠٢-٢٠٣).

(٤) - انظر البداية والنهاية (١٣/ ٢٠٣).

قال ابن كثير رحمه الله: " وقد اختلف الناس في كمية من قتل ببغداد من المسلمين في هذه الواقعة، فقليل ثمانمائة ألف وقيل ألف ألف وثمانمائة ألف، وقيل بلغت القتلى ألفي ألف نفس، فإننا لله وإننا إليه راجعون" (١)

"القتلى في الطرقات كأنها التلال، وقد سقط عليهم المطر فتغيرت صورهم وأنتنت من جيفهم البلد، وتغير الهواء فحصل بسببه الوباء الشديد حتى تعدى وسرى في الهواء إلى بلاد الشام، فمات خلق كثير من تغير الجو، وفساد الريح، فاجتمع على الناس الغلاء والوباء والفناء والطعن والطاعون، فإننا لله وإننا إليه راجعون" (٢).

خيانة الشيعة ومحاولاتهم الفتك بصلاح الدين الأيوبي

لما تولى صلاح الدين زمام الحكم أظهر السنة ودحض البدعة وجعل المذهب المعمول به في دولته مذهب أهل السنة والجماعة وقضى على مظاهر التشيع..... لذا لم ينس الشيعة أن صلاح الدين الأيوبي هو الذي أزل دولتهم الفاطمية في مصر ومهد للسنة من جديد، لذلك حاولوا مراراً الفتك به لإقامة الدولة الفاطمية من جديد، واستعانوا في هذه المؤامرات بالفرنجة وكتابوهم.

يقول المقرئ في السلوك: "وفيها - أي سنة ٥٦٩ هـ - اجتمع طائفة من أهل القاهرة على إقامة رجل

من أولاد العاضد - آخر خليفة فاطمي بمصر - وأن يفتكوا بصلاح الدين وكتابوا الفرنج؛ ومنهم القاضي

لمفضل ضياء الدين نصر الله بن عبد الله بن كامل القاضي، والشريف الجليس، ونجاح الحمامي، والفقيه

عمارة بن علي اليماني، وعبد الصمد الكاتب، والقاضي الأعز سلامة العوريس متولي ديوان النظر ثم القضاء،

وداعي الدعاة عبد

(١) - السابق (١٣/٢٠٢).

(٢) - السابق (١٣/٢٠٣).

الجابر بن إسماعيل بن عبد القوي، والواعظ زين الدين بن نجا، فوشى ابن نجا بخبرهم إلى السلطان،

وسأله أن

ينعم عليه بجميع ما لابن كامل الداعي من الدور والموجود كله، فأجيب إلى ذلك؛ فأحيط بهم وشنقوا..

وتتبع - أي صلاح الدين - من له هوى في الدولة الفاطمية، فقتل كثيراً وأسر كثيراً، ونودي بأن يرحل

كافة الأجناد وحاشية القصر، وزاجل السودان إلى أقصى بلاد الصعيد، وقبض على رجل يقال له قديد

بالإسكندرية من دعاة الفاطميين يوم الأحد خامس عشر من رمضان^(١).

وبرغم قتل الخائنين المتآمرين إلا أن الفرنجة جاءوا حسب المكاتبة.

قال المقرئزي: " وفيها نزل أسطول الفرنج (٢) بصقلية على ثغر الإسكندرية لأربع بقين من ذي الحجة بغتة وكان الذي جهز هذا الأسطول غالياً بن رجار متملك صقلية ولي بعد أبيه في سنة ٥٦٠ هـ.. ولما أرسى هذا الأسطول على البر أنزلوا من طرائدهم ألفاً وخمسمائة فرس، وكانت عدتهم ثلاثين ألف مقاتل، ما بين فارس وراجل وعدة السفن التي تحمل آلات الحرب، والحصار ست سفن والتي تحمل الأزواد والرجال أربعين مركباً فكانوا نحو الخمسين ألف راجل، ونزلوا على البر مما يلي المنارة، وحملوا على المسلمين حتى أوصلوهم إلى السور، وقتل من المسلمين سبعة، وزحفت مراكب الفرنج إلى الميناء، وكان بها مركب المسلمين فغرقوا منها، وغلبوا على البر وخيموا به، فأصبح لهم على البر ثلاثمائة خيمة، وزحفوا لحصار البلد، ونصبوا ثلاث دبابات بكباشها وثلاثة مجانيق كبار تضرب بحجارة

(١) - السلوك لمعرفة دولة الملوك (١/٥٣، ٥٤).

(٢) - قال د/ محمد مصطفى زيادة في تعليقه على السلوك: "وهذه الحملة البحرية كانت دليلاً للمؤامرة الثورية التي قام بتدبيرها عمارة اليمني، وقد تقدم أن المتآمرين كاتبوا الفرنج - ولم كن حاكم صقلية يعلم بما حاق بالمتآمرين، فبعث مراكبه حسب الاتفاق المبيت معهم (١٠/٥٥).

سود عظيمة، وكان السلطان - صلاح الدين - على فاقوس، فبلغه الخبر ثالث يوم نزول الفرنج؛ فشرع في تجهيز العساكر وفتحت الأبواب وهاجم المسلمون الفرنج وحرقوا الدبابات، وأيدهم الله بنصره.. وقتل كثير من الفرنج، وغنم المسلمون من الآلات والأمتعة والأسلحة ما لا يُقدر على مثله إلا بعناء، وأقلع باقي الفرنج في مستهل سنة سبعين^(١). أرايت كم حجم الخيانة ومقدارها لولا أن مَنَّ الله على صلاح الدين ورجاله ونصرهم، وبالطبع كما قال المقرئزي بعد عناء وأرواح ودماء أسيلت، وما هذا إلا بفعل الشيعة. ولم تكد تمضي هذه السنة ٥٦٩هـ وتدخل سنة ٥٧٠هـ حتى دبر الشيعة خيانة أخرى لإقامة الدولة الفاطمية والفتك بصلاح الدين.

قال المقرئزي: "... وفيها جمع كنز الدولة والي أسوان العرب والسودان وقصد القاهرة يريد إعادة الدولة

الفاطمية، وأنفق في جموعه أموالاً جزية، وانضم إليه جماعة ممن يهوى هواهم، فقتل عدة من أمراء صلاح الدين، وخرج في قرية طود رجل يعرف بعباس بن شادي، وأخذ بلاد قوص، وانتهب أموالها؛ فجهاز السلطان

صلاح الدين أخاه الملك العادل في جيش كثيف ومعه الخطير مهذب بن مماتي فسار وأوقع بشادي وبدد

جموعه
وقتله.

ثم سار فلقية كنز الدولة بناحية طود، وكانت بينهما حروب فر منها كنز الدولة بعد ما قتل أكثر عسكره، ثم قتل كنز الدولة في سابع صفر، وقدم العادل إلى القاهرة...^(٢).

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك (١/٥٥/٥٦).

(٢) المرجع السابق (١/٥٧، ٥٨).

ولم تكن هذه الخيانة مجرد مؤامرة للفتك بصلاح الدين السني الذي أزال دولة الشيعة في مصر، وإنما ترتب عليها أن استفحل خطر الفرنجة في بلاد الشام، وعندما عزم السلطان صلاح الدين على التوجه إليهم كان من أهم معوقاته خيانة الشيعة له في داخل سلطنته بمصر.

قال ابن كثير رحمه الله:

"استهلت سنة ٥٧٠هـ والسلطان الملك الناصر صلاح الدين بن أيوب قد عزم على الدخول إلى بلاد الشام لأجل حفظه من الفرنج، ولكن دهمه أمر شغله عنه، وذلك أن الفرنج قدموا إلى الساحل المصري في أسطول لم يسمع بمثله في كثرة المراكب وآلات الحرب والحصار والمقاتلة.

ومما عوق الملك الناصر عن الشام أيضاً رجلاً يعرف بالكنز سماه بعضهم عباس بن شادي، وكان من مقدمي الديار المصرية والدولة الفاطمية، كان قد استند إلى بلد يقال له أسوان، وجعل يجمع عليه الناس فاجتمع عليه خلق كثير من الرعاع من الحاضرة والغربان وكان يزعم أنه سيعيد الدولة الفاطمية ويدحض الأتابكة التركية." (١).

لما زالت دولة بني بويه (الشيعة) وبادت، جاء بعدهم قوم آخرون من الأتراك السلاجقة الذين يحبون أهل السنة ويوالونهم، ويرفعون قدرهم. والله المحمود أبداً على طول المدى (٢) وقاموا بنصرة السنة، وإخماد الرفض وأهله، ولكن هذه الدولة السنية لم تسلم من خيانات الشيعة وغدرهم.

ففي سنة ٤٥٠هـ جاء البساسيري الرافض الخبيث بجيوش إلى بغداد مقر السلطان السلجوقي طغرل بك - وكان غائباً عنها - ومعه الرايات البيض المصرية، وعلى رأسه أعلام مكتوب عليها اسم المستنصر بالله الفاطمي، فتلقاه أهل الكرخ الرافضة، وسألوه أن يجتاز من عندهم، فدخل الكرخ وخرج إلى مشرعة الزوايا فخيم بها والناس إذ ذاك في مجاعة شديدة، ونهب أهل الكرخ الروافض دور أهل السنة بالبصرة وتملك أكثر السجلات

(١) البداية والنهاية (٢٨٧/١٢ ، ٢٨٨).

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية (١٢ / ٦٨ ، ٦٩).

والكتب الحكمية، بعد ما نهب دار قاضي القضاة الدامغاني، وبيعت للعطارين، وأعادت الروافض الآذان بحج على خير العمل في نواحي بغداد، وخطب ببغداد للمستنصر بالله العبيدي، وضربت له السكة وحوصرت دار الخلافة، ثم نهبت والروافض في غاية السرور، وانتقم البساسيري من أعيان أهل السنة ببغداد فأخذ الوزير ابن المسلمة الملقب برئيس الرؤساء وعليه جبة صوف، وطرطور من لبد أحمر، وفي رقبتة مخنقة، وأركب جملاً أحمر وطيف به البلد وخلفه من يصفعه بقطعة من جلد، وحين مر على الكرخ - دور الرافضة - نثروا عليه خلقان المداسات، وبصقوا في وجهه، ولعنوه وسبوه.. ثم لما فرغوا من التطوف به جيء به إلى المعسكر؛ فألبس جلد ثور بقرنيه وعلق بكلوب في شدقيه، ورفع إلى الخشبة فجعل يضرب إلى آخر النهار؛ فمات رحمه الله وكان آخر كلامه "الحمد لله الذي أحياني سعيداً، وأماتني شهيداً" (١)

وقد أصبحت بلاد الشام مسرحاً للمنازعات بين السلاجقة "الذين هم من أهل السنة" والفاطميون "الشيعة" مما أدى إلى تفكك وحدة المسلمين ومهد الطريق أمام الصليبيين لغزو بلاد الشام في يسر وسهولة، حيث وصلوا إلى أطرافها في سنة ٤٩٠ هـ.

وتبرز هنا خيانات الفاطميون فقد أرسل بدر الجمالي وزير المستعلي - الفاطمي الشيعي - سنة ٤٩٠ هـ سفارة من قبله إلى قادة الحملة الصليبية الأولى تحمل عرضاً خلاصته أن يتعاون الطرفان للقضاء على السلاجقة في بلاد الشام، وأن تقسم البلاد بينهما بحيث يكون القسم الشمالي من الشام للصليبيين في حين يحتفظ الفاطميون بفلسطين.

ولما كان هدف الصليبيين هو السيطرة على بيت المقدس فقد كان ردهم غامضاً واكتفوا ببث شعور الطمأنينة في نفوس الفاطميون واكتشفوا بذلك ضعف المسلمين وتفككهم.

ولما قام الأمير "كربوق" صاحب الموصل - من قبل السلاجقة بتجهيز قوة لمنع سقوط أنطاكية بيد الصليبيين وقف الفاطميون موقف المتفرج، ولم يكتفوا بذلك بل استغلوا هذه

(١) البداية والنهاية (٧٦/١٢-٧٩) بتصرف وإيجاز.

الفرصة فسيروا جيشاً إلى بيت المقدس الذي كان بيد السلاجقة وحاصروه، ونصبوا عليه أكثر من أربعين منجنيقاً حتى تهدمت أسواره وسيطروا عليه (١). واستغل زعماء الشيعة الإسماعيلية الخلاف بين بعض السلاطين السلاجقة في نحو سنة ٤٨٨هـ، وتقربوا من رضوان بن تاج الدولة تتش الذي كان على بلاد الشام، وحصلوا عنده على مكانة مرموقة فتشيع لأرائهم، ولم يعبأ بما أحرزه الصليبيون من انتصارات واستيلاء على بعض بلاد الإسلام في آسيا الصغرى (٢) فقد استولوا على أنطاكية سنة ٤٩١هـ ثم سيطروا على المعرة عام ٤٩٢هـ ثم واصلوا سيرهم إلى جبل لبنان؛ فقتلوا من به من المسلمين، ثم نزلوا إلى حمص فهادنهم صاحبها على مال يدفعه.

قال ابن كثير رحمه الله:

في جمادى الأولى سنة ٤٩١هـ ملك الفرنجة أنطاكية بعد حصار شديد بمواطأة بعض المستحفظين على الأبراج وهرب صاحبها.. ولما بلغ الخبر الأمير كربوق صاحب الموصل جمع عساكر كثيرة واجتمع عليه دقاق صاحب دمشق وجناح الدولة صاحب حمص وغيرهما، وسار إلى الفرنج فالتقوا معهم بأرض أنطاكية فهزمهم الفرنج، وقتلوا منهم خلقاً كثيراً، وأخذوا منهم أموالاً جزیلة، ثم صارت الفرنج إلى معرة النعمان؛ فأخذوها بعد حصار ولا حول ولا قوة إلا بالله" (٣).

دورهم في الحرب على الدولة العثمانية (السنية):

لقد كان دور الرافضة مؤثراً وخطيراً في عدائهم للدولة العثمانية ممثلاً بالدولة الصفوية التي كانت تحكم إيران آنذاك واليكم مقتطفات عن هذا الدور الشائن والقذر على مدى سنين طويلة من عمر هذه الدولة:

(١) تحالف الرافضة مع البرتغاليين ضد الدولة العثمانية أيام إسماعيل الصفوي:

(١) د/ أنس أحمد كرزون: نور الدين محمود زكي القائد المجاهد

(٢) زبدة الحلب (١٤٥/٢).

(٣) البداية والنهاية (١٥٥/١٢).

ابتداءً يعد نسب الصفويين إلى صفى الدين الأردبيلي، (٦٥٠-٧٣٥ هـ / ١٢٥٢-١٣٤٣ م) وهو الجد الأكبر للشاه إسماعيل الصفوي مؤسس الدولة الصفوية. استطاع الشيخ صفى الدين عن طريق إحدى الفرق التي تزعمها أن يشق طريقه في المجتمع الإيراني وأشيع أن صفى الدين وأولاده ينتمون إلى علي بن أبى طالب، وقد لجأ صفى الدين إلى التقيّة إذ كان يظهر بأنه سنّي الاتجاه ومن اتباع المذهب الشافعي.

ولما تمهدت السبل أمام هذه الدعوة (الشيعية) أعلن أحد أحفاده إسماعيل الصفوي هذه الدعوة بعد أن فرض المذهب الشيعي على أهل إيران الذين كانوا في غالبيتهم من أهل السنة وأعلن المذهب الشيعي مذهبا رسميا وذلك بالقوة والبطش وإرهاب الناس ولم يكتف بذلك بل نقل دعوته الشريرة الباطلة إلى الأقاليم المجاورة وافتتح ممالك العجم جميعها وكان يقتل من ظفر به وما نهبه من الأموال قسمه بين أصحابه ولا يأخذ منه شيئا ومن جملة ما ملك تبريز وأذربيجان وبغداد وعراق العجم وعراق العرب وخرا سان وكاد أن يدّعي الربوبية وكان يسجد له عسكره ويأتمرون بأمره.

قال قطب الدين الحنفي في الأعلام: "أنه قتل زيادة على ألف ألف نفس، وقتل عدة من أعظم العلماء بحيث لم يبق من أهل العلم أحد من بلاد العجم وأحرق جميع كتبهم ومصاحفهم وكان شديد الرفض..."^(١)

ولقد تزعم الشاه إسماعيل المذهب الشيعي وحرص على نشره ووصلت دعوته إلى الأقاليم التابعة للدولة العثمانية وكانت الأفكار والعقائد التي تنشر في تلك الأقاليم يرفضها المجتمع العثماني السني حيث كان من عقائدهم الفاسدة تكفير الصحابة، لعن العصر الأول، تحريف القرآن الكريم، وغير ذلك من الأفكار والعقائد فكان من الطبيعي أن يتصدى لتلك الدعوة السلطان سليم زعيم الدولة السنية فأعلن في اجتماع لكبار رجال الدولة والقضاة ورجال السياسة وهيئة العلماء في عام ٩٢٠ هـ ١٥١٤ م أن إيران بحكومتها الشيعية ومذهبها الشيعي يمثلان خطرا جسيما لا على الدولة العثمانية بل على العالم الإسلامي كله وانه لهذا

(١) - الإسلام في آسيا منذ الغزو المغولي ص ٢٤٠/

يرى الجهاد المقدس ضد الدولة الصفوية وكان رأي السلطان سليم هو رأي علماء أهل السنة في الدولة، لقد قام الشاه إسماعيل عندما دخل العراق بذبح المسلمين السنيين على نطاق واسع ودمر مساجدهم ودمر مقابرهم...^(١).

واسمع معي أخي القارئ لهذا الكلام النفيس الذي صدر عن السلطان سليم في رسالته إلى الشاه إسماعيل يتوعده ويتهدهه بكل عزة وإباء: (إن علماءنا ورجال القانون قد حكموا عليك بالقصاص يا إسماعيل بصفتك مرتداً، وأوجبوا على كل مسلم حقيقي أن يدافع عن دينه وإن يحطم الهراطقة في شخصك أنت وأتباعك البلهاء ولكن قبل أن تبدأ الحرب معكم فإننا ندعوكم لحضيرة الدين الصحيح قبل أن نشهر سيوفنا وزيادة على ذلك فإنه يجب عليك أن تتخلى عن الأقاليم التي اغتصبته منا اغتصاباً ونحن حينئذ على استعداد لتأمين سلامتك)^(٢)، بل جاء في خطاب آخر مشابه بعد أن قدم للتعريف بنفسه: (أنا الملك الهمام السلطان سليم خان ابن السلطان الأعظم مراد خان، أتنازل بتوجيه إليك أيها الأمير إسماعيل يا زعيم الجنود الفارسية... وإذ أفتى العلماء والفقهاء الذين بين ظهرانينا بوجوب قتلك ومقاتلة قومك فقد حق علينا أن ننشط لحربك ونخلص الناس من شرك)^(٣).

وهكذا وبفضل الله تعالى انتصر المسلمون على الجيش الصفوي في معركة جالديران ودخل تبريز منتصراً، وعاد سليم الأول بعد أن استولى على الكثير من الأقاليم التي كانت محتلة بأيدي الصفويين، وهنا يجيء الدور الخياني للرافضة بعد أن ديست هيتهم بالأقدام وخسروا معركتهم مع أهل الحق، راحوا يتواطئون مع النصارى ضد المسلمين وأقاموا تحالفاً مع البرتغاليين ضد الدولة العثمانية السنية وكانت الاتفاقية بينهم تنص على: (أن يقدم البرتغال أسطوله ليساعد الفرس في غزو البحرين والقطيف كما يقدم البرتغال المساعدة

(١) - عوامل نهوض وسقوط الدولة العثمانية / د. علي محمد الصلابي

(٢) - جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس / ٤٣٥

(٣) - جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس / ٤٣٥

للساه إسماعيل لقمع الثورة في مكران وبلوچستان وان يكون الشعبان البرتغالي والفارسي اتحادا ضد العثمانيين^(١).

ووصلت ثقة أعداء الإسلام بالرافضة أن وجه البوكيرك إلى الساه إسماعيل الصفوي الرسالة التالية: (أنى أقدر لك احترامك للمسيحيين في بلادك، وأعرض عليك الأسطول والجند والأسلحة لاستخدامها ضد قلاع الترك في الهند وإذا أردت أن تنقض على بلاد العرب أو تهاجم مكة فستجدني بجانبك في البحر الأحمر أمام جدة أو في عدن أو في البحرين أو القطيف أو البصرة وسيجدني الساه بجانبه على امتداد الساحل الفارسي وسأنفذ له كل ما يريد)^(٢). وقد تضمن مشروع التحالف البرتغالي الصفوي تقسيم المشرق العربي إلى مناطق نفوذ بينهما حيث اقترح أن يحتل الصفويون مصر والبرتغاليون فلسطين^(٣) (بل إن الساه لم يتوقف عن البحث عن حلفاء ضد الدولة العثمانية التي أصبحت القوة الكبرى التي تحول بينه وبين الوصول إلى البحر المتوسط وكان مستعدا لأن يتحالف حتى مع البرتغاليين أشد القوى خطرا على العالم الإسلامي حينذاك، وهكذا بينما كان البرتغاليون يخشون وجود جبهة إسلامية قوية ضدهم في المياه الإسلامية، وجدوا أن هناك من يريد أن يتعاون معهم، فلا غرو أن وافق الساه أن تظل هرموز تحت السيطرة البرتغالية في مقابل حصوله على الإحساء)^(٤).

٢) تحالف الرافضة مع النصارى ضد الدولة العثمانية أيام عباس الصفوي:

انتهز الساه عباس الصفوي اضطراب الدولة العثمانية وباشير في تخليص عراق العجم واحتل تبريز ووان وغيرهما واستطاع أن يحتل بغداد، وقد أنزل الساه عباس الصفوي

(١) - فتح العثمانيين عدن ، ص ١١٣

(٢) - جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس، ص ٤٣٧

(٣) - قراءة جديدة في تاريخ العثمانيين، ص ٦٣

(٤) - المصدر السابق (ص ٦٤)

أقصى العقوبات بأعداء الدولة من السنة فإما أن يقتلوا أو تسمّل عيونهم ولم يكن يتسامح مع أي منهم إلا إذا تخلى عن مذهبه السني وأعلن ولاءه للمذهب الشيعي^(١)

ولقد بالغ الشاه عباس الصفوي في عداؤه للمذهب السني واتصل بملوك المسيحيين وإمعانا في ضرب الدولة العثمانية حامية المذهب السني فقد عقد اتفاقات تعاون مشترك معهم من أجل تقويض أركان الدولة العثمانية السنية وعامل الشاه عباس الصفوي المسيحيين في إيران معاملة حسنة على عكس معاملته للسنة وقد كان لمعاملته المتميزة للمسيحيين أن نشطت الحركة التنصيرية في إيران وأصبحت إيران سوق رائجا للتجارة الأوربية، لقد توج تسامحه مع المسيحيين بان أعلن في عام ١٠٠٧هـ / ١٥٩٨م أوامره بعدم التعرض لهم والسماح لهم بحرية التجول في ربوع الدولة الصفوية^(٢)

ولقد جامل الشاه عباس الصفوي المسيحيين وشرب معهم الخمر احتفالا بأعيادهم كما انه سمح لم بالتبشير بالمسيحية في داخل إيران وأعطاهم امتيازات ببناء الكنائس في كبرى المدن الإيرانية وهذه المعاملة للمسيحيين كانت نكايّة في الدولة العثمانية السنية^(٣)

تعاون الشيعة مع اليهود حقيقة لا وهم: قال الأستاذ/ عبد الله محمد الغريب: "تعاون الشيعة مع العدوالصهيوني في جنوب لبنان حقيقة ثابتة وليس أسطورة اخترعها خصوم الرافضة، فلقد تحدثت الصحف

ووكالات الأنباء المحلية والعالمية عن هذا التعاون ولمسه المسلمون والنصارى في الجنوب لمس اليد واعترف به الطرفان الشيعي واليهودي".

قالت وكالة رويتر في تقرير لها من النبطية في ١ / ٧ / ١٩٨٢: "إن القوات الصهيونية التي احتلت البلد سمحت لمنظمة أمل بأن تحتفظ بالمليشيات الخاصة التابعة لها وبجمل جميع ما لديها من أسلحة. وصرح أحد قادة مليشيات منظمة أمل ويدعى حسن مصطفى أن هذه الأسلحة ستستخدم في الدفاع عنا ضد الفلسطينيين، وبعد أن أعلنت إسرائيل عن عزمها

(١) - الإسلام في آسيا، د. محمد نصر مهنا، ص ٢٤٩، ٢٥٠

(٢) - عوامل نهوض وسقوط الدولة العثمانية / د. علي محمد الصلابي، ص ٣٦٢، ٣٦١

(٣) - الإسلام في آسيا، ص ٢٥٣

الانسحاب من لبنان ضاعفت منظمة أمل من مطاردتها للقوات الفلسطينية في بيروت الغربية والجنوبية، وفي جنوب لبنان، وكانت ادعاءات إسرائيل ضد منظمة التحرير الفلسطينية تشبه ادعاءات أمل، فهل تتم مثل هذه الأمور بشكل عفوي بين الطرفين؟

تجيبنا على هذا السؤال صحيفة (الجروزاليم بوست) في عدد لها بتاريخ ٢٣ / ٥ / ١٩٨٥: " إنه لا ينبغي تجاهل تلاقي مصالح أمل وإسرائيل، التي تقوم على أساس الرغبة المشتركة في الحفاظ على منطقة جنوب لبنان وجعلها منطقة آمنة خالية من أي هجمات ضد إسرائيل، إن إسرائيل ترددت حتى الآن في تسليم أمل مهمة الحفاظ على الأمن والقانون على الحدود بين فلسطين ولبنان، وإن الوقت قد حان لأن تعهد إسرائيل إلى أمل بهذه المهمة". كما يجيبنا على هذا السؤال رئيس الاستخبارات العسكرية اليهودية إيهود براك حيث يقول: " إنني على ثقة تامة من أن أمل ستكون الجبهة الوحيدة المهيمنة في منطقة الجنوب اللبناني، وأنها ستمنع رجال المنظمات والقوى الوطنية اللبنانية من التواجد في الجنوب والعمل ضد الأهداف الإسرائيلية".

ويجيبنا على السؤال - أيضاً- وزير الخارجية السويدي (بيير أوبرت) الذي أكد في جنيف في ٢٤ / ٦ / ١٩٨٥ أنه نقل رسالة من رئيس حركة أمل نبيه بري إلى القيادة الإسرائيلية. إلا أنه رفض إعطاء تفاصيل عن الرسالة ^(١).

وفي تقرير نشرته مجلة الأسبوع العربي بتاريخ ٢٤ / ١٠ / ١٩٨٣ عن مقابلة أجرتها المجلة مع حيد الداخ أحد قادة أمل في الجنوب جاء فيه:

"وصلنا إلى معسكر حيدر الداخ، وكانت عناصره ترتدي الثياب العسكرية وتحمل الأسلحة، بعضهم لم يتجاوز العشرين وبعضهم أطلق لحيته فأدركنا عندئذ أن هذه العناصر من أفراد الجيش الشيعي، وأن إسرائيل هي التي تدربهم، خصوصاً عندما شاهدنا على بعد أمتار قليلة من المعسكر (فيلا) يتمركز فيها الإسرائيليون .. وكان أحد الإسرائيليين بين الحين والآخر يرفع منظاره إلى عينيه ويحدق في الوجوه.

(١) - وجاء دور المجوس (١٦٠/٢-١٦٢) بإيجاز.

أقربنا من حيدر الداخ في وسط المعسكر، وقد رفع العالم اللبناني وقد كتبت بعض السيارات (قوات كربلاء) وسألنا حيدر عن سبب التسمية فقال: موقعة كربلاء لها مدلولات كثيرة في نظري، هي مأساة الإمام الحسين الذي حارب الظلم، ونحن نحارب الظلم، وفي رأي أن لبنان كله يمر بكربلاء حاليًا، لأن موقف لبنان مثل موقف الحسين بكربلاء، كان أعداء الإمام كثيرين والأصدقاء تخلوا عنه، وهكذا لبنان، لذلك نسترشد بالإمام الحسين ونمشي على خطاه.

وسألنا: أحد عساكر الداخ عن سبب حمله السلاح فأجاب: إن السبب في حملي السلاح يعود إلى المخاطر التي تتعرض لها الطائفة الشيعية وإلى التفتت الذي قد يعترضها في المستقبل.

وسألنا حيدر الداخ: هل تعتبر أن تسميتكم الجيش الشيعي تعود إلى أن عناصركم من الطائفة الشيعية؟ فقال: نحن في منطقة شيعية وجميع عناصري (أولاد الجنوب اللبناني) هم من الطائفة الشيعية، لكن هذا لا يعني أننا طائفيون، بل ليس لدينا أي بعد أو تفكير طائفي، يا أخي إذا كنا شيعة ماذا نفعل؟ هل نغير هويتنا؟ هل نغير طائفنا كي نرضي بعض الناس؟ نحن لا يمكن أن نتخلى عن هذه الهوية، ولا يمكن أن نكر بأننا إسلام.

ثم يمضي الداخ في حديثه: " كل الناس تعلم والحكومة أيضًا بأننا نحمل السلاح منذ بداية الأحداث، وخضنا المعارك ضد الإرهاب الفلسطيني وضد التجاوزات التي كانت تحدث في الجنوب".

ثم يثني على إسرائيل فيقول: " كنا نحمل السلاح قبل دخول إسرائيل إلى الجنوب، ومع ذلك فإنها فتحت لنا يدها وأحبت أن تساعدنا فقامت باقتلاع الإرهاب الفلسطيني من الجنوب وغيرها ولن نستطيع أن نرد لها الجميل ولن نطلب منها أي شيء لكي لا نكون عبئًا عليها" ^(١).

(١) — وجاء دور المجوس (١٦٣/٢ - ١٦٥).

وأرجو بعد نقل هذه الدلائل على خيانة القوم وتعاونهم مع العدو الصهيوني أن يفيق كل مسلم يرى بعض الفصائل الشيعية في لبنان كحزب الله وهي تحارب إسرائيل فيخدع بمواقفها، إن الأمر لا يعدو أن يكون مجرد دفاع قومي أو وطني تتأجج ناره وتحمد حسب تقلبات السياسة، فمتى غضبت عليهم إسرائيل حصل التصادم، ومتى رضيت أخذت النار، وفي الأمر من الخفايا ما سينكشف إن شاء الله ربنا، وربما لأجيال من بعدنا.



حول خيانة الشيعة في الحرب الأمريكية على العراق

لم تزل روح التذمر والسخط موجودة عند الشيعة في العراق فهي لا تبرح صدورهم، ومع طلعة كل شمس كانوا يتطلعون إلى إعلان دولة الشيعة في العراق أو التوحيد مع أم الشيعة إيران، وهذا لا يكون إلا بالإطاحة بالنظام الحاكم والتخلص من قيوده. وبمجرد ما واتتهم الفرصة عندما أعلنت أميركا وبريطانيا الحرب على العراق بحجة محاربة الإرهاب وإحلال الديمقراطية، وجد الشيعة لهم متنفساً للتخلص من نظام صدام حسين. وظهرت خيانتهم في أنهم لم يشاركوا في المقاومات التي قام بها سواء الجيش أو الشعب العراقي ضد هذا العدو الغازي، ووقفوا موقف المتفرج، ومن يدري لعلهم أعانوا العدو الصليبي وأمدوه بما استطاعوا من المعلومات كما فعل ابن العلقمي والطوسي قديماً أيام التتار.

وعندما سقطت بغداد خرج الشيعة في الشوارع كالكلاب المسعورة يخطفون وينهبون ويخربون حتى المستشفيات. وكل هذا في ظل نظام حماية سادتهم الأمريكيين. واستغل العدو الأمريكي هذه المناظر التي أحدثها الشيعة في العراق في إظهار نفسه بدور المنقذ المخلص لهذا الشعب المضطهد.

والواقع أننا في الوقت الحالي أمام مشكلة معلوماتية يعرف منها حقيقة الأمر تفصيلاً، وذلك لما اكتنف هذه الحرب من غموض، ولكن يوماً سنكشف إن شاء الله هذا الغموض، إما لنا وإما لأجيال بعدنا ليؤكد الحقيقة التي لا تستبعد على القوم وهي تأمرهم وخيانتهم. ومن بعض المقتطفات الإخبارية يمكن أن نرى كيف أن الشيعة كانوا متطلعين إلى زوال النظام العراقي وإحلال نظام شيعي محله أو تكون فيه أغلبية شيعية.

والطريف في هذا ما أعلن عن عودة كثير من القادة الشيعيين الذي كانوا قد نفاهم نظام صدام لإحداثهم الشغب وإشعال الثورة في البلاد وتركيزهم بعد العودة على المطالبة بأن تضم الحكومة الجديدة الانتقالية التي أزمعت أميركا تشكيلها أكبر عدد من رجال الحوزة الدينية الشيعية.

نشرت جريدة الأهرام المصرية بتاريخ ١٢ / ٧ / ٢٠٠٣ بأن محمد باقر الحكيم رئيس المجلس الأعلى للثورة الإسلامية (شيوعي) عاد إلى العراق وعندما طرحت أمريكا تشكيل مجلس مؤقت لإدارة العراق اشترط ضم أكبر عدد ممكن من الشيعة للمجلس ليشكلوا غالبية مريحة من الأعضاء، على أن توضع صيغة مكتوبة تنص على صلاحيات المجلس التنفيذية كضمان لعدم التراجع.

وأن يتولى رئاسة المجلس الجديد مسعود البرزاني (شيوعي).
وفي ذات الجريدة في نفس العدد:

"ذكرت أن الإمام المهدي مدرسي من أبرز علماء الشيعة العراقيين قد عاد إلى بغداد في يوم ١١ / ٧ / ٢٠٠٣ بعد غياب ٣٠ سنة قضاها في المنفى.. ألقى مدرسي خطبة أمام أنصاره بمسجد الكاظمية في شمال بغداد طالب فيه بضرورة تنصيب حكومة منتخبة بالعراق بأسرع وقت ممكن وأكد أن حقوق الأقليات في العراق سوف تكون مكفولة إذا وصلت إلى السلطة حكومة تمثل غالبية أبناء الشعب".

أرأيت كيف ينظر الشيعة إلى السنة على أنهم أقلية، ويدعي أن حقوقهم ستكون مكفولة عند تشكيل حكومة غالبيتها من الشيعة!!

وفي نفس العدد: "ذكر تومي فرانكس القائد السابق للقيادة المركزية الأمريكية أن هناك عناصر إيرانية تنشط في العراق وتحاول التأثير على مجريات الأحداث وأوضح أن هناك رجال دين مدعومين من إيران يشاركون في الحوار السياسي في إطار الطائفة الشيعية كما أن أجهزة المخابرات الإيرانية تنشط في الجنوب العراقي لكن دون تقديم أي دعم عسكري ضد الجنود الأمريكيين".

إنهم ينشطون لجني ثمار الخيانة، ولا يعترضون على العدو الأمريكي!!

وفي جريدة الأهرام - أيضاً - بتاريخ ٢٢ / ٦ / ٢٠٠٣ ذكرت أن حشدًا كبيرًا من الشيعة في العراق شكلوا مظاهرة سلمية توجهوا بها إلى مقر القيادة الأمريكية البريطانية، وقدم ممثلون عنهم عريضة يطالبون فيها بسرعة تشكيل حكومة عراقية وإقامة مجالس محلية وحكومية تحت إشراف الحوزة الدينية الشيعية.

ونظم المظاهرة أنصار مقتدى الصدر نجل الإمام آية الله محمد صادق الصدر الذي اغتيل في عام ١٩٩٥ في النجف.

وفي جريدة الأهرام - أيضاً - بتاريخ ١٦ / ٥ / ٢٠٠٣ ذكرت أنه تظاهر نحو ٥٠٠ عراقي في بغداد للمطالبة بإقامة حكومة إسلامية وأعلنوا رفضهم قيام أي حكومة علمانية تشكلها الولايات المتحدة وطالب المتظاهرون الذين يمثلون الحوزة الشيعية في مدينة النجف بمنع العراقيين حريتهم في اختيار حكومتهم.

وفي جريدة الأسبوع المصرية بتاريخ ٧ / ٤ / ٢٠٠٣ تحت عنوان: "قادة المعارضة العراقية عملاء مباشرين لإسرائيل" ذكرت أنه عندما أطلقت أمريكا ما أسمته إعادة ترتيب العراق روجت دوائر صهيونية عديدة في أمريكا وإسرائيل على حد سواء لاسم (أحمد الجلي) أحد قادة المعارضة العراقية الواقعيين المعترفين بالكيان الصهيوني وإمكانية تعاونه مع هذا الكيان في وقت لاحق في مرحلة ما بعد إعادة ترتيب العراق.. وكان جلي في إشارة واضحة تبين موقفه من الكيان الصهيوني قد قال في لقاء صحفي نشرته صحيفته (هاآرتس العبرية) من المفضل ألا يقترب منا القادة الإسرائيليون وألا يبحثون عن اتصال، مضيفاً: عليهم ألا يسارعوا إلينا عندما نكون في السلطة- وهذا لتمويه وصرف الأعين عن علاقته بالكيان الصهيوني - وأحمد جلي أحد قادة المعارضة الشيعة يعتبر من وجهة نظر الصهاينة أحد أهم المعارضين المعروفين على الساحة الدولية منذ عام ١٩٩١؛ خاصة بعد فشل التمرد الشيعي في ذلك العام والذي نفي على أثره، علماً بأنه قد قام بزيارات سرية لإسرائيل عدة مرات التقى فيها بعدد من المسؤولين الصهاينة، من أبرزهم (افرايم هاليفي) رئيس المؤسسة الأمنية الإسرائيلية المسماة مجلس الأمن القومي والرئيس السابق لجهاز المخابرات الإسرائيلية الموساد، وليس أحمد جلي فقط هو من يصارع في هذا المجال.. فهناك غيره كثير على هذه الشاكلة أغلبهم يرى نفسه أحق المتآمرين للحصول على أكبر قدر من الغنائم وأهمها كرسي الحكم.

منهم ذلك المعارض الذي يسكن واشنطن (نجيب صالح) أحد الضباط الكبار في الجيش العراقي قبل أن يفر إلى الولايات المتحدة ليقدم بكل ما أوتي من قوة أعداء العراق.

ومنهم - كما جاء في إحدى المجلات البحثية التي يصدرها مركز الدراسات الإسرائيلية عن الحالمين بالحكم في بغداد - الشريف علي بن الحسين من سلالة العائلة الحاكمة التي حكمت العراق قبل الإطاحة بالملكية وإبعادها عن الحكم، وهو يعتقد أن على العراق العودة إلى النظام الملكي.

ومنهم: سعيد صلاح جعفر يقول عنه الإسرائيليون إنه الصديق المخلص لدولة إسرائيل: "أن والد سعيد قد خدمات جليلة لليهود يوم أن كان وزيراً للداخلية بالعراق. ولولا مساعدته لما نجحت حملة تهجير اليهود، ويضيف أن سعيد ورث حب إسرائيل واليهود عن أبيه، وقد هرب إلى لندن ليعمل على توحيد قوى المعارضة العراقية وانتخب رئيساً لبرلمان المنفى خاصة بعد دعم الولايات المتحدة له.

وسعيد صالحى هذا له علاقات قوية جداً مع قادة يهود العالم خاصة داخل أمريكا وبريطانيا وإسرائيل ذلك إلى جانب دعمهم المالي السري كي يستميل أكبر عدد من المعارضة العراقية لصالح إسرائيل".

وفي جريدة الأخبار المصرية بتاريخ ١٣/٧/٢٠٠٣ تحت عنوان: "الشيعة يطالبون أمريكا بتعويضهم عن عقود الاضطهاد تحت حكم صدام": "ذكرت الصحيفة أنه في انعقاد أول جلسة لمجلس الحكم الانتقالي والذي مثل الشيعة فيه ١٣ ممثلاً والسنة ٥، والأكراد ٥، وتركمانى ١، ومسيحي ١، وطالب رئيس المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق محمد باقر الحكيم قوات الاحتلال الأمريكي بتعويض الشيعة عن عقود الاضطهاد، وكان قد صرح لوكالة رويتر بأن شيعة العراق قد ينقلبون ضد قوات الاحتلال إذا لم يحصلوا على تعويض سياسي مناسب عن عقود الاضطهاد التي عانوا خلالها في ظل الحكم السابق".

إن القوم لا يهمهم إلا الصالح الشخصي لهم فقط، فهم يعلنونها صراحة بأنهم لم يعترضوا على الاحتلال إلا إذا لم يلبوا مطالبهم ويقوم بتعويضهم عما أسموه الاضطهاد السياسي، واعتقد أنه سيفعل لأن العدو ماهر في شراء ذمم الخونة.

وفي حين يطالب الشيعة بتعويض عن الاضطهاد السياسي في العقود الماضية كما زعموا^(١) يقاوم أهل السنة الاحتلال الأمريكي البريطاني ويبدلون دمائهم في سبيل الله عز وجل.

وفي تقرير إخباري لجريدة الأخبار بتاريخ ١٣/٧/٢٠٠٣ نشرت صورة لجمع كبير من الناس في مسجد وهو يتبرعون بدمائهم للجرحى المقاومين وكان التعليق تحتها:

”المسلمون السنة في العراق يتبرعون بدمائهم بعد صلاة الجمعة في جامع عبد القادر الجيلاني في بغداد – الصورة للأخبار من أ.ف.ب.“.

وهكذا لو قلبت في وابل الأخبار والنشرات التي تصدر عن الأوضاع في العراق لما أعجزك أن تقف على خيانات الشيعة في العراق والتعامل مع كل الأعداء اليهود والصليبيين ظناً منهم بأنهم هم الذين سيعيدون الحكم للحوزة الشيعية ويعاونوهم في تأسيس دولة شيعية.

ولكن بإذن الله ستظل المقاومة – مقاومة أهل السنة – حتى يرحل الغزاة أو يهلكون ساعتها ستكشف خيانات الخائنين أكثر وأكثر، طال الأمد في تحقيق هذا الهدف أو قصر، والرجاء في الله وحده فهو المستعان.



(١) – لم يكن هذا اضطهاداً، وإنما كان ردّاً على خيانتهم وشغبهم الذي لا ينتهي .

الخطة السرية لآيات إيران في ضوء الواقع الجديد

نشرت رابطة أهل السنة في إيران - مكتب لندن - هذه الرسالة السرية للغاية الموجهة من شورى الثورة الثقافية الإيرانية إلى المحافظين في الولايات الإيرانية

نص الرسالة: (إذا لم نكن قادرين على تصدير ثورتنا إلى البلاد الإسلامية المجاورة فلا شك أن ثقافة تلك البلاد الممزوجة بثقافة الغرب سوف تهاجمنا وتنتصر علينا. وقد قامت الآن بفضل الله وتضحية أمة الإمام الباسلة دولة الإثني عشرية في إيران بعد قرون عديدة، ولذلك فنحن - وبناء على إرشادات الزعماء الشيعة المبجلين - نحمل واجباً خطيراً وثقيلاً وهو تصدير الثورة؛ وعلينا أن نعترف أن حكومتنا فضلاً عن مهمتها في حفظ استقلال البلاد وحقوق الشعب، فهي حكومة مذهبية ويجب أن نجعل تصدير الثورة على رأس الأولويات.

لكن نظراً للوضع العالمي الحالي والقوانين الدولية - كما اصطلح على تسميتها - لا يمكن تصدير الثورة بل ربما اقترن ذلك بأخطار جسيمة مدمرة. ولهذا فإننا خلال ثلاث جلسات وبآراء شبه إجماعية من المشاركين وأعضاء اللجان وضعنا خطة خمسينية تشمل خمس مراحل، ومدة كل مرحلة عشر سنوات، لنقوم بتصدير الثورة الإسلامية إلى جميع الدول المجاورة ونوحد الإسلام أولاً لأن الخطر الذي يواجهنا من الحكام الوهابيين وذوي الأصول السنية أكبر بكثير من الخطر الذي يواجهنا من الشرق والغرب لأن هؤلاء (الوهابيين وأهل السنة) يناهضون حركتنا وهم الأعداء الأصليون لولاية الفقيه والأئمة المعصومين، حتى إنهم يعدون اعتماد المذهب الشيعي كمذهب رسمي دستورياً للبلد أمراً مخالفاً للشرع والعرف، وهم بذلك قد شقوا الإسلام إلى فرعين متضادين.

بناء على هذا: يجب علينا أن نزيد نفوذنا في المناطق السنية داخل إيران، وبخاصة المدن الحدودية، ونزيد من عدد مساجدنا و(الحسينيات) ونقيم الاحتفالات المذهبية أكثر من ذي قبل، وبجدية أكثر، ويجب أن نهىء الجو في المدن التي يسكنها ٩٠ إلى ١٠٠٪ من السنة حتى

يتم ترحيل أعداد كبيرة من الشيعة من المدن والقرى الداخلية إليها، ويقيمون فيها إلى الأبد للسكنى والعمل والتجارة، ويجب على الدولة والدوائر الحكومية أن تجعل هؤلاء المستوطنين تحت حمايتها بشكل مباشر ليتم إخراج إدارات المدن والمراكز الثقافية والاجتماعية بمرور الزمن من يد المواطنين السابقين من السنة - والخطوة التي رسمناها لتصدير الثورة - خلافاً لرأي كثير من أهل النظر، ستثمر دون ضجيج أو إراقة للدماء أو حتى رد فعل من القوى العظمى في العالم، وإن الأموال التي ستنفق في هذا السبيل لن تكون نفقات دون عائد.

طرق تثبيت أركان الدولة: نحن نعلم أن تثبيت أركان كل دولة والحفاظ على كل أمة أو شعب ينبغي على أسس ثلاثة:

الأول: القوة التي تملكها السلطة الحاكمة.

الثاني: العلم والمعرفة عند العلماء والباحثين.

الثالث: الاقتصاد المتمركز في أيدي أصحاب رؤوس الأموال.

إذا استطعنا أن نزلز كيان تلك الحكومات بإيجاد الخلاف بين الحكام والعلماء، ونشتت أصحاب رؤوس الأموال في تلك البلاد ونجذبها إلى بلادنا، أو إلى بلاد أخرى في العالم نكون بلا ريب قد حققنا نجاحاً باهراً وملفتاً للنظر؛ لأننا أفقدناهم تلك الأركان الثلاثة. وأما بقية الشعوب التي تشكل ٧٠ إلى ٨٠٪ من سكان كل بلد فهم أتباع القوة والحكم ومنهمكون في أمور معيشتهم وتحصيل رزقهم من الخبز والمأوى؛ ولذا فهم يدافعون عمن يملك القوة.

ولاعتلاء أي سطح فإنه لا بد من صعود الدرجة الأولى إليه.

وجيراننا من أهل السنة والوهابية هم: تركيا والعراق وأفغانستان وباكستان وعدد من الإمارات في الحاشية الجنوبية ومدخل (الخليج الفارسي)! التي تبدو دولاً متحدة في الظاهر إلا أنها في الحقيقة مختلفة. ولهذه المنطقة بالذات أهمية كبرى سواء في الماضي أو الحاضر كما أنها تعتبر حلقوم الكرة الأرضية من حيث النفط، ولا توجد في العالم نقطة أكثر حساسية منها، ويملك حكام هذه المناطق بسبب بيع النفط أفضل إمكانيات الحياة...

فئات شعوب المنطقة: وسكان هذه البلاد هم ثلاث فئات:

الفئة الأولى: هم البدو وأهل الصحراء الذين يعود وجودهم في هذه البلاد إلى مئات السنين.

الفئة الثانية: هم الذين هاجروا من الجزر والموانئ التي تعتبر من أرضنا اليوم، وبدأت هجرتهم منذ عهد الشاه إسماعيل الصفوي، واستمرت في عهد نادر شاه افشار وكريم خان زند وملوك القاجار وأسرة البهلوي، وحدثت هجرات متفرقة منذ بداية الثورة الإسلامية).

والفئة الثالثة: هم من الدول العربية الأخرى ومن مدن إيران الداخلية.

أما التجارة وشركات الاستيراد والتصدير والبناء فيسيطر عليها في الغالب غير المواطنين الأصليين، ويعيش السكان الداخلون من هذه البلاد على إيجار البنايات وبيع الأراضي وشرائها، وأما أقرباء ذوي النفوذ فهم يعيشون على الرواتب العائدة من بيع النفط. أما الفساد الاجتماعي والثقافي والأعمال المخالفة للإسلام فهي واضحة للعيان. ومعظم المواطنين في هذه البلاد يقضون حياتهم في الانغماس في الملذات الدنيوية والفسق والفجور! وقد قام كثير منهم بشراء الشقق وأسهم المصانع وإيداع رؤوس الأموال في أوروبا وأمريكا وخاصة في اليابان وإنجلترا والسويد وسويسرا خوفاً من الخراب المستقبلي لبلادهم. إن سيطرتنا على هذه الدول تعني السيطرة على نصف العالم.

أسلوب تنفيذ الخطة المعدة: ولإجراء هذه الخطة الخمسية يجب علينا بادئ ذي بدء أن نحسن علاقاتنا مع دول الجوار ويجب أن يكون هناك احترام متبادل وعلاقة وثيقة وصداقة بيننا وبينهم حتى إننا سوف نحسن علاقاتنا مع العراق بعد الحرب وسقوط صدام حسين؛ ذلك أن إسقاط ألف صديق أهون من إسقاط عدو واحد.

وفي حال وجود علاقات ثقافية وسياسية واقتصادية بيننا وبينهم فسوف يهاجر بلا ريب عدد من الإيرانيين إلى هذه الدول؛ ويمكننا من خلالها إرسال عدد من العملاء كمهاجرين ظاهراً ويكونون في الحقيقة من العاملين في النظام، وسوف تحدد وظائفهم حين الخدمة والإرسال.

لا تفكروا أن خمسين سنة تعد عمراً طويلاً؛ فقد احتاج نجاح ثورتنا خطة دامت عشرين سنة، وإن نفوذ مذهبنا الذي يتمتع به إلى حد ما في الكثير من تلك الدول ودوائرها لم يكن وليد خطة يوم واحد أو يومين، بل لم يكن لنا في أي دولة موظفون فضلاً عن وزير أو وكيل أو حاكم، حتى إن الفرق الوهابية والشافعية والحنفية والمالكية والحنبلية كانت تعتبرنا من المرتدين وقد قام أتباع هذه المذاهب بالقتل العام للشيعية مراراً وتكراراً، صحيح أننا لم نكن في تلك الأيام، لكن أجدادنا قد كانوا، وحياتنا اليوم ثمرة لأفكارهم وآرائهم ومساعدتهم وربما لن نكون نحن أنفسنا في المستقبل لكن ثورتنا ومذهبنا باقيان. ولا يكفي لأداء هذا الواجب المذهبي التضحية بالحياة والخبز والغالي والنفيس، بل يتوجب أن يكون هناك برنامج مدروس، ويجب إيجاد مخططات ولو كانت لخمسة عام مقبل فضلاً عن خمسين سنة؛ فنحن ورثة ملايين الشهداء الذين قُتلوا بيد الشياطين المتأسلمين (السنة) وجرت دماؤهم منذ وفاة الرسول في مجرى التاريخ إلى يومنا هذا، ولم تجف هذه الدماء ليعتقد كل من يسمى مسلماً بـ (عليّ وأهل بيت رسول الله) ويعترف بأخطاء أجداده، ويعترف بالتشيع كوارث أصيل للإسلام.

مراحل مهمة في طريقنا:

- أولاً:** ليس لدينا مشكلة في ترويج المذهب في أفغانستان وباكستان وتركيا والعراق والبحرين، وسنجعل الخطة العشرية الثانية هي الأولى في هذه الدول الخمس، وعلى ذلك فمن واجب مهاجريننا - العملاء - المكلفين في بقية الدول ثلاثة أشياء:
- ١- شراء الأراضي والبيوت والشقق، وإيجاد العمل ومتطلبات الحياة وإمكانياتها لأبناء مذهبهم ليعيشوا في تلك البيوت ويزيدوا عدد السكان.
 - ٢- العلاقة والصداقة مع أصحاب رؤوس الأموال في السوق والموظفين الإداريين خاصة الرؤوس الكبار والمشاهير والأفراد الذين يتمتعون بنفوذ وافر في الدوائر الحكومية.
 - ٣- هناك في بعض هذه الدول قرى متفرقة في طور البناء، وهناك خطط لبناء عشرات القرى والنواحي والمدن الصغيرة الأخرى، فيجب أن يشتري هؤلاء المهاجرون العملاء

الذين أرسلناهم أكبر عدد ممكن من البيوت في تلك القرى ويبيعوا ذلك بسعر مناسب للأفراد والأشخاص الذين باعوا ممتلكاتهم في مراكز المدن، وبهذه الخطة تكون المدن ذات الكثافة السكانية قد أُخرجت من أيديهم.

ثانياً: يجب حث الناس (الشيعة) على احترام القانون وطاعة منفذي القانون وموظفي الدولة، والحصول على تراخيص رسمية للاحتفالات المذهبية - وبكل تواضع - وبناء المساجد والحسينيات؛ لأن هذه التراخيص الرسمية سوف تطرح مستقبلاً على اعتبار أنها وثائق رسمية.

ولإيجاد الأعمال الحرة يجب أن نفكر في الأماكن ذات الكثافة السكانية العالية لنجعلها موضع المناقشة في المواقع الحساسة، ويجب على الأفراد في هاتين المرحلتين أن يسعوا للحصول على جنسية البلاد التي يقيمون فيها باستغلال الأصدقاء وتقديم الهدايا الثمينة، وعليهم أن يرغموا الشباب بالعمل في الوظائف الحكومية والانخراط خاصة في سلك الجندية. وفي النصف الثاني من هذه الخطة العشرية يجب - بطريقة سرية وغير مباشرة - استثارة علماء السنة والوهابية ضد الفساد الاجتماعي والأعمال المخالفة للإسلام الموجودة بكثرة في تلك البلاد، وذلك عبر توزيع منشورات انتقادية باسم بعض السلطات الدينية والشخصيات المذهبية من البلاد الأخرى، ولا ريب أن هذا سيكون سبباً في إثارة أعداد كبيرة من تلك الشعوب، وفي النهاية إما أن يلقوا القبض على تلك القيادات الدينية أو الشخصيات المذهبية أو أنهم سيكذبون كل ما نشر بأسمائهم) وسوف يدافع المتدينون عن تلك المنشورات بشدة بالغة وستقع أعمال مريبة) وستؤدي إلى إيقاف عدد من المسؤولين السابقين أو تبديلهم، وهذه الأعمال ستكون سبباً في سوء ظن الحكام بجميع المتدينين في بلادهم؛ وهم لذلك سوف لن يعملوا على نشر الدين وبناء المساجد والأماكن الدينية، وسوف يعتبرون كل الخطابات الدينية والاحتفالات المذهبية أعمالاً مناهضة لنظامهم، وفضلاً عن هذا سينمو الحقد والنفرة بين العلماء والحكام في تلك البلاد؛

وحتى أهل السنة والوهابية سيفقدون حماية مراكزهم الداخلية ولن يكون لهم حماية خارجية إطلاقاً.

ثالثاً: وفي هذه المرحلة حيث تكون ترسّخت صداقة عملائنا لأصحاب رؤوس الأموال والموظفين الكبار، ومنهم عدد كبير في السلك العسكري والقوى التنفيذية وهم يعملون بكل هدوء ودأب، ولا يتدخلون في الأنشطة الدينية، فسوف يطمئن لهم الحكام أكثر من ذي قبل، وفي هذه المرحلة حيث تنشأ خلافات وفرقة وكدر بين أهل الدين والحكام فإنه يتوجب على بعض مشايخنا المشهورين من أهلك تلك البلاد أن يعلنوا ولاءهم ودفاعهم عن حكام هذه البلاد وخاصة في المواسم المذهبية، ويبرزوا التشيع كمذهب لا خطر منه عليهم، وإذا أمكنهم أن يعلنوا ذلك للناس عبر وسائل الإعلام فعليهم ألاّ يترددوا ليلفتوا نظر الحكام ويجوزوا على رضاهم فيقلدوهم الوظائف الحكومية دون خوف منهم أو وجل. وفي هذه المرحلة ومع حدوث تحولات في الموانئ والجزر والمدن الأخرى في بلادنا، إضافة إلى الأرصدة البنكية التي سوف نستحدثها سيكون هناك مخططات لضرب الاقتصاد في دول الجوار. ولا شك في أن أصحاب رؤوس الأموال وفي سبيل الربح والأمن والثبات الاقتصادي سوف يرسلون جميع أرصدتهم إلى بلادنا؛ وعندما نجعل الآخرين أحراراً في جميع الأعمال التجارية والأرصدة البنكية في بلادنا فإن بلادهم سوف ترحب بمواطنينا وتمنحهم التسهيلات الاقتصادية للاستثمار.

رابعاً: وفي المرحلة الرابعة سيكون قد تهيأ أماننا دول بين علمائها وحكامها مشاحنات، والتجار فيها على وشك الإفلاس والفرار، والناس مضطربون ومستعدون لبيع ممتلكاتهم بنصف قيمتها ليتمكنوا من السفر إلى أماكن آمنة؛ وفي وسط هذه المعمة فإن عملاءنا ومهاجريننا سيعتبرون وحدهم حماة السلطة والحكم، وإذا عمل هؤلاء العملاء بيقظة فسيمكنهم أن يتبوؤوا كبرى الوظائف المدنية والعسكرية ويضيّقوا المسافة بينهم وبين المؤسسات الحاكمة والحكام، ومن مواقع كهذه يمكننا بسهولة بالغة أن نشي بالمخلصين لدى

الحكام على أنهم خونة؛ وهذا سيؤدي إلى توقيفهم أو طردهم واستبدالهم بعناصرنا. ولهذا العمل ذاته ثمرتان إيجابيتان: أولاً:

إن عناصرنا سيكسبون ثقة الحكام أكثر من ذي قبل.

ثانياً: إن سخط أهل السنة على الحكم سيزداد بسبب ازدياد قدرة الشيعة في الدوائر الحكومية، وسيقوم أهل السنة من جراء هذا بأعمال مناوئة أكثر ضد الحكم، وفي هذه الفترة يتوجب على أفرادنا أن يقفوا إلى جانب الحكام، ويدعوا الناس إلى الصلح والهدوء، ويشترخوا في الوقت نفسه بيوت الذين هم على وشك الفرار وأملاكهم.

خامساً: وفي العشرية الخامسة فإن الجو سيكون قد أصبح مهياً للثورة؛ لأننا أخذنا منهم العناصر الثلاثة التي اشتملت على: الأمن، والهدوء، والراحة؛ والهيئة الحاكمة ستبدو كسفينة وسط الطوفان مشرفة على الغرق تقبل كل اقتراح للنجاة بأرواحها. وفي هذه الفترة سنقترح عبر شخصيات معتمدة ومشهورة تشكيل مجلس شعبي لتهدئة الأوضاع، وسنساعد الحكام في المراقبة على الدوائر وضبط البلد؛ ولا ريب أنهم سيقبلون ذلك، وسيحوز مرشحونا وبأكثريّة مطلقة على معظم كراسي المجلس؛ وهذا الأمر سوف يسبب فرار التجار والعلماء حتى الخدّمة المخلصين، وبذلك سوف نستطيع تصدير ثورتنا الإسلامية إلى بلاد كثيرة دون حرب أو إراقة للدماء.

وعلى فرض أن هذه الخطة لم تثمر في المرحلة العشرية الأخيرة فإنه يمكننا أن نقيم ثورة شعبية ونسلب السلطة من الحكام، وإذا كان في الظاهر أن عناصرنا - الشيعة - هم أهل تلك البلاد ومواطنوها وساكنوها، لكننا نكون قد قمنا بأداء الواجب أمام الله والدين وأمام مذهبنا، وليس من أهدافنا إيصال شخص معين إلى سدة الحكم - فإن الهدف هو فقط تصدير الثورة؛ وعندئذ نستطيع رفع لواء هذا الدين الإلهي، وأن نُظهر قيامنا في جميع الدول، وستتقدم إلى عالم الكفر بقوة أكبر، ونزين العالم بنور الإسلام والتشيع حتى ظهور المهدي (الموعود). ١.هـ. هذه رسالة سرية واحدة وفقنا الله - تعالى - لنشرها؛ وهناك كتب ورسائل وبحوث مهمة جداً ألفها كبار

بروتوكولات آيات قم

حول الحرمين المقدسين

أولاً: بروتوكولات القتل والتخريب والشرق والاعتقالات

النص " كآني بآمران بين أعين وميسر بن عبد العزيز يآبطان الناس بأسيافهما بين الصفا والمروة " (١)

البروتوكول الذي بين يدي القارئ من نصوصهم السرية المقدسة ولم يظهر إلا في الأزمان المتأخرة (٢) بعد أن صارت لهم قوة وشوكة .

وهو نص خطير، وحلم رافضي قديم، كان الآيات يمنون أتباعهم بحصوله، فكان الروافض يترقبون وقوعه بين حين وآخر، ولا شك بأن هذا النصب وأمثاله يعبر عن تطلعاتهم، ويوصر أحلامهم وأهدافهم في القيام بمآزر دموية في الأمة الإسلامية، وتآثر هذه الفئة الحاكمة لذلك أشرف موقع وهو بيت الله الحرام - كما ترى - فهي تعد الأتباع بمآثر هذه الملحمة في المستقبل حتى تسمى بعض أعينهم الذين يقومون بالقتل لكنها توقف العمل بهذا البروتوكول السري، ريثما تقوم لهم دولة

وكانوا يقولون لأتباعهم بأنه سيكون لهم دولة في آخر الزمان يحققون بواسطتها هذه الأعمال، والخطط، فهم يقولون: " إن دولتنا آخر الدول ... " (٣) . والخطورة الكبرى التي ينبغي أن يعرفها المسلمون جميعاً أن هذا سيجري اليوم تطبيقه بموجب المذهب الجديد لدولة

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج(٥٣)، ص(٤٠) وعزاه إلى الاختصاص للمفيد.

(٢) وقد كان شيوخهم - قديماً - إذا كتبوا في الغيبة صدوروا كتبهم بنصوصهم التي تأمر بآمرهم أسرارهم عن من ليس من أهلها، انظر: - مثلاً - كتاب الغيبة للنعماني، - من شيوخهم في القرن الثالث -، والذي قال في مقدمته " وجعلته أبواباً صدرتها بذكر ما روي في صوت سر آل محمد عن من ليس من أهلها "، الغيبة ص(١٧) .

(٣) الإرشاد المفيد ص(٣٤٤)، أعلام الوري للطبرسي ص(٤٣٢) .

الآيات، فهذا البروتوكول سينفذ بحكم مبدأ عموم ولاية الفقيه، المتضمن نقل أعمال مهديهم إلى الفقيه الشيعي.

ولاشك بأن تحديد موضع القتل العام بالمسجد الحرام وبين الصفا والمروة يدل دلالة أكيدة أن المقصود بالقتل هم المسلمون ؛ بل حجاج بيت الله الحرام، وأن هذا ما يلمنون به ويخططون له .

وما جرى على أرض البلد الطاهر في العام المنصرم (عام ١٤٠٧ هـ) هو فيما يبدو تمهيد لهذه الخطورة، وتخطيط لهذا العمل، ولكن خيب الله سبحانه آمالهم^(١)

٢ - قطع أيدي وأرجل المشرفين على الحرم : (يقول النص : " كيف بكم (يعني الحجة على الكعبة كما يعبر النص) لو قد قطعت أيديكم وأرجلكم وعلقت في الكعبة؛ ثم يقال لكم: نادوا نحن سراق الكعبة " (٢) .

ونص ثانٍ يقول: " إذا قام المهدي هدم المسجد الحرام ... وقطع أيدي بني شعبة وعلقها بالكعبة وكتب عليها هؤلاء سرقة الكعبة " (٣).

ونص ثالث يقول: " يجرّد السيف على عاتقه ثمانية أشهر يقتل هرجاً، فأول ما يبدأ ببني شعبة فيقطع أيديهم ويعلقها في الكعبة، وينادي مناديه هؤلاء سراق الله؛ ثم يتناول قريشاً فلا يأخذ منها إلا السيف ولا يعطيها إلا السيف " (٤).

(١) - هذا ما كان عند الطبعة الأولى للكتاب؛ ثم وقع بعد ذلك في عام ١٤٠٩ هـ حوادث التفجيرات التي ذهبت ضحيتها بعد الحجاج الآمنين، وكشف الله سبحانه الجناة وتبين أن جميعهم من الرافضة تصديقاً لما قلناه عنهم، والله المستعان في الدفاع عن بيته المطهر، وعليه التكلان في كشف شر هؤلاء الزنادقة

(٢) الغيبة للنعماني ص (١٥٦).

(٣) الإرشاد للمفيد ص (٤١١)، وانظر: الغيبة للطوسي ص (٢٨٢).

(٤) الغيبة ص (٢٠٩).

هذه النصوص وضعت في الغالب في القرن الثاني تقريباً إسنادها إلى جعفر المتوفى سنة (١٤٨هـ) ويحتمل أنها موضوعة بعده.

وعلى أية حال فهي تصور الرغبة الكامنة في نفوس هذه الفئة بالانتقام من صلاح المسلمين، وجيل التابعين الذين يجاورون في الحرم، وتخص منهم من يتولى الإشراف على شؤون الحرمين

٣- سرقة أموال الحجاج واغتصابها كلما حانت الفرصة:

يقول النص: " خذ مال الناصب حيثما وجدته وادفع إلينا الخمس ".

ونص ثانٍ قالوا فيه (مال الناصب وكل شيء يملكه حلال) ^(١) لأنهم في منزلة الكفار عندهم .

خطط العدوان على بيت الله الحرام:

١- نزع الحجر الأسود من الكعبة:

يقول النص: " يا أهل الكوفة لقد حباكم الله عز وجل بما لم يحب أحد من فضل، مصلاكم بيت آدم وبيت نوح، وبيت إدريس، ومصلى إبراهيم ... ولا تذهب الأيام والليالي حتى ينصب الحجر الأسود فيه " ^(٢)

٢- هدم الحجرة النبوية، وإخراج الجسدين الطاهرين للخليفين الراشدين، وكسر المسجد النبوي (حسب تعبيرهم).

^(١) تهذيب الأحكام للطوسي (٤٨/٢)، وسائل الشيعة للعالمى (٦٠/١١) .

^(٢) الوافي، للفيض الكاشاني، باب فضل الكوفة ومساجدها، المجلد الثاني، ج(١)، ص(٢١٥) .

٣- يقول النص: (وأجئ إلى يثرب، فأهدم الحجرة، وأخرج من بها وهما طريان، فأمر بهما تجاه البقيع، وأمر بخشبتين يصلبان عليهما، فتورقان من تحتهما، فيفتن الناس بهما أشد من الأولى)^(١).

٤- نص آخر يقول: " هل تدري أول ما يبدأ به القائم، يعني: قائمهم الذي سيتولى خميني

القيام بكافة أعماله بحكم مذهبه في رواية الفقيه، ومنها هذا العمل، وغيره من الأعمال التي ذكرنا نصوصها " أول ما يبدأ به يخرج هذين، يعني: خليفتي رسول الله ﷺ، رطبين غضين فيحرقهما ويذريهما في الريح ويكسر المسجد " ^(٢).

٥- ونص ثالث يقول: " وهذا القائم ... هو الذي يشفي قلوب شيعتك من الظالمين والجاحدين والكافرين فيخرج اللات والعزى (يعنون خليفتي رسول الله أبا بكر وعمر - رَضِيََ اللهُ عَنْهُمَا -) طرين فيحرقهما " ^(٣).

٦- هدم المسجد الحرام والمسجد النبوي : يقرر القوم عبر بروتوكولاتهم بأن
منتظرهم سيقوم بهدم المسجدين الشريفين، ويتستر بدعوى أنه سيردهما إلى أساسهما يقول نصهم: " إن القائم يهدم المسجد الحرام حتى يرده إلى أساسه، ومسجد الرسول ﷺ وآله إلى أساسه " ^(٤).

٧- بروتوكولات للتغيير الفكري :

^(١) بحار الأنوار، ج(٥٣)، ص(١٠٤-١٠٥).

^(٢) بحار الأنوار، ج(٥٢)، ص(٣٨٦).

^(٣) عيون أخبار الرضا (٥٨/١)، بحار الأنوار (٣٤٢/٥٢).

^(٤) الغيبة للطوسي ص(٢٨٢)، بحار الأنوار (٣٣٨/٥٢).

١- محاولة تغيير القرآن الكريم: يقول النص: " كأني بالعجم فساطيطهم في مسجد الكوفة يعلمون الناس القرآن كما أنزل، قلت (الراوي): أوليس كما أنزل فقال: لا، محي منه سبعون من قریش بأسمائهم، وأسماء آباء آبائهم، وما ترك أبو لهب إلا إزرء على رسول الله ﷺ وآله لأنه عمه " (١).

٢- الشريعة الجديدة المنتظرة: تقول بروتوكولاتهم: " إذا قام القائم ... استخرج التوراة وسائر كتب الله تعالى من غاب بأنطاكية حتى يحكم بين أهل التوراة بالتوراة، وبين أهل الإنجيل بالإنجيل، وبين أهل الزبور بالزبور، وبين أهل القرآن بالقرآن ". فهذا القانون (بغض النظر عن الجانب الخرافي في الرواية) يصور ما يطمح إليه شيوخ الروافض مما يشبه إلى حد كبير فكرة الديانة العالمية التي ترفع شعار الماسونية. وهي فكرة إلحادية تقوم أساساً على إنكار الديانات السماوية تحت دعوى حرية الفكر والعقيدة.

كتاب جديد وقضاء جديد يفرضان على الناس بعد الاستيلاء على مكة: في حومة هذه البروتوكولات التي تسعى لتغيير كتاب الله سبحانه، وابتداع شريعة جديدة لم يأذن بها الله، والرجوع إلى حكم داود لا شريعة محمد ﷺ وتطبيق شرائع الأديان لا حكم القرآن . نلتقي بعد ذلك ببروتوكول آخر يعد نتيجة لهذه المقدمات والتغيرات ويتم إعلانه بعد الاستيلاء على مكة المكرمة وهو إلغاء مهديهم (أو نائبه وفق الاتجاه لعمون ولاية الفقيه) لحكم القرآن وإحلال كتاب آخر محله.

يقول النص: " يقوم القائم بأمر جديد، وكتاب جديد، وقضاء جديد، لكأني انظر إليه بين الركن والمقام يبايع الناس على كتاب جديد ".

تغيير أصل الدين (وهو التوحيد):

ومن شعاراتهم في ذلك: إعلان البراءة من المشركين ليك هذه النصوص من كتبهم:

(١) النعماني، الغيبة ص(١٧١-١٧٢)، فصل الخطاب ص(٧).

١- عن أبي جعفر عليه السلام قال: ما بعث الله نبياً قط إلا بولايتنا والبراء من عدونا وذلك قول الله في كتابه: **{وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ}** [النحل: ٣٦].

٢- وعن أبي عبد الله في قوله تعالى: **{وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُون}** [النحل: ٥١] ^(١). يعني بذلك ولا تتخذوا إمامين إنما إمام واحد.

٣- وعن الباقر في قوله سبحانه: **{وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ}** [الزمر: ٦٥]. قال: لئن أمرت بولاية أحد مع ولاية علي - عليه السلام - ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين.

٤- وعن عبد الله في قوله سبحانه: **{قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا}** [الكهف: ١١٠]. قال: العمل الصالح: المعرفة بالأئمة، ولا يشرك بعبادة ربه أحداً: التسليم لعلي لا يشرك معه في الخلافة من ليس ذلك له، ولا هو من أهله. وفي رواية أخرى لهم عن أبي عبد الله - عليه السلام - في قوله: قال: لا يتخذ مع ولاية آل محمد - صلوات الله عليهم - غيرهم.

٥- عن جابر الجعفي عن أبي جعفر في قوله سبحانه: **{وَأْمِنُوا يَمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُون}** [البقرة: ٤١] ^(٢) قال: يعني علياً.

^(١) سورة النحل، الآية: (٥١).

^(٢) سورة البقرة، الآية: (٤١). فالضمير يعود كما هو واضح من السياق إلى القرآن الكريم، وهم أرجعوه إلى (علي) ﷺ وهو غير مذكور أصلاً، والخطاب في الآية لبني إسرائيل.

٦- وعن جابر الجعفي قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله: { وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ } [البقرة: ١٦٥]. قال: فقال: هم أولياء فلان، وفلان، وفلان (يعنون أبا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم) اتخذوهم أئمة من دون إمام.

٧- وعن أبي عبد الله في قوله سبحانه: {فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ } [الأعراف: ٣٠]. قال: يعني أئمة دون أئمة الحق.

٨- وعن جابر الجعفي -عليه السلام - قال: أما قوله: { إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا } [النساء: ٤٨]. يعني: أنه لا يغفر لمن يكفر بولاية علي، وأما قوله: { إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا } [النساء: ٤٨] يعني: لمن والى علياً عليه السلام.

والروايات في هذا الباب كثيرة، وهي محاولة لهدم الأصل الأول في الإسلام، وهو التوحيد، وإعطاء الشرك صفة الشرعية، وهي كذلك محاولة خطيرة بتفسير التوحيد والشرك والكفر بغير معانيها الحقيقية

تحويل المسلمين إلى كربلاء:

تحدث نصوصهم -مثلاً - عن محاورة جرت بين كربلاء والكعبة فيقول جعفرهم " إن أرض الكعبة قالت من مثلي، وقد بني بيت الله على ظهري يأتيني الناس من كل فج عميق وجعلت حرم الله وأمنه.

فأوحى الله إليها -كما يفترون -أن كفي وقري ما فَضْلُ ما فضلت به فيما أعطيت كربلاء إلا بمنزلة الإبرة غرست في البحر فحملت من ماء البحر، ولولا تربية كربلاء ما فضلتك، ولولا من تضمنه أرض كربلاء ما خلقتك، ولا خلقت البيت الذي به افتخرت، فقري واستقري وكوني ذنباً متواضعاً ذليلاً مهيناً غير مستنكف، ولا مستكبر لأرض كربلاء، وإلا سخت بك وهويت بك في نار جهنم " (١).

ولكن الكعبة لم تقبل الأم الإلهي، وتلتزم بالتواضع، وتصبح كالذنب الذليل المهين لأرض كربلاء -كما تقول نصوصهم -فحلت بها العقوبة من الله؛ بل إن العقوبة حلت بكل أرض وماء لإعراضها عن التواضع لكربلاء، يقول النص عندهم: " فما من ماء ولا أرض إلا عوقبت لترك التواضع لله، حتى سلط

الله على الكعبة المشركين، وأرسل إلى زمزم ماء مالحاً حتى أفسد طعمه ... " (٢)
فالكعبة في نظرهم تستحق السحق من جيش أبرهة، وزمزم في ذوق هؤلاء الزنادقة فاسد الطعم

المخطط سري لـ المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق :

*** الشيعة يخططون لنقل تجربتهم في العراق للدول الإسلامية عمان: وفيما يلي نص**

الوثيقة: المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق الرئاسة إلى - قيادات المكاتب والفروع م - بيان سري وعاجل.

بتوجيه ورعاية سماحة آية الله العظمى السيد "علي خامنئي"، المرشد الأعلى للثورة الإسلامية في إيران (دام ظلّه) وتحت شعارات (شيعة علي هم الغالبون) تم عقد المؤتمر التأسيسي الموسّع لشيعة العالم في مدينة "قم" المقدسة، حضره كافة قيادات الأحزاب الشيعية والمراجع ورؤساء الحوزات الدينية والأساتذة والمفكرين والباحثين، وتم مناقشة

(١) كامل الزيارات ص(٢٧٠)، بحار الأنوار ج(١٠١)، ص(١٠٩). (١) الموضع نفسه من المصدرين السابقين .

(٢) - بروتوكولات آيات قُم حول الحرمين المقدسين تأليف الدكتور عبد الله الغفاري فقد أجاد في شرحها وأفاد فجزاه الله خيرا

- عدة جوانب مهمة وخرج بالتوصيات التالية : - ضرورة تأسيس منظمة عالمية تسمى (منظمة المؤتمر الشيعي العالمي) ويكون مقرها في إيران وفروعها في كافة أنحاء العالم ، ويتم تحديد هيئات المنظمة وواجباتها ، ويتم عقد مؤتمر خاص خلال كل شهر .
- دراسة وتحليل الوضع الراهن على الساحة الإقليمية والإستفادة من تجربتنا الناجحة في العراق ، وتعميمها على بقية الدول وأهمها السعودية والأردن واليمن ومصر والكويت والإمارات والبحرين والهند وباكستان وأفغانستان ، والتأكيد على الخطة الخمسينية والعشرينية ، والبدء بتطبيقها فوراً - بناء قوات عسكرية غير نظامية لكافة الأحزاب والمنظمات الشيعية بالعالم عن طريق زج أفرادها في المؤسسات العسكرية والأجهزة الأمنية والدوائر الحساسة ، وتخصيص ميزانية خاصة لتجهيزها وتسليحها وتهيئتها: لدعم وإسناد إخواننا في السعودية واليمن والأردن.
- استثمار كافة الإمكانيات والطاقات في كافة الجوانب وتوجيهها لخدمة الأهداف الإستراتيجية للمنظمة ، والتأكيد على احتلال الوظائف التربوية والتعليمية.
- التنسيق الجدي والعملي مع كافة القوميات والأديان الأخرى واستغلالها بشكل تام: لدعم المواقف والقضايا المصيرية لأبناء الشيعة بالعالم ، والابتعاد عن التعصب الذي يصب لمصلحة أبناء العامة.
- تصفية الرموز والشخصيات الدينية البارزة لأبناء العامة ، ودس العناصر الأمنية في صفوفهم للإطلاع على خططهم ونواياهم.
- على كافة المرجعيات والحوزات الدينية في العالم تقديم تقارير شهرية ، وخطة عمل سنوية لرئاسة المؤتمر ، تتضمن كافة المعوقات والإنجازات في بلدانهم والمقترحات اللازمة لتحسين وتطوير أدائها.
- إنشاء صندوق مالي عالمي مرتبط برئاسة المؤتمر وتُفتح له فروع في كافة أنحاء العالم ، وتكون الموارد أحياناً جمع الأموال من الحكومات العرفية ، وخاصة العراق ، وتبرعات التجار الأثرياء ، وزكاة الخمس ، وكذلك التنسيق مع الجمعيات والمنظمات الخيرية

والإنسانية: لاستلام المساعدات والمعونات المادية لدعم متطلبات المؤتمر الإدارية والإعلامية والعسكرية.

- تشكيل لجنة متابعة مركزية لتنسيق الجهود في كافة الدول ، وتقويم أعمالها.
- متابعة الدول والسلطات والأحزاب ، وشنّ حرب شاملة ضدها في كافة المجالات ، وأهمها المجال الاقتصادي من خلال تشجيع الصادرات الإيرانية ، ومقاطعة البضائع السعودية والأردنية والسورية والصينية.

المكتب السياسي للمجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق بغداد (١)

* الوثائق الرفضية بعد سقوط العراق: الوثيقة الأولى:

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على محمد رسول الله وآله المعصومين.
يا شيعة علي عليه السلام: وبعد سقوط النظام الصدّامي السني الكافر وإرجاع الحق لنا وما يمتلكه العراقيون من ثروات نفطية ومعدنية وزراعية ومائية فإنه عاد لنا الخمس واستلامه من قبل شيعة علي عليه السلام ومن قبل الحوزة العلمية، وكما وعدتنا أمريكا وبريطانيا لاستلام الحكم بعد مرور سنة واستلامنا زمام الأمور في السنة المقبلة للأسف ظهر بعض الشيعة يتعاونون مع أبناء العامة (السنة) على عدم السلب والنهب والحرق وعمل الفوضى وخصوصاً في بغداد من أجل استلامنا السلطة ومن قبل الحوزة. إن أهم عمل تقومون به حرق المكاتب العلمية وخصوصاً منها الدينية لأبناء العامة وأهم شيء حرق المطابع التي تطبع كتبهم لتعليم ما يسمى بتفسير القرآن والسنة والحديث الشريف والتاريخ الإسلامي حتى يتسنى لنا وضع كتب جديدة ودراسات جديدة لمعالم القرآن والسنة والحديث الشريف والتاريخ الإسلامي الشيعي وسنة أهل البيت المعصومين ومن خلالها تعليمهم رسالة الخميني قدس الله سره وترك ما جاء به أهل العامة والله يعصمنا منهم.

قيادة قوات بدر

الوثيقة الثانية:

(١) موقع شبكة الشفا الإسلامية على الانترنت

بسم الله الرحمن الرحيم الصلاة والسلام على محمد رسول الله وآله المعصومين.
يا شيعة أبا الحسنين علي سلام الله عليه وعلى آل بيته:

بارك الله بكم وبما عملتموه من حرق وسلب وتهديم دور الكفرة يا أمة علي إن ورائكم قوة ضاربة. لا تخشوا أحد من أهل السنة ففيلق بدر بالإنذار ينتظرون الأمر بعد خروج دول التحالف واستلامنا السلطة فإن أهل الأنبار وتكريت والموصل قلة ونحن الأقوى وناصرنا علي فهو أمام أهل الأرض والسماء ولا تبدو العداوة لهم هذه الأيام، لا نريد منكم سوى احتلال بغداد من قبل أهل العمارة خصوصاً والجنوب عامة وطبع الصور لسادتنا ونشر الكاسيت وأقراص الفيديو في أي مكان والشوارع والسيارات والمجلات وخصوصاً وقت رفع أذانهم أو خطبهم وقرب جوامعهم. إن كهرباء الجنوب لأهل الجنوب وليست لهم لا تجعلوها تصل إليهم. اشتروا كتبهم واحرقوها خصوصاً ما يسمونه بالصحاح واندسوا في جوامعهم والتشويش على صلاتهم فلا صلاة لهم في ديارنا حتى ينصرنا الله عليهم وهذه الرسالة وصلتكم وهي وصية الإمام الحجة (عج).
قيادة قوات فيلق بدر



الفصل العاشر

وسائل النجاء من مؤامرات الأشرقياء

أخي المسلم ٠٠ أحتي المسلمة بعد هذه الرحلة الطويلة التي قضيناها مع المؤامرة والمتآمرين قد تقول: ما النجاة من كيد هؤلاء الأشرقياء؟ وكيف نواجه الأمة تلك المؤامرات؟

اعلم علمني الله وإياك: أنه لا مخرج من تلك الفتن ومن تلك المؤامرات إلا بالرجوع إلى كتاب رب الأرض والسموات وهدى سيد الكائنات ﷺ فقد جاء في الحديث الصحيح عن العَرَبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ السُّلَمِيِّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ غَدَاةٍ فَوَعظَنَا مَوْعِظَةً وَجِلَّتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْأَعْيُنُ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ وَعَظْتَنَا مَوْعِظَةً مُودِعٍ فَأَعْهَدْ إِلَيْنَا قَالَ: عَلَيْكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَلَوْ عَبْدَ حَبَشِي فَسَتَرُونَ بَعْدِي اخْتِلَافًا شَدِيدًا فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ بَعْدِي وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَالْمُحَدِّثَاتِ فَإِنَّ كُلَّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ. ^(١)

وفى حديث عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ الصَّابِرُ فِيهِمْ عَلَى دِينِهِ كَالْقَابِضِ عَلَى الْجَمْرِ» ^(٢).

وها هي معالم النجاة التي من خلالها ينجو العبد وتنجو الأمة من كيد الكائدين ومكر الماكرين

^(١) - أخرجه أبو داود في كتاب السنة ، باب في لزوم السنة (٢٠١/٤) برقم (٤٦٠٧) . والترمذي في كتاب العلم ، باب ما جاء في الأخذ بالسنة

^(٢) - أخرجه أحمد في المسند (٣٩٠/٢) ،

التمسك بالقرآن والسنة:

ومن الواجب على الأمة في هذه المرحلة الشديدة الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فلن تستطيع الأمة مواجهة تلك المؤامرات إلا بالتمسك بما فيه صلاحها في الدنيا والآخرة، وتاما أخي إلى تلك القصة التي تحمل بين طياتها العبر والعظات والتي تبين لنا انه لا عز للأمة إلا بالرجوع إلى الكتاب والسنة، إنها قصة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - لما ذهب لفتح بيت المقدس وهاك أحدثها

(قدم عمر بن الخطاب الجابية على طريق ايلياء على جبل أوردق تلوح صلته للشمس ليس عليه قلنسوة ولا عمامة تصطفق رجلاه بين شعبي الرحل بلا ركاب وطاؤه كساء انبجاني ذو صوف هو وطاؤه إذا ركب وفراشه إذا نزل حقيته نمره أو شملة محشوة ليفا هي حقيته إذا ركب ووسادته إذ نزل وعليه قميص من كرايس قد رسم وتخرق جنبه فقال ادعوا لي راس القوم فدعوا له الجلومس فقال اغسلوا قميصي وخيطوه وأعيروني ثوبا أو قميصا فأتى بقميص كتان فقال ما هذا قالوا كتان قال وما الكتان فاخبروه فنزع قميصه فغسل ورقع واتى به فنزع قميصهم ولبس قميصه فقال له الجلومس أنت ملك العرب وهذه البلاد لا تصلح بها الإبل فلو لبست شيئا غير هذا وركبت برذونا لكان ذلك أعظم في أعين الروم فقال نحن قوم اعزنا الله بالإسلام فلا نطلب بغير الله بديلا فأتى ببرذون فطرح عليه قطيفة بلا سرج ولا رحل فركبه بها فقال احبسوا احبسوا ما كنت أرى الناس يركبون الشيطان قبل هذا فأتى بجملته فركبه^(١)

ولقد امرنا الله سبحانه بالتمسك بكتابه اخبرنا انه مصدر عزنا وشرفنا فقال - سبحانه وتعالى - فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٤٣) وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ (٤٤) (الزخرف) وهو المخرج من الفتن عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة وجلت منها

(١) - البداية والنهاية [جزء ٧ - صفحة ٥٩

القلوب وذرفت منها العيون فقلنا يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا قال أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة^(١)

وهيا أيها الأحباب لنرى أثر القرآن في إسعاد البشرية وإخراجها من الظلمات الى النور

أولاً: الهداية إلى الصراط المستقيم: قال تعالى : {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٢) صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ } [الشورى: ٥٢، ٥٣].

من تمسك بالقرآن الكريم في جميع شؤونه، فقد اهتدى كل الهدى، ومن اهتدى بهدى الله فقد فاز في دنياه وأخراه. قال تعالى: {الم (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَيَالْآخِرَةَ هُمْ يُوقِنُونَ (٤) أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } [البقرة: ١ - ٥]

وقال تعالى عن المتمسك بهداه، {فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّْي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٣٨) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } [البقرة: ٣٨، ٣٩].

وقال تعالى : { فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى } [طه: ١٢٣].

^(١) - أخرجه أبو داود في كتاب السنة ، باب في لزوم السنة (٢٠١/٤) برقم (٤٦٠٧) . والترمذي في كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ

فقد تكفل الله تعالى لمن تمسك بالقرآن الكريم بألا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة
(١)

(فالقرآن كتاب هداية إلى خيري الدنيا والآخرة والهدى على التحقيق هو الدلالة التي من شأنها الإيصال إلى البغية وهذا هو الظاهر في معناه لأن الأصل عدم الترادف فلا يكون هدى مرادفاً لدل ولأن المفهوم من الهدى الدلالة الكاملة وهذا موافق للمعنى المنقول إليه الهدى في العرف الشرعي . وهو أسعد بقواعد الأشعري لأن التوفيق الذي هو الإيصال عند الأشعري من خلق الله تعالى في قلب الموفق فيناسب تفسير الهداية بما يصلح له ليكون الذي يهدي يوصل الهداية الشرعية).

فالقرآن هدى ووصفه بالمصدر للمبالغة أي هو هاد، والهدى الشرعي هو الإرشاد إلى ما فيه صلاح العاجل الذي لا ينقض صلاح الآجل.

وأثر هذا الهدى هو الاهتداء فالمتقون يهتدون بهديه والمعاندون لا يهتدون لأنهم لا يتدبرون، وهذا معنى لا يختلف فيه وإنما اختلف المتكلمون في منشأ حصول الاهتداء وهي مسألة لا حاجة إليها في فهم الآية . وتفصيل أنواع الهداية تقدم عند قوله تعالى: { اهْدِنَا الصِّرَاطَ } [الفاتحة: ٦]. ومحل (هدى) إن كان هو صدر جملة أن يكون خبراً لمبتدأ محذوف هو ضمير (الكتاب) فيكون المعنى الإخبار عن الكتاب بأنه الهدى وفيه من المبالغة في حصول الهداية به ما يقتضيه الإخبار بالمصدر للإشارة إلى بلوغه الغاية في إرشاد الناس حتى كان هو عين الهدى تنبيهاً على رجحان هدايه على هدى ما قبله من الكتب

(١) - انظر التفسير الميسر لنخبة من العلماء / ٣٢٠ .

ثانيا: القرآن دستور سعادة في الدنيا والآخرة: ففيه حل لجميع المشاكل التي تعترى الأمة سواء كانت اقتصادية أو سياسية أو اجتماعية قال الله عز وجل : **{ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ }** (الطلاق: ٢-٣)

وقال رب العالمين **{ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا }** [الطلاق: ٤]. وقال إله العالمين: **{ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفُرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا }** [الطلاق: ٥].

يقول ابن كثير - رحمه الله - وقوله: **{ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ }** أي: ومن يتق الله فيما أمره به، وترك ما نهاه عنه، يجعل له من أمره مخرجًا، ويرزقه من حيث لا يحتسب، أي: من جهة لا تخطر بباله.

عن أبي ذر- رضي الله عنه- قال: جعل رسول الله ﷺ يتلو عليه: **{ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ }** حتى فرغ من الآية، فجعل يتلوها عليّ ويرددها حتى نعلست، ثم قال: يا أبا ذر، كيف تصنع إن أخرجت من المدينة؟ قال: قلت: إلى السعة والدعة، إلى مكة فأكون حمامة من حمام مكة. قال: فكيف تصنع إن أخرجت من مكة؟ قلت: إلى السعة والدعة إلى الشام والأرض المقدسة. قال: فكيف تصنع إن أخرجت من الشام؟ قال: قلت: إذا والذي بعثك بالحق أضع سيفي على عاتقي. قال: أو خير من ذلك: **تَسْمَعُ وَتُطِيعُ وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا** ^(١)

وقال ابن أبي حاتم: عن عبد الله بن مسعود يقول: إن أجمع آية في القرآن: **{ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ }** [النحل: ٩٠] وإن أكثر آية في القرآن فرجًا: **{ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا }**

(١) - رواه احمد في مسنده ح ٢١٥٩١ والطبراني في المعجم الوسيط ح ٢٤٧٤ وإسناده ضعيف لانقطاعه

عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَكْثَرَ الْإِسْتِغْفَارَ جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا، وَمِنْ كُلِّ ضَيِّقٍ مَخْرَجًا، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ» ^(١) ()

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: { وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا } يقول: ينجيه من كل كرب في الدنيا والآخرة، { وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ }

وقال الربيع بن خثيم: { يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا } أي: من كل شيء ضاق على الناس. ^(٢)

فماذا بقي من خيري الدنيا والآخرة يريده المتقي بعد هذه الوعود من رب العالمين الذي لا يخلف الميعاد.

ولست أرى السعادة جمع مال ولكن التقى هو السعيد

ثالثاً: أن التمسك بالقرآن والسنة سبب من أسباب التمكين في الأرض: فقد وعد الله من تمسك بالقرآن الكريم أن يمكن له الله تعالى في الأرض، ويسر له أسباب الاستقرار وعدم الاضطراب. قال تعالى: { وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ } [النور: ٥٥]

فعلق الوعد بالتمكين هنا بأربعة أمور: -

(أ) وجود الجماعة المؤمنة وتحقق الإيمان فيها.

^(١) - أخرجه أحمد (٢٤٨/١، رقم ٢٢٣٤)، والحاكم (٢٩١/٤، رقم ٧٦٧٧) وقال: صحيح الإسناد. والبيهقي في شعب الإيمان

(٤٣٩/١، رقم ٦٤٥). وأخرجه أيضاً: النسائي في الكبرى (١١٨/٦، رقم ١٠٢٩٠)

^(٢) - تفسير ابن كثير - (ج ٨ / ص ١٤٦)

(ب) عمل الصالحات: من القيام بشرائع الدين وتنفيذ أوامر الله عملاً وليس ادعاءً فقط.

(ج) التزام نهج الصحابة، لقوله: ((منكم)) فالخطاب لهم وينسحب على من نهج نهجهم.

(د) انتفاء الشرك في العبادة: {يَعْبُدُونِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا}.

٢- قال _ سبحانه وتعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ} [محمد: ٧] وهنا علّق الله _ سبحانه وتعالى _ نصره للمؤمنين بقيامهم بنصرة دينه _ سبحانه _.

٣- وقال _ سبحانه وتعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [الصف: ١٠، ١١] فرتب النصر والفتح هنا على الإيمان بالله ورسوله، والجهاد في سبيله بالمال والنفس.

وصدق الله العظيم الذي قال وقوله الحق: {قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ يَدُكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [آل عمران: ٢٦]. وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يقول ولا يقول إلا حقاً: «إِنَّ اللَّهَ لَيَرْفَعُ بِهَذَا الْقُرْآنِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ الْآخَرِينَ»^(١).

رابعاً: التمسك بالقرآن والسنة سبب من أسباب الأمن والاستقرار:

اعلم أخي المسلم أن من تمسك بالقرآن الكريم آمنه الله تعالى من الخوف في نفسه وأهله، وفي عاجله وآجله.

(١) - الحديث ، أخرجه مسلم ٥٠٢/٢ .

قال تعالى: **{فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}** [البقرة: ٣٨] والخوف هنا نكرة في سياق النفي تعم^(١).

وقال تعالى عن المتمسكين بالقرآن الكريم وهم المؤمنون العاملون الصالحات: **{وَلْيَبْذُلْنَهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا}** [النور: ٥٥]

. وقال عز من قائل عليمًا **{الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ}** [الأنعام: ٨٢] وقال تعالى عمن استقام على القرآن الكريم متمسكاً به - أسأل الله تعالى أن يجعلنا منهم **{إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}** [الأحقاف: ١٣].

وقال تعالى: **{إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ}** (٣٠) نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون (٣١) نزلاً من غفور رحيم [فصلت: ٣٠ - ٣٢].

هل أنعم الله تعالى على أمة من الأمم -بعد الإيمان- والتوفيق للعمل الصالح بأعظم من نعمة الأمن؟ وتيسير سبل العيش؟

لم ينعم الله تعالى على عبده المؤمن الميسر له سبل الإطعام من الجوع، بأعظم من نعمة الأمن.

فمن آمن، عبدَ الله تعالى كما أمره ... ومن آمن، استجمع قوى فكره وطاقات عقله، ووجهها للبناء المثمر، والعمل الهادف.

(١) - النكرة في سياق النفي من صيغ العموم، وقد تكون نصاً فيه وقد تكون ظاهرة. انظر مذكرة الأصول للشنقيطي/ ٣٦٢-٣٦٤.

أما الخائف - عياداً بالله تعالى - فيطيش عقله، وينخلع لبه، ويكون كلُّ همه أن يأمن الضرر على نفسه وأهله وماله. أما أن يهتدي - مع الخوف - إلى عمل يتقنه، أو بناء حضارة ينجزه، فهيهات هيهات. فالعنصر الأصيل في عمارة الأرض بالخيرات هو الطعام والأمن، فكما لا يستغني الجسم عن الطعام، فلا تستغني النفس عن الأمن.

ولذا امتن الله تعالى على عباده بهاتين النعمتين في معرض إقامة الحجة عليهم، مع أنه ما بهم من نعمة إلا وهو تعالى مسديها إليهم. قال تعالى: **{ لِلْإِلَافِ قُرَيْشٍ (١) إِيْلَافِهِمْ رَحْلَةً الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (٢) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ (٤) }** (سورة قريش) نعم، ما أعظمهما من نعمتين مقيمتين الحجة بأعظم برهان، على وجوب عبادة من أنعم بهما، سبحانه الله تعالى ربي وبحمده.

خامساً: إحياء عقيد الولاء والثراء في الأمة:

اعلم علمني الله وإياك: أن الولاء والثراء قاعدة من قواعد الدين وأصل من أصول الإيمان والعقيدة، فلا يصح إيمان شخص بدونهما، فيجب على المرء المسلم أن يوالي في الله ويحب في الله ويعادي في الله، فيوالي أولياء الله ويحبهم ويعادي أعداء الله ويتبرأ منهم ويبغضهم، قال صلى الله عليه وسلم: (أوثق عرى الإيمان الموالاة في الله والمعاداة في الله والحب في الله والبغض في الله).

واليك الأدلة من القرآن الكريم والسنة المطهرة:

أما الكتاب فمن ذلك قوله تعالى: **{ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ (٢٨) قُلْ إِنْ تُحِبُّوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ بُدُوهُ يَعْلَمَهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٩) }** [آل عمران: ٢٨، ٢٩]

يقول العلامة السعدي - رحمه الله - (وهذا نهى من الله تعالى للمؤمنين عن موالاة الكافرين بالحبّة والنصرة والاستعانة بهم على أمر من أمور المسلمين، وتوعد على ذلك فقال: **{ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ }** أي: فقد انقطع عن الله، وليس له في دين الله نصيب، لأن موالاة الكافرين لا تجتمع مع الإيمان، لأن الإيمان يأمر بموالاة الله وموالاة أوليائه المؤمنين المتعاونين على إقامة دين الله وجهاد أعدائه، قال تعالى: **{ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ }** [التوبة: ٧١] فمن وإلى - الكافرين من دون المؤمنين الذين يريدون أن يطفؤا نور الله ويفتنوا أوليائه خرج من حزب المؤمنين، وصار من حزب الكافرين، قال تعالى: **{ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ }** [المائدة: ٥١] وفي هذه الآية دليل على الابتعاد عن الكفار وعن معاشرتهم وصدقاتهم، والميل إليهم والركون إليهم، وأنه لا يجوز أن يولى كافر ولاية من ولايات المسلمين، ولا يستعان به على الأمور التي هي مصالح لعموم المسلمين. قال الله تعالى: **{ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً }** أي: تخافوهم على أنفسكم فيحل لكم أن تفعلوا ما تعصمون به دماءكم من التقية باللسان وإظهار ما به تحصل التقية. ثم قال تعالى: **{ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ }** أي: فلا تتعرضوا لسخطه بارتكاب معاصيه فيعاقبكم على ذلك **{ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ }** أي: مرجع العباد ليوم التناد، فيحصي أعمالهم ويحاسبهم عليها ويجازيهم، فإياكم أن تفعلوا من الأعمال القباح ما تستحقون به العقوبة، واعملوا ما به يحصل الأجر والمثوبة، ثم أخبر عن سعة علمه لما في النفوس خصوصاً، ولما في السماء والأرض عموماً، وعن كمال قدرته، ففيه إرشاد إلى تطهير القلوب واستحضار علم الله كل وقت فيستحي العبد من ربه أن يرى قلبه محلاً لكل فكر رديء، بل يشغل أفكاره فيما يقرب إلى الله من تدبر آية من كتاب، أو سنة من أحاديث رسول الله، أو تصور وبحث في علم ينفعه، أو تفكر في مخلوقات الله ونعمه، أو نصح لعباد الله. (قال شيخ الإسلام ابن تيمية في "المنهاج": وأما قوله: **{ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً }** قال مجاهد: لا مصانعة، والتقاة ليست

بأن أكذب وأقول بلساني ما ليس في قلبي، فإن هذا نفاق، ولكن أفعل ما أقدر عليه كما في "الصحيح" عن النبي صلى الله عليه وسلم: "من رأى منكم منكراً" الخ،^(١)

ويقول القطان-رحمه الله- في تفسيره (في هذه الآية تحذير كبير من اتخاذ الكافرين أولياء، فالله سبحانه وتعالى نبهنا في الآية السابقة أن نلتجىء إليه ، وأفهمنا أن كل شيء بيده ، وهنا يحذرننا من أن نتخذ الكافرين أصدقاء وناصرين : فما دام الله وحده هو مالك الملك ، يعزّ ويذل ويعطي ويمنع ، فهل يجوز للمؤمنين أن يجعلوا لغير المؤمنين ولاية عليهم؟ إن في هذا خذلاناً للدّين وأضعافاً للولاية الإسلامية، ومن يسلك هذا المسلك فإن الله يتخلى عنه ولا يجوز للمؤمن أن يرضى بولاية الكافرين إلا مضطراً، فيتقي أذاهم بإظهار الولاء لهم .

وعلى المؤمنين أن يكونوا في الولاية الإسلامية، وهي ولاية الله، وليحذروا أن يخرجوا منها إلى غير ولايته، فيتولى عقابهم بنفسه، كما هو حاصل اليوم، حيث ألقى طائفة من المسلمين بأنفسهم في أحضان أعدائهم وأعداء الله في الشرق والغرب، فأذاقهم الله الذل ونصر عليهم اليهود ، وهو سينصرهم لو رجعوا إليه، لا إلى مطامعهم ، ووجدوا صفوفهم وباعوا أنفسهم وأموالهم في سبيل الله لا في سبيل الكراسي والمناصب^(٢).

ويقول الله -تعالى- عن أهداف أعداء الله: **{وَدُّوا لَوْ تُكْفِرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ}** [النساء: ٨٩]

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} [المائدة: ٥١]

(١) - تفسير السعدي - (ج ١ / ص ١٢٧)

(٢) - تفسير القطان - (ج ١ / ص ١٨٧)

* يقول الشنقيطي - رحمه الله - في قوله تعالى : **{ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ }** ذكر في هذه الآية الكريمة ، أن من تولى اليهود ، والنصارى ، من المسلمين ، فإنه يكون منهم بتوليه إياهم . وبين في موضع آخر أن توليهم موجب لسخط الله ، والخلود في عذابه ، وأن متوليهم لو كان مؤمناً ما تولاهم ، وهو قوله تعالى : **{ تَرَى كَثِيراً مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ كَثِيراً مِنْهُمْ فَاسِقُونَ }** [المائدة : ٨٠-٨١] . ونهى في موضع آخر عن توليهم مبيناً سبب التنفير منه . وهو قوله : **{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ }** [الممتحنة : ١٣] .

وبين في موضع آخر : أن محل ذلك ، فيما إذا لم تكن الموالة بسبب خوف ، وتقية ، وإن كانت بسبب ذلك فصاحبها معذور ، وهو قوله تعالى : **{ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً }** [آل عمران : ٢٨] فهذه الآية الكريمة فيها بيان لكل الآيات القاضية بمنع موالة الكفار مطلقاً وإيضاح ، لأن محل ذلك في حالة الاختيار ، وأما عند الخوف والتقية ، فيرخص في موالاتهم ، بقدر المداراة التي يكتفي بها شرهم ، ويشترط في ذلك سلامة الباطن من تلك الموالة .

ومن يأتي الأمور على اضطرار فليس كمثل آتيها اختياراً

ويفهم من ظواهر هذه الآيات أن من تولى الكفار عمداً اختياراً، رغبة فيهم أنه كافر مثلهم. ^(١)

(١) - أضواء البيان - (ج ١ / ص ٤٣٧)

ويقول العلامة القطان: (يا أيها الذين آمنوا ، لا يحلّ لكم أن تتخذوا اليهود ولا النصارى نصراء لكم على أهل الإيمان بالله ورسوله ، فمن اتخذهم كذلك فهو منهم ، والله ورسوله بريئان منه .

{بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ} إن اليهود بعضهم أنصار بعض ، والنصارى بعضهم أنصار بعض ، وقد يتحالف اليهود والنصارى معاً ، أما أن يتحالفوا أو يصدقوا مع المسلمين فلا . وفي واقعنا الحاضر شاهد على ذلك . . ولقد نقض اليهود ما عقده الرسول الكريم معهم من العهد من غير أن يبدأهم بقتال . وكذلك فعلت أوروبا في الحروب الصليبية ، وتفعل أمريكا اليوم مع كل من يطلب الحرية لشعبه ، والمسلمين خاصة .

{إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} إن الله لا يهدي الذين يظلمون أنفسهم منكم بموالاته أعداء المؤمنين . فإن اليهود بتدبير من النصارى ، وبقوة سلاحهم أيضاً جاؤا واغتصبوا فلسطين وأجواء من سورية ومصر ، بمعونة أمريكا وسلاحها ومالها ، ولا يزالون في حماية أمريكا . وحتى أوروبا والدول الغربية جميعاً فإنهم يعطفون على اليهود أعداء العالم أجمع ونحن بحكم جهلنا، لا نزال نستنصر أمريكا وغيرها ونطلب المعونة منها، مع أننا لو اجتمعت كلمتنا ووحدنا صفوفنا، لما احتجنا الى شيء من ذلك.

ولكننا تفرقنا، وبعُدنا عن ديننا ومزقتنا الأهواء وحب المناصب. بذلك قوي اليهود من ضعفنا، فهم يهدّدوننا، ويهاجمون بلداننا وقرانا ، ويعيثون في الأرض فسادا . هذا وكلّ منّا يود المحافظة على منصبه ويبيع في سبيله كل ما عداه ، ثم أخبر سبحانه وتعالى أن فريقاً من ضعاف الإيمان يفعل ذلك فقال : **{فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ}** . الآية ٥٢ .

{ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ (٥٢) }

هذا تصوير لحال المنافقين وبعض ضعاف الإيمان في المدينة. لم يكونوا واثقين من نجاح دعوة الإسلام، فكانوا يوالون اليهود ويسارعون إلى ذلك كلّما سنحت لهم فرصة. لذا

ورد قوله تعالى { يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ } بمعنى إننا نخاف أن نتعرض لكارثة عامة فلا يساعدوننا . عسى الله يا محمد أن يحقق النصر لرسوله وللمسلمين على أعدائهم، أو يُظهر نفاق أولئك المنافقين، فيصبحوا نادمين آسفين على ما كتموا في نفوسهم من كفر وشك . وقد تحقق وعد الله بالنصر للمؤمنين .

كان هذا النداء موجهاً في الأصل إلى المسلمين في المدينة المنورة ، لكنه جاء في الوقت ذاته موجهاً لكل المسلمين في جميع أركان الأرض ، وفي كل زمان ومكان . وقد أثبت التاريخ والواقع أن عدااء النصارى لهذا الدين وأهله في معظم بقاع الأرض لم يكن أقل من عدااء اليهود وأكبر شاهدٍ هو ما يجري اليوم من دعم أمريكا وأوروبا جميعها لليهود وتثبيتهم في فلسطين بكل ما يستطيعون من قوة ومال . فالنصارى بدافع من تعصبهم قد حملوا للإسلام منذ ظهوره كلَّ عداوة وضغنٍ ولا يزالون . ولا تزال نعاني من الحروب الصليبية التي لم تنته إلى الآن . ولذلك فإن قوله تعالى : { **بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ** } حقيقة قائمة .

أما النصارى العرب الذين يعيشون معنا ولا يماثلون الأعداء ضدنا فإنهم مواطنون في ديار الإسلام، لهم ما لنا وعليهم ما علينا . والمعاملة التي يلقونها أكبر شاهد على ذلك .

بل إنهم في كثير من الحالات قد أخذوا وأكثر مما لهم . وحتى اليهود الذين يعيشون في البلاد العربية، فإنهم معززون مكرمون ما داموا يخدمون المجتمع الذي يعيشون فيه ضمن القانون، ونحن عندما نطلق كلمة نصارى أو يهود نقصد بذلك أولئك المعتدين من الغربيين وغيرهم ^(١) .

(١) - تفسير القطان - (ج ١ / ص ٤٠٩)

ويقول تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} [المائدة: ٥٤].

أما الأحاديث والآثار فكثيرة وأذكر منها:

ما رواه الإمام أحمد عن جرير بن عبد الله البجلي أن رسول الله ﷺ بايعه على أن "تنصح لكل مسلم، وتبرأ من الكافر" (١).

روى ابن أبي شيبة بسنده قال: قال رسول الله ﷺ: "أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله" (٢).

روى الطبراني في "الكبير" عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: "أوثق عرى الإيمان الموالاة في الله والمعاداة في الله، والحب في الله والبغض في الله" (٣).

يقول الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب في شرح قول ابن عباس هذا: (قوله: "ووالى في الله" هذا بيان لل لازم المحبة في الله، وهو الموالاة فيه إشارة إلى أنه لا يكفي في ذلك مجرد الحب، بل لابد مع ذلك من الموالاة التي هي لازم الحب. وهي النصر والكرام، والاحترام والكون مع المحبوبين باطنياً وظاهراً. وقوله: "وعادى في الله" هذا بيان لل لازم البغض في الله، وهو المعاداة فيه. أي إظهار العداوة بالفعل كالجهاد لأعداء الله، والبراءة منهم، والبعد عنهم باطنياً وظاهراً، إشارة إلى أنه لا يكفي مجرد بغض القلب، بل لابد مع ذلك من الإتيان بلازمه كما قال تعالى: {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ

(١) - "المسند" للإمام أحمد: (ج ٤/٣٥٧، ٣٥٨)، الطبعة الثانية سنة ١٣٩٨هـ، الناشر المكتب الإسلامي وهو حديث حسن.

(٢) - "الإيمان" لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، توفي سنة ٢٣٥هـ: (ص ٤٥)، تحقيق الألباني وقال: أخرجه الطبراني في الكبير عن ابن مسعود مرفوعاً وهو حسن، المطبعة العمومية بدمشق وانظر "المسند": (٤/٢٨٦).

(٣) - ذكره السيوطي في "الجامع الصغير": (١/٦٩) وقال الألباني: حديث حسن. انظر "صحيح الجامع الصغير": (٢/٣٤٣، ح ٢٥٣٦).

كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَخَدَهُ } [المتحنة: ٤].

وما سبق يتضح أن الولاء في الله هو: محبة الله ونصرة دينه، ومحبة أوليائه ونصرتهم. والبراء هو: بغض أعداء الله ومجاهدتهم. وعلى ذلك جاءت تسمية الشارع الحكيم للفريق الأول: بـ"أولياء الله"، والفريق الثاني: بـ"أولياء الشيطان" قال تعالى: { **اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** } [البقرة: ٢٥٧]. وقال تعالى: { **الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا** } [النساء: ٧٦]

واعلم أن الله سبحانه لم يبعث نبياً بهذا التوحيد إلا جعل له أعداء، كما قال تعالى: { **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ** } [الأنعام: ١١٢] [سورة الأنعام: ١١٢]. ^(١)

(وقد يكون لأعداء التوحيد علوم كثيرة، وكتب وحُجج كما قال تعالى: { **فَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولُهُمْ بِالنَّبِيِّاتِ فَرَحُوا يَمًا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ** } [غافر: ٨٣]

والواجب على المسلم أن يتعلم من دين الله ما يصير له سلاحاً يقاتل به هؤلاء الشياطين، ومن ثم لا خوف ولا حزن لأن: { **إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا** } [النساء: ٧٦]

^(١) - تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد" للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب: (ص٤٢٢)، الناشر: إدارات

البحوث العلمية بالرياض بدون تاريخ

والعامي من الموحدّين يغلب الألف من علماء المشركين كما قال تعالى: **{وَإِنْ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ}** [الصافات: ١٧٣].

فجند الله هم الغالبون بالحجة واللسان، كما أنهم الغالبون بالسيف والسنان^(١).

المنافقون يوالون الكفار:

من المظاهر موالاة كثير من المنافقين لأعداء الدين وهذا اخطر ما ارتكبه المنافقون: موالاة اليهود والنصارى ضد المسلمين وقد فضحهم القرآن في عدة مواضع ومنها سورة الحشر، قال تعالى: **{ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١١) لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُوهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُولُنَّ الْأَذْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ}** [الحشر: ١١، ١٢].

وقال تعالى: **{ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَخْلَفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ}** [المجادلة: ١٤].

ذكر السدي ومقاتل: أنها نزلت في عبد الله بن أبي وعبد الله بن نبتل المنافقين: فقد كان أحدهما يجالس النبي ﷺ ثم يرفع حديثه إلى اليهود^(٢).

وهذا الآية كقوله تعالى: **{مُتَدَبِّدِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا}** [النساء: ١٤٣]

(١) – بتصرف : انظر "كشف الشبهات" للإمام محمد بن عبد الوهاب: (ص ٢٠)، الطبعة الثالثة سنة ١٣٨٨هـ، الناشر مؤسسة النور بالرياض. وانظر "مجموعة الرسائل والمسائل النجدية": (ج ٤/٤٦).

(٢) – "أسباب النزول" للواحيدي: (ص ٢٣٥)، و"تفسير القرطبي": (ج ١٧/٣٠٤).

وفى هذه الحقبة الأخيرة رأينا ما يبكى العيون من ومالاة كثير من المسلمين لأعداء دينهم وخذلانهم أبناء عقيدتهم كما حدث في الحرب الصليبية على العراق فرأينا من يفتح لهم دياره ومطارتهم لضرب إخواننا في العراق وفريق آخر فتح لهم المجال الجوى والبرى وفريق آخر أصدر الفتاوى المفصلة لضرب الكفار للمسلمين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم

صور من الولاء والبراء

وفى هذه الصفحات الآتية سنقف مع صور مشرقة للحب في الله والبغض في الله لمن ضربوا أروع الأمثلة للولاء والبراء لذا نصرهم الله على هدوهم وعاشوا أعزة بدينهم وعقيدتهم

يقول الدكتور / محمد سعيد القحطاني - حفظه الله - ومن هذه الأمثلة: موقف صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم من كعب بن مالك رضي الله عنه ومن معه من المخلفين الثلاثة، حيث قاطعوهم وهجروهم لتخلفهم عن غزوة تبوك.

وانظر إلى هذه المقاطعة لثلاثة من صحابة رسول الله ﷺ يصلون خلف رسول الله في مسجد أسس على التقوى: لقد هجروهم ولم يكلموهم حتى في التحية الإسلامية!!

فمن يا ترى من المسلمين اليوم يتبرأ من الذين يحادون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً؟!

أما الموقف العظيم الذي يبرز فيه ولاء المسلم لدينه وإخوانه المؤمنين، حتى وهذا المؤمن مهجور من إخوانه وأحبابه، مقاطع عنهم حتى في رد السلام. مبتلى بإغراء مادي عظيم، ومحسن له المنصب ورفعة المكان في الدنيا: فهو موقف الصحابي الجليل كعب بن مالك رضي الله عنه، فإنه - كما جاء في حديثه الطويل - لما أمر الرسول ﷺ صحابته بهجره ومن معه، حتى زوجته ذهبت إلى أهلها فاجأه أمر عجيب وخطير في آن واحد.

يقول كعب رضي الله عنه (.. فبينما أنا أمشي بسوق المدينة إذا نبطي من أنباط أهل الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول: من يدل على كعب بن مالك؟ فطفق الناس يشيرون له، حتى إذا جاءني دفع إلى كتابا من ملك غسان فإذا فيه: أما بعد فإنه قد بلغني أن صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة، فالحق بنا نواسك. فقلت لما قرأتها: وهذا أيضاً من البلاء فتممت بها التنور فسجرت به " (١).

لقد صدق كعب رضي الله عنه في قوله: "وهذا أيضاً من البلاء" أجل إنه بلاء عظيم، ولقد كان ولاء كعب رضي الله عنه رغم ما هو فيه من شدة وهجر ومع دواعي الإغراء والإغواء لله ولدينه ورسوله والمؤمنين، وكان براؤه من ملك غسان واضحاً في حرقه لكتاب ذلك الملك.

فانظر إلى هذه العظمة وهذا الصدق في الولاء والحب للإسلام والمسلمين والبعد عن كل ما يصرف عن ذلك من متاع الدنيا ووجاهتها التي لا تساوي عند الله جناح بعوضة.

قال ابن حجر وهو يشرح قصة كعب: دل صنيع هذا على قوة إيمانية ومحبة لله ولرسوله وإلا فمن صار في مثل حاله من الهجر والإعراض قد يضعف عن احتمال ذلك، وتحمله الرغبة في الجاه والمال على هجران من هجره، ولا سيما مع أمانة من الملك الذي استدعاه إليه أنه لا يكرهه على فراق دينه لكن لما احتمل عنده أنه لا يأمن من الافتتان بحسم المادة وأحرق الكتاب ومنع الجواب.. ورجح ما هو فيه من النكد والتعذيب على ما دعي إليه من الراحة والنعيم حبا في الله ورسوله كما قال ﷺ "وأن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما" (٢).

(١) - القصة بطولها في صحيح البخاري كتاب المغازي باب حديث كعب بن مالك (١١٣/٨ ح ٤٤١٨) وانظر القصة أيضاً في تفسير الطبري

(١/١١) وابن كثير (١٦٦/٤-١٦٨).

(٢) - فتح الباري (١٢١/٨) والحديث سبق تخريجه ص ٤٠ وانظر تعليق ابن القيم على القصة في زاد المعاد (٥٨١/٣).

ومثال آخر: قصة الصحابي الجليل عبد الله بن حذافة السهمي وموقفه مع ملك الروم، حيث أغراه حتى بمشاطرة ملكه فرفض، وهدده بالقتل والحرق فأبى أن يتنصر. كل ذلك دلالة واضحة، وبرهان صادق لعمق ذلك الولاء ورسوخ هذه العقيدة في تلك النفوس العظيمة. ولئن كان موقف عبد الله بن عبد الله بن أبي - الذي تحدثنا عنه سابقاً - عظيماً في منعه أباه من دخول المدينة إلا بإذن رسول

الله ﷺ: فإن موقف أبي عبيدة رضي الله عنه أعجب من ذلك وأعظم فلقد قتل أباه في معركة بدر لأنه كان كافراً محارباً لله ورسوله، ولم تكن صلة الأبوة لتمنعه دون تنفيذ الولاء والنصرة لله ورسوله ودينه والمؤمنين. والبراءة والجهاد لعدو الله الذي رضي بالبقاء في حزب الشيطان ليكون حرباً على المؤمنين.

ومثال آخر: فقد روت كتب السير أن زيد بن الدثنة ^(١) رضي الله عنه، اشتراه صفوان بن أمية - بعد يوم الرجيع - ليقتله بأبيه أمية بن خلف، وخرجوا بزيد إلى التنعيم حيث اجتمع رهط من قريش فيهم أبو سفيان بن حرب فقال له أبو سفيان حين قدم ليقتل: أنشدك الله يا زيد، أتحب أن محمداً عندنا الآن في مكانك نضرب عنقه وأنت في أهلك؟ قال زيد: والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأناي جالس في أهلي فقال: أبو سفيان: ما رأيت من الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً، ثم قتلوا زيدا رضي الله عنه ^(٢).

فانظر إلى هذا الحب وهذا التفاني وذلك الولاء، وقوة النصرة! إنه رضي الله عنه وهو في مكانه البعيد عن رسول الله - لا يرضى أن تمس رسول الله ﷺ شوكة، فضلاً عن أن يصيبه أكبر من ذلك!!

^(١) - زيد بن الدثنة : بفتح الدال وكسر المثلثة ابن معاوية بن عبيد بن عامر بن بياضة الأنصاري شهد بديراً وأحداً وكان في غزوة بئر معونة فأسره المشركون وقتلته قريش ب التنعيم . انظر الإصابة (٥٦٥/١) .

^(٢) - انظر القصة في السيرة لابن هشام (١٨١/٣) .

هذا هو الولاء الصادق الذي بنته هذه العقيدة في النفوس فأخرجت للناس هذه النماذج العظيمة التي تقصر دون عظمتها كل عظمة أرضية.

ومثال آخر: روى الإمام أحمد وغيره أن أنس بن النضر رضي الله عنه غاب عن قتال بدر فقال: غيبت عن أول قتال قاتله رسول الله ﷺ المشركين؟ لئن الله أشهدني قتالاً للمشركين ليرين الله ما أصنع. فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون فقال: اللهم إني أعترذ إليك مما صنع هؤلاء - يعني أصحابه - وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء - يعني المشركين - ثم تقدم فلقى سعد بن معاذ دون أحد فقال: أنا

معك، قال سعد فلم أستطع أن أصنع ما صنع، قال فوجد فيه بضع وثمانون ضربة سيف وطعنة رمح ورمية سهم فكانوا يقولون فيه وفي أصحابه نزل قوله تعالى: **{فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ}** سورة الأحزاب: ٢٣. ^(١)

إن سلفنا الصالح رضوان الله عليهم كانوا شديدي الاعتزاز بدينهم فلم تخدعهم المظاهر الجوفاء، ولا القوى والاعتبارات التي تتعبد الناس في الجاهلية، وأصدق مثال على ذلك قصة ربيعي بن عامر رضي الله عنه حين قابل رستم، فقد كان الفرس مدججين بالسلاح وعليهم التيجان والثياب المنسوجة بالذهب، ووضعوا البسط والنمارق في مجلس رستم وله سرير من الذهب، فأقبل ربيعي يسير على فرس له زباء ^(٢) قصيرة، معه سيف غمده لفافة ثوب خلق، ورمح وجحفة وقوس فلما انتهى إلى أدنى البسط قيل له انزل فحملها على البساط فلما استوت عليه نزل عنها وربطها بوسادتين فشققهما ثم أدخل الحبل فيهما، فلم يستطيعوا أن ينهوه ثم قالوا له: ضع سلاحك، فقال: إني لم آتكم فأضع سلاحي بأمركم أنتم دعوتوني، فإن أبيتم أن آتيكم كما أريد رجعت، فأخبروا رستم فأذن له وقال: هل هو إلا رجل واحد! فأقبل ربيعي يتوكأ على رمحه وزجه نصل يقارب

(١) - مسند أحمد (٣/٣٠١) وتفسير ابن كثير (٦/٣٩٤).

(٢) - الزباء : أي طويلة الشعر كثيرته

الخطو، ويزج النمارق والبسط، فما ترك لهم غمرقة ولا بساطاً إلا أفسده وتركه منهتكاً مخرقاً، فلما دنا من رستم تعلق به الحرس، وجلس على الأرض وركز رمحاً بالبسط، فقالوا: ما حملك على هذا؟ قال: إنا لا نستحب القعود على زيتكم هذه! فكلمه فقال: ما جاء بكم؟ قال: الله ابتعثنا والله جاء بنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه، فمن قبل منا ذلك قبلنا ذلك منه ورجعنا عنه، وتركناه وأرضه يليها دوننا، ومن أبى قاتلناه أبداً، حتى نفضي إلى موعود الله، قال: وما موعود الله؟ قال: الجنة لمن مات على قتال من أبى، والظفر لمن بقي. فقال رستم: قد سمعت مقاتلتكم فهل لكم أن تؤخروا هذا الأمر حتى ننظر فيه وتنظروا؟ قال: نعم. كم أحب إليكم، أيوماً أو يومين؟ قال: لا بل حتى نكتب أهل رأينا ورؤساء قومنا، وأراد مقاربته ومدافعتة فقال: إن مما سن لنا رسول الله ﷺ وعمل به أئمتنا ألا نمكن الأعداء من آذاننا، ولا نؤجلهم عند اللقاء أكثر من ثلاث، فنحن مترددون عنكم ثلاثاً فانظر في أمرك وأمرهم، واختر واحدة من ثلاث بعد الأجل، اختر الإسلام وندعك وأرضك، أو الجزاء فنقبل ونكف عنك. وإن كنت عن نصرنا غنياً تركناك منه، وإن كنت إليه محتاجاً منعناك أو المنابذة في اليوم الرابع، ولسنا نبدؤك فيما بيننا وبين اليوم الرابع إلا أن تبدأنا، وأنا كفيل لك بذلك على أصحابي وعلى جميع من ترى، قال: أسيدهم أنت؟ قال: لا ولكن المسلمين كالجسد بعضهم من بعض، يحير أدناهم على أعلاهم^(١)

ومما يوضح أيضاً صورة الولاء في نفوس أولئك الأخيار قوله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك "إن بالمدينة أقواماً ما سرتهم مسيرة، ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم قالوا: وهم بالمدينة؟

(١) - تاريخ الطبري (٣/ ٥١٩ - ٥٢٠) .

قالوا: " وهم بالمدينة حبسهم العذر " متفق عليه ^(١)

فانظر إلى هذا الولاء والتناصر حتى ممن حبسهم العذر، لأن هذا أمر لا عذر لهم في تركه، فهم مع إخوانهم بالدعاء والمتابعة.

أما اليوم فيرى المغرورون والمبهورون والمنهزمون أن الكفار - كما قال أحدهم - خصوم شرفاء، بل يرونهم أصدقاء أوفياء.

ولكن الذي يجب على المسلمين اليوم أن يفهموه: هو أن الاقتداء بسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلفنا الصالح في كل شيء، وفي قضية الولاء والبراء من باب

أخص هو الأمر المطلوب منهم وليس عليهم بعد ذلك أن تقوم أصوات أرباب التبعية والولاء للغرب الكافر والشرق الملحد لتنادي بما قاله وردد من قبلهم أن هذا الفعل رجعية وتقهر. بل إن عزم المسلمين المخلصين على تحقيق مقتضيات هذه العقيدة والإصرار على تحكيم الشريعة الربانية هو سبيل النجاح وطريق الفلاح، في الدنيا والآخرة وجدير بهم أن يرتفعوا إلى المستوى المطلوب منهم **{وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}** [سورة آل عمران: ١٣٩] ^(٢).

ومن تلك الامثلة للحب في الله تعالى: يقول أبو الدرداء - رضي الله عنه " :- ما أنصف إخواننا الأغنياء، يحبوننا في الله ويفارقونا في الدنيا، إذا لقيته قال: أحبك يا أبا الدرداء، فإذا احتجت إليه في شيء امتنع مني " ^(٣) ويقول أيوب السخيتان - يرحمه الله " :- إنه ليبلغني عن الرجل من أهل السنة أنه مات، فكأنما فقدت بعض أعضائي

(١) - صحيح البخاري (١٢٦/٨ ح ٤٤٢٣) كتاب المغازي وصحيح مسلم (١٥١٨/٣ ح ١٩١١) كتاب الإمارة .

(٢) - الولاء والبراء ص

(٣) - الزهد لابن المبارك (ص ٢٣٢)

وكان أحمد بن حنبل - رحمه الله - إمام أهل السنة، إذا نظر إلى نصراني أغمض عينيه، فقليل له في ذلك، فقال - رحمه الله - : " لا أقدرُ أن أنظر إلى من افترى على الله وكذب عليه " (١)

فانظر - يا رعاك الله - : كيف كان تعظيم الله وتوقيره في قلب الإمام أحمد يجعله لا يطيق النظر إلى من افترى على الله وكذب عليه، وأي افتراء أعظم من مقالة النصارى أن لله ولد - تعالى - الله عن ذلك علواً كبيراً قال عمر بن الخطاب في شأن النصارى: " أهينوهم ولا تظلموهم، فإنهم سبوا الله - تعالى - أعظم المسبة ". وهذا بهلول بن راشد - رحمه الله - من أصحاب مالك بن أنس - رحمه الله - دفع إلى بعض أصحابه دينارين ليشتري به زيتاً، فذكر للرجل أن عند نصراني زيتاً أعذب ما يوجد. فانطلق إليه الرجل بالدينارين وأخبر النصراني أنه يريد زيتاً عذباً لبهلول بن راشد، فقال النصراني: نتقرب إلى الله - تعالى - بخدمة بهلول كما تتقربون أنتم إلى الله بخدمته. وأعطاه بالدينارين من الزيت ما يعطى بأربعة دنانير، ثم أقبل الرجل إلى بهلول وأخبره الخبر، فقال بهلول: قضيت حاجة فاض لي الأخرى، ردّ على الدينارين فقال: لم؟ قال: تذكرت قول الله - تعالى - : **((لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ))** (المجادلة: من الآية ٢٢). (فخشيت أن أكل زيت النصراني فأجد له في قلبي مودة فأكون ممن حاد الله ورسوله على عرض من الدنيا يسير) (٢) وسئل الإمام أحمد عن جار رافضي؟ فقال: " لا تسلم عليه، وإذا سلم لا يُرد عليه " (٣)

وكان ابن رجاء من الحنابلة، يهجر من باع لرافضي كفنه، أو غسله، أو حمّله (٤) ولما كان العز بن عبد السلام في دمشق، وقع فيها غلاءً فاحشاً، حتى صارت البساتين تباع

(١) - طبقات الحنابلة (١/١٢).

(٢) - ترتيب المدارك للقاضي عياض ج ١ ص ٣٣٧

(٣) - طبقات الحنابلة (٢/١٤)

(٤) - طبقات الحنابلة (٢/٥٧)

بالثمن القليل، فأعطته زوجته ذهباً وقالت: اشر لنا بستاناً نصيف فيه، فأخذ الذهبَ وباعه،
وتصدق بثمانه، فقالت: يا سيدي اشتريت لنا ؟ قال: نعم بستاناً في الجنة. إني وجدتُ الناس
في شدةٍ، فتصدقتُ بثمانه، فقالت المرأة: جزاك الله خيراً^(١)

دخل أبو الوليد الطرطوش - يرحمه الله - على الخليفة في مصر، فوجدَ عنده وزيراً راهباً
نصرانياً، قد سلّم إليه القيادة، وكان يأخذُ برأيه، فقال الطرطوشي:

يا أيها الملك الذي جوده يطلبه القاصد والراغب

إن الذي شرفت من أجله يزعمُ هذا أنه كاذب

فعندئذٍ اشتد غضبُ الخليفة، فأمرَ بالراهبِ فسُحبَ وضُربَ، وأقبل على الشيخ فأكرمه
وعظَّمه بعد ما كان قد عزم على إيذائه.

يقول القرافي معلقاً على هذه القصة: " لما استحضر الخليفةُ تكذيبَ الراهبِ للرسول -
صلى الله عليه وسلم - وهو سبُّ شرفه، وشرفَ آبائه وأهل الأرض، بعثه ذلك عن
البعدِ عن السكونِ إليه والمودة، وأبعدهُ عن منازلِ العزِّ إلى ما يليقُ به من الذلِّ والصغار
(٢)

صور موالاة الكفار^(٣)

أخي المسلم: هناك في المجتمعات الإسلامية صور عديدة من صور موالاة من أمر الله
تعالى بمعادته والتبرء منه واليك بعض هذه المظاهر

١- الرضي بكفر الكافرين وعدم تكفيرهم أو الشك في كفرهم أو تصحيح أي مذهب
من مذاهبهم الكافرة

(١) - طبقات الشافعية للسبكي (٢١٤)

(٢) - الفروق (١٦/٣)

(٣) - من أحسن من كتب في ذلك الإمام/ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وأبناؤه، لذلك فمعظم هذه الصور منقولة من كتبه

ويتضح هذا الأمر في كونه ولاء للكفار: إنه يسرهم ويسعدهم أن يروا من يوافقهم على كفرهم ويجاريهم على مذاهبهم الإلحادية.

ومن لأدهى والأمر ذلك الخبر الذي يندى له الجبين حينما يسئل أحد علماء الأزهر وهو في أمريكا هل النصارى واليهود الموجودون اليوم كفار لأن القرآن يكفرهم؟

فيقول ذلك الشيخ: إن النصارى واليهود اليوم ليسوا كفار، أما الذين ذكروا في القرآن فهم الذين كانوا على عهد الرسول ﷺ - !!!

فهذا لا يكفرهم وكفرهم أمر معلوم من الدين بالضرورة

ومن المعلوم في معتقد أهل السنة والجماعة: أن حب القلب وبغضه يجب أن يكون كاملاً. فالذي يحب الكافر لأجل كفره فهو كافر بإجماع الأمة، ولم يخالف في ذلك أحد من علماء المسلمين. يقول ابن تيمية رحمه الله:

”أما حب القلب وبغضه، وإرادته وكرهيته فينبغي أن تكون كاملة جازمة لا توجب نقص ذلك إلا بنقص الإيمان. وأما فعل البدن فهو بحسب قدرته. ومتى كانت إرادة القلب وكرهته كاملة تامة وفعل العبد معها بحسب قدرته فإنه يعطى ثواب الفاعل الكامل، ذلك أن من الناس من يكون حبه وبغضه وإرادته وكرهته بحسب محبة نفسه وبغضها، لا بحسب محبة الله ورسوله وبغض الله ورسوله، وهذا من نوع الهوى، فإن اتبعه الإنسان فقد اتبع هواه: **{وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ يَغْيِرْ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}** [القصص: ٥٠] ^(١).

إذن: فالمحبة والرضى أمران جازمان لا يخرجان عن كونهما كفراً إذا كانا للكفار أو إيماناً إذا كانا للمؤمنين.

(١) - "شذرات البلاتين" : (ج١/٣٥٤)، "رسالة الأمر بالمعروف".

٢- التولي العام واتخاذهم أعواناً وأنصاراً وأولياء أو الدخول في دينهم وقد نهى الله عن ذلك فقال: { لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ } [آل عمران: ٢٨].

قال ابن جرير في تفسيرها: (من اتخذ الكفار أعواناً وأنصاراً وظهوراً يواليهم على دينهم ويظاهرهم على المسلمين فليس من الله في شيء، أي قد برئ من الله وبرئ الله منه، بارتداده عن دينه ودخوله في الكفر. (إلا أن تتقوا منهم تقاه) أي إلا أن تكونوا في سلطانهم فتخافوهم على أنفسكم فتظهروا لهم الولاية بالسنتكم وتضمروا العداوة، ولا تشايعوهم على ما هم عليه من الكفر ولا تعينوهم على مسلم بفعل) (١).

وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } [المائدة: ٥١].

قال ابن جرير رحمه الله في تفسيرها: (من تولى اليهود والنصارى من دون المؤمنين فإنه منهم. أي من أهل دينهم وملتهم، فإنه لا يتولى متول أحداً إلا وهو به وبدينه وما هو عليه راض، وإذا رضي ورضي دينه فقد عادى ما خالفه وسخطه وصار حكمه حكمه) (٢).

وقال ابن حزم: (صح أن قول الله تعالى: { وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ } إنما هو على ظاهره: بأنه كافر من جملة الكفار، وهذا حق لا يختلف فيه اثنان من المسلمين) (٣).

(١) - "تفسير الطبري": (ج ٣/٢٢٨).

(٢) - المصدر السابق: (ج ٦/٢٧٧).

(٣) - المحلى: (ج ٣٥/١٣) تحقيق حسن زيدان ١٣٩٢ هـ الناشر مكتبة الجمهورية العربية بمصر

وقال ابن تيمية: (أخبر الله في هذه الآية: أن متوليهم هو منهم وقال سبحانه: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}** [المائدة: ٥١]).

فدل على أن الإيمان المذكور ينفي اتخاذهم أولياء ويضاده ولا يجتمع الإيمان واتخاذهم أولياء في القلب. فالقرآن يصدق بعضه بعضاً^(١).

وقال ابن القيم -رحمه الله-: (إن الله قد حكم ولا أحسن من حكمه أنه من تولى اليهود والنصارى، فهو منهم (ومن يتولهم منكم فإنه منهم) فإذا كان أولياؤهم منهم بنص القرآن كان لهم حكمهم. وهذا عام، خص منهم من يتولاهم ودخل في دينهم بعد التزام الإسلام فإنه لا يُقر ولا تُقبل منه الجزية. بل إما الإسلام أو السيف لأنه مرتد بالنص والإجماع، ولا يصح إلحاق من دخل في دينهم من الكفار قبل التزام الإسلام بمن دخل فيه من المسلمين؛ لأن من دان بدينهم من الكفار بعد نزول القرآن فقد انتقل من دين إلى دين خير منه -وإن كانا جميعاً باطلين-، وأما المسلم فإنه قد انتقل من دين الحق إلى الدين الباطل بعد إقراره بصحة ما كان عليه وبطلان ما انتقل إليه فلا يقر على ذلك)^(٢).

ويستبعد سيد قطب أن يكون بين المسلمين، من يميل إلى إتباع اليهود والنصارى في الدين. وإنما المراد ولاء التحالف والتناصر. يقول رحمه الله: (إن الولاية المنهي عنها هنا ولاية التناصر والتحالف معهم، ولا تتعلق بمعنى إتباعهم في دينهم، فبعيد جداً أن يكون بين المسلمين من يميل إلى إتباع اليهود والنصارى في الدين، إنما هو ولاء التحالف والتناصر الذي كان يلتبس على المسلمين أمره، فيحسبون أنه جائز لهم بحكم ما كان واقعاً من تشابك المصالح والأواصر، ومن قيام هذا الولاء بينهم وبين جماعات من اليهود قبل الإسلام وفي أوائل العهد بقيام الإسلام في المدينة حتى نهاهم الله عنه وأمر

(١) - نظر "الإيمان" لابن تيمية: (ص ١٤) طبع المكتب الإسلامي.

(٢) - أحكام أهل الذمة "لابن القيم: (ج ١/ ٦٩، ٦٧).

بإبطاله. يوضح ذلك قوله تعالى بشأن المسلمين الذين لم يهاجروا: **{مَا لَكُمْ مِنْ وَلَائِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا}** [الأنفال: ٧٢].

أي ولاية التناصر والتعاون وليس ولاية الدين. نقول هذا : لأن البعض يخلط بين دعوة الإسلام إلى السماحة في معاملة أهل الكتاب والبرّ بهم في المجتمع المسلم الذي يعيشون فيه وبين الولاء الذي لا يكون إلا لله ورسوله وللجماعة المسلمة. ناسين ما يقرره القرآن الكريم من أن أهل الكتاب بعضهم أولياء بعض في حرب الجماعة المسلمة، وأن هذا شأن ثابت لهم، وأنهم لن يرضوا عن المسلم إلا أن يترك دينه ويتبع دينهم .

وسداجة أية سذاجة، وغفلة أية غفلة: أن تظن أن لنا وإياهم طريقاً واحداً نسلكه للتمكين للدين!! أمام الكفار والملحدين. فهم مع الكفار والملحدين إذا كانت المعركة ضد المسلمين.

فلندع من يغفل عن هذا ولنكن واعين للتوجيه القرآني **(آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ)** الآية (١)

٣- الإيمان ببعض ما هم عليه من الكفر، أو التحاكم إليهم دون كتاب الله كما قال تعالى: **{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا}** [النساء: ٥١]

ونظير هذه الآية قوله تعالى عن بعض أهل الكتاب: **{وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٠١)}** **وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكٍ سَلِيمٍ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا}** [البقرة: ١٠١-١٠٢]. فأخبر سبحانه أنهم اتبعوا السحر وتركوا كتاب الله كما يفعله كثير من اليهود وبعض المنتسبين إلى الإسلام. فمن كان من هذه الأمة

(١) - " في ظلال القرآن " : (ج٢/٩٠٩-٩١٠) بتصرف . وسيرد مزيد من التفصيل إن شاء الله عند الحديث عن زمالة الأديان ! .

موالياً للكفار: من المشركين أو أهل الكتاب ببعض أنواع الموالاة كإتيانه أهل الباطل وإتباعهم في شيء من فعالهم ومقاهم الباطل: كان له من الذم والعقاب والنفاق بحسب ذلك^(١).

وإن هذه الصورة من صور الموالاة قد وقع فيها معظم المنتسبين إلى الإسلام اليوم، فالإيمان ببعض ما هم عليه أمر واقع في "العالم الإسلام" لا ينكره إلا مكابر جاهل، فهي البيغوات من أبناء أمتنا ومن ينطقون بألستنا قد آمنت بالشيوعية مذهباً تارة وبالاشرابية تارة أخرى، وبالديمقراطية نظاماً أو العلمانية دستوراً، فأخذت هذه المبادئ الكافرة وطبقته في بلاد المسلمين ملزمة الناس بعبادتها "في الطاعة والانقياد والتنفيذ" ونصبت العداء لكل مسلم موحد ينادي في الأمة أن تعود إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

وإن من الإيمان ببعض ما هم عليه: مسألة فصل الدين عن الدولة وإنه لا علاقة للإسلام بالسياسة، فهذه أيضاً فرع للقضية السابقة، لم توجد إلا في أوروبا أيام الاضطهاد الكنسي لرجال العلم. ولكن أين الإسلام دين العدل ودين السياسة ودين القوة من "هرطقة" رجال الكنيسة حتى يأتي بعض الأقزام فيستورد تلك السموم من أوروبا ليلبس الإسلام قناعاً مزيفاً فيقول: الإسلام علاقة بين العبد وربّه والسياسة لها رجالها ولها قضاياها التي لا تمت إلى الدين بصلة^(٢).

٤- مودتهم ومحبتهم: وقد نهى الله عنها بقوله: **{لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ}** [المجادلة: ٢٢].

(١) - انظر "فتاوى ابن تيمية": (ج ٢٨/١٩٩-٢٠١).

(٢) - هناك كتاب أفاضوا الحديث في هذه القضية منهم: د. محمد البهي و سيد قطب و المودودي وغيرهم. ومن أراد التفصيل الدقيق فعليه بمراجعة كتاب "العلمانية وآثارها في العالم الإسلامي" للأخ الدكتور/ سفر بن عبدالرحمن الحوالي

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

(أخبر الله أنك لا تجد مؤمناً يواد المحادّين لله ورسوله، فإن نفس الإيمان ينافي موادته كما ينفي أحد الضدين الآخر، فإذا وجد الإيمان انتفى ضده، وهو موالاته أعداء الله. فإذا كان الرجل يوالي أعداء الله بقلبه؛ كان ذلك دليلاً على أن قلبه ليس فيه الإيمان الواجب)^(١).

قال تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ}** [الممتحنة: ١].

٥- الركون إليهم : قال تعالى : **{وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ}** [سورة هود: ١١٣]

قال القرطبي: الركون حقيقته: الاستناد والاعتماد، والسكون إلى الشيء والرضا به^(٢).

وقال قتادة : معنى الآية : لا توادوهم ولا تطيعوهم. وقال ابن جريج: لا تميلوا إليهم .

وهذه الآية دالة على هجران أهل الكفر والمعاصي من أهل البدع وغيرهم فإن صحبتهم كفر أو معصية. إذ الصحبة لا تكون إلا عن مودة كما قيل:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي^(٣)

وقال تعالى: **{وَلَوْلَا أَنْ تَبَتُّنَا لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا (٧٤) إِذَا لَأَذْنُكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا}** [الإسراء: ٧٤، ٧٥].

(١) - "الإيمان" : (ص ١٣).

(٢) - "تفسير القرطبي" : (ج ٩/١٠٨)، وانظر "البغوي والخازن" : (ج ٣/٢٥٦). أما البيت فهو لطرفة بن العبد

(٣) - المصدر السابق.

وإذا كان هذا الخطاب لأشرف مخلوق صلاة الله وسلامه عليه فكيف بغيره؟^(١).

٦- مداهنتهم ومداراتهم ومجاملتهم على حساب الدين: قال تعالى: **{وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ}** [القلم: ٩].

والمداهنة والمجاملة والمداراة على حساب الدين أمر وقع فيه كثير من المسلمين اليوم، وهذه نتيجة طبيعية للانهمزام الداخلي في نفوسهم. حيث رأوا أن أعداء الله تفوقوا في القوة المادية فانبهروا بهم، ولأمر ما رسخ وترسب في أذهان المخدوعين أن هؤلاء الأعداء هم رمز القوة ورمز القدوة - فأخذوا ينسلخون من تعاليم دينهم مجاملة للكفار ولئلا يصمهم أولئك الكفرة بأنهم "متعصبون"! وصدق المصطفى صلى الله عليه وسلم، إذ يقول في مثل هؤلاء: "لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً شبراً وذراعاً ذراعاً حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم". قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: "فمن"^(٢).

إن المداهنة والمجاملة قد تبدأ بأمر صغير ثم تكبر وتنمو حتى تؤدي - والعياذ بالله - إلى الخروج من الملة. وهذه إحدى مزالق الشيطان فليحذر المسلم منها على نفسه، وليعلم أنه هو الأعز وهو الأقوى إذا امثل منهج الله وتقيد بشرعه ومقتضيات عقيدته.

ومن الأمور الواضحة في تاريخ المسلمين: أن من أكبر العوامل في انتصارهم - بعد الإيمان بالله ورسوله - الاعتزاز بالإسلام. يصدق ذلك ويؤيده قول الفاروق - رضي الله عنه -: "إنا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام فمهما نطلب العز بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله"^(٣).

(١) - "مجموعة التوحيد" : (ص ١١٧) ط. دار الفكر.

(٢) - "صحيح البخاري" : (ج ٣٠٠/١٣ ح ٧٣٢٠) كتاب الاعتصام، و"صحيح مسلم" : (ج ٢٠٥٤/٤ ح ٢٦٦٩). واللفظ للبخاري

(٣) - أخرجه الحاكم في "المستدرک" : (ج ٦٢/١) كتاب الإيمان. وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي في تلخيصه.

٧- اتخذهم بطانة من دون المؤمنين: قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ } [آل عمران: ١١٨].

نزلت هذه الآية في أناس من المؤمنين كانوا يضافون المنافقين، ويواصلون رجلاً من اليهود لما كان بينهم من القرابة والصداقة والجوار فأنزل الله هذه الآية تنهاهم عن مباطنتهم خوف الفتنة منهم عليهم^(١).

وبطانة الرجل: خاصته، تشبيهاً ببطانة الثوب التي تلي بطنه لأنهم يستبطنون أمره ويطلعون منه على ما لا يطلع عليه غيرهم. وقد بين الله العلة في النهي عن مباطنتهم فقال: (لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا) أي لا يقصرون ولا يتركون جهدهم فيما يورثكم الشر والفساد، ثم إنهم يودون ما يشق عليكم من الضر والهلاك.

والعداوة التي ظهرت منهم: شتم المسلمين والوقية فيهم.

وقيل: بإطلاع المشركين على أسرار المسلمين^(٢) (وفي سنن أبي داود قوله صلى الله عليه وسلم "الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل"^(٣)).

٨- طاعتهم فيما يأمرهم ويشيرون به^(٤):

قال تعالى ناهياً عن ذلك: { وَلَا تُطِيعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا } [الكهف: ٢٨]. وقال: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى

(١) - "أسباب النزول" للواحدي: (ص ٦٨).

(٢) - انظر "تفسير البغوي": (١/٤٠٩)، و"تفسير ابن كثير": (٢/٨٩).

(٣) - "سنن أبي داود": (ج ٥/١٦٨، ح ٤٨٣٣) كتاب الأدب، وفي "المسند": (ج ١٦/١٧٨، ح ٨٣٩٨)، طبعة شاكر، والترمذي: (ج ٧/١١١، ح ٢٣٧٩) في "الزهد"، وقال هذا: حديث حسن غريب.

(٤) - "مجموعة التوحيد": (ص ١١٧).

أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ} [آل عمران: ١٤٩] وقال: {وَأِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ} [الأنعام: ١٢١].

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: **(وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ)** حيث عدلتم عن أمر الله لكم وشرعه إلى قول غيره، فقدمتم عليه غيره فهذا هو الشرك، كما قال تعالى: **{اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا} [التوبة: ٣١].^(١)**

مجالستهم، والدخول عليهم وقت استهزائهم بآيات الله: قال تعالى في النهي عن مجالستهم: **{وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا} [النساء: ١٤٠].**

قال ابن جرير: (قوله **(إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ)**) أي إنكم إذا جالستم من يكفر بآيات الله ويستهزئ بها وأنتم تسمعون فأنتم مثلهم إن لم تقوموا عنهم في تلك الحال، لأنكم قد عصيتم الله بجلوسكم معهم وأنتم تسمعون آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها.

وفي الآية دلالة واضحة على النهي عن مجالسة أهل الباطل من كل نوع من الكفرة والمبتدعة والفسقة عند خوضهم في باطلهم)^(٢).

وفي الحديث عن النبي ﷺ: "لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين أن يصيبكم مثل ما أصابكم"^(٣)

تولييتهم أمراً من أمور المسلمين:

(١) - "تفسير ابن كثير" : (ج ٣/٣٢٢).

(٢) - "تفسير الطبري" : (ج ٥/٣٣٠).

(٣) - رواه أحمد في "المسند" (ج ٨/٨٠، ح ٥٧٠٥) بتحقيق أحمد شاكر، و"صحيح البخاري" : (ج ٨/١٢٥، ح ٤٤١٩) كتاب المغازي، و"صحيح مسلم" : (ج ٤/٢١٨٥، ح ٢٩٨٠) كتاب الزهد.

كالإمارة والكتابة وغيرها، والتولية شقيقة الولاية لذلك فتوليتهم نوع من توليتهم. وقد حكم الله أن من تولاهم فإنه منهم. ولا يتم الإيمان إلا بالبراءة منهم. والولاية تنافي البراءة فلا تجتمع البراءة والولاية أبداً.

والولاية إعزاز فلا تجتمع هي وإذلال الكفر أبداً.

والولاية صلة فلا تجماع معاداة الكافر أبداً.

ولو علم ملوك الإسلام بخيانة النصارى الكتاب -مثلاً- ومكاتبتهم الفرنج أعداء الإسلام، وتمنيهم أن يستأصلوا الإسلام وأهله، وسعيهم في ذلك بجهد الإمكان: لثناهم ذلك عن تقريريهم وتقليدهم الأعمال.

فهذا الملك -الصالح- كان في دولته نصراني يسمى: محاضر الدولة أبا الفضل بن دخان ولم يكن في المباشرين أمكن منه. كان قذى في عين الإسلام، وبثرة في وجه الدين.

بلغ من أمره أنه وقع لرجل نصراني أسلم برده إلى دين النصرانية وخروجه من الملة الإسلامية، ولم يزل ي كاتب الفرنج بأخبار المسلمين، وأعمالهم، وأمر الدولة وتفاصيل أحوالها.

وكان مجلسه معموراً برسل الفرنج والنصارى وهم مكرمون لديه، وحوائجهم مقضية عنده، ويحمل لهم الإدرار والضيافات، وأكابر المسلمين محجوبون عن الباب لا يؤذن لهم، وإذا دخلوا لم ينصفوا في التحية ولا في الكلام. وحدث أن اجتمع في مجلس ‘الصالح’ أكابر الناس من الكتاب والقضاة والعلماء فسأل السلطان بعض الجماعة عن أمر أفضى به إلى ذكر مخازي النصارى فبسط لسانه في ذلك وذكر بعض ما هم عليه من الأفعال والأخلاق. وقال من جملة كلامه: إن النصارى لا يعرفون الحساب، ولا يدرونه على الحقيقة لأنهم يجعلون الواحد ثلاثة والثلاثة واحداً. والله تعالى يقول: { لَقَدْ كَفَرَ

الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ } [المائدة: ٧٣].

وأول أمانتهم وعقد دينهم: “بسم الأب والابن وروح القدس إله واحد”، فأخذ هذا المعنى بعض الشعراء وقال في قصيدة له:

كيف يدري الحساب من جعل الوحد رب الورى تعالى ثلاثة

ثم قال : كيف تأمن أن يفعل في معاملة السلطان كما فعل في أصل اعتقاده، ويكون مع هذا أكثر النصارى أمانة؟

وكلما استخرج ثلاثة دنائير دفع إلى السلطان ديناراً وأخذ لنفسه اثنين ولا سيما وهو يعتقد ذلك قرابة وديانة؟ .

وانصرف القوم واتفق أن كبت النصراني بطنته، وظهرت خيانتة فأريق دمه وسلط على وجوده عدمه^(١)

١٣- استئمانهم وقد خونهم الله: قال تعالى: {وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدُّ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدُّ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ يَأْتِيهِمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ } [آل عمران: ٧٥].

١٤- الرضى بأعمالهم والتشبه بهم، والتزيي بزيهم^(٢)

١٥- البشاشة لهم والطلاقة وانسراح الصدر لهم وإكرامهم وتقريبهم^(٣).

(١) - "أحكام أهل الذمة" لابن القيم: (ج ١/ ٢٤٢-٢٤٤) بتصرف يسير .

(٢) - "مجموعة التوحيد" : (١١٧)

(٣) - مجموعة التوحيد" (ص ١١٧)

١٦- معاوتتهم على ظلمهم ونصرتهم: ويضرب القرآن لذلك مثالين هما: امرأة لوط التي كانت ردءاً لقومها، حيث كانت على طريقتهم، راضية بأفعالهم القبيحة، تدل قومها على ضيوف لوط. وكذلك فعل امرأة نوح^(١).

١٧- مناصحتهم والثناء عليهم ونشر فضائلهم^(٢): وهذه الصورة ظهرت واضحة في العصور الأخيرة فقد رأينا "أفراخ المستشرقين" -مثلاً- ينشرون فضائلهم وأنهم أصحاب المنهج العلمي السديد و..و.. إلخ كذلك جاء من ينشر "فضائل" الغرب أو الشرق مضافاً عليها ألقاب التقدم والحضارة والرقى، وواصماً الإسلام والمنتسبين إليه بالرجعية والجمود والتأخر عن مسيرة الركب الحضاري والأمم المتقدمة.

١٨- تعظيمهم وإطلاق الألقاب عليهم: مثل: السادة والحكماء ومبادئهم بالسلام (ومما يجب النهي عنه ما يفعله كثير من الجهال في زماننا إذا لقي أحدهم عدو الله سلم عليه ووضع يده على صدره إشارة إلى أنه يحبه محبة ثابتة في قلبه).

أو يشير بيده إلى رأسه إشارة إلى أن منزلته عنده على الرأس، وهذا الفعل المحرم يُخشى على فاعله أن يكون مرتداً عن الإسلام؛ لأن هذا من أبلغ الموالاة والمواودة والتعظيم لأعداء الله^(٣).

والتعظيم واللقب الرفيع رمز للعزة والتقدير وهما مقصورتان على المؤمن. أما الكافر فله الإهانة والذلة. وقد ورد في الحديث الصحيح النهي عن مبادأتهم بالسلام فقال ﷺ: "لا تبدؤا اليهود ولا النصارى بالسلام، فإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروه إلى أضيقه"^(٤).

(١) -"تفسير ابن كثير": (ج٦/٢١٠).

(٢) -"مجموعة التوحيد" (ص١١٧)، ورسائل سعد بن عتيق: (ص١٠١).

(٣) -"تحفة الإخوان" للشيخ حمود التويجري: (١٩)، الطبعة الأولى، مؤسسة النور بالرياض.

(٤) -"صحيح مسلم": (ج٤/١٧٠٧، ح٢١٦٧) كتاب السلام، وأبو داود: (ج٥/٣٨٤، ح٥٢٠٥) في الأدب

١٩- السكنى معهم في ديارهم وتكثير سوادهم^(١) : قال رسول الله ﷺ : "من جامع المشرك وسكن معه فإنه مثله"^(٢) .

وقال: "لا تساكنوا المشركين ولا تجامعوهم فمن ساكنهم أو جامعهم فليس منا"^(٣)

٢٠- التآمر معهم، وتنفيذ مخططاتهم، والدخول في أحلافهم وتنظيماتهم، والتجسس من أجلهم، ونقل عورات المسلمين وأسرارهم إليهم، والقتال في صفهم^(٤)

٢١- وهذه الصورة من أخطر ما ابثلت به أمتنا في هذا العصر. ذلك أن وجود ما يسمى في المصطلح الحديث "الطابور الخامس" قد أفسد أجيال الأمة في كل مجال سواء في التربية والتعليم أم في السياسة وشؤون الحكم أم في الأدب والأخلاق أم في الدين والدنيا معاً. وصدق الشاعر محمود أبو الوفا فيما نقله عنه الشيخ محمد قطب أنه قال حين خرج الاستعمار الإنجليزي من مصر: (خرج الإنجليز الحمر وبقي الإنجليز السمرة!!) - نعم إن داءنا هم الإنجليز السمرة.

ترى من هو الساهر على تنفيذ خطة "دنلوب" في التربية والتعليم؟ ومن هو القائم بتنفيذ مخططات اليهود الثلاثة: فرويد وماركس ودور كايم في أفكارهم الخبيثة؟^(٥) .

إنهم المستغربون من أبناء هذه الأمة الذين حققوا لأعداء الله ما لا يحلمون به. ولكن هيهات لهم فإن الله يقول **{وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (١٧١) إِنَّهُمْ لَهُمُ**

(١) - "الرسائل المفيدة" للشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ : (ص ٦٤).

(٢) - أبو داود : (ج ٣/ ٢٢٤ ، ح ٢٧٨٧) كتاب الجهاد، وقال الشيخ الألباني : حديث حسن، انظر "صحيح الجامع الصغير" : (ج ٦/ ٢٧٩ ، ح ٦٠٦٢).

(٣) - الحاكم في "المستدرک" : (ج ١٤١/ ٢) ، وقال صحيح على شرط البخاري، ووافقه الذهبي.

(٤) - "الإيمان. حقيقته. أركانه. نواقضه" للدكتور محمد نعيم ياسين : (ص ١٤٧).

(٥) - يراجع كتاب "التطور والثبات في حياة البشرية" للأستاذ محمد قطب : (ص ٣٥) فصل : اليهود الثلاثة، وكتاب "هل نحن مسلمون؟" : (ص ١٣٣) ، وكتاب "مذاهب فكرية معاصرة".

الْمَنْصُورُونَ (١٧٢) وَإِنْ جُنَدْنَا لَهُمُ الْعَالِيُونَ { [الصفافات: ١٧١ - ١٧٣] سورة
الصفافات: ١٧١ - ١٧٣].

٢٢- من هرب من دار الإسلام إلى دار الحرب بغضاً للمسلمين وحباً للكافرين^(١).

٢٣- من انخرط في الأحزاب العلمانية أو الإلحادية كالشيوعية والاشتراكية والقومية
والماسونية وبذل لها الولاء والحب والنصرة^(٢).

^(١) - "الردة بين الأمس واليوم" : (ص ٣٣).

^(٢) - المصدر السابق : (ص ٤٠).

ثالثا إعداد العدة

واعلم أخي علمني الله وإياك: أن من الأمور التي يجب على الأمة الأخذ بها فهي فرض تأثم الأمة أن لم تأخذ به ألا وهو إعداد العدة للعدو المتربص بالأمة الدوائر يقول الله تعالى **{وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ}** [الأنفال: ٦٠]

أي **{ وَأَعِدُّوا }** لأعدائكم الكفار الساعين في هلاككم وإبطال دينكم. **{ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ }** أي: كل ما تقدرُونَ عليه من القوة العقلية والبدنية وأنواع الأسلحة ونحو ذلك مما يعين على قتالهم، فدخل في ذلك أنواع الصناعات التي تعمل فيها أصناف الأسلحة والآلات من المدافع والرشاشات، والبنادق، والطائرات الجوية، والمراكب البرية والبحرية، والحصون والقلاع والخنادق، وآلات الدفاع، والرأي: والسياسة التي بها يتقدم المسلمون ويندفع عنهم به شر أعدائهم، وتعلّم الرمي، والشجاعة والتدبير

ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: **{ ألا إن القوة الرمي }** ومن ذلك: الاستعداد بالمراكب المحتاج إليها عند القتال، ولهذا قال تعالى: **{ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ }** وهذه العلة موجودة فيها في ذلك الزمان، وهي إرهاب الأعداء، والحكم يدور مع علته فإذا كان شيء موجود أكثر إرهابا منها، كالسيارات البرية والهوائية، المعدة للقتال التي تكون النكاية فيها أشد، كانت مأمورا بالاستعداد بها، والسعي لتحصيلها، حتى إنها إذا لم توجد إلا بتعلّم الصناعة، وجب ذلك، لأن ما لا يتم الواجب إلا به،

فهو واجب {وقوله: **{ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ }** ممن تعلمون أنهم أعداؤكم. **{ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمْ }** ممن سيقاتلونكم بعد هذا الوقت الذي يخاطبهم الله به **{ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ }** فلذلك أمرهم بالاستعداد لهم، ومن أعظم ما يعين على قتالهم بذلك

النفقات المالية في جهاد الكفار. ولهذا قال تعالى مرغبا في ذلك: **{وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} قَلِيلًا كَانَ أَوْ كَثِيرًا {يُوفَّ إِلَيْكُمْ}** أجره يوم القيامة مضاعفا أضعافا كثيرة، حتى إن النفقة في سبيل الله، تضاعف إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة. { وَأَنْتُمْ لَا تُظَلَمُونَ أَي: لا تنقصون من أجرها وثوابها شيئا ^(١)

واعلم أن إعداد العدة يشتمل على جوانب كثيرة وكلها مرتبط ببعض بعض

يقول الشيخ / أحمد بن حمدان بن محمد الشهري المطلب الأول: تعبئة الجيش وتجنيد الجند ودور ذلك في التمكين

من الأمور التي وردت في القرآن الكريم فيما يتعلق بالجهاد تعبئة الجيش وتجنيد الجند، ولقد ذكرت في القرآن ذكراً ظاهراً وربط الله سبحانه وتعالى بها النصر والغلبة، ووصف بها سبحانه الدولة المسلمة وجعلها من أبرز مزاياها وامتن سبحانه وتعالى بذلك وجعله من نعمائه، يبرز ذلك جلياً في تلك الدولة المسلمة، المملكة العزيزة دولة نبي الله سليمان على نبينا وعليه الصلاة والسلام الذي دعا ربه أن يؤتیه ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده فحققه الله: **{قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ}** [ص: ٣٥].

ويذكر الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز عن تلك الدولة التي مكن لها والتي كانت تبني الدعوة إلى الله وتجاهد من أجلها؛ يذكر أول مزية لها ويبرزها سبحانه وتعالى وهي تعبئة الجيش القوي عندها، وتجنيد الجند وترتيبهم وتفقدتهم من الملك تفقداً جاداً حازماً. قال تعالى: **{وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ}** [النمل: ١٧] وفي هذه الآية نرى كيف بلغ الاعتناء بالتجنيد والجيش لتلك الدولة ذات

(١) - تفسير السعدي - (ج ١ / ص ٣٢٤)

الملك العظيم وحمل دعوة الحق وتبليغها ذلك المبلغ العظيم، ونلمح ذلك الاعتناء من لفتات في الآية تبرز عند تأملها.

وإليك هذه اللفات مجملة في النقاط التالية: -

(١) **اللفظة الأولى:-** كثرة الجند وبلوغه من الكثرة عدداً هائلاً وذلك نلمحه في كلمة { وَحُشِرَ } وكلمة { وَحُشِرَ } قوله _ تعالى: { وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ }

قال الراغب عند مادة "حشر": "الحشر إخراج الجماعة عن مقرهم، ولا يقال الحشر إلا في الجماعة. قال _ تعالى: { وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ } [الشعراء: ٣٦] وقال _ تعالى: { وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً } [ص: ١٩] وقال: { لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَّتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا } [الحشر: ٢] وقال: _ { وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ } [النمل: ١٧]

أما كلمة { جُنُودُهُ } في الآية فالجنود جمع الجمع، فهي جمع الجند؛ فإنه يقال - في الأصل - لكل مجتمع جند، وجمع الجند جنود وأجناد^(١)

ومن خلال تلك اللفظة التي تشخصها ألفاظ الآية وكلماتها نرى الاعتناء بكثرة الجند الكثرة الهائلة في تلك الدولة العظيمة، ونلمس درساً يؤخذ لكل دولة تتبنى دعوة الحق وتجاهد لها أن تعني بالتجنيد وكثرة الجيش، ونأخذ في الاعتبار كذلك أن هذا لا يعارض ما ورد في قوله _ تعالى: { وَيَوْمَ حُشِنَ إِذْ أَعْجَبْتَكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُذِيرِينَ } [التوبة: ٢٥]

ففي هذه الآية ذم الله _ سبحانه وتعالى _ الالتفات بالقلب إلى الكثرة والالتكال إلى العدد والأسباب وجعلها هي عامل النصر الأساس، وإنما المتوجب على المؤمنين إعداد الأسباب

(١) - انظر المفردات كذلك: ١٠٠

وإتقانها ثم صرف القلوب إلى واهب النصر وحده دون الالتفات بها إلى السبب، وجمع القلوب بكليتها إليه واعتمادها في نيل النصر عليه^(١)

وهذا التجنيد كان حال أمة الإسلام في عصرها الأول، فلقد كان المسلمون كلهم جنوداً في أهبة الاستنفار وبعث المدد أو إعداد الجيش؛ كلهم عن بكرة أبيهم لا يعذر منهم إلا أصحاب الأعذار، فما لواحد منهم بد إذا سمع صوت النفير إلى الجهاد في سبيل الله، قال _ تعالى: **{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ (٣٨) إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }** [التوبة: ٣٨، ٣٩] .

(٢) - اللفتة الثانية في الآية -

هي وضع كل الطاقات الممكنة في الجيش وتوجيه كل القوى في إعداد وإكماله، وهذا واضح في قوله _ تعالى: **{ مِنْ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ }** [النمل: ١٧] فلقد كان يكفي الجن عن الإنس في إعداد جيش عظيم، أو لعله قد كان يكفي الإنس والجن في الجيش فما لازم الطير أن يكونوا في الجند، وتجري عليهم أنظمة الجيش الحازمة الصارمة عند التخلف عن الحضور في صفوف الجند دون عذر مقنع، إن الطير يعرف موضعها عند ملوك الزمان في الغالب فهم يضعونها في القصور والغابات والصورح العظام للزينة، أما كون نبي الله سليمان وضعها ضمن جنده وفي جيشه مع الجن والإنس؛ فيدل ذلك على شدة الاعتناء بجيش الدولة وتعبئته بكافة الإمكانيات المستطاعة، وذلك هو شأن الدولة القوية المؤمنة التي تسعى لإقامة دين الله وجهاد أعدائه ودوامها على ذلك.

(١) - راجع كتاب (الدعوة والدعاة بين تحقيق التوكل واستعجال النتائج) ص ٦٠

(٣) - اللفظة الثالثة: - { فَهْمٌ يُوزَعُونَ } أي الجند من الجن والإنس والطير ومعنى { فَهْمٌ يُوزَعُونَ } أي يكفون أي يسيرون بانتظام في حشرهم إليه، ويوجد على كل صنف من يزعه أي يكفه ويرده على نظام الجميع في التحرك والسير. قال ابن عباس رضي الله عنه -: "جعل على كل صنف من يرد أولاهها على أخرهاها لئلا يتقدموا في المسير.." ^(١) .

ومن هذا نستفيد أن تلك الكثرة المختلفة الأصناف في ذلك الجيش على نظام فائق منضبط عند الاجتماع وعند السير والتنقلات، وهذه ميزة ضرورية لجند الدولة المجاهدة، فالكثرة دون تنظيم، ودون من يقوم على تنظيمها كثرة همجية غوغائية، وهي السبب المباشر في هزيمة الجيش عند المواجهة أو إنهاكه وضياعه عند التنقل والتحرك.

تلكم هي أهم خصال جيش الدولة المجاهدة التي مكن الله لها في الأرض والتي تسعى لنشر دعوة الحق وتمكينها فيمن حولها؛ فكثرة المجندين للجهاد سواء في السلم أو الحرب مطلب ضروري والكثرة يسعى إليها ولا يتكل عليها، ولقد استعاذ نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - من القلة وقرنها في دعائه بالذلة، فقال - عليه الصلاة والسلام - : (اللهم إني أعوذ بك من الفقر والقلة والذلة...) ^(٢) .

وبناءً على هذا فينبغي الإكثار من الجند والتجنيد عند الاقتدار، سواء كان ذلك التجنيد في السلم أو لمواجهة الحرب وإنشاء الجهاد والفتوح كما قال نبي الله سليمان على نبينا وعليه الصلاة والسلام { اَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأَيِّتَنَّهُمْ يَجْنُودٌ لَّا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ } [النمل: ٣٧]. أما تعبئة الجيش بما أمكن من طاقات وقدرات وتقويته، فهو مطلب لقوة الجيش وتمكينه من النصر، وسبب له أمر الله - سبحانه - و - تعالى - هذه الأمة باعتماده وصرف القوى إليه.

(١) - تفسير الطبري (١٩/١٤١).

(٢) - تمام الحديث في سنن النسائي . الاستعاذة (٢٦١/٨).

قال _تعالى_: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ } [الأنفال: ٦٠].

فالله _سبحانه وتعالى_ أمر في هذه الآية بإعداد كل ما في الوسع والاستطاعة من قوة لمواجهة الأعداء، والقوة كل ما يتقوى به في الحرب ^(١)، ومن ذلك السلاح والقسي والحصون وآلات الحرب، ولقد ثبت عنه _صلى الله عليه وسلم_ من حديث عقبة بن عامر، قال: "سمعت رسول الله _صلى الله عليه وسلم_ وهو على المنبر يقول: (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ألا إن القوة الرمي ..) قالها ثلاث مرات ^(٢) . فتقوية الجيش مطلوبة بكل ما أمكن من عدة الحروب وعتادها وآلاتها، والرمي هو أقوى تلك القوى وأولاها بالاعتناء.

أما التعبئة العددية، واعتبار الأعداد، فهو أمر اعتبره القرآن ورتب عليه غلبة أهل الإيمان في حالة معينة، وعذرهم حين يقل العدد في حالة أخرى، وأوجب عليهم المواجهة ووعدهم النصر حين يبلغ العدد حالة ثالثة ويتحلى أهل الإيمان بالصبر قال _تعالى_: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ (٦٥) الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ } [الأنفال: ٦٥، ٦٦].

جاء عن ابن عباس _رضي الله عنه_ في تفسير هذه الآية من طرق عدة قوله _رضي الله عنه_ - "لما نزلت هذه الآية ثقلت على المسلمين وأعظموا أن يقاتل عشرون مئتين ومئة ألفاً فخفف الله عنهم فنسخها بالآية الأخرى فقال: { الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ

(١) - راجع "فتح القدير" للشوكاني (٣٢٠/٢).

(٢) - سنن أبي داود. الجهاد (١٣/٣) ومسلم في الإمارة في فضل الرمي (٦٤/٥).

فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ { [الأنفال: ٦٦] الآية، فكانوا إذا كانوا على الشطر من عدوهم لم يسغ لهم أن يفروا من عدوهم، وإذا كانوا دون ذلك لم يجب عليهم قتالهم وجاز لهم أن يتحوزوا عنهم^(١) .

وهنا نرى كيف أن الله _ سبحانه وتعالى _ اعتبر الكمية العددية في لقاء المؤمنين لأعدائهم، وحدد لها حالات وأرقاماً تجاه أرقام كذلك من أعدائهم الكافرين وعليه يتعين لجند الإيمان وجيش الدعوة اعتبار العدد منهم تجاه العدد من أعدائهم، وبناء تقديراتهم في مواجهة الأعداء بما ورد في الآيات المذكورة آنفاً. وتعبئة جيوشهم وإرسال كتائب مقاومة الأعداء بناءً على القيمة العددية التي اعتبرت في الآيات، حتى لا يُؤتوا عن قلة، وما ورد في قوله _ تعالى _ : **{كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ}** [البقرة: ٢٤٩] ، إنما هو في حالة قلة أهل الإيمان وانعدام المدد، أما في حالة توافر أهل الإيمان وكثرتهم فينبغي لهم اعتبار العدد الذي عدّه الله _ سبحانه _ في كتابه وضمن لهم الغلبة إذا توفر مع الصبر.

ولقد أرشد النبي ﷺ إلى أفضل ما تكون عليه التعبئة العددية للجيش وفصائلها من سرايا وكتائب؛ كل حسب ما يلائم دوره في الجيش ومهامه بحيث يتناسب العدد مع أداء المهام، فلا يثقل فتتعرثر المهمة لكثرتة ولا يقل فتكون الغلبة أو الانسحاب لقلته، فعن ابن عباس _ رضي الله عنه _ قال: ﴿قال رسول الله ﷺ (خير الصحابة أربعة، وخير السرايا أربعمائة، وخير الجيوش أربعة آلاف، ولن تغلب اثنا عشر ألفاً من قلة)^(٢) . رواه أبو داود وغيره.

المطلب الثاني: الصناعة ودورها في النصر والتمكين

(١) - تفسير ابن كثير (٣٣٧/٢).

(٢) - سنن أبي داود. الجهاد (٣٦/٣). وهو عند أحمد والترمذي والحكم .

لقد ذكر الله _ سبحانه وتعالى _ في كتابه الكريم مصنوعات عدة ومتنوعة، إلا أنه _ سبحانه وتعالى _ لم يذكر مصنوعاً من تلك المصنوعات إلا في معرض تمكينه لدعوة الحق، وجعله مظهراً من مظاهر تمكينها، أو عاملاً أساسياً في تحقيقه لها عن طريق ذلك المصنوع أو يذكره _ سبحانه وتعالى _ في معرض امتنانه _ سبحانه وتعالى _ على أهل الإيمان وبني الإنسان، ويعد _ سبحانه _ تلك الصنعة أو ذلك المصنوع من نعمائه عليهم وتعليمه لهم، قال _ تعالى _ مينا كيف أنجى نبيه نوحاً _ على نبينا وعليه الصلاة والسلام _ بوسيلة صناعية علمه صناعتها وهي السفينة: **{ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُخْرَجُونَ }** [هود: ٣٧] ومعنى بوحينا أي: "بما أوحينا إليك من كيفية صنعها"^(١)

(وقال ابن كثير: "أي تعليمنا لك ما تصنعه" أما في معرض امتنانه _ سبحانه وتعالى _ بنتاج الصناعة فلقد قال _ سبحانه وتعالى _ : **{ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُخْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ }** [الأنبياء: ٨٠] فامتَن _ سبحانه _ بما علمه لنبيه داود من صناعة الدروع الواقية في الحروب من الطعن والضرب والرمي وعد ذلك من نعمائه على الخلق وقال _ تعالى _ في سورة النحل: **{ وَجَعَلَ لَكُم سَرَائِلَ تَقِيَكُمُ الْحَرَّ وَسَرَائِلَ تَقِيَكُمُ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يَتِمُّ نِعْمَتُهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ }** [النحل: ٨١] فعد _ سبحانه وتعالى _ استخدام ما أنتجته الصناعة من نعمائه وجوده راجعاً إلى تعليم منه واستخدام البشرية له في شؤون حياتها من تمام نعمته عليهم التي ينبغي لهم إذا ذكروها وتلبسوا بها أن يزدادوا انقياداً للخالق المنعم الذي ألهمهم إياها ويسلموا له، ولقد بين الله _ سبحانه وتعالى _ في موضع آخر من كتابه أنه هو الذي علم داود تلك الصناعة حتى في دقائق من إحكامها وإتقانها قال _ تعالى _ **{ أَنْ اْعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ }** [سبأ: ١١] قال قتادة: "وهو أول من عملها - أي الدروع - من

(١) - فتح القدير للشوكاني ٤٩٧/٢.

الخلق وإنما كانت قبل ذلك صفائح" (١) (٢) أما السرد، فقال ابن عباس _ رضي الله عنه _ : "هو حلق الحديد" (٣) قال سيبويه: [معنى سرد الدروع إحكامها وأن يكون نظام حلقها ولواء غير مختلف ..] (٤).

قال ابن كثير _ رحمه الله _ : ﴿هذا إرشاد من الله _ تعالى _ لنبية داود _ عليه السلام _ في تعليمه صنعة الدروع" (٥)

ولنا في هذا البحث أن نستعرض منتجات الصناعة في القرآن التي اقترنت بتمكين دعوة الحق اقترانا ظاهراً، وهذا بيانها: -

(١) سفينة نوح _ على نبينا وعليه الصلاة والسلام _

وهي أول اختراع من نوعه، والسفن إنما جاءت بعدها وبلاستفادة من طريقة صنعها التي أوحى الله بها إلى نبيه قال _ تعالى _ : ﴿وَأَيَّةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا دُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ (٤١) وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ { [يس: ٤١، ٤٢] فالآية هنا تدل على أن سفينة نوح هي الأولى ولم يكن قبلها سفن وذلك لقوله _ تعالى _ : ﴿وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ { أي مثل سفينة نوح، فجعلها الأولى وجعل ما بعدها أقل منها لقوله: { مِنْ مِثْلِهِ { ويكفي دليلاً على متانة صناعتها أنها بوحى من الله وأنها وسعت من كل نوع من المخلوقات زوجين اثنين مما يدل على عظم حجمها ومتانة صنعها كما قال الله _ تعالى _ : ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسْرٍ { [القمر: ١٣] وقال _ تعالى _ : ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ { [هود: ٤٢] وهذه الآية تدل على براعة تصميمها، وشاهدنا في هذا

(١) - راجع تفسير ابن كثير ٥٣٥/٣.

(٢) راجع تفسير ابن كثير ٥٣٥/٣.

(٣) - المرجع السابق.

(٤) - فتح القدير للشوكاني ٣١٦/٤.

(٥) - تفسير ابن كثير ٥٣٥/٣.

أن الله _ سبحانه وتعالى _ بقدرته على كل شيء كان قادراً على أن ينجي نوحاً ومن معه وما يريد أن يستبقه من مخلوقات الأرض من غير السفينة ودون الحاجة إلى صناعتها فهو قادر أن يحييهم بعد موتهم أو يبلغهم موضعاً من الأرض لا يغرقون فيه وحدهم دون غيرهم من المغرقين، أو غير ذلك من قدرته _ سبحانه _ التي لا تحد، ولكنه أمر نوحاً بصنع السفينة ليُلهم خلقه تلك الصناعة، ويعلمهم كيف يستطيعون أن ينجوا من كوارث الأرض ويتوقوا منها عن طريق أعمال العقول واختراع الوسائل من صناعة وغيرها، ثم من الله _ سبحانه _ و _ تعالى _ على خلقه فأبقى لهم من مثل تلك السفينة ما يركبون عليه ويمخرون البحار به، ولعل هنا بالذات لفظة إلى أهل الحق كيف أن لهم في وسائل الصناعة طريقاً للنجاة والخلوص بأنفسهم وبالتالي تمكينهم في الأرض.

(٢) سد ذي القرنين

من وسائل الصناعة التي ذكرها القرآن الكريم في معرض التمكين والنجاة والامتناع من عبث المفسدين، قال _ تعالى _ عن ذي القرنين: **{ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا (٩٣) قَالُوا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (٩٤) قَالَ مَا مَكْنِي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا (٩٥) آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قِطْرًا (٩٦) فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا (٩٧) قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا }** [الكهف: ٩٣ - ٩٨] وهنا نرى كيف أن ذا القرنين حال بين المفسدين العابثين وبين الأقوام التي كانت دون السدين ❁ وهي سلسلة الجبال " ببناء ذلك الردم العظيم، وهو سد بناه ذو القرنين لم يكن كغيره من سدود بني الإنسان التي تبنى باللبن والحجارة ونحوه، وإنما كان سداً مبنياً بأرقى طرائق البناء وأقوى معادن الصناعة وأتقن وسائل التصميم، وإليك بيان هذا مجملًا فلقد أتى ذو القرنين على أولئك الأقوام المتخلفين الذين لا يكادون يفقهون قولاً، ولا يعلمون

شيئاً من أحوال التحضر، فشكوا إليه إفساد يأجوج ومأجوج وطلبوا منه إقامة سد ويعطونه أجراً على ذلك، وطلبهم لإقامة سد كان وجيهاً، لأنه كان بينهم وبين يأجوج ومأجوج حواجز من شواهد الجبال الصم؛ تمتد بينهما على شكل سلسلتين من الجبال، بينهما فجوة هي منفذ يأجوج ومأجوج في هجماتهم على القوم الذين لا يكادون يفقهون قولاً وعند ذلك استعد ذو القرنين ببناء السد وسماه ردماً أي أعظم مما طلبوه، وعمد إلى تلك الفجوة التي بين الصدفين - وهما الجبلان العظيمان المتقابلان - فملأ الفجوة بزبر الحديد أي قطعاً المقطرة مثل اللين حتى ساوى بين رؤوس الجبلين وبين ما في الفجوة من الحديد فجعلهم سواء، ثم أمر بالمياكير فنفخت الحديد بالنار حتى جعلت من قطع الحديد ناراً فأصبحت حمراء متوهجة فصب عليها وهي في تلك الحال النحاس المذاب وهو القطر، فاستحكم البناء أيما استحكام وقوي كل قوة وأصبح غاية في الصلابة والملاسة قال - تعالى: **{ فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا } (١)**.

ولكي نعلم مدى ما وصل إليه ذو القرنين من العلم بطرائق الصناعة وخصائص المعادن، والاستفادة من ذلك، نرى العلم قد توصل في عصرنا الحاضر إلى أن خير طريقة لتقوية الحديد هي إضافة نسبة من النحاس إليه وأن ذلك يزيد من مقاومة الحديد وصلابته.

ولا أدل على قوة صناعية سد ذي القرنين وعلى ارتقاء علم الصناعة والعمران لديه من بقاء ذلك السد وعدم تغيره رغم تعاقب العصور والدهور حتى جاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والسد لا زال قائماً وحتى يومنا هذا وحتى يأذن الله بقرب يوم القيامة وخروج يأجوج ومأجوج **{ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعَذُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعَذُ رَبِّي حَقًّا }** ليتمكنوا من العيش آمنين، في عزلة من عبث المفسدين من يأجوج ومأجوج.

(١) - راجع تفسير ابن كثير ١١٠/٣ و"مباحث في التفسير الموضوعي" ٣٠٧.

(٣) الثورة الصناعية في مملكة سليمان: _على نبينا وعليه الصلاة والسلام_.

دولة نبي الله سليمان دولة ذات تمكين عظيم، بل لعلها أعظم دولة وجدت على ظهر الأرض من حيث ما مكن الله لها ولملكها النبي الصالح الشاكر _على نبينا وعليه الصلاة والسلام_، ورغم كل ذلك ورغم تسخير الجن والطير لم تكن في غنى عن منتجات الصناعة ومزاوولتها، بل إن نصوص القرآن لتصور لنا ثورة صناعية دائبة مستمرة حية في تلك الدولة، حتى مات ملكها وهو واقف يشرف على تلك الأعمال الدائبة ^(١)

قال _تعالى_: { يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ (١٣) فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ } [سبأ: ١٣، ١٤]

ومما يوضح ويصور تلك الثورة الصناعية في مملكة سليمان - خلاف واقعة موته - مجيء التعبير عن عمل الجن في منتجات الصناعة بالفعل المضارع { يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبَ وَتَمَاثِيلَ } الآية فالتعبير بالمضارعة في "يعملون" يفيد الدوام والاستمرار والتجدد.

وكذلك مما يفيد ذلك قوله _تعالى_ في الآية قبل آية ذكر أعمال الجن: { وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ } [سبأ: ١٢] الآية.

قال الواحدي في تفسير الآية: (قال المفسرون: أجريت له عين الصفر - أي النحاس - ثلاثة أيام بلياليهن كجري الماء، وإنما يعمل الناس اليوم بما أُعطي سليمان) ^(٢).

(١) - راجع تفسير ابن سعد "تيسير الكريم الرحمن" ٢٦٨/٦.

(٢) - فتح القدير ٣١٦/٤.

فإعطاء الله لنبيه سليمان _ على نبينا وعليه الصلاة والسلام _ النحاس بهذه الكمية والكيفية يدل على أن هناك استعمالات كثيرة له وهو المعدن العريق في منتجات الصناعة ومن أهم معادنها الذي تقوم عليه، ولذلك جاء التعبير بعمل الجن في صنائع الصناعة لسليمان عقيب ذكره _ تعالى _ لإسالة عين النحاس لسليمان، ولو لم يكن هناك إعمال لهذا المعدن في استخدام وصناعات لما كان هناك فائدة وطائل من إعطاء سليمان كل هذه الكمية منه، وبيانه _ سبحانه _ أنها من نعمائه وعطاياه التي أعطى سليمان وامتن بها عليه.

كل هذا يشهد بأن الاهتمام بالصناعة هو شأن الدولة المُمكن لها المؤمنة المجاهدة لإعلاء كلمة الله، وأن ذلك مظهر من مظاهر تمكينها ومن نعم الله التي يتوجب شكرها وردها إليه _ سبحانه _.

وبعد هذا الاستعراض لمنتجات الصناعة في القرآن الكريم ودورها في تمكين الله بها لدعوة الحق وجعلها من مظاهرها حال تمكينها نخلص إلى أن أوائل المخترعات من السفينة والدروع كانت على يد أنبياء بتعليم من الله حتى في دقائق صنعها وكيفيات تصميمها وللمتأمل في كتاب الله أن يذهب به العجب كل مذهب وهو يرى حال المسلمين في الصناعة اليوم، ويرى كتاب الله المنزل عليهم ولهم قد ذكرت فيه منتجات صناعية في أكثر من عشرة مواضع وفي كل موضع من تلك المواضع يمتن _ سبحانه _ وتعالى _ عليهم ويستحثهم للشكر عليها أو يبين لهم أن تلك الصنائع كانت وسائل نجاة لأمم وامتناع لآخرين من أعدائهم ووقاية من بأسهم، ويكفي للعلم بمدى حض القرآن على الصناعة وتشجيعه عليها أن سورة كاملة فيه جاءت باسم المعدن الأساسي للصناعة وهو الحديد وبين الله _ سبحانه _ وتعالى _ فيها أنه لم ينزله _ سبحانه _ إلا لشيء واحد وهو ليعلم من ينصر به دينه ويوظفه في صناعات ينصر بها الحق ويجاهد بها الكفر.

وعند التأمل في القرآن الكريم والاهتمام بالصناعة فيه لتمكين دعوة الحق، نجد أن نتاج الصناعة في القرآن على قسمين ونجد القرآن قد عرض كل قسم من ذلك النتاج عرضاً خاصاً:-

القسم الأول:- كل ما تنتجه الصناعة من عتاد وآلات الحرب من سلاح أمثال السيوف والحراب والسنان والنصال والدروع وغير ذلك وقد جاء القرآن الكريم بذكر تلك المنتجات في كلمات تدل عليها من "قوة" أو "بأس شديد" ولم تذكر بأسمائها تفصيلاً، ولكن القرآن أوردتها في سياق تلك الكلمات ذات الدلالة الواضحة عليها وعرضها أمراً بها موجباً على المسلمين إعدادها بكل ما أمكن قال _ تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]

الآية، ولقد ثبت - كما سبق ذكره - عن النبي _ صلى الله عليه وسلم _ انه فسر القوة بالرمي، وإعداد الرمي إنما يكون قبل ذلك بإعداد آله من السهم والقسي ولهذا جاء في السنة عظم ثواب صناعة السهم والإمداد به فضلاً عن رمايته، بل أن صانعه لا يقل أجراً عن الرامي به في سبيل الله إذا احتسب نيته، بل إن صناعة سهم واحد - إذا احتسب النية - كفيلة بأن تكون سبباً مباشراً في دخول الجنة، فعن عقبة بن عامر _ رضي الله عنه _ قال: سمعت رسول الله _ صلى الله عليه وسلم _ يقول: (إن الله _ عز وجل _ ليدخل بالسهم الواحد ثلاثة الجنة: صانعه يحتسب في عمله الخير، والرامي به، والممد به..)^(١)

الحديث. رواه أبو داود والنسائي والترمذي، وفي هذا الحديث نرى عظمة الصناعة الحربية في الإسلام وكيف أن سهماً واحداً أدخل ثلاثة الجنة، مما يدفع بالمسلمين لو عقلوا هذا الحديث أن يحترفوا صناعات الحرب ويجعلوها مهنة الحياة وخير حرفة لكسب

(١) - سنن أبي داود ، في الجهاد باب في الرمي ١٣/٣ .

العيش، ونيل الدرجات في الجنة، الأمر الذي لا يكادون يجدونه في حرفة أخرى ألبتة، وما ورد هنا في شأن الرمي ينسحب كذلك على سائر آلات الحرب مما يتقوى به فيها للجهاد في سبيل الله، مثل السيف والرمح وغيره من وسائل وصناعات الحرب الحديثة كذلك وتقنية التسليح في هذا العصر الحاضر.

وفي هذا القسم قال _تعالى_: **{لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ}** [الحديد: ٢٥] وهنا يبين _سبحانه وتعالى_ أن **﴿الحديد﴾** معدن الصناعة الأول أنزله _سبحانه وتعالى_ وعطف بإنزاله _سبحانه_ على إنزال الكتاب والميزان على الرسل، ويبين _سبحانه_ أنه إنما أنزله ليعلم من ينصره به ويوظف ما يصنع منه في نصرته دينه والجهاد في سبيله. قال ابن كثير رحمه الله: "فيه بأس شديد: يعني السلاح كالسيوف والحراب والسنان والنصال والدروع ونحوها"^(١).

ومن هنا نصل إلى أن القرآن الكريم ذكر في آياته التقوي للحرب وللجهاد في سبيل الله، ورتب على الحديد نصرته ينصره بها أهل الإيمان به والجهاد في سبيله، وأن القرآن عنى بذلك منتجات الصناعة كالسلاح ونحوه فإن الحديد لا يمكن أن ينصر به أحداً واحداً وهو خام، وأن الله _سبحانه وتعالى_ أمر بالإعداد وأمر كذلك بنصرته في موضع آخر فقال _تعالى_: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارًا}** [الصف: ١٤] الآية، وفي آية الحديد ربط إنزال الحديد بنصرته فتوجب بذلك نصرته _سبحانه وتعالى_ بالاهتمام بصناعة آلات الحرب وإعدادها والإمداد بها، فهي واجبة على المسلمين متى تركوها أثموا جميعاً،^(٢) ودلالة نصوص القرآن ظاهرة واضحة في الأمر بها من ذلك قوله _تعالى_: **{وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ}** [الأنفال: ٦٠]

(١) - تفسير ابن كثير ٣٣٧/٤.

(٢) - فهي فرض كفاية ، راجع مجموع فتاوى ابن تيمية ٨٠/٢٨.

الآية، ومن ذلك ما سبق إيضاحه بشأن نصرته _ سبحانه _ بالاهتمام بصناعات الحرب وتوجب ذلك.

القسم الثاني: ما ذكره _ سبحانه وتعالى _ في كتابه من منتجات الصناعة مثل سفينة نوح والدروع - السابغات - وسد ذي القرنين وما ذكره _ سبحانه وتعالى _ لسليمان _ على نبينا وعليه الصلاة والسلام _ من ذلك، ولقد عرض القرآن هذا القسم عرضاً يختلف عما في القسم الأول فلقد سمى تلك الصناعات بأعيانها ولكنه لم يأمر بها أو لم يوجه تجاهها أمراً للمؤمنين بإعدادها أو نحوه كما سبق في القسم الأول، بل جعل منها ما هو آية وموضع عبرة لهم وبين _ سبحانه _ أن طريق النجاة كان بواسطتها مثل سفينة نوح قال _ تعالى _ : **{وَايَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ (٤١) وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ}** [يس: ٤١، ٤٢] وقال _ تعالى _ : **{ وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ الْوَاحِ وَدُسِّرَ (١٣) نَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ }** [القمر: ١٣، ١٤]

وامتنَّ _ سبحانه وتعالى _ على بني الإنسان كذلك بصناعة السفينة والدروع وبين أنها من نعمائه واستحثهم لشكر تمتعهم بها، وجعل السد من رحمته.

وبين _ سبحانه _ موارد نفعها ودورها في تمكين أهل الحق بصناعة السفينة كانت نجاة المؤمنين والخلقة في الأرض، وبسد ذي القرنين كان تمكين رعايا ذي القرنين من العيش آمين هائين ونحو ذلك وفي هذا عبرة لأهل الإيمان أن يعتنوا بالمخترعات ويعرفوا قيمتها وأنها من أسباب رحمته وسوابغ نعمته ووسائل النجاة من الكوارث والوصول إلى التمكين في الأرض، وعلى أهل الحق أن يأخذوا في الحسبان ما ورد في القرآن بخصوص هذا الشأن وأن يسعوا إلى الصناعة لتمكين دعوة الحق ونصرة الدين، معتبرين ومتأسين

بهذه الوقائع التي دارت أدوارها على تلك الصنائع، حتى تحقق لأهل الحق التمكين
وُصِرَ بها الدين^(١)

أخذ الحذر والحيلة

اعلم علمني الله وإياك: أن من ثمرات الاعتقاد بحقيقة المؤامرة اخذ الحذر والحيلة وهذا
خلافًا لما يقوله الذين يزعمون أن لا مؤامرة ويقولون إن فكر المؤامرة سبب من أسباب
تخلف العرب والمسلمين ، فإلى هؤلاء أوجه هذا السؤال

لو أنك تسير في طريق وجاءك خبر أن في منعطف هذا الطريق عدو يريد قتلك أو سلب
مالك ماذا أنت فاعل تجاه هذا الخبر وذلك العدو ؟

أكنت تتغابى وتتغافل عن ذلك العدو ولا تأخذ الحذر منه أم أنك ستأخذ العدة له
وتكون على أتم استعداد لمهاجمته قبل أن يهاجمك ؟

إن إجابة العقلاء على ذلك السؤال تكون بالفعل قيل القول وأخذ الحذر والحيلة من
ذلك العدو المتربص بهم ، فما بالك إذا كان الذي أخبر بذلك العليم الخبير - جل
جلاله - و البشير النذير - صلى الله عليه وسلم - كما أوضحت في أسباب كتابة هذا
الكتاب، والله تعالى أمرنا أن نأخذ الحذر والحيلة من اليهود والنصارى ومن شابههم
فقال في محكم التنزيل وهو اصدق القائلين (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا
ثَبَاتٍ أَوْ انْفِرُوا جَمِيعًا (٧١) وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيَسْطَنُ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالْ قَدْ أُنْعِمَ
اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا (٧٢) وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ
تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧٣) (النساء)**

(١) - انظر كتاب عوامل النصر والتمكين في دعوة المرسلين لأحمد بن حمدان بن محمد الشهري

يقول العلامة السعدي -رحمه الله- يأمر تعالى عباده المؤمنين بأخذ حذرهم من أعدائهم الكافرين. وهذا يشمل الأخذ بجميع الأسباب، التي بها يستعان على قتالهم ويستدفع مكرهم وقوتهم، من استعمال الحصون والخنادق، وتعلم الرمي والركوب، وتعلم الصناعات التي تعين على ذلك، وما به يعرف مداخلهم، ومخارجهم، ومكرهم، والنفير في سبيل الله

ولهذا قال: **{ فَأَنْفِرُوا ثُبَاتٍ }** أي: متفرقين بأن تنفر سرية أو جيش، ويقيم غيرهم **{ أَوْ ائْفِرُوا جَمِيعًا }** وكل هذا تبع للمصلحة والنكاية، والراحة للمسلمين في دينهم، وهذه الآية نظير قوله تعالى: **{ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ }**

ثم أخبر عن ضعفاء الإيمان المتكاسلين عن الجهاد فقال: **{ وَإِنَّ مِنْكُمْ }** أي: أيها المؤمنون **{ لَمَنْ لَيَبْطُلَنَّ }** أي: يتثاقل عن الجهاد في سبيل الله ضعفا وخورا وجبنا، هذا الصحيح وقيل معناه: ليبطئن غيره أي: يزهده عن القتال، وهؤلاء هم المنافقون، ولكن الأول أولى لوجهين أحدهما: قوله **{ مِنْكُمْ }** والخطاب للمؤمنين

والثاني: قوله في آخر الآية: **{ كَأَن لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ }** فإن الكفار من المشركين والمنافقين قد قطع الله بينهم وبين المؤمنين المودة. وأيضا فإن هذا هو الواقع، فإن المؤمنين على قسمين: صادقون في إيمانهم أوجب لهم ذلك كمال التصديق والجهاد، وضعفاء دخلوا في الإسلام فصار معهم إيمان ضعيف لا يقوى على الجهاد كما قال تعالى: **{ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا }** إلى آخر الآيات. ثم ذكر غايات هؤلاء المتثاقلين ونهاية مقاصدهم، وأن معظم قصدهم الدنيا وحطامها فقال: **{ فَإِنَّ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ }** أي: هزيمة وقتل، وظفر الأعداء عليكم في بعض الأحوال لما لله في ذلك من الحكم. **{ قَالَ }** ذلك المتخلف **{ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا }** رأى من ضعف عقله وإيمانه أن التقاعد عن الجهاد الذي فيه تلك المصيبة نعمة. ولم يدر أن النعمة الحقيقية هي التوفيق لهذه الطاعة الكبيرة، التي بها يقوى الإيمان، ويسلم بها

العبد من العقوبة والخسران، ويحصل له فيها عظيم الثواب ورضا الكريم الوهاب وأما القعود فإنه وإن استراح قليلا فإنه يعقبه تعب طويل وآلام عظيمة، ويفوته ما يحصل للمجاهدين ثم قال: **{ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ } أي: نصر وغنيمة { لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا } أي: يتمنى أنه حاضر لينال من المغانم، ليس له رغبة ولا قصد في غير ذلك، كأنه ليس منكم يا معشر المؤمنين ولا بينكم وبينه المودة الإيمانية التي من مقتضاها أن المؤمنين مشتركون في جميع مصالحهم ودفع مضارهم، يفرحون بحصولها ولو على يد غيرهم من إخوانهم المؤمنين ويألمون بفقدائها، ويسعون جميعا في كل أمر يصلحون به دينهم ودنياهم، فهذا الذي يتمنى الدنيا فقط، ليست معه الروح الإيمانية المذكورة ^(١)**

ويقول الشيخ سيد طنطاوي-رحمه الله- والمعنى: استعدوا - أيها المؤمنون - لأعدائكم ، وكونوا على يقظة منهم ، وكونوا متأهبين للقائهم دائما بالإيمان القوى ، وبالسلح الذي يفل سلاحهم هذا ، وللاستاذ الإمام محمد عبده كلام حسن في هذا المعنى ، فقد قال - رحمه الله - ما ملخصه : ﴿ الحذر : الاحتراس والاستعداد لاتقاء شر العدو ، وذلك بأن نعرف حال العدو ومبلغ استعداده وقوته ومعرفة أرضه وبلاده وفي أمثال العرب (قتل أرض جاهلها) . ويدخل في الحذر والاستعداد معرفة الأسلحة وكيفية استعمالها فكل ذلك وغيره يدخل تحت الأمر بأخذ الحذر) وقد كان النبي ﷺ وأصحابه عارفين بأرض عدوهم ، وكان للنبي ﷺ جواسيس يأتونه بأخبار مكة ، ولما أخبروه بنقض قريش للعهد استعد لفتحها ، وقال أبو بكر لخالد يوم حرب اليمامة (حاربهم بمثل ما يحاربونك به : السيف بالسيف ، والرمح بالرمح) . وهذه كلمة جليلة فالقول وعمل النبي ﷺ وأصحابه، كل ذلك دال على أن الاستعداد يختلف باختلاف حال العدو وقوته

(١) - تفسير السعدي - (ج ١ / ص ١٨٦)

فأنت ترى أن هذه الجملة الكريمة { **خُذُوا حِذْرَكُمْ** } دعوة للمؤمنين في كل زمان ومكان إلى حسن الاستعداد لمجابهة أعدائهم بشتى الأساليب وبمختلف الوسائل التي تجعل الأمة الإسلامية يرهبها أعداؤها سواء أكانوا في داخلها أم في خارجها وقوله { **فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ اَنْفِرُوا جَمِيعًا** } [النساء: ٧١] تفريع على أخذ الحذر؛ لأنهم إذا أخذوا حذرهم ، عرفوا كيف يتخيرون أسلوب القتال المناسب لحال أعدائهم وقوله { **فانفروا** } من النفر وهو الخروج إلى عمل من الأعمال بسرعة . ومنه قوله - تعالى - { **وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ** } والمراد بقوله { **فانفروا** } هنا : أي اخرجوا إلى قتال أعدائكم بهمة ونشاط ويقال : نفر القوم ينفرون نفرا ونفيرا إذا نهضوا لقتال عدوهم واستنفر الإمام الناس إذا حضهم على جهاد أعدائهم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم " وإذا استنفرتم فانفروا " والنفير . اسم للقوم الذين ينفرون .

وقوله { **ثُبَاتٍ** } جمع ثبة وهى الجماعة والعصبة من الفرسان . مأخوذة من ثبا يثبوا أى اجتمع .

والمعنى . عليكم - أيها المؤمنون - أن تكونوا دائما على استعداد للقاء أعدائكم ، ولا تغفلوا عن كيدهم . فإذا ما حان الوقت لقتالهم فاخرجوا إليهم مسرعين جماعة في إثر جماعة؛ أو فاخرجوا إليهم مجتمعين في جيش واحد ، فإن قتالكم لأعداكم أحيانا يتطلب خروجكم فرقة بعد فرقة ، وأحيانا يتطلب خروجكم مجتمعين ، فاسلكوا في قتالكم لأعدائكم الطريقة المناسبة لدحرهم والتغلب عليهم .

وقوله { ثَبَاتٍ } منصوب على الحال من الضمير في قوله { انفروا } وكذلك قوله { جَمِيعاً } أي انفروا متفرقين أو انفروا مجتمعين أتى ، ليكون نفوركهم على حسب ما تقتضيه طبيعة المعركة^(١)

{وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا (١٠١)} وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَدَى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا } [النساء: ١٠١-١٠٢]

يقول الشيخ القطان: إذا كنت أيها الرسول في جماعتك وقامت صلاة الجماعة فلا تنسوا الحذر من الأعداء دع طائفة منهم تصلي معك فيما تقف الطائفة الأخرى قبالة العدو يحرسون إخوانهم المصلين . وعلى المصلين أن يكونوا يقظين ويحملوا أسلحتهم ولا يتركوها وقت الصلاة، يفعلون ذلك استعداداً لمواجهة وحيدة من الغدر

{ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ } إذا سجدوا المصلون معك فليكن الذين يحرسونكم من خلفكم ، لأن الساجد أحوج ما يكون للحراسة حين السجود . فإذا انقضت الركعة الأولى تقوم الجماعة التي صلت وتقف مكان الجماعة الحارسة، وعند ذلك تأتي الجماعة الأخيرة فتصلي معك ركعة كذلك . وهنا يكون الإمام قد أتم صلاته فيسلم وعندئذ تأتي الطائفة الأولى فتصلي الركعة الثانية وتسلم، بينما تحرسها الجماعة الثانية ، ثم تجيء الجماعة الثانية فتصلي الركعة الثانية وتسلم . بذلك يكون الجميع قد صلوا بإمامة الرسول . وهكذا يفعل كل إمام وقائد عند الخطر

(١) - الوسيط لسيد طنطاوي - (ج ١ / ص ٩٩٥)

واحذروا أيها المؤمنون فإن أعداءكم يتمنون أن تغفلوا عن أسلحتكم وأمتعتكم أثناء صلاتكم، فيحملوا عليكم حملة واحدة عليهم يصيبون منكم غرة فيقتلون وينهبون ولا إثم عليكم في وضع أسلحتكم إذا أصابكم أذى من مطرٍ أو مرضٍ من جراح ، لكن عليكم في جميع الأحوال ألا تغفلوا . إن عدوكم لا يغفل عنكم ولا يرحمكم

(إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا) بما هداكم إليه من أسباب النصر ، بأخذ الأهبة والحذر والاعتصام بالصبر والصلاة ،

وقد قال بالصلاة على الصفة أوردناها عدد كبير من فقهاء الصحابة منهم: علي، وابن عباس، وابن مسعود، وابن عمرو، وزيد بن ثابت، وأبو هريرة وأبو موسى الأشعري. ومن فقهاء الأمصار: مالك، والشافعي وغيرهما. وفي كتب الفقه خلاف كبير في صفة هذه الصلاة لا مجال لذكره هنا^(١)

ولنأخذ مثالا من السيرة المطهرة على الحذر والحيلة من العدو فها هو رسول الله ﷺ في حادث الهجرة يأخذ بالأسباب ولا يتواكل لان الكون مبنى على سنن ونواميس لا بد لمن أراد التمكين أن يأخذ بها ، فتعالى أخي لنشاهد هذا المشهد الرائع من سيرة الرسول ﷺ

أولاً: التوقيت المناسب للخروج:

غادر رسول الله ﷺ بيته في ليلة سبع وعشرين من شهر صفر، وأتى دار رفيقه أبي بكر رضي الله عنه، ثم غادراها من باب خلفي، ليخرجها من مكة على عجل، وقبل أن يطلع الفجر وهذا مما يشير إلى التخطيط الدقيق واختيار الوقت المناسب.. فالليل كما هو معلوم ستار آمن، يمكن التحرك فيه بكثير من الاطمئنان، مما يقلل من احتمالات رؤيتهما. هذا إلى جانب أن قيادة قريش كانت في هذا الوقت متجمعة حول بيت رسول الله صلى الله عليه و

(١) - تفسير القطان - (ج ١ / ص ٣٣٣)

سلم معتقدة أن النبي ﷺ بداخله، فكل تفكيرها وتديرها، كان مركزاً على هذا المكان، دون سواه، مما سهل مهمة الخروج لركب الهجرة في مثل هذا الوقت دون أن تعترضه عيون قريش، التي باتت ترقب سيدنا علياً رضي الله عنه، ظناً منها أنه النبي ﷺ.

وكون هذا التحرك تم قبل الفجر، ربما كان على تقدير أن قريشاً لن تكشف حقيقة الأمر إلا بعد طلوع الفجر، بعد قيام علي رضي الله عنه عن فراش رسول الله ﷺ، وهذا ما حدث فعلاً. يقول ابن إسحاق : (فلم يبرحوا حتى أصبحوا، فقام علي رضي الله عنه عن الفراش) وبالتالي تكون الفرصة قد فاتت على قريش، وأن رسول الله ﷺ وصاحبه قد وصلا إلى الغار بسلام.

أما خروجهم من الباب الخلفي، فهو من باب الاحتياط إذ هناك احتمال أن يكون بيت أبي بكر رضي الله عنه مراقباً، وهو احتمال كبير للعلاقة الحميمة التي كانت تربط أبا بكر بالنبي صلى الله عليه و سلم، فإذا كانت المراقبة قائمة من بيت مجاور أو من مكان قريب، فستكون لباب البيت بالذات، يُرصد من خلاله الداخلون والخارجون. وفي الخروج من مخرج سري، بعيد عن المراقبة، مراعاة للمحافظة الدائمة على السرية، ووضع الاحتمالات الكثيرة احتياطاً لتخطيط العدو ومراقبته

ثانياً: الخروج إلى الغار سيراً على الأقدام:

لقد خرج رسول الله ﷺ وصاحبه أبو بكر من بيت الصديق سيراً على الأقدام، حتى دخلا الغار، فمشى رسول الله صلى الله عليه و سلم على أطراف أصابعه حتى حفيت رجلاه، فلما رآها أبو بكر أنها قد حفيت حملة على كاهله، وجعل يشدد به، حتى أتى به الغار فأنزله، وفي ذلك اعتبارات أمنية ظاهرة، فسيرهم على الأقدام يجعل أثرهم أقل وضوحاً مما لو كانا راكبين، إضافة إلى أن الركوب على الدواب في مثل هذا الوقت من الليل ملفت للنظر، وربما تنبعت قيادة قريش للأمر، فتفسد الخطة، كما أن حركة الرواحل في الغالب يصدر عنها صوت، مما يجعل الركب عرضة لإثارة فضول قريش

فتسأل الركب، أو تستوقفه لتستوضح أمره، بعكس السير على الأقدام فلا يحدث صوتاً، وبخاصة إذا كان السير على أطراف الأصابع، كما كان يسير الرسول ﷺ، وهذا السير يزيد من فرص نجاح المهمة.

ثالثاً: التمويه في الخروج إلى الغار: يقع غار (ثور) جنوبي مكة المكرمة، بينما يقع الطريق المؤدي إلى المدينة شمال مكة المكرمة، وهنا تبدو دقة التخطيط، والاحتياط الأمني. قال المباركفوري: (ولما كان النبي ﷺ يعلم أن قريشاً ستجد في الطلب، وأن الطريق الذي ستتجه إليه الأنظار لأول وهلة هو طريق المدينة الرئيس المتجه شمالاً، فقد سلك الطريق الذي يضاده تماماً، وهو الطريق الواقع جنوبي مكة، والمتجه نحو اليمن، سلك هذا الطريق نحو خمسة أميال حتى بلغ جبلاً يعرف بجبل ثور)

ثانياً: التجسس ورصد تحركات قيادة قريش:

كلما كانت القيادة أعلم بواقع العدو، وأدرى بأسراره، ولها في صفوفه من ينقل لها تخطيطهم، كلما كان ذلك أنجح لها في تنفيذ خططها ومخططاتها (.. لذا أمر سيدنا أبو بكر رضي الله عنه ابنه عبد الله أن يتسمع لهما ما يقول الناس فيهما نهاره، ثم يأتيهما إذا أمسى، بما يكون في ذلك اليوم من الخبر).. وقد قام عبد الله بهذا الدور خير قيام، يقول ابن حبان: (...يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر وهو غلام ثقف لقن، فيدلج من عندهما بسحر، فيصبح بمكة مع قريش كبائت بها، فلا يسمع أمراً يُكاد به، إلا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام)

تتضح من النص عدة أمور لها أهميتها هنا : الصفات التي يمتاز بها عبد الله، فهو ثقف، أي حاذق فطن، ولقن، أي سريع الفهم، وهذه من السمات المطلوب توفرها فيمن يقوم بمثل هذه المهمة فالذكاء يساعده على حسن التصرف حيال المواقف الحرجة، التي قد تصادفه إبان القيام بمهمته، كما يساعده في استخدام الوسيلة المثلى في الحصول على المعلومة دون زيادة أو نقص، مما يجعل المعلومة التي يأتي بها تمتاز بقدر كبير من الصحة.

ذهابه إليهم ليلاً سرّاً، وعودته عند السحر، يبعده عن خطر مراقبة قيادة قريش، لأن الظلام كما هو معلوم ساتر مناسب لمن يقوم بمثل هذه المهمة الحساسة، فدخل مكة سحراً، يبعد عنه شبهة الاتصال بالنبي ﷺ، فيصبح وكأنه بائت بمكة لا بالغار، وهذا قمة في الحيلة والحذر ودقة التخطيط، والمعلومات التي كان يأتي بها تجعل الرسول ﷺ وصاحبه على دراية تامة بما تفعله وستفعله قريش، الأمر الذي يجعل تحرك الراكب من الغار مبنياً على الحقائق الصحيحة لا على الظن والحدس.

ثالثاً: إعفاء الأثر: لابد أن مجيء وذهاب عبد الله بن أبي بكر، سيخلف وراءه آثار أقدامه، الأمر الذي ربما قاد قريشاً إلى مكان ركب الهجرة، وبخاصة أن أسماء كانت هي الأخرى تأتي يومياً إلى الغار لتحضير الطعام وحتى يستبعد هذا الاحتمال كان عامر بن فُهيرة مولى أبي بكر الصديق رضي الله عنهما يتبع أثرهما بالغنم كي يعفي الأثر (ونلاحظ أن إزالة الأثر عن طريق الغنم تُعد أنسب وسيلة، لأن آثار الغنم في تلك الجبال، أمر مألوف لقريش، فلا يُثير شكاً ولا ريباً).

رابعاً: الإمداد بالتموين في الغار:

إن الإقامة في الغار ثلاثة أيام، تحتاج لزاد معد وجاهز، لأن أي محاولة لإشعال نار لإعداد الطعام تعتبر قرينة قوية، ربما قادت قريش إلى الغار، فالنار ينبعث منها الدخان نهاراً، والضوء ليلاً، وهذا يشكل خطورة كبيرة، وبخاصة في ذلك الزمان الذي يمتاز فيه العرب بدقة الملاحظة، لذا نجد أن طعامهما كان يأتيهما معداً جاهزاً من بيت أبي بكر الصديق، تحضره أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما.. يقول ابن إسحاق: (وكانت أسماء بنت أبي بكر تأتيهما من الطعام إذا أمست بما يصلحهما). كما أن عامر بن فُهيرة كان يجلب لهما اللبن من غنم أبي بكر رضي الله عنه.. تقول عائشة رضي الله عنها: (... ويرعى عليهما عامر بن فُهيرة مولى أبي بكر منحة من غنم، فيُرِيحُهما عليهما، حين تذهب ساعة من العشاء، فيبيتان في رسلٍ وهو لبنٌ منحتيهما ورَضِيَفِههما)

خامسًا : الإقامة في الغار ثلاثة أيام :

قال ابن الأثير : (فأقاما في الغار ثلاثًا) (وهذا تصرف أمني اقتضته ظروف الزمان، فالخروج إلى أي مكان في الأيام الأولى يجعلهما عرضة للوقوع في قبضة العدو، كما أن المدة الزمنية هذه، ربما كانت مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالمعلومات المقدمة من عبد الله بن أبي بكر، التي تشير إلى خفة الطلب عليهما بعد هذه الأيام الثلاثة، كما أن الاستمرار أكثر من ذلك قد يلفت النظر من قبل قيادة قريش، حين يتكرر المرور عليهما والذهاب إليهما، من قبل أسماء وعبد الله وعامر بن فهيرة أضف إلى ذلك أن هذه المدة تعد كافية لتدرك قريش أن محمداً ﷺ قد أفلت منهم، وأنها كافية لابتعاده عنهم مسافة تمكنه من الوصول إلى مأمن، أو الالتحاق بقبيلة أخرى، فيدب اليأس في نفوسهم، ويتراخون عن مطاردته، وبالتالي تسنح الفرصة للإفلات منهم

(١) الحذر أثناء السير على طريق الهجرة : لصاحب السير على طريق الهجرة، العديد من تدابير الحذر والحيلة، ومن ذلك :

أولاً: التمويه في التحرك من الغار:

أول ما سلك بهم عبد الله بن أريقط، بعد الخروج من الغار، أنه أمعن في اتجاه الجنوب نحو اليمن، ثم غرباً نحو الساحل، حتى إذا وصل إلى طريق لم يألّفه الناس، اتجه شمالاً على مقربة من شاطئ البحر الأحمر، وسلك طريقاً لم يكن يسلكه أحد إلا نادراً وما ذلك إلا إمعاناً في التمويه، ومزيداً من الحيلة والحذر.

ثانياً: السرعة في السير عقب الخروج من الغار:

الظروف التي تم فيها التحرك من الغار، كانت تتطلب الإسراع في السير، وقطع المسافة بين مكة والمدينة في أقصر زمن ممكن، فعيون قريش منتشرة، والمطاردة لم تنته بعد، لذا أسرع النبي صلى الله عليه و سلم عقب خروجه من الغار، واستحث رواحلهم لقطع

أكبر مسافة ممكنة في أقل زمن ممكن.. روى البخاري عن أبي بكر رضي الله عنه قال :
(أسرينا ليلتنا ومن الغد، حتى قام قائم الظهيرة، وخلا الطريق لا يمر فيه أحد، فرفعت
لنا صخرة طويلة لها ظل، لم تأت عليها الشمس، فنزلنا عندها)

فالسير المتواصل ليوم وليلة، يباعد بين ركب الهجرة ومكة، مما يزيد من فرص نجاح
الخطّة، كما أن الليل يعد من أنسب الأوقات للسفر في الصحراء، إضافة إلى كونه سائراً
يخفي ركب الهجرة المبارك.

ثالثاً: حادثة سراقة وتدخّل العناية الإلهية :

بعد كل التحولات والتخطيط الدقيق المحكم، تمكنت قريش من تلقي معلومة تفيد أن
ركب الهجرة يجد في السير تجاه المدينة بطريق الساحل المهجور. قال سراقة: (فبينما أنا
جالسٌ في مجلس من مجالس قومي بني مُدَلِج، أقبل رجلٌ منهم حتى قام علينا، ونحن
جلوس، فقال: يا سراقة! إني رأيتُ أنفاً أسودّةً بالساحل، أراها محمداً وأصحابه. قال
سُراقَة : فعرفتُ أنهم هم، فقلتُ له : إنهم ليسوا بهم، ولكنك رأيتُ فلاناً وفلاناً،
انطلقوا بأعيننا، ثم لبثتُ في المجلس ساعةً، ثم قمتُ فدخلتُ، فأمرتُ جاريّتي أن تخرجَ
بفرسي وهي من وراء أكمةٍ فتَحِسّها عليّ، وأخذتُ رُمحي فخرجتُ به من ظهر البيت،
فحطّطتُ بزجّه الأرض، وخفضتُ عاليه، حتى أتيتُ فرسي فركبتُها، فرفعتها تُقَرِّبُ بي
حتى دنوتُ منهم، فعثرتُ بي فرسي فخررتُ عنها، فقامتُ فأهويتُ يدي إلى كِنانتي
فاستخرجتُ منها الأزام، فاستقسمتُ بها أضرُّهم أم لا؟ فخرج الذي أكره، فركبتُ
فرسي وعصيتُ الأزام تُقَرِّبُ بي حتى إذا سمعتُ قراءةَ رسول الله ﷺ -
وهو لا يلتفت وأبو بكر يكثر الالتفات ساخت يدا فرسي في الأرض، حتى بلغتا
الركبتين، فخررتُ عنها، ثم زجرتها فنهضتُ، فلم تكد تُخرجُ يديها، فلما استوت قائمةً
إذ لأثر يديها غبار ساطع في السماء مثلُ الدخان، فاستقسمتُ بالأزام، فخرج الذي
أكره، فناديتهم بالأمان، فوقفوا، فركبتُ فرسي حتى جئتُهم، ووقع في نفسي حين لقيتُ

ما لقيتُ من الحبس عنهم، أن سيظهرُ أمرُ رسولِ الله ﷺ، فقلت له : إن قومك قد جعلوا فيك الدية، وأخبرتهم أخبارَ ما يريدُ الناسُ بهم، وعرضتُ عليهم الزادَ والمتاع، فلم يرزآني، ولم يسألاني، إلا أن قال : (أخفِ عَنَّا)، فسألتُه أن يكتب لي كتابَ أمن، فأمر عامر ابن فهيرة، فكتب في رُقعةٍ من أديم، ثم مضى رسول الله ﷺ)

وهنا تبرز عدة جوانب، منها:

— الحبس الأمني لسراقة، الذي ظهر من خلال رده على الرجل، موهمًا إياه أن هذا الركب ليس هو محمدًا وأصحابه، إنما هم فلان وفلان، وبالتالي فوت الفرصة على الرجل صاحب الخبر وعلى الحاضرين. وزيادة في إحكام خطته لم يذهب سراقة من فوره، وإنما مكث ساعة في المجلس حتى لا يثير شك الحضور.. ولم يكتف بذلك، بل زاد في الاحتياط الأمني، حيث خرج من الباب الخلفي لبيته، وأمر بحبس فرسه على مسافة من بيته، حتى لا يراه أحد وهو يركب الفرس أمام بيته، فيفسد عليه خطته، وبالتالي قد يخسر الجائزة التي رصدتها قريش لمن يأتي بمحمد ﷺ وصاحبه.. ومن هنا تظهر خطورة هذا الرجل الذي يجمع مع هذا الحبس الأمني، القدرة العالية على تتبع الأثر، بل هو الذي اعتمدت عليه قريش في اقتفاء أثر الرسول ﷺ وأصحابه، حتى وصل إلى الغار.. وشخص بهذه المواصفات، كان يمكن أن يشكل خطورة كبيرة على ركب الهجرة المبارك، خاصة وأنه حاول استغلال تلك الصفات حتى كان قاب قوسين أو أدنى من اللحاق بركب النبوة، ولكن تدخلت العناية الإلهية، فحالت بينه وبين النيل من الركب المأمون. كما تظهر أيضًا مدى حنكة وحكمة المصطفى ﷺ في استغلال عدوه كي يصبح عونًا له في صد الطلب عنهما، وذلك من قوله لسراقة : (أخفِ عَنَّا)، فرجع سراقة، فوجد

الناس في الطلب، فجعل يقول : قد استبرأت لكم الخبر، قد كفيتم ما هاهنا.. وكان أول النهار جاهداً عليهما، وآخره حارساً لهما^(١)

الصبر والمصابرة:

ومن الأمور التي ينبغي للأمة أن تتحلى بها تجاه فكر المؤامرة الصبر والمصابرة فالطريق وعمر وليس مفروشا بالورود ولا بالرياحين (فإنه لطريق طويل شاق حافل بالعقبات والأشواك مخوف بالفتن والأذى والابتلاء مفروش بالدماء والأشلاء يدوى في جنباته عويل المجرمين من الكفار والمشركين والمنافقين والحاquدين الذين يملكون أحدث أبواق الدعاية ومع ذلك فنهاية الطريق وإن طال تتألق كالأمل وتضيء كالشمس وتشرق كالفجر إماماً عزة وشهادة وإماماً جنة وسعادة

ذلكم هو طريق الدعوة إلى الله عز وجل طريق نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ويوسف ومحمد - صلوات الله عليهم أجمعين - وطريق أتباعهم من العلماء المخلصين والدعاة الصادقين

ولو كان هذا الطريق سهلاً هيناً ليناً مفروشاً بالزهور والورود والرياحين خالياً من العقبات والأشواك والصخور آمناً من عويل المجرمين من المكذبين والمعارضين والمحاربين لو كان الطريق كذلك لسهل على كل إنسان أن يكون صاحب دعوة ولاختلطت حينئذٍ دعوات الحق ودعاوى الباطل !!

وفي وقت تُشن فيه حملة شرسة ضارية وحرب ضروس هوجاء على الإسلام وأهله شاء الحكيم الخبير جل وعلا أن يبرز في الأفق نور يشرق وأمل يتجدد أضحى حقيقة كبيرة لا تنكر بل وأفزعت هذه الحقيقة المشرقة العالم بأسره فما نحن نرى كوكبة كريمة وثلة مباركة من طلائع البعث الإسلامي المرتقب من شباب في ريعان الصبا وفتيات في عمر

(١) - انظر كتاب (في السيرة النبوية قراءة لجوانب الحذر والحماية الدكتور إبراهيم علي محمد أحمد

الورود كوكبة تنزلت بفضل الله في كل بقاع الدنيا كتزل حبات الندى على الزهرة
الظمأى أو كنسمات ربيع باردة معطرة بأنفاس الزهور تأتي هذه الكوكبة لتنضم إلى
ركب الدعاة الكريم الموغل في القدم الضارب في شعاب الزمان من لدن نوح عليه
السلام لتمضى على ذات الطريق مستقيمة الخطى ، ثابتة الأقدام تجتاز الصخور
والحجارة والأشواك نعم ، تسيل دماء وتتمزق هنا وهناك أشلاء ولكن الركب الكريم
والموكب المبارك في طريقه لا ينحني ولا يثنى ولا ينكص ولا يحيد لأنه على ثقة مطلقة
بنهاية الطريق بانتصار الحق ومحق الباطل فالحق ظاهر خالد والباطل زاهق زائل ولن
تستطيع جميع الأفواه ولو اجتمعت أن تطفئ نور الله - عز وجل - ولن يتمكن هذا
الدخان الكثيف الأسود المتصاعد تبعاً من أوعية الغل والحق والحسد المتأججة في
قلوب أعدائنا أن يحجب نور الله - جلّ وعلا - فهيها هيهات أين نور السهى من
شمس الضحى؟! وأين الثرى من كواكب الجوزاء!؟

**{ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٨) هُوَ الَّذِي
أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ }**
[الصف: ٨، ٩]

ولكن لكى تستمر مسيرة هذا الركب الكريم على طول الطريق لابد له من دعاة
مخلصين صادقين متجربين لقيادة هذا الركب الطيب بكتاب الله - عز وجل - وسنة
رسوله ﷺ بفهم السلف الصالح - رضوان الله عليهم - وببصيرة نافذة، ووعى حاضر،
وفطنة عميقة لكل المؤامرات الموتورة وألوان الحرب المسعورة التي تشن في الليل والنهار
لوقف هذا الركب الزاحف الممتد^(١)

(١) - من مقدمة كتاب (خواطر على طريق الدعوة لشيخنا محمد حسان

فالمولى سبحانه امرنا أن نتجمل بالصبر عندما يكيد لنا الأعداء المؤامرات يقول سبحانه وتعالى { **إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ** (١٢٠) (آل عمران)

يقول الإمام الطبري - رحمه الله - (وأما قوله: ﴿ **وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا** ﴾، فإنه يعني بذلك جل ثناؤه: وإن تصبروا، أيها المؤمنون، على طاعة الله وإتباع أمره فيما أمركم به، واجتناب ما نهاكم عنه: من اتخاذ بطانة لأنفسكم من هؤلاء اليهود الذين وصف الله صفتهم من دون المؤمنين، وغير ذلك من سائر ما نهاكم = "وتتقوا" ربكم، فتخافوا التقدم بين يديه فيما ألزمكم وأوجب عليكم من حقه وحق رسوله = "لا يضرركم كيدهم شيئاً"، أي: كيد هؤلاء الذين وصف صفتهم. ^(١)

واعلم علمني الله وإياك: أن من لوازم الإيمان ومن أثره الابتلاءات وخوض المحن والشداد و تكالب الأعداء على المؤمن من كل حذب وصوب يقول الحق سبحانه وتعالى (الم (١) **أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَافِرِينَ (٣)** (العنكبوت)

يقول العلامة الشنقيطي - رحمه الله - والمعنى: أن الناس لا يتركون دون فتنة: أي ابتلاء واختبار ، لأجل قولهم : آمناً ، بل إذا قالوا فتنوا : أي امتحنوا واختبروا بأنواع الابتلاء ، حتى يتبين بذلك الابتلاء الصادق في قوله آمناً في غير الصادق .

وهذا المعنى الذي دلت عليه هذه الآية الكريمة جاء مبيناً في آيات أخر من كتاب الله كقوله تعالى : { **أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهَ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ** } [البقرة : ٢١٤] وقوله : { **أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ**

(١) - تفسير الطبري - (ج ٧ / ص ١٥٦)

الله الذين جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ { [آل عمران : ١٤٢] وقوله تعالى : **وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ** { [محمد : ٣١] وقوله تعالى : **{ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ }** [آل عمران : ١٧٩] الآية . وقوله تعالى : **{ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ }** [آل عمران : ١٥٤] الآية . وقوله تعالى : **{ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ }** [التوبة : ١٦] إلى غير ذلك من الآيات ، وقد أشار تعالى إلى ذلك بقوله هنا : **{ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا }** [العنكبوت : ٣] الآية . وقد بينت السنة الثابتة أن هذا الابتلاء المذكور في هذه الآية يبتلى به المؤمنون على قدر ما عندهم من الإيمان، كقوله صلى الله عليه وسلم « أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل » ^(١)

يقول سيد قطب -رحمه الله- (إن الإيمان ليس كلمة تقال إنما هو حقيقة ذات تكاليف؛ وأمانة ذات أعباء؛ وجهاد يحتاج إلى صبر ، وجهد يحتاج إلى احتمال . فلا يكفي أن يقول الناس: آمنا وهم لا يتركون لهذه الدعوى حتى يتعرضوا للفتنة فيثبتوا عليها ويخرجوا منها صافية عناصرهم خالصة قلوبهم . كما تفتن النار الذهب لتفصل بينه وبين العناصر الرخيصة العالقة به وهذا هو أصل الكلمة اللغوي وله دلالة وظله وإيحائه وكذلك تصنع الفتنة بالقلوب هذه الفتنة على الإيمان أصل ثابت ، وسنة جارية ، في ميزان الله سبحانه(ولقد فتنا الذين من قبلهم ، فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين)

والله يعلم حقيقة القلوب قبل الابتلاء؛ ولكن الابتلاء يكشف في عالم الواقع ما هو مكشوف لعلم الله مغيب عن علم البشر؛ فيحاسب الناس إذن على ما يقع من عملهم لا على مجرد ما يعلمه سبحانه من أمرهم . وهو فضل من الله من جانب، وعدل من

(١) - أضواء البيان - (ج ٦ / ص ٢٢٤)

جانب، وتربية للناس من جانب، فلا يأخذوا أحداً إلا بما استعلن من أمره، وبما حقه فعله. فليسوا بأعلم من الله بحقيقة قلبه!

ونعود إلى سنة الله في ابتلاء الذين يؤمنون وتعريضهم للفتنة حتى يعلم الذين صدقوا منهم ويعلم الكاذبين إن الإيمان أمانة الله في الأرض، لا يحملها إلا من هم لها أهل وفيهم على حملها قدرة، وفي قلوبهم تجرد لها وإخلاص. وإلا الذين يؤثرونها على الراحة والدعة، وعلى الأمن والسلامة وعلى المتاع والإغراء. وإنها لأمانة الخلافة في الأرض وقيادة الناس إلى طريق الله، وتحقيق كلمته في عالم الحياة. فهي أمانة كريمة؛ وهي أمانة ثقيلة؛ وهي من أمر الله يضطلع بها الناس؛ ومن ثم تحتاج إلى طراز خاص يصبر على الابتلاء

ومن الفتنة أن يتعرض المؤمن للأذى من الباطل وأهله؛ ثم لا يجد النصير الذي يسانده ويدفع عنه ولا يملك النصرة لنفسه ولا المنعة؛ ولا يجد القوة التي يواجه بها الطغيان. وهذه هي الصورة البارزة للفتنة، المعهودة في الذهن حين تذكر الفتنة، ولكنها ليست أعنف صور الفتنة.

فهناك فتن كثيرة في صور شتى ربما كانت أمر وأدهى، هناك فتنة الأهل والأحباء الذين يخشى عليهم أن يصيبهم الأذى بسببه، وهو لا يملك عنهم دفعا وقد يهتفون به ليسالم أو ليستسلم؛ وينادونه باسم الحب والقربة، واتقاء الله في الرحم التي يعرضها للأذى أو الهلاك. وقد أشير في هذه السورة إلى لون من هذه الفتنة مع الوالدين وهو شاق عسير

وهناك فتنة إقبال الدنيا على المبطلين، ورؤية الناس لهم ناجحين مرموقين، تهتف لهم الدنيا وتصفق لهم الجماهير، وتتحطم في طريقهم العوائق، وتصاغ لهم الأمجاد، وتصفو لهم الحياة. وهو مهمل منكر لا يحس به أحد، ولا يحامي عنه أحد، ولا يشعر بقيمة الحق الذي معه إلا القليلون من أمثاله الذين لا يملكون من أمر الحياة شيئاً

وهناك فتنة الغرب في البيئة والاستيحاء بالعقيدة، حين ينظر المؤمن فيرى كل ما حوله وكل من حوله غارقاً في تيار الضلالة؛ وهو وحده موحش عريب طريد

وهناك فتنة من نوع آخر قد نراها بارزة في هذه الأيام. فتنة أن يجد المؤمن أمماً ودولاً غارقة في الرذيلة، وهي مع ذلك راقية في مجتمعها، متحضرة في حياتها، يجد الفرد فيها من الرعاية والحماية ما يناسب قيمة الإنسان، ويجدها غنية قوية، وهي مشاقة لله

وهناك الفتنة الكبرى، أكبر من هذا كله وأعنف، فتنة النفس والشهوة، وجاذبية الأرض، وثقله اللحم والدم، والرغبة في المتاع والسلطان، أو في الدعة والاطمئنان، وصعوبة الاستقامة على صراط الإيمان والاستواء على مرتقاه، مع المعوقات والمثبطات في أعماق النفس وفي ملابس الحياة، وفي منطق البيئة، وفي تصورات أهل الزمان فإذا طال الأمد، وأبطأ نصر الله، كانت الفتنة أشد وأقسى، وكان الابتلاء أشد وأعنف.

ولم يثبت إلا من عصم الله، وهؤلاء هم الذين يحققون في أنفسهم حقيقة الإيمان، ويؤمنون على تلك الأمانة الكبرى، أمانة السماء في الأرض، وأمانة الله في ضمير الإنسان

وما بالله حاشا لله أن يعذب المؤمنين بالابتلاء، وأن يؤذيهم بالفتنة. ولكنه الإعداد الحقيقي لتحمل الأمانة.

فهي في حاجة إلى إعداد خاص لا يتم إلا بالمعاناة العملية للمشاق؛ وإلا بالاستعلاء الحقيقي على الشهوات، وإلا بالصبر الحقيقي على الآلام، وإلا بالثقة الحقيقية في نصر الله أو في ثوابه، على الرغم من طول الفتنة وشدة الابتلاء

والنفس تصهرها الشدائد فتتغنى عنها الخبث، وتستجيش كامن قواها المذخورة فتستيقظ وتتجمع. وتطرقها بعنف وشدة فيشتد عودها ويصلب ويصقل.

وكذلك تفعل الشدائد بالجماعات، فلا يبقى صامداً إلا أصلبها عوداً؛ وأقواها طبيعة، وأشدّها اتصالاً بالله، وثقة فيما عنده من الحسنيين: النصر أو الأجر، وهؤلاء هم الذين يسلّمون الراية في النهاية مؤتمنين عليها بعد الاستعداد والاختبار وإنهم ليتسلمون الأمانة وهي عزيزة على نفوسهم بما أدوا لها من غالي الثمن؛ وبما بذلوا لها من

الصبر على المحن؛ وبما ذاقوا في سبيلها من الآلام والتضحيات، والذي يبذل من دمه وأعصابه، ومن راحته واطمئنانه، ومن رغائبه ولذاته. ثم يصبر على الأذى والحرمان؛ يشعر ولا شك بقيمة الأمانة التي بذل فيها ما بذل؛ فلا يسلمها رخيصة بعد كل هذه التضحيات والآلام فأما انتصار الإيمان والحق في النهاية فأمر تكفل به وعد الله، وما يشك مؤمن في وعد الله. فإن أبطأ فلحكمة مقدره، فيها الخير للإيمان وأهله. وليس أحد بأغیر على الحق وأهله من الله، وحسب المؤمنين الذين تصيبهم الفتنة، ويقع عليهم البلاء، أن يكونوا هم المختارين من الله، ليكونوا أمناء على حق الله، وأن يشهد الله لهم بأن في دينهم صلابة فهو يختارهم للابتلاء

جاء في الصحيح: «أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الصالحون، ثم الأمل فالأمل يتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلابة زيد له في البلاء»^(١)

وأما الذين يفتنون المؤمنين، ويعملون السيئات، فما هم بمفلتين من عذاب الله ولا ناجين، مهما انتفخ باطلهم وانتفش، وبدا عليه الانتصار والفلاح. وعد الله كذلك وسنته في نهاية المطاف: **{أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ}** [العنكبوت: ٤]. .

(١) - رواه ابن ماجه وابن أبي الدنيا والترمذي وصححه الالباننى انظر صحيح الترغيب والترهيب - (ج ٣ / ص ١٧٩)

فلا يحسن مفسد أنه مفلت ولا سابق، ومن يحسب هذا فقد ساء حكمه ، وفسد تقديره ، واختل تصوره . فإن الله الذي جعل الابتلاء سنة ليمتحن إيمان المؤمن ويميز بين الصادقين والكاذبين؛ هو الذي جعل أخذ المسيئين سنة لا تتبدل ولا تتخلف ولا تحيد^(١)

لذلك أمر النبي ﷺ خبابا والمستضعفين من المسلمين بالصبر على الأذى فعن خباب -رضي الله عنه - قال أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً وَهُوَ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ وَقَدْ لَقِينَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ شِدَّةً فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا تَدْعُو اللَّهَ فَتَقْعَدَ وَهُوَ مُحْمَرٌّ وَجْهُهُ فَقَالَ لَقَدْ كَانَ مِنْ قَبْلَكُمْ لَيْمَشُطُ بِمِشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ عِظَامِهِ مِنْ لَحْمٍ أَوْ عَصَبٍ مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ وَيُوضَعُ الْمِنْشَارُ عَلَى مَفْرَقِ رَأْسِهِ فَيَشَقُّ بِأَثْنَيْنِ مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ وَلَيَتَمَنَّ اللَّهُ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ مَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ زَادَ بَيَانُ وَالذُّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ^(٢)

(١) - في ظلال القرآن - (ج ٥ / ص ٤٥١ \ ٤٥٠

(٢) - رواه البخاري ح ٣٥٦٣

أولاً: كتب التفسير

- ١- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم للعلامة أبي السعود (محمد بن محمد مصطفى العمادى الحنفى ت ٩٨٢ هـ .
- ٢- البحر المحيط للإمام محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطى ت ٧٥٤ هـ .
- ٣- التحرير والتنوير للأستاذ محمد الطاهر بن عاشور ت ١٣٩٣ هـ .
- ٤- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ط ٥ - الدر المنثور في التفسير بالمأثور لجلال الدين السيوطى ت ٩١١ هـ .
- ٦- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للإمام محمود بن عمر الزمخشري لمعتزلي ت ٥٢٨ هـ .
- ٧ - تفسير القرآن العظيم للإمام الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ت ٧٧٤ هـ .
- ٨ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ت ١٣٧٦ هـ .
- ٩ جامع البيان في تفسير القرآن للإمام أبى جعفر محمد بن جرير الطبري ت ٣١٠ هـ .
- ١٠ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للإمام الألوسى شهاب الدين السيد محمود الألوسى ت ١٢٧٠ هـ .
- ١١ فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير للإمام محمد بن على بن محمد لشوكاني ت ١٢٥٥ هـ .
- ١٢ مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) للإمام فخر الدين الرازى ت ٦٠٦ هـ .
- ١٣ في ظلال القرآن ، بقلم سيد قطب
- ١٤ أضواء البيان \ للشنقيطى
- ١٥ - انظر التفسير الميسر لنبذة من العلماء
- ١٦ - تفسير القطان

- ١٧- معالم التنزيل للبغوى
١٨- أسباب النزول للواحدي

ثانياً: كتب السنة

- ١٩-- صحيح البخاري
٢٠- صحيح مسلم
٢١- مسند الإمام أحمد
٢٢- سنن أبي داود
٢٣- سنن ابن ماجه
٢٤- سنن النسائي
٢٥- سنن الترمذي
٢٦- سنن البيهقي
٢٧- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد
٢٨- المعجم الكبير للطبراني
٢٩- المعجم الوسيط للطبراني
٣٠- المعجم الصغير للطبراني
٣٢- صحيح الجامع الصغير وزيادته / محمد ناصر الدين الألباني
٣٣- صحيح سنن الترمذي / محمد ناصر الدين الألباني
٣٤- صحيح سنن ابن ماجه / محمد ناصر الدين الألباني
٣٥- صحيح سنن أبي داود / محمد ناصر الدين الألباني
٣٦- صحيح الترغيب والترهيب / محمد ناصر الدين الألباني
٣٧- ضعيف سنن الترمذي / محمد ناصر الدين الألباني
٣٨- ضعيف صحيح سنن ابن ماجه / محمد ناصر الدين الألباني
٣٩- ضعيف سنن أبي داود / محمد ناصر الدين الألباني
٤٠-- ضعيف الترغيب والترهيب / محمد ناصر الدين الألباني

- ٤١ --فتح الباري/ لابن حجر العسقلاني
 ٤٢ -- فيض القدير شرح الجامع الصغير / المناوي
 ٤٣ -- عمدة القاري شرح صحيح البخاري / للعلامة بدر الدين العيني
 ٤٤ - عون المعبود شرح سنن أبي داود / محمد شمس الحق العظيم آبادي أبو الطيب
 ٤٥ -- تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي / محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري أبو العلا

العقيدة

- ٤٦ - تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد ❖ للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب:
 ٤٧ - نواقض الإسلام في مجموعة التوحيد
 ٤٨ - كشف الشبهات / للإمام محمد بن عبد الوهاب -
 ٤٩ - تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد ❖ للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب:
 ٥٠ - الولاء والبراء / لمحمد بن سعيد القحطاني
 ٥١ - الزهد لابن المبارك
 ٥٢ - رسالة الأمر بالمعروف / خالد السبت.
 ٥٣ - المحلى / لابن حزم: تحقيق حسن زيدان
 ٥٤ - الإيمان / لابن تيمية
 ٥٥ - أحكام أهل الذمة / لابن القيم:
 ٥٦ - فتاوى ابن تيمية:
 ٥٧ - الاستقامة / لابن تيمية
 ٥٨ - مجموعة التوحيد : ط. دار الفكر
 ٦٠ - الإيمان. حقيقته. / أركانه. نواقضه للدكتور محمد نعيم ياسين.

- ٦١- تحفة الإخوان/ للشيخ حمود التويجري
- ٦٢- الرسائل المفيدة / للشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ
- ٦٣- التطور والثبات في حياة البشرية/ للأستاذ محمد قطب:
- ٦٤- منهاج السنة / لابن تيمية
- ٦٥- الغيبة/ للطوسي
- ٦٦- تهذيب الأحكام / للطوسي
- ٦٧- السرائر / لابن إدريس
- ٦٨- وسائل الشيعة للحر العاملي
- ٦٩- الوافي/ للفيض الكاشاني
- ٧٠- بحار الأنوار / للمجلسي
- ٧١- حقيقة الشيعة / لعبد الله الموصلي
- ٧٢- التعادل والترجيح / للهالك الخميني
- ٧٣- موقف الشيعة من أهل السنة / محمد مال الله - رحمه الله
- ٧٤- تفسير الصافي / للفيض الكاشاني
- ٧٥- تفسير العياشي
- ٧٦- بروتوكولات آيات قُم حول الحرمين المقدسين / تأليف الدكتور عبد الله الغفاري
- ٧٧- الشيعة والتشيع / لإحسان ظهير

كتب التاريخ

- ٧٨- النهاية في الفتن والملاحم / لابن كثير:

- ٧٩ - البداية والنهاية / لابن كثير
- ٨٠ - سيرة ابن هشام
- ٨٢ - تاريخ الإسلام للذهبي
- ٨٣ - الطبقات الكبرى / لابن سعد
- ٨٤ - تاريخ الطبري / للإمام الطبري
- ٨٥ - تاريخ ابن عساكر / للإمام ابن عساكر
- ٨٦ - ابن سبأ حقيقة لا خيال / لسعد خليل مهدي
- ٨٧ - استشهاد عثمان ووقعة الجمل / لخالد الغيث
- ٨٩ - تاريخ خليفة بن الخياط / لابن الخياط
- ٩٠ - التاريخ الكبير / للبخاري
- ٩١ - معجم البلدان / لياقوت الحموي
- ٩٢ - الكامل في التاريخ / لابن الاثير
- ٩٣ - لكامل / لابن عدى
- ٩٤ - الاستيعاب / لابن عبد البر
- ٩٥ - الله ثم للتاريخ كشف الأسرار وتبرئة الائمة الأطهار
- ٩٦ - أبو بكر الصديق رضي الله عنه وسيرته / لعلي الصلابي
- ٩٧ - فصل الخطاب في سيرة ابن الخطاب / لعلي الصلابي
- ٩٨ - سيرة الشهداء دروس وعبر / لعبد الحميد السجاني
- ٩٩ - مؤامرة على الإسلام / لسفر الحوالى
- ١٠٠ - المرتضى / للندوي
- ١٠١ - النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة / لجمال الدين أبى المحاسن
- ١٠٢ - ذيل مرآة الزمان / اليونيني
- ١٠٣ - بدائع الزهور / لابن اياس
- ١٠٤ - الاحاطة في تاريخ غرناطة / لسان الدين ابن الخطيب

- ١٠٥ - اليهودية والماسونية، عبد الرحمن الدوسري
- ١٠٦ - اليهود والدولة العثمانية / لأحمد نوري النعيمي
- ١٠٧ - العثمانيون في التاريخ والحضارة / لمحمد حرب
- ١٠٨ - السلطان عبد الحميد / لمحمد حرب
- ١٠٩ - صحوة الجل المريض / د/ موفق بني مرحة
- ١١٠ - العلمانية/ لسفر الحوالى
- ١١١ - الاتجاهات الوطنية / لمحمد حسين
- ١١٢ - حاضر العالم الإسلامي
- ١١٣ - الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط / علي محمد الصلابي
- ١١٤ - المسألة الشرقية / لمحمد ثابت الشاذلي
- ١١٥ - معركة المصير
- ١١٦ - شذرات البلاتين
- ١١٧ - عوامل النصر والتمكين في دعوة المرسلين/ لأحمد بن حمدان بن محمد الشهري
- ١١٨ - في السيرة النبوية قراءة لجوانب الحذر والحماية / الدكتور إبراهيم علي محمد أحمد
- ١١٩ - خواطر على طريق الدعوة / لمحمد حسان
- ١٢٠ - مذكرات السلطان عبد الحميد، تقديم د. محمد حرب، دار القلم، الطبعة الثالثة، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.
- ١٢١ - يهود الدوغة، دراسة في الأصول والعقائد والمواقف د. أحمد نوري النعيمي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م
- ١٢٣ - الحروب الصليبية كما رآها العرب"، أمين معلوف نقلها إلى العربية د. عفيف دمشقية، دار الفارابي، دمشق، 1989
- ١٢٤ - دراسة لسقوط ثلاثين دولة إسلامية. / عبد الحلیم عويس
- ١٢٥ - تاريخ العصر الأيوبي/ أمينة بيطار،

١٢٦- الحروب الصليبية - أسبابها، حملاتها، نتائجها، سيد علي الحريري تحقيق وتقديم عصام محمد شبارو،.

١٢٧-الناصر صلاح الدين يوسف الأيوبي / عبد المنعم ماجد

١٢٨-تاريخ مدينة القدس/ معين أحمد محمود.

١٢٩ -جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس / د. نبيل عبد الحي رضوان

١٣٠ -جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس / د. نبيل عبد الحي رضوان

١٣١ -الشعوب الإسلامية / د. عبد العزيز سليمان نوار

١٣٢ -الإسلام في آسيا/ د. محمد نصر مهنا

١٣٣ -الأعلام / للزركشي

١٣٤ -الخطط والآثار / المقريري

١٣٥ -السلوك لمعرفة دولة الملوك / المقريري

١٣٦ -نور الدين محمود زنكي القائد المجاهد / د/ أنس أحمد كرزون:

١٣٧ :- الجهاد ضد الصليبيين / مسفر الغامدي

١٣٨ -زبدة حلب / ابن العديم

١٣٩ -البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع / لمحمد بن علي الشوكاني

١٤٠ -فتح العثمانيين عدن / محمد عبد اللطيف البحراوى،

١٤١ -قراءة جديدة في تاريخ العثمانيين / د. زكريا سليمان بيومي،

١٤٢ -الإسلام في آسيا. محمد نصر مهنا،

١٤٣ -طبقات الحنابلة ابن أبي يعلى

١٤٤ -ترتيب المدارك/ للقاضي عياض

١٤٥ -طبقات الشافعية/ للسبكي

١٤٦ -دمروا الإسلام أبيدوا أهله / لجلال العالم

مواقع على الإنترنت

- ١٤٧ - - موقع التاريخ على الانترنت
- ١٤٨ - - موقع صيد الفوائد
- ١٤٩ - موقع ومنتدى شبكة مجلس العرب
- ١٥٠ - - موقع شبكة الشفا الإسلامية على الانترنت
- ١٥١ - مجلة الوعي الإسلامي
- ١٥٢ - مجلة الطليعة القاهرية

□ الفهرس

الموضوع

٥.....	المقدمة
٧.....	أسباب كتاب البحث
١٠.....	الفصل الأول المؤامرة كما يصورها القرآن والسنة
١٠.....	تنازع البقاء من سنن الله في خلقه
٢٢.....	المؤامرة كما تصورها السنة
٢٥.....	الفصل الثاني المؤامرة عبر التاريخ
٢٧.....	المؤامرة على نبي الله نوح عليه السلام
٢٩.....	المؤامرة ضد نبي الله صالح عليه السلام
٣١.....	المؤامرة ضد خليل الرحمن إبراهيم عليه الصلاة والسلام
٣٤.....	المؤامرة ضد موسى كليم الرحمن عليه السلام
٤١.....	المؤامرة اليهودية ضد عيسى عليه السلام
٤٣.....	المؤامرة ضد رسول الله صلى الله عليه وسلم
٤٣.....	مؤامرة دار الندوة
٤٥.....	مؤامرة صفوان بن أمية وعمير بن وهب
٤٧.....	مؤامرة بني النضير
٤٨.....	مؤامرة يهود خيبر
٤٩.....	مؤامرة المنافقين في غزوة تبوك
٥١.....	الفصل الثالث : المؤامرة في عهد الخلفاء
٥١.....	المؤامرة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم
٥٦.....	المؤامرة ضد عمر بن الخطاب رضي الله عنه
٥٦.....	مقتل الفاروق رضي الله عنه
٦٠.....	المؤامرة ضد عثمان رضي الله عنه
٦٤.....	مؤامرة وتهمة الرسائل

٦٥	موقف الخليفة المظلوم
٦٥	موقف عثمان من مطالب زعماء الفتنة
٦٦	عثمان يحقن دماء الأمة
٦٦	موقف أم حبيبة رضي الله عنها
٦٦	كيف قتل عثمان رضي الله عنه؟
٧٠	المؤامرة على قتل علي رضي الله عنه
٧٢	المؤامرة الآثمة
٧٦	غلبة الهوى والجهل على مدعي الإصلاح
٨٠	الحروب الصليبية والمؤامرة على الإسلام والمسلمين
٨٠	الحروب الصليبية وسقوط بيت المقدس
٨٥	هجوم متواصل
٨٧	السقوط الفاجع لبيت المقدس
٨٨	الصليبيون يقومون بالذبح
٩٠	دوافع الحروب الصليبية
٩١	العامل الديني
٩٢	موقعة منا زكرد وإثرها على الغرب
٩٤	عوامل سياسية واجتماعية
٩٥	العامل الاقتصادي
٩٦	دحض المزاعم حول الاضطهاد الديني
٩٧	الأسباب المباشرة للاستعداد للحملات
١٠٤	الفصل الخامس: المؤامرة التترية على بلاد الإسلام
١٠٤	لماذا توجه التتر إلى بلاد الإسلام؟
١١٠	ذكر مسير التبر إلى خوارزمشاه وانهزامه وموته
١١١	ماذا فعل التتر في ديار الإسلام والمسلمين؟
١١١	ذكر وصول التتر إلى الري وهمذان
١١٢	ذكر وصول التتر إلى أذربيجان
١١٣	ذكر ملك التتر مراغة

- ١١٤..... ذكر ملك التتر همذان وقتل أهلها
- ١١٥..... ذكر وصول التتر إلى بلاد الكرج
- ١١٦..... ذكر وصولهم إلى دربندشروان وما فعلوه
- ١١٦..... ذكر ما فعلوه باللان وقفجان وسائر الأمم التي في طريقهم
- ١٢٢..... المؤامرة الصليبية التتريّة
- ١٢٦..... دخول التتر بغداد وسقوط الخلافة
- ١٣٠..... هزيمة التتر في عين جالوت
- ١٣٤..... الفصل السادس : المؤامرة ضد المسلمين في بلاد الأندلس
- ١٣٤..... فتح الأندلس
- ١٣٥..... الحكم الأموي المباشر في الأندلس
- ١٣٨..... ملوك الطوائف
- ١٤٠..... مملكة غرناطة وسلالة بني الأحمر
- ١٤١..... سقوط غرناطة
- ١٤٥..... مرحلة ما بعد السقوط
- ١٤٩..... وصف دقيق لما كان يحدث في محاكم التفتيش
- ١٦٠..... صفحة من تاريخ الأندلس (معركة الزلاقة)
- ١٦٥..... الفصل السابع : المؤامرة على الخلافة العثمانية والعالم الإسلامي
- ١٧٢..... دور اليهود في إسقاط الخلافة
- ١٧٣..... السلطان عبد الحميد وزعيم اليهودية العالمية (هرتزل)
- ١٩٢..... كمال أتاتورك صناعة يهودية ومؤامرة صليبية
- ١٩٢..... بداية المؤامرة
- ١٩٢..... وأسفرت عن نفسها
- ١٩٤..... مصطفى كمال والأهداف
- ١٩٥..... برتوكول لوزان
- ١٩٥..... من هو مصطفى كمال ؟
- ١٩٧..... آراء مؤرخي الغرب
- ١٩٨..... إسقاط الخلافة

إلغاء الخلافة.....	٢٠٠
اللعبة للقضاء على الخلافة.....	٢٠١
الفصل الثامن: المؤامرة في الحروب الصليبية الجديدة.....	٢١٢
المؤامرة الغربية على الإسلام.....	٢١٤
الاعتراف سيد الأدلة.....	٢١٥
خططهم لتدمير الإسلام.....	٢٢٨
المؤامرة في مخططات اليهود.....	٢٤٢
نص الوثيقة الصهيونية.....	٢٤٥
الشيعة ودورهم في تنفيذ المؤامرات على الإسلام.....	٢٥٤
عقائد الشيعة.....	٢٥٤
كفر من لا يؤمن بولاية الأئمة الاثني عشر.....	٢٥٤
اعتقاد الشيعة بان أهل السنة أعداء لأهل البيت.....	٢٥٧
اعتقاد الشيعة في أهل البيت ونجاستهم.....	٢٥٩
تحريم نكاح أهل السنة.....	٢٦٣
مخالفة أهل السنة واجبة عند الرافضة.....	٢٦٣
صور من مؤامرت الشيعة.....	٢٦٨
التعاون مع الفرنجة لانتزاع الإسكندرية من يد صلاح الدين.....	٢٦٨
خيانة الشيعة ومحاولاتهم الفتك بصلاح الدين.....	٢٧٣
دورهم في الحرب على الدولة العثمانية (السنية).....	٢٧٨
حول خيانة الشيعة في الحرب الأمريكية على العراق.....	٢٨٦
الخطوة السرية لآيات إيران في ضوء الواقع الجديد.....	٢٩١
برتوكول آيات قم حول الحرمين المقدسين.....	٢٩٨
أولاً: بروتوكول القتل والتخريب والسرقة والاعتقالات.....	٢٩٨
خطط العدوان على بيت الله الحرام.....	٣٠٠
هدم المسجد الحرام والمسجد النبوي.....	٣٠١
برتوكول للتغيير الفكري.....	٣٠١
تحويل المسلمين إلى كربلاء.....	٣٠٤

المخطط السري للمجلس الأعلى للثورة الإسلامية.....	٣٠٥
الوثيقة الرافضية بعد سقوط بغداد	٣٠٧
الفصل العاشر وسائل النجاء من مؤامرات الأتقياء	٣٠٨
التمسك بالقرآن والسنة.....	٣٠٩
إحياء عقيدة الولاء والبراء	٣١٧
صور من الولاء والبراء.....	٣٢٦
إعداد العدة	٣٤٨
الحذر والحيلة	٣٦٤
المراجع	٣٨٣
فهرس المحتويات.....	٣٩٢